

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي ليايس - سيدي بلعباس -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الإنسانية

شبكات دعم الثورة الجزائرية في أوروبا الغربية (1957-1962)

أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر

إشراف الأستاذ:

أ.د/ محمد مجاود

إعداد الطالب:

شعبان إيڤو

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د/ علي بن حويقة	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيساً
أ.د/ محمد مجاود	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفاً و مقررأ
أ.د/ جيلالي بلوفة عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مناقشأ
د/ قادة لحرمر	أستاذ محاضر (أ)	جامعة سيدي بلعباس	مناقشأ
د/ ميلود ميسوم	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الشلف	مناقشأ
د/ محمد بن جبور	أستاذ محاضر (أ)	جامعة وهران 1	مناقشأ

السنة الجامعية : 2017-2018 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الإنسانية

شبكات دعم الثورة الجزائرية في أوروبا الغربية (1957-1962)

أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر

إشراف الأستاذ:
أ.د/ محمد مجاود

إعداد الطالب:
شعبان إيڤو

السنة الجامعية : 2017-2018 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر والعرفان إلى:

- المشرف الأستاذ الدكتور محمد مجاود على قبول الإشراف على هذه الأطروحة، كما أشكره على الرعاية التي شملني بها طيلة فترة إنجاز العمل.
- كل من قدم لي يد المساعدة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لإتمام هذا العمل وأخص بالذكر الدكتور طالبي عبد القادر والدكتور خلوفي بغداد والدكتور بلجة عبد القادر والدكتور جبران لعرج .
- أعضاء لجنة المناقشة على كرم مناقشة وإثراء هذه الأطروحة.

إهداء

إلى ابني غيلاس

المختصرات – Abréviations

إ.د.ب.ج: الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.

إ.ع.ط.م.ج: الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين.

إ.ع.ع.ج: الاتحاد العام للعمال المسلمين الجزائريين.

ج.ت.و: جبهة التحرير الوطني.

ج.ع.م.ج: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ح.إ.ح.د: حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

ح.ش.ج: الحزب الشيوعي الجزائري.

ح.ش.ج: حزب الشعب الجزائري.

ح.م.ج.ج: الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

ح.و.ج: الحركة الوطنية الجزائرية.

ل.ت.ت: لجنة التنسيق والتنفيذ.

م.و.ث.ج: المجلس الوطني للثورة الجزائرية.

ن.ش.إ: نجم شمال إفريقيا.

A.C.N.V : l'Action Civique Non Violente.

B.A.V : Brigade des Agressions et violences.

B.R.S : Bureaux de Renseignement Spécialisé.

C.F.T.C : La Confédération Française des Travailleurs Chrétiens.

C.G.T : La Confédération Générale du Travail.

C.I.E : Conférence Internationale des Etudiants.

C.I.M.A.D.E : Comité inter mouvements auprès des évacués.

C.I.S.I : Confédération Internationale des Syndicats Libres.

C.I.V : Centre d'Identification de Vincennes.

C.R.S : Compagnies Républicaines de Sécurité.

C.R.U.A : Comité Révolutionnaire pour l'Unité et l'Action.

D.G.G.A : Délégation Générale du Gouvernement en Algérie.

D.S.T : La Direction de la Surveillance du Territoire.

E.N.I : Ente Nazionale Idrocarburi.

F.E.N : Fédération de l'Enseignement Nationale.

F.G.T.B : Fédération générale de travail de Belgique.

F.P.A : Force de Police Auxiliaire (Harkis).

J.O.C : Jeunesse Ouvrière Chrétienne.

M.A.F : Mouvement Anticolonialiste Français.

M.R : La Main Rouge.

M.R.P : Mouvement contre le Racisme et pour la Paix.

O.A.S : Organisation de l'Armée Secrète.

P.C.F : Partis Communiste Français.

P.P : Police de Paris.

P.S.U : Partis Socialiste Unifier.

R.A.A : Le Régiment d'Artillerie Antiaérienne.

R.G : Renseignements Générales.

S.A.S : Section Administrative Spécialisée.

S.A.T : Service d'Assistance Technique.

S.A.T-F.A.M : Service d'Assistance Technique aux Français Musulmans d'Algérie.

S.C.A.A : Service de Coordination des Affaires Algériennes.

S.C.I.N.A : Service de Coordination des Informations Nord-Africaines.

S.D.E.C.E : Service de Défense Extérieur et Contre Espionnage.

S.N.I : Syndicat Nationale des Instituteurs.

S.P.D : Le Parti Social-Démocrate.

S.P.F : Le Secours Populaire Français.

S.V.R : Solidarité avec les Victimes du Racisme.

SFIO : Section française de l'Internationale ouvrière.

SPF : Le Secours Populaire Français.

U.G.E.M.A : Union Générale des Etudiants Musulmans Algériens.

U.G.T.A : Union Général des Travailleurs Algériens.

U.I.E : Union Internationale des Etudiants.

U.J.F : Union des Juifs de France.

U.J.R.E : Union des Juifs pour la Résistance et Entraide.

U.N.E.F : Union Nationale des Etudiants Français.

U.R.P : Union Républicain Populaire.

U.S.T.A : Union des Syndicats Des Travailleurs Algériens.

المقدمة

يعتقد الكثيرون أن الحرب إنما هي مجموعة ساحات معارك يتواجه فيها المتصارعون، وأن لكل ساحة مجالها وأدواتها الخاصة بها. ومع ذلك فإنها ترتبط وتتكامل مع بعضها البعض، والانتصار في الحرب يتوقف على قدرة كل طرف على إدارة الصراع واستدراج العدو إلى الساحات التي يكون فيها سيد الموقف ليوجه الضربات الموجهة ويرجح الكفة لصالحه.

هذا الكلام ينطبق تماما على الثورة التحريرية التي خاضتها «جبهة التحرير الوطني» ضد الاحتلال الفرنسي، إذ تواجه الطرفان لأكثر من سبع سنوات في ساحات عديدة، عسكرية وسياسية ودبلوماسية وإعلامية وإنسانية. والحقيقة التي لا يجب أن نغفل عنها ونحن ندرس هذه المسألة أن الحرب الدائرة هي حرب غير متكافئة بكل المقاييس، لأنها كانت ببساطة تدور بين تنظيم سياسي وهو «ج.ت.و» والذي يقوده شباب في غياب أبسط الوسائل ضد الدولة الفرنسية بكل ما تحمله من إرث تاريخي في المجال الاستعماري وما تمتلكه من وسائل ضخمة. وهذا لوحده يكفي لتجعل أي شخص يقف إجلالا وإكبارا لهذه الثورة التي تعد بحق مصدر إلهام للشعوب التي تناضل من أجل حريتها.

كانت «ج.ت.و» على يقين أن التعويل على المواجهة العسكرية لحسم المعركة مع فرنسا الاستعمارية هو رهان خاسر وكان لا بد من التفكير الجدي لاستدراج فرنسا إلى ساحات معركة تتيح هامش كبير للتحرك والمناورة داخليا وخارجيا بما يحقق للأمة الجزائرية آمالها. فكان الرأي العام الساحة التي فضلت أن تخوض فيها معاركها الكبرى ضد الاحتلال. ومن هذا المنطلق تكمن أهمية موضوع شبكات دعم الثورة الجزائرية، التي تعتبر إحدى تجليات الرأي العام ووسيلة من وسائل المواجهة مع المحتل الفرنسي. وقد حصرنا موضوع الدراسة في الفترة الممتدة ما بين 1957 و1962 وهي الفترة التي شهدت تشكل الشبكات بالمعنى الحقيقي للكلمة، وتحول الرأي العام باتجاه إيجاد مخرج للمشكل الجزائري، علما أن الدعم الفردي للثورة كان موجودا منذ انطلاق الثورة في 1954، لكن بشكل محدود جدا يكاد لا يلاحظ.

تعودنا عند الحديث عن شبكات دعم الثورة الجزائرية أن نحصر الموضوع في شبكة (جانسون) و(كوربال)، والمعروفة باسم «حَمَلَةُ الْحَقَائِب - Les porteurs de valises» مما يبدو وكأن الموضوع أخذ حقه من الدراسة في ظل وجود مؤلفات عديدة حول الشبكتين. لكن في واقع الأمر أن هناك شبكات دعم أخرى لا تقل أهمية استطاعت أن تقدم خدمات جليلة للثورة وشكلت سندا قويا لـ«ج.ت.و» لتحمل أعباء الثورة التحرير. ومن هذه الزاوية تتجلى الدوافع التي حفزتنا على اختيار البحث في موضوع شبكات الدعم ومن أهمها:

- الرغبة في توسيع مجال البحث الذي بدأناه في أطروحة الماجستير المتعلقة بموقف المثقفين الفرنسيين عامة و(جان بول سارتر - Jean-Paul Sartre) خاصة من الثورة الجزائرية إلى دائرة أوسع لتشمل شرائح

أخرى من المجتمع الفرنسي والمجتمع الأوروبي كالسياسيين والعسكريين والنقابيين والفنانين وغيرهم من الفئات الأخرى.

- التعريف بهذا الجانب المجهول لدى غالبية الجزائريين باعتبار أن شبكات الدعم مغيبة تماما من المنظومة التربوية ببلادنا وحتى من المنظومة الجامعية.
- التعريف بالحرب التي كانت دائرة بين الجزائريين والحكومة الفرنسية بمختلف مصالحها الأمنية على الأراضي الفرنسية واكتشاف عشرات الرجال والنساء من الجزائريين والفرنسيين والأوروبيين الذين وجدوا أنفسهم، في كثير من الأحيان، يناضلون معا من أجل قضية واحدة وهي قضية الحرية وكرامة الإنسان.
- اكتشاف الانتماء الفكري والسياسي للأشخاص الذين قبلوا تقديم المساعدة للجزائريين، سواء على المستوى الفردي أو ضمن شبكات الدعم، والتعرف على الدوافع التي حملتهم على التصرف بتلك الكيفية.
- عرض أكبر عدد ممكن من شبكات الدعم في مؤلف واحد لتمكين الدارسين والباحثين من الإحاطة بها وتوسيع مجال البحث فيها، علما أن معظم الدراسات تكتفي بإبراز دور شبكة واحدة أو اثنين، وبشكل خاص التي حظيت بتغطية إعلامية واسعة.
- إبراز خصوصية الثورة التحريرية الجزائرية التي كسبت مؤيدين في كل قارات العالم وهذا ما يوحي بأنها لم تكن ثورة الجزائريين وحدهم ولكن ثورة كل الذين يتوقون إلى الحرية ويسعون إلى بناء علاقات تقوم على احترام الحرية والكرامة الإنسانية.

تتمحور الإشكالية التي يعالجها البحث حول سؤال جوهري وهو: ما الذي يدفع بعشرات الرجال والنساء في فرنسا وفي أوروبا الغربية إلى المخاطرة بحريتهم وبحياتهم والانتظام في شبكات إلى جانب كفاح الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي؟.

ولالإحاطة بالموضوع من مختلف زواياه رأينا من الضروري تفكيك الإشكالية إلى أسئلة فرعية وهي: ما هي الأدوات التي وظفتها فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا لإقناع الرأي العام الفرنسي والأوروبي للانخراط إلى جانب كفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال؟

إلى أي الفئات السياسية ينتمي أعضاء هذه الشبكات؟ ما نوع الدعم الذي قدمته للثورة؟ وما هي حدوده؟

هل كانت العلاقة بين الشبكات وفدرالية «ج.ت.و» علاقة هيكلية أم مجرد تعاون؟

ما الذي تنتظره الشبكات من الجزائريين مقابل خدماتها للثورة؟

كيف تعاملت الحكومة الفرنسية والحكومات الغربية مع نشاط الشبكات؟ وما تقييم المجتمع الفرنسي والأوروبي لهذا النشاط؟

هل كانت شبكات الدعم عاملا حاسما في مسار الثورة التحريرية؟

ما مصير أعضاء الشبكات بعد اكتشافها وتفكيكها؟

لدراسة وتحلية هذه الإشكاليات اعتمدنا على المنهج التاريخي: الوصفي الذي يهتم بعرض الأحداث والوقائع ذات الصلة بموضوع البحث ووضعها في إطارها الزمني والمكاني، والتحليلي الذي أخذ الحيز الأكبر من منطلق أن موضوع البحث اعتمد في جزئه الأكبر على المصادر الأرشيفية التي تحتاج إلى تحليل مضامينها واستشعار الأجواء والظروف التي تمت فيها تحرير عشرات التقارير والأخبار من مختلف الأطراف الفاعلة في موضوع الدراسة. أما المقارن فتم تطبيقه لمقارنة الوقائع وإيجاد روابط فيما بينها للاهتمام إلى فهم الخلفيات والمواقف التي يعرضها موضوع البحث.

خلال مراحل البحث وفي مختلف محطاته واجهتنا العديد من الصعوبات حالت في بعض جوانب الدراسة دون بلوغ المبتغى. ومن جملة هذه الصعوبات نذكر ما يلي:

- عدم التمكن من الاطلاع على بعض الملفات الأرشيفية المهمة لهذه الدراسة ويتعلق الأمر بأربعة ملفات محفوظة في الأرشيف بـ«فونتاينبلو - Fontainebleau»، وللولوج إليها وجب تقديم طلب للحصول على تصريح خاص (demande d'accès en dérogation) وهذا ما فمنا به فعلا، لكن رُفض الطلب للأسف الشديد. الملفات هي: ملفين للشرطة الإدارية أحدهما يتعلق بـ(محمد لبجاوي) أحد قادة فدralية «ج.ت.و» بفرنسا والآخر يتعلق بـ(هنري كوريال - Henri Curiel) قائد إحدى أكبر شبكات دعم ثورة التحرير الوطني، وملفين فضائيين أحدهما يتعلق بـ(عمر بوداود) أحد قادة فدralية «ج.ت.و» بفرنسا والآخر لـ(فرانسيس جانسون - Francis Jeanson) قائد أكبر شبكة لدعم الثورة على الإطلاق.
- قلة الدراسات حول موضوع الشبكات باللغة العربية، في حين وجدنا أنفسنا أمام عشرات الدراسات باللغة الفرنسية، حيث تجدك تتعامل مع وجهة نظر للأحداث من جانب واحد وهذا ما يتطلب أقصى درجات الحيطة والحذر أثناء تناول المادة العلمية.
- صعوبة نطق أسماء الشخصيات والأماكن وكتابتها باللغة العربية، خاصة في اللغات الجرمانية كالألمانية والنمساوية والهولندية والاسكندنافية.
- تعذر إيجاد سيرة بعض الشخصيات الوطنية والأجنبية، لذلك اكتفينا بذكرها ضمن السياق التي وردت فيها.

مع ذلك فقد بذلنا ما في وسعنا لتدليل هذه الصعوبات لإخراج الأطروحة كما تصورناها من حيث الشكل والمضمون لتشكيل إضافة حقيقية للبحث العلمي.

تدرجنا لمعالجة إشكالية هذا البحث ضمن خطة تتضمن مدخل وبابين.

في المدخل رأينا أنه من الأنسب الحديث عن تاريخ مناهضة الاستعمار في أوروبا مع التركيز على فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية لمسايرة الخلفية الفكرية والفلسفية التي نشأت على أساسها شبكات دعم الثورة الجزائرية، والتي ما هي، في حقيقة الأمر، إلا تعبير عملي وتجسيد ميداني وملتزم للأفكار المناهضة للاستعمار. نضيف إلى ذلك التعرف على رواد هذا التيار في هذه الفترة. وباعتبار أن عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية الذي تشكل على أساس إيديولوجي تراجع فيه المد الاستعماري بشكل لافت بظهور حركات التحرر في البلدان التي كانت تزرع تحت وطأة الاستعمار، فإن شبكات الدعم التي تنتمي إلى التيار اليساري التقت مع حركات التحرر الوطني حول تصور مشترك للتأسيس لعلاقات مستقبلية جديدة بين شعوب المستعمرات وشعوب البلدان الاستعمارية التي خضعت لها.

الباب الأول خصصناه للحديث عن جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام وقسمناه إلى أربعة فصول: الفصل الأول تطرقنا فيه إلى ثلاث مسائل: الأولى تتعلق بتطور موقف الرأي العام في فرنسا وأوروبا الغربية من الثورة الجزائرية. المسألة الثانية تتعلق بتأثير الدعاية الإعلامية، وخاصة الصحافة المكتوبة التي كانت الأكثر انتشارا في ذلك الوقت، على توجهات الرأي العام. أما المسألة الثالثة تتعلق بالصراع بين «ج.ت.و» «ج.و.ج» المصالية و«ق.ش.م» أو «الحركي» وتأثير ذلك على تأخر انتباه الرأي العام للمشاكل الجزائرية. الفصل الثاني يرصد إستراتيجية جبهة التحرير الوطني اتجاه الرأي العام في فرنسا وأوروبا الغربية، وركزنا على أربع نشاطات أولها تأسيس فدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا لتكون ذراع الجبهة الأيمن على التراب الفرنسي. ثانيها: شرح أسباب وأهداف الثورة والمبادئ التي تقوم عليها لتؤكد أن عدوها الوحيد هو الاستعمار ولا أحد غيره. ثالثها دعوة الرأي العام إلى تحمل مسؤولياته اتجاه ما يقترفه المستعمر باسمه. ورابعها الحضور في المؤتمرات والتجمعات الدولية النقابية والطلابية والنسوية لإيصال صوت الثورة إلى كل بقاع العالم. أما المسألة الخامسة فخصصناها للحديث عن المكاتب التي فتحتها الجبهة في أوروبا الغربية ونشاطاتها لفائدة القضية الوطنية. في الفصل الثالث أبرزنا الأحداث التي هزت الرأي العام أثناء الفترة التي يهتم بها البحث وهي بين 1957-1962، وحصرناها في خمسة أحداث أولها: حركة العصيان في صفوف المجندين والتي بدأت منذ 1955 وأخذت فيما بعد أبعاد مقلقة للحكومة الفرنسية. ثانيها: مسألة التعذيب التي اتهم فيها الجيش الفرنسي بممارسته في الجزائر واتهمت المصالح الأمنية الفرنسية بممارسته في فرنسا ضد الجزائريين وضد المتعاطفين والمتعاونين معهم. ثالثها: العمليات التي نفذتها «المنظمة الخاصة»، وهي الجناح العسكري التابع لفدرالية الجبهة بفرنسا في 25 أوت 1958 بعدما قررت «ج.ت.و» نقل العمليات العسكرية إلى التراب الفرنسي وما أحدثته من هلع داخل المجتمع الفرنسي. رابعها: المظاهرات التي نظمها الجزائريون في أكتوبر 1961 بباريس وقمعتها شرطة باريس بطريقة وحشية. وخامسها: مظاهرات «ميترو شارون - Métro Charonne» التي دعا إليها الحزب الشيوعي الفرنسي في 8 فيفري 1962 ضد الحرب في الجزائر وبدورها قمعتها الشرطة مخلفة ضحايا. أما الفصل الرابع فإنه يرصد تحول موقف الرأي العام إلى المطالبة بإيجاد مخرج للمعضلة الجزائرية ويضم ثلاثة نقاط: الأولى تشرح الالتزام العملي للفرنسيين إلى جانب

الجزائريين انطلاقاً من قناعاتهم الفكرية. و النقطة الثانية تبين تأثير حركات التحرر على التزام الفرنسيين اتجاه الثورة الجزائرية. وأخيراً في النقطة الثالثة كان هناك نقاش حول تهمة الخيانة التي ألصقت بالداعمين للشعب الجزائري.

الباب الثاني خُصص للحديث عن شبكات الدعم وقد صنفناها حسب الدول التي ظهرت فيها. واحتوى الباب على أربعة فصول: الفصل الأول استعرض الشبكات الفرنسية وبين طبيعة الدعم الذي قدمته للثورة. والفصل الثاني عرض شبكات دعم الثورة الجزائرية في بلدان الجوار لفرنسا، في ألمانيا الفدرالية وبلجيكا وسويسرا وإيطاليا والنمسا وإسبانيا. والفصل الثالث رصد الشبكات التي ظهرت في شمال أوروبا الغربية بما فيها الدول الاسكندنافية، في كل من الأراضي المنخفضة والبلجيكا والدانمارك والسويد والنرويج وفنلندا. وأخيراً في الفصل الرابع عالجنا المواقف المختلفة من شبكات الدعم بدءاً بموقف الحكومة الفرنسية والحكومات الغربية، مروراً بموقف الحزب الشيوعي الفرنسي وانتهاءً بموقف «ج.ت.و».

أنهينا البحث بخاتمة تتضمن مجموعة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها عن شبكات دعم الثورة الجزائرية من حيث نشأتها والمبادئ التي تدافع عنها ونشاطها وأهدافها ثم مصيرها.

لدراسة موضوع البحث وفق الخطة المعتمدة لجأنا إلى مصادر متنوعة والتي تمكنا من الإطلاع عليها وفي مقدمتها المادة الأرشيفية الموجودة في «قصر فانسان - Château de Vincennes» والمصنفة ضمن «La Sous-série 1 H» والتي تحتوي على علب عديدة ذات صلة بموضوع الدراسة. وكذلك الأرشيف الموجود في «الأرشيف الوطني فيما وراء البحار - Archives Nationales d'Outre-mer» (A.N.O.M) بـ«إكس أو بروفانس - Aix-en Provence» والمصنف ضمن مجموعة الوزارات «Fond Ministérielle» (F.M) وخاصة وزارة الداخلية وتضم هذه المجموعة عدة علب احتوت على تقارير ومراسلات ومذكرات استعلامات ووثائق محجوزة أثناء المداهمات وغيرها من الوثائق ذات الصلة بموضوع البحث.

المصدر الثاني هو الجرائد والمجلات الصادرة في تلك الفترة والتي تحتوي على مادة مهمة لموضوع البحث، باعتبار أنها كانت تؤرخ للأحداث في حين وقوعها. وفي مقدمتها جريدة «المجاهد - El Moudjahid» باللغتين العربية والفرنسية، كما تمكنا من الإطلاع على حجم كبير من قصاصات الجرائد والمجلات الفرنسية التي تخدم موضوع البحث والمحفوظة في «قصر فانسان - Château de Vincennes»، خاصة العلبتين (1 H 1158) و(1 H 1159). ومن أهم هذه الجرائد والمجلات نجد جرائد «لوموند - Le Monde» و«لوماني - L'Humanité» و«لوباريزيان ليبري - Le Parisien Libéré» و«لوفيغارو - Le Figaro» و«كومبا - Combat» و«فرانس أوبسارفاتور - France Observateur» و«لورور - L'Aurore» وجرائد أخرى تنتمي إلى تيارات سياسية وإيديولوجية مختلفة. أما المجلات فلدينا «إسبري - Esprit» و«لي تون مودارن - Les

«Temps Modernes» و«لوكنار أونسيني» - «Le canard Enchaîné» و«ليكسبراس - L'Express» وغيرها من المجلات الأخرى.

المصدر الثالث وهو مذكرات الشخصيات الفاعلة والصانعة للأحداث كما هو الحال مع مذكرات (عمر بوداود) و(أحمد دوم) و(محمد لبحاوي) و(محمد مشاطي) و(علي هارون) و(محمد أكلي بن يونس) و(محمد حربي)... وكل هؤلاء كانوا قادة ومسؤولين في فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا. يضاف إلى هؤلاء مؤلفات أعضاء الشبكات التي أُرخت للأحداث، كما هو الحال ل«Notre Guerre» ل(فرانسيس جانسون - Francis Jeanson) و«La porte verte» ل(هلين كوين - Hélène Cuenat) و«Les porteurs d'espoir» ل(جاك شاري - Jacques Charby) و«De Gaulle, les services secrets et l'Algérie» ل(قسطنطين ميلنيك - Constantin Melnik)... وكل هذه المؤلفات تحتوي على معلومات مهمة تخدم مباشرة موضوع البحث.

أما المراجع فقد تنوعت بين الكتب والرسائل الجامعية والمقالات والمقتنيات والأفلام الوثائقية. بالنسبة للكتب المرجعية كان قسمها الأكبر باللغة الفرنسية. وإذا خصصنا الحديث عن الكتب المستخدمة في موضوع الشبكات نجد في شبكة جانسون وكوريال والشبكات الفرعية الملحقة بها وظفنا كتاب «Les porteurs de valises» ل(هيرفي هانون - Hervé Hamon) و(باتريك روتمان - Patrick Rotman) وكتاب «Les Valises du professeur Jeanson» ل(دومنيك إيمانويل بلانشارد - Dominique-Emmanuel Blanchard) وكتاب «Un intellectuel en dissidence Francis Jeanson de la résistance» وكتاب «Un homme à la guerre d'Algérie» ل(ماري بيار أولوا - Marie-Pierre Ulloa) وكتاب «part à la guerre d'Algérie» ل(جيل بيرو - Gilles Perrault) وكتاب «Henri Curiel Le mythe mesuré à l'histoire» ل(روني غاليسو - René Gallissot) وكتاب «Le combat des justes 1954-1962.» وكتاب «Ces Français qui ont combattu dans les rangs du FLN et de l'ALN» ل(إدريس يوسف) وكتاب «Les camarades des frères Trotskistes et Libertaires dans la guerre d'Algérie» ل(باتيو سيلفان - Pattieu Sylvain).

أما الشبكات الأخرى في ألمانيا استعنا بكتاب «La république fédérale d'Allemagne et la guerre d'Algérie 1954-1962» ل(جان بول كاهن - Jean-Paul Cahn) و(كلاوس جورجن لمولار - Klaus-Jürgen Müller) وفي بلجيكا كتاب «Avocats sans frontières. Le collectif belge et la guerre d'Algérie» ل(سارج مورو - Serge moureaux) وفي سويسرا كتاب «La Suisse et la guerre d'indépendance algérienne (1954-1962)» ل(داميان كارون - Damien Carron)

(وفي الأراضي المنخفضة كتان «Les Pays-Bas et la guerre d'Algérie» لـ(باس نيك- Pas Niek) وفي النمسا كتاب «تضامن الأممية: اليسار النمساوي والثورة الجزائرية 1958-1963» لـ(كيلر فريتز). إضافة إلى هذه الكتب الأساسية اعتمدنا على مجموعة كبيرة ومتنوعة من الكتب الأخرى ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة بالموضوع.

عن الرسائل الجامعية اعتمدنا على بعض رسائل الدكتوراه والمجستير من أهمها: رسالة دكتوراه بعنوان "شبكات الدعم اللوجستي للثورة الجزائرية 1954-1962" لـ(طاهر جبلي) من جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان ورسالتنا في الماجستير بعنوان "جان بول سارتر والثورة الجزائرية 1954-1962" من جامعة جيلالي ليابس بسيدي بلعباس.

وظفنا بعض الأفلام الوثائقية التي استفدنا منها كثيرا لما تتضمنه من معلومات أساسية لموضوع البحث أهمها: الفيلم الوثائقي بعنوان "Porteur et le diplomate: La Suisse et la guerre d'Algérie" من إنتاج الإذاعة والتلفزيون السويسري في 1988. والفيلم الوثائقي «Les Dossiers Noirs : La Main Rouge» (Les Services Secrets de la République) من إنتاج "عمر مالك للإنتاج" والفيلم الوثائقي الذي أنتجته جمعية (موريس أودين - Maurice Audin) بعنوان «**Octobre à Paris**» والذي تم تصويره بين أكتوبر 1961 ومارس 1962، أي أثناء الأحداث التي يرويها. وأخيرا الفيلم الوثائقي الذي يتحدث عن دور التروتسكيين في دعم الثورة الجزائرية بعنوان «**Une résistance obliée (1954-1957), des libertaires dans la guerre d'Algerie**» من إنتاج: (دانيال غود-Daniel Goude) و(غيوم لونورمان-Guillaume Lenormant).

خلاصة القول هو أننا بما توفر لدينا من مصادر ومراجع حاولنا استعراض مختلف القراءات والتحليل عن ماهية ودور شبكات الدعم لثورة التحرير الوطني والمخبرات التي شجعت المنخرطين فيها إلى تبني هذا السلوك. ونتمنى أن نكون بهذا العمل قد وفقنا في إضافة سطر في سجل الذاكرة التاريخية للأمة الجزائرية.

المدخل

مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب

العالمية الثانية

المدخل مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

مناهضة الاستعمار هو تيار أو موقف سياسي يهاجم النظام الاستعماري والمبادئ التي يقوم عليها. ورغم أن مصطلح «مناهضة الاستعمار - L'anticolonialisme» لم يظهر إلا سنة 1903، حسب قاموس «لونغو بوتي روبر - Le nouveau petit Robert»، إلا أن كل فترة من تاريخ الاستعمار تناسب صنف معين من مناهضة الاستعمار. ومن المعلوم أن التوسع الاستعماري الأوروبي لم يتوقف أبدا منذ أن ظهر في القرن السادس عشر الميلادي، لكن اختلفت وتيرته من فترة إلى أخرى حتى كاد في بعض المراحل التاريخية أن يتوقف. ويعود سبب ذلك إلى اختلاف المنظرين في تحديد ماهية الاستعمار ومبرراته وآفاقه وتداعياته على المجتمعات المعنية به. وهكذا ظهرت جدلية الاستعمار ومناهضة الاستعمار.

في اعتقادي يمكن تقسيم تاريخ مناهضة الاستعمار إلى مرحلتين كبيرتين. تمتد الأولى من أواخر القرن الخامس عشر الميلاد إلى نهاية الحرب العالمية الثانية. في هذه المرحلة كانت مناهضة الاستعمار تنشأ من داخل المنظومة الاستعمارية نفسها وتتغذى من تناقضاتها، وروادها ينتمون إلى فئة الاستعماريين أو الذين لم يكونوا يعارضون التوسع الاستعماري كظاهرة وإنما كانوا يرفضون بعض الممارسات المنبثقة عنه حسب طبيعة الفترات لكل مرحلة. وأكثر الممارسات التي كانت تثير الاحتجاج هي تلك المرتبطة بكيفية التعامل مع الإنسان كإنسان واحتياجاته المختلفة. فقد انتفض العديد من المفكرين والفلاسفة ورجال الدين ضد الاستغلال البشري والمادي والمعنوي الذي يمارسه الاستعماريون في حق شعوب المناطق التي أخضعوها لسلطتهم على أساس مبررات التفوق العرقي والديني.

أما المرحلة الثانية التي تبدأ منذ الحرب العالمية الثانية فإن مناهضة الاستعمار نشأ من خارج المنظومة الاستعمارية عندما حملت الشعوب التي وقع عليها الفعل الاستعماري بكل مظاهر الظلمة والمهينة للكرامة الإنسانية مصيرها ومستقبلها بيدها وقررت أخذ زمام المبادرة للتخلص من السيطرة الاستعمارية. وفي كل مكان من العالم الخاضع للاستعمار، في آسيا وفي إفريقيا وأمريكا اللاتينية، ظهرت حركات استقلالية ولم تعد مسألة التحرر قضية الأقلية بل وجدت صداها لدى فئات شعبية عريضة. وأصبحت مناهضة الاستعمار، من الآن فصاعدا، قضية تحملها المستعمرات، ووجد المناهضين للاستعمار من داخل المنظومة الاستعمارية أنفسهم شيئا فشيئا يلعبون فقط دور الحليق والمساند والداعم¹.

تعود بدايات المواجهة بين التيار الاستعماري والتيار المناهض للاستعمار مع الكشوفات الجغرافية الكبرى ووقوع أولى المناطق تحت الاحتلال، وافتتحها علماء لاهوت إسبانيين عندما تساءلوا إلى أي مدى يمكن أن يصل قمع شعب من طرف شعب آخر؟ وهل يمكن إعطاء الشرعية للحق في الاستعمار؟ ورواد تلك المواجهة هم

¹ - Biondi (Jean-Pierre) et Morin (Gille), Les anticolonialistes (1881-1962), Editions Robert Laffont, Paris, 1992, p 245.

المدخل مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

(خوان غيناس دي سيولفيدا- Juan Ginés de Sepúlveda)¹ و(بارتولومي دي لاس كزاس- Bartolomé de Las casas)² و(فرانسيسكو دي فيتوريا- Francisco de Vitoria)³.

بالنسبة لـ(سيولفيدا- Sepúlveda) فإن السيطرة الاستعمارية تعتبر واجبا. والحرب ضد الهنود الحمر هي حرب عادلة نظرا لعمليات القتل التي نفذها هؤلاء ضد المستوطنين الإسبان والتي اعتبرها جرائم، وكذلك لوثنيتهم. من جهة أخرى يرى أن الله حكم على بعض الناس بالدونية، مثلما هو الحال بالنسبة للهنود الحمر، وهو شعب هائج، وضع بطبعه وبالتالي محكوم عليه، وبطريقة شرعية، بالرق لفائدة الأمم الأكثر تطورا كالأمة الإسبانية. وأخيرا فإن الحرب هي الوسيلة الوحيدة التي تضمن نشر الديانة المسيحية بينهم. في حين أن (لاس كزاس- Las casas) وقف معارضا لهذه الأفكار وشجب إبادة الهنود الذي شهده بنفسه، وطالب بإلغاء نظام «الأنكومياندا- Encomienda»⁴، واقنع التاج الإسباني بخطورة هذا النظام الذي حاول جاهدا الحد منه وإلغاءه، وكان في كل مرة يصطدم بمعارضة المستوطنين. لكن ابتداء من 1701 فرضت إسبانيا نسب مرتفعة على

¹ - (خوان غينا سدي سيولفيدا- Juan Ginés de Sepúlveda) هو عالم في الآداب القديمة اللاتينية والإغريقية. ينتمي إلى مذهب الأنسنة «Humanisme» الذي ظهر في عصر النهضة في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي. في 1529 أصبح المؤرخ الرسمي «Historiographe» للملك الإسباني (شارل كان- Charles Quint). كتب العديد من المؤلفات في التاريخ باللغة اللاتينية حول اكتشاف لعالم الجديد. كان شخصا سيء السمعة بسبب خبثه وعنصريته اتجاه الهنود الحمر.

Burdeau, «SEPÚLVEDA JUAN GINÉS DE (1490 env.-1573)», *Encyclopædia Universalis* [en ligne], consulté le 30 mai 2016. URL: <http://www.universalis.fr/encyclopedia/juan-gines-de-sepulveda/>

² - (بارتولومي دي لاس كزاس- Bartolomé de Las casas) شخصية دينية إسبانية مؤمنة بالقيم الدينية الإنسانية وصاحب مبادئ. شارك في احتلال أمريكا إلى جانب المكتشف (نكولا دي أوفاندو- Nicolas de Ovando) كان يدافع عن الهنود الحمر ويندد بالمعاملة السيئة لهم من طرف المستوطنين حتى أنه لقب بـ«صديق الهنود».

consulté https://www.herodote.net/Bartolome_de_Las_Casas_1474_1566_-synthese-452.php le 30 mai 2016 à 20:20.

³ - (فرانسيسكو دي فيتوريا- Francisco de Vitoria) كاتب وأستاذ جامعي بمدرسة سلامانكا. اشتهر بأفكاره وإسهاماته المميزة في القانون الدولي والاقتصاد الأخلاقي على أساس الفكر الإنساني. ساند مجهودات (لاس كزاس) من أجل سياسة استعمارية مأخوذة من القيم المسيحية والدفاع عن الهنود الحمر.

Armogathe, «VITORIA FRANCISCO DE (1492 env. 1546)», *Encyclopædia Universalis* [en ligne], consulté le 30 mai 2016. URL: <http://www.universalis.fr/encyclopedia/francisco-de-vitoria/>

⁴ - «الأنكومياندا- Encomienda» هو نظام طبقته إسبانيا بدء من القرن من السادس عشر في مستعمراتها بالقارة الأمريكية يقوم على تسليم السكان الأصليين إلى مستوطنين الذين يستخدمونهم كعبيد شريطة تلقينهم الديانة المسيحية. وهكذا تم تجريد الهنود من كل أراضيهم وتحولوا إلى عبيد لدى المستوطنين.

E.U «ENCOMIENDA», *Encyclopædia Universalis* [en ligne] consulté le 31 mai 2016. URL: <http://www.universalis.fr/encomienda/>

المدخل مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

عائدات المستوطنين فلم يعودوا قادرين على تحمل أعباءها، وبهذه الكيفية بدأ نظام «الأنكومياندا-Encomienda» ينكمش¹. أما (فرانسييسكو دي فيتوريا- Francisco de Vitoria) فقد ساند أطروحات ((لاس كزاس- Las casas) حيث يرى أنه من حق الأسبانيين الذهاب إلى المستعمرات والاستقرار فيها و ممارسة التجارة مع سكانها، لكن من دون أن يلحق ذلك ضررا بمؤلاء، خاصة إعلان الحرب عليهم لإجبارهم على اعتناق المسيحية كما اقترح (سيبولفيدا- Sepúlveda)².

في عصر التنوير أو عصر الأنوار الذي ظهر في القرن الثامن عشر الميلادي في فرنسا خاصة، راجت الأفكار والفلسفات التي تمجد الإنسان كإنسان وتدعوا إلى تحريره من كل القيود وفي مقدمتها القيود الدينية وأن يكون هو مصدر المعرفة. وعلى أساس هذه المعاني قام مفهوم مناهضة الاستعمار الذي تجلّى في شجب التجاوزات التي تصدر من الاستعماريين والمستوطنين الأوروبيين في حق السكان الأهالي في الأراضي التي خضعت لسلطتهم، واستخدام الدين كأداة لتبريرها وإعطاء الشرعية لها. ومن رواد هذا التوجه نجد كل من (فولتير- Voltaire) و(مونتيسكيو- Montesquieu) و(مارمونتال- Marmontel) و(أبي راينال- Abbé Raynal) و(نيكار- Nacker) و (إدموند بورك- Edmund Burke) وغيرهم³.

1 - لمزيد من التفاصيل حول مناهضة (لاس كزاس- Las Casas) للممارسات الاستعمارية في العالم الجديد اتجاه الهنود الحمر ينظر:

Merle (Marcel), L'anticolonialisme européen de Las Casas à Marx, collection U, Editions Armand Colin, Paris, 1969, pp 49-56.

2 - لمزيد من التفاصيل حول مناهضة (فرانسييسكو دي فيتوريا- Francisco de Vitoria) للممارسات الاستعمارية في العالم الجديد اتجاه الهنود الحمر ينظر:

Ibid, pp 56-62.

3 - أثار (فرانسوا ماري أروي- François-Marie Arouet) والمدعو (فولتير- Voltaire) المشكل الاستعماري في الدراسة التي تحمل عنوان: «l'Essai sur les mœurs et l'esprit des nations» فهو يعترف بأن الاستعمار كانت له مزايا، لكنها في نظره، تُسفت بفساد الطقوس والعادات التي نجمت عن الاحتلال كالاستغلال الفاحش للثروات وتشغيل الأهالي والحروب بين القوى الاستعمارية. وأظهر (شارل لويس دي سكودا- Charles-Louis de Secondat) والمدعو (مونتيسكيو- Montesquieu) في كتاب «روح القوانين- de l'Esprit des lois» عداوا واضحا لسياسة إقامة المستوطنات في المستعمرات واسترقاق الأفارقة. وهاجم الأديب والفيلسوف الفرنسي (جان فرانسوا مارمونتال- Jean-François Marmontel) في كتابه حول شعوب «الإنكا- Incas» الحجج الدينية التي يبرر بها الاستعماريون الاستغلال الفاحش التي تتعرض له تلك الشعوب. أما البرلماني البريطاني (إدموند بورك- Edmund Burke) فلم يكن يدعو إلى إلغاء التجربة الاستعمارية لكنه دافع في مداخلاته على مستوى مجلس العموم البريطاني على فكرة إقامة علاقات سياسية وقانونية بين الدولة ومستعمراتها على نموذج يقوم باحترام استقلالية الأجزاء المكونة للدولة ويقبل انتعاش الحريات الفردية. لذلك اعتبر (بورك- Burke) أحد الذين ساهموا في التحويل التدريجي للإمبراطورية البريطانية إلى «كومونيلث- Commonwealth» حر.

لمزيد التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر الفصل الثاني من كتاب:

Merle (Marcel), op cit pp 71-180.

المدخل مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

في عصر الثورة الصناعية شهد مفهوم مناهضة الاستعمار تحولات كبيرة مستوحاة من الفكر الاشتراكي والشيوعي وجاء كرد فعل على الاستغلال الرأسمالي البشع الذي تعرضت له الطبقة العاملة في إنجلترا، مهد الثورة الصناعية، لتمتد فيما بعد إلى بلدان أوروبية أخرى. وكان الاستغلال يصل إلى مداه في البلدان المستعمر التي تتعرض لعملية استنزاف ممنهجة لمقداراتها الطبيعية والبشرية¹. والاشتراكية عادة ما يتم تصنيفها إلى اشتراكية طوباوية واشتراكية علمية. ففي مجال مناهضة الاستعمار تندرج نظرة الاشتراكيين الطوباويين من أمثال (هنري سان سيمون - Henri Saint Simon) و(شارل فورييه - Charles Fourier) و(روبرت أوين - Robert Owen) ضمن اقتراح أنظمة سياسية واقتصادية تخفف من وطأة المعاناة الاجتماعية والحياة البائسة التي يعيشها الأهالي في المستعمرات جراء الاستغلال الفاحش للثروات واليد العاملة. لكن اتضح عدم قابلية تحقيق هذه الأفكار عمليا على الرغم من المحاولات العديدة والعديدة لتطبيقها في الحياة لكون أن صحة وعلمية أية نظرية هو التطبيق، ومع ذلك فلا يمكن أن ننكر أن الاشتراكية الطوباوية لعبت دورا إيجابيا في تحضير ولادة النظرية العلمية².

أدى ظهور الماركسية فيما يتعلق بمسألة مناهضة الاستعمار إلى قلب عناصر النقاش حولها. وجرى موضوع مناهضة الاستعمار عبر جميع مؤلفات (كارل ماركس - Karl Marx)، حيث أثارها في كتاب: «الإيديولوجية الألمانية - L'Idéologie Allemande»، وأثارها مرة أخرى في كتاب «البيان الشيوعي - Le Manifeste communiste»، ثم طورها في كتاب «رأس المال - Le Capital». وفي المجموع انتقد (ماركس - Marx) النظام الاستعماري الذي رأى فيه مثالا معبرا عن الاستغلال الرأسمالي. صحيح أنه كلما أتيحت له الفرصة كان يشجب تجاوزات النظام الاستعماري كما هي موجودة في التقاليد الإنسانية، لكنه ركز ملاحظاته على الاستغلال الاقتصادي، أي الربح الغير مبرر الذي تستخلصه الدول الأوروبية من مستعمراتها³.

ينظر أيضا:

Liauzu (Claude), l'histoire de l'anticolonialisme en France du XVI^e siècle à nos jours, Editions Pluriel, Paris, 2012, pp 29-78.

¹ - رابح لونيبي، الظاهرة الاستعمارية من منظور رواد الفكر الماركسي، مجلة عصور ، الأعداد 8-9-10-11، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، الجزائر، 2006-2007، ص 64.

² - نفسه، ص 64-65.

ينظر أيضا:

Merle (Marcel), op cit p 71-72.

ينظر أيضا:

علي كريم الهلالي، الاشتراكية الطوباوية مرحلة لا بد منها في تطور الفكر الاشتراكي، الموقع الرسمي للحزب الشيوعي العراقي، نشر بتاريخ الأربعاء 15 تموز/يوليو 2015 12:26.

consulté le 01 http://www.iraqicp.com/index.php/sections/objekt/30780-2015-07-15-12-26-09 juin 2016 à 21:05.

³ - Merle (Marcel), op cit, p 39.

المدخل مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

بعد (ماركس - Marx) جاء مفكرون آخرون ليكشفوا علاقة الاستعمار بآليات استمرار الرأسمالية ومنهم الإنجليزي (جون أتكنسون هوبسن - John Atkinson Hobson) في كتابه «الاستعمار - Imperialism» الصادر في 1902 والنمساوي (هالدفدينج - Rudolf Hilferding) في كتاب (رأس المال المالي - Le capital financier) الصادر في عام 1910، وعلى أساس أطروحات هذين المفكرين طور (لنين - Lénine) النظرية الماركسية عندما اعتبر في كتابه «الاستعمار أعلى مرحلة من مراحل الرأسمالية - L'Impérialisme, stade suprême du capitalisme» بإشعال ثورة شيوعية في روسيا القيصرية التي كانت دولة إقطاعية ولم تكن رأسمالية، مخالفا بذلك النظرية الماركسية في تطور المجتمع البشري عبر التاريخ¹. يضاف إلى ذلك أنه يرى أن الظاهرة الاستعمارية تشكل خطرا على قيام ثورة بروليتارية في البلدان الأكثر تصنيعا، وهذا ما دفع الاتحاد السوفيتي في 1919 إلى توجيه نداء للشعوب المستعمرة إلى الثورة على الاستعمار، كما حث مؤتمر الكومنترن² لعام 1920 الأحزاب الشيوعية دعم حركات التحرر³.

أدت التحولات الكبرى التي شهدتها العالم بعد الحرب العالمية الثانية إلى بروز حركات التحرر التي تعتبر مرحلة متقدمة من مناهضة الاستعمار إذ أصبحت منذ ذلك الحين قضية شعوب المستعمرات. وقد استفادت هذه الشعوب من الانتكاسة العسكرية التي لحقت بالدول الأوروبية الاستعمارية الكبرى على يد دول المحور خاصة ألمانيا واليابان، وبالتالي أصبحت أوروبا مجردة من هيبتها السابقة في نظرهم وفقدت سمعتها كقوة لا تقهر. واستمدت الحركات الوطنية من هذا العامل النفسي طاقة هائلة مكنتها من مقارعة المحتل والانتصار عليه. ويكفي أن نذكر أنه عقب انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية استغلت بعض المستعمرات الآسيوية الوضع واستولت على مخازن الذخيرة والأسلحة التي كانت بالبلاد وشكلت حكومات وطنية وأعلنت عن استقلالها، مثلما حدث مع أندونيسيا التي أعلنت استقلالها في 17 أوت 1945 وفيتمار في سبتمبر من نفس السنة. وهكذا وجد الاستعمار الفرنسي والاستعمار الهولندي نفسيهما أمام موقف مخرج ويتمثل بالقبول بالأمر الواقع أو استعادة وضعها السابق

1 - يرى (ماركس) و(إنجلز) أن المجتمع البشرية مر بعدة مراحل وهي: مرحلة الشيوعية البدائية ثم مرحلة العبودية ثم مرحلة الإقطاعية ثم مرحلة الرأسمالية التي تنتج صراعا طبقيًا بين الرأسماليين والطبقة العاملة «البروليتاريا» والتي ستنتهي بانتصار هذه الأخيرة والتي ستنشئ المجتمع الشيوعي الذي تنعدم فيه الطبقة.

لمزيد من التفاصيل ينظر الدرس السابع عشر من كتاب:

بوليتزر (جورج) وبيس (جي) وكافين (موريس)، أصول الفلسفة الماركسية، ترجمة شعبان بركات، ج 1، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، (د.ت)، صص 33-44.

2 - الشيوعية العالمية وتعرف أيضا بالعالمية الثالثة وهي حركة أسست بروسيا سنة 1919 تهدف إلى ترقية الماركسية الثورية خاصة في البلدان الرأسمالية. وحُلّت هذه الحركة سنة 1943 خلال الحرب العالمية الثانية لتهدئة مخاوف حلفاء روسيا في الغرب.

قاموس المعجم الوسيط، اللغة العربية المعاصر. قاموس عربي عربي.

3 - براهيم لونيسي، الظاهرة الاستعمارية...، المرجع السابق، ص 71.

المدخل مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

بقوة السلاح¹. والأهم من ذلك فإن القوى الاستعمارية فقدت من يدها سلطة القرار في السياسة الدولية وانتقلت إلى يد من يؤيد قضايا التحرر وينادي بنهاية الاستعمار مثل الولايات المتحدة الأمريكية².

لكن تحت تأثير «الحرب الباردة» اضطرت الولايات المتحدة الأمريكية أن تسلك سياسة متوازنة اتجاه قضية تصفية الاستعمار تمزج فيها بين المصالح والمبادئ. فكانت تارة تسترضي الدول الاستعمارية التي ترغب في المحافظة على مستعمراتها، لتضمن عدم وقوع هذه الأخيرة تحت التأثير الشيوعي، وتارة أخرى تسايير التيار التحرري في العالم لتشجيع الدول المعنية لإقامة أنظمة ديمقراطية بعد استقلالها، وبالتالي تفويت الفرصة على الشيوعية التي تتخذ من مساندة حركات التحرر مطية للامتداد³.

بالنسبة لفرنسا فقد وجدت نفسها بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة في مواجهة حركات تحررية مبكرة. ففي الهند الصينية أعلن حزب «الفيت منه» عن استقلال «فيتنام» في 2 سبتمبر 1945، وفي سوريا ولبنان غادرت آخر الفرق العسكرية الفرنسية في 1946 تحت ضغط الأمم المتحدة وبريطانيا⁴، وفي الجزائر انفجرت أحداث 8 ماي 1945، وفي مدغشقر انطلقت حركة تمرد في 1947 شملت ثلث البلاد. ووجدت فرنسا مشاكل جمة في التعامل مع الوضع بسبب خروجها ضعيفة من الحرب ولانشغالها بالصعوبات الناجمة عن العودة إلى السلم وإعادة البناء، ولم تكن تهتم بأمر المستعمرات إلا ضمن إطار محدود. حتى الصحافة لم تعد تلتفت إلى أخبار الإمبراطورية الاستعمارية إلا قليلا⁵. في هذه الأجواء أكد المستوطنون وأرباب العمل وصحافتهم أن الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية هي الفرصة الكبرى لفرنسا للخروج من أزمتها واعتبروا أن: "فرنسا الصغيرة بلا بناتها فيما وراء البحار ستصبح امرأة فقيرة محكوم عليها بالعبودية. ونفس الخطاب تقريبا روج له الاشتراكي (ماريوس موتي- Marius Moutet)⁶ والشيوعي (هنري لوزيراي- Henri Lozeray)¹ عندما نادوا بالاحتفاء بـ"وحدة

1 - زوزو (عبد الحميد)، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 126.

2 - نفسه، ص 125.

3 - نفسه، ص 133.

4 - في 8 ماي 1945 وقعت مشادات عنيفة بين فرق عسكرية فرنسية ورجال درك سوريين. في يوم 29 من نفس الشهر قامت المدفعية الفرنسية بقصف البنايات العامة في دمشق باعتبار أن هذه الأخيرة هي معقل التمرد. لكن رئيس الوزراء البريطاني (ونستون تشرشل- Winston Churchill) أمر القوات البريطانية المتواجدة بكثافة في المنطقة بنزع سلاح الجيش الفرنسي، كما قامت الحكومة السورية واللبنانية باللجوء إلى الأمم المتحدة، فاضطر الفرنسيون والبريطانيون إلى مغادرة المنطقة في 14 مارس 1946 من دون التوقيع على اتفاق.

Biondi (Jean-Pierre) et Morin (Gille), op cit, p 247.

5 - Ibid, p 245-246.

6 - كان (ماريوس موتي- Marius Moutet) في تلك الفترة يشغل منصب وزير فرنسا لما وراء البحار. وشغل هذا المنصب في عهد حكومات (فليكس غوين- Félix Guin) و(جورج بيدو- Georges Bidault) و(ليون بلوم - Léon

المدخل مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

وسلامة فرنسا الكبرى، من الأنتيل إلى مدغشقر ومن دكار إلى الدار البيضاء، والهند الصينية وإقيانوسيا². ومع ذلك فإن الجميع متفق بأن ثمة شيء يجب مراجعته في العلاقات بين فرنسا والمستعمرات التابعة لها. والمبادرة جاءت من ممثلي المستعمرات في الجمعية التأسيسية المجتمعة في 6 نوفمبر 1945 حيث مارسوا ضغطا لا يستهان به. فالبعض كان يطالب بالاندماج الكامل والبعض الآخر مثل (فرحات عباس) كان يطالب بالاستقلال الذاتي وبعضهم بالاستقلال التام مثلما هو الحال مع (مصالي الحاج) والملاغيين³.

حاولت فرنسا، تماشيا مع الأوضاع الجديدة التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية، أن تعطي وجهة جديدة لإمبراطوريتها الاستعمارية من خلال بناء علاقة جديدة مع مستعمراتها. فقد أقر دستور الجمهورية الرابعة لـ 27 أكتوبر 1946 بإنشاء ما يعرف بـ«الاتحاد الفرنسي - l'union française» ليكون بديلا للإمبراطورية الاستعمارية، وهذا ما صرح به (بيار كوت - Pierre Cot)، المقرر العام لمشروع دستور الجمهورية الرابعة في 9 أبريل 1946: "الميزة الأساسية هي وضع حد للنظام الاستعماري. النظام الاستعماري لبلادنا لم يعد موجودا. في مكانه نريد الاتحاد الفرنسي. حتى يومنا هذا كانت فرنسا تتكون من أربعين مليون مواطن وستين مليون رعية. سيكون لها، من الآن فصاعدا، مئة مليون مواطن ورجال أحرار"⁴.

من الناحية النظرية يعرف دستور الجمهورية الرابعة «الاتحاد الفرنسي» والمؤسسات التي تديره في توطئة الدستور عند العنوان IIIV كما يلي: "تشكل فرنسا مع بلدان ما وراء البحر وحدة تقوم على أساس المساواة في الحقوق والواجبات دون تمييز عرقي أو ديني. الاتحاد الفرنسي يتكون من أمم وشعوب تضع بشكل مشترك مواردها وتنسق جهودها لتطوير حضارتها الخاصة بها وزيادة رفاهيتها وأمنها"⁵.

فالالاتحاد الفرنسي إذن من الناحية الدستورية والقانونية يخص الجمهورية الفرنسية ومجموع الأراضي التابعة لها والمنتشرة في نصف الكرة الأرضية⁶. لكن هذا الاتحاد تحول إلى جسد بلا روح لأنه وقع ضحية الحكومات التي لم

Blum) و(بول رمادي - Paul Ramadier) بين جانفي 1946 إلى أكتوبر 1947.

1 - كان (هنري لوزيراى - Henri Lozeray) حينذاك نائبا لمنطقة «شير - Cher» عن الحزب الشيوعي الفرنسي بين 1945 - 1950.

2 - Ibid, p 248-249.

3 - Ibid, p 249.

4 - Liauzu (Claude), op cit, p 362.

5 - La constitution de la IVème république du 27 octobre 1946, préambule, titre VIII, article 61.

6 - لمزيد من التفاصيل حول معنى «الاتحاد الفرنسي» والآليات التي تديره ينظر:

Catroux Général. **L'Union française, son concept, son état, ses perspectives.** In Politique étrangère. Pp 233-266.

المدخل مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

ترد أن تعطيه الأهمية المرجوة وبسبب مقاومة اللوي الاستعماري الذي أفرغ النصوص من محتواها، ليجد نفسه في آخر المطاف قد جرفته رياح التحرر في أقل من عشرة¹.

لكن هناك عامل آخر لا يقل أهمية عن العوامل السابقة الذكر ويتمثل في ظهور نخبة من المثقفين والسياسيين الوطنيين الذين وصلوا إلى قناعة أن لا مستقبل للمستعمرات ضمن الإطار الفرنسي وأن الحل الواقعي هو ترك شعوب المستعمرات تقرر ما تريد أن تفعله بنفسها بكل حرية، وأصبحوا يشككون في ظل وجود لوي استعماري بجدوى المشاريع الإصلاحية التي تعلن عنها فرنسا بين الفينة والأخرى، بل يرون أن تلك المشاريع تحمل من المروغة وعدم الجدية، في التعاطي مع المطالب والتطلعات الوطنية، ما يجعلها شكل من أشكال الضحك على الأذقان. لذلك حملوا على عاتقهم مهمة مناهضة الاستعمار وتكريته وفضح خدعه وكذبه، وعملوا على توجيه تحليلاتهم باتجاه تبرير استخدام العنف ضده كحل جذري للتخلص من الظلم الاستعماري من جهة ومن أبناء الجلدة الذين يتقمصون شخصية ودور المستعمر من جهة أخرى، و يدعون أنهم الممثلين الحقيقيين لتطلعات شعوبهم. لكن في المحصلة لا المُمَسَّعِم ولا أبناء المستعمرات استساغ أدوار التقمص تلك، بل رأوا فيها عملية مسخ للشخصيتين² ومحاولة بائسة لإنتاج كائن ذي ثقافة هجينة لن يجد له مكانا لا عند هؤلاء ولا عند أولئك، لأنه بكل بساطة لن يقبل الأوروبي أن يكون الإفريقي والآسيوي من نفس مستواه، ولن تقبل الشعوب الإفريقية والآسيوية التنكر لهويتها التاريخية والحضارية. نذكر في مقدمة هؤلاء المفكرين الوطنيين المفكرين المارتنيكيين (فرانز فانون - Franz Fanon)³ و(إيمي سيزار - Aimé Césaire)⁴.

¹ - Liauzu (Claude), op cit p 364 et 366.

² - لمزيد من التفاصيل عن الدور الذي أرادت بعض النخبة الإفريقية تقمصه والممثل في الأسود الإفريقي في جلد أوروبي أبيض ينظر كتاب: "بشرة سوداء أقنعة بيضاء - Peau noire masques blancs" ل(فرانز فانون)

³ - (فرانز فانون - Frantz Fanon) ينحدر من أسرة مارتنيكية زنجية بوجوازية تطمح للانتماء إلى طبقة المعمرين البيض هناك وتشاركهم عملية استغلال باقي السكان. ولد ب «Fort-de-France» عاصمة جزيرة «المارتنيك» - la Martinique في أرخبيل «الأنثيل - les Antilles» في 20 جويلية 1925 وتوفي في واشنطن في 6 ديسمبر 1961، عن عمر 36 سنة، وهو مدفون في مقبرة الشهداء بتونس، عين في 1953 مسؤول الأطباء في مستشفى الأمراض العقلية بالبلدية، سنتين بعد اندلاع ثورة التحرير الوطنية، قدم استقالته من منصبه في المستشفى والتحق بجبهة التحرير الوطني، أين أسندت له مسؤوليات كبيرة : عضو في تحرير جريدة المجاهد، الناطق الرسمي للجبهة، وسفير الحكومة الجزائرية المؤقتة (GPRA) في غانا، وحتى وفاته وهب فانون نفسه بلا حدود لقضية تحرير الشعوب المقهورة، من أهم مؤلفاته " بشرة سوداء وقناع أبيض - Peaux noire, masque blanc "، " معذبو الأرض - Les Damnés de la terre " و" العام الخامسة من الثورة الجزائرية - L'Année de la révolution algérienne ".

Achour (Cheurfi), Dictionnaire de la révolution... op cit, p 151-152.

⁴ - (إيمي سيزار - Aimé Césaire) هو شاعر ورجل سياسي فرنسي. من مواليد «Basse-Pointe» بجزيرة «المارتنيك» - la Martinique في أرخبيل «الأنثيل - les Antilles» في 1913. بدأ الكتابة في 1936 ليهاجم القمع الثقافي للنظام الاستعماري، وابتكر مصطلح «الزنجية - La Négritude» والذي يعني مجموع الخصائص والقيم الثقافية للشعوب ذات البشرة السوداء. وكان يريد أن يحارب ضد محاولات الاندماج الثقافي لفرنسا وتعزيز الثقافة الإفريقية التي

المدخل مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

لقد أبدع (فانون - Fanon)، بحكم تخصصه في علم النفس، في تشريح الظاهرة الاستعمارية، لا من الناحية التاريخية فقط بل من الناحية النفسية أيضا، حيث ولج إلى أغوار النفسية الاستعمارية وجوهر التفكير الاستعماري القائم على الاستعلاء والاستغلال والقمع، وهذه الصفات أضحت جزء من شخصية الأوروبي الاستعماري، ولا سبيل لعلاجها إلا بالعنف الدامي. ولقد أعجب وتأثر العديد من المثقفين الفرنسيين بطروحات (فانون) حول الظاهرة الاستعمارية وفي مقدمة هؤلاء الفيلسوف الوجودي (جان بول سارتر - Jean-Paul Sartre) الذي كتب في 1961 مقدمة كتاب «معدبوا الأرض - Les Damnés de la terre» (لـفانون). وما دفعه لفعل ذلك رغبته في دعوة الأوروبيين الاستعماريين إلى اقتلاع المعمر الموجود داخل كل واحد منهم. ففي المقدمة تحدث عن الوضع الاجتماعي الذي أفرزه الاستعمار بين مستعمر يريد الاستحواذ على كل شيء و مستعمر حُكم عليه بالدونية والسخر، ثم يبين منهج الاستعمار في صناعة مثقفين من أبناء المستعمرات الذين يتم إرسالهم إلى بلدانهم ليكرروا على أبناء جلدتهم ما يلقيه لهم المستعمر من باريس، لندن وأمستردام، وذلك لضمان استمرارية بقائه والتمديد في عمره حتى في حالة مغادرته للمستعمرة. وبرر (سارتر) دعوة (فانون) إلى استعمال العنف الثوري للتخلص من الاستعمار واعتبره رد فعل طبيعي على الممارسات الاستعمارية العنيفة وسياسة الإلغاء التي ظل يمارسها في حق شعوب المستعمرات¹.

أبدى أيضا (فرانسيس جانسون - Francis Jeanson) الفيلسوف الوجودي الفرنسي وأحد الأصدقاء المقربين لـ(سارتر) هو أيضا أيماء إعجاب بكتاب (فانون) لذات الأسباب التي جعلت (سارتر) يعجب به. وبعد سنة من الوفاة المبكرة لـ(فانون) في 1961 عن عمر لا يتجاوز ست وثلاثين سنة كتب (جانسون) ثناء قال فيه: "هذا المارتينيكي الذي صنعت منه ثقافته الفرنسية إنسانا ثوريا جزائريا، سوف يظل في نظرنا مثالا حيا للسمو الإنساني الذي لم نعرف له مثيلا، إلى حد الآن، في هذا العالم اللاإنساني. لو كنت ممن يؤمنون بالجنة لقلت متأكدا إن (فرانز فانون) ينعم فيها الآن صحبة أولئك «المعذبين في الأرض» الذين قاسمهم آلامهم والذين هم الآن، مثله، في عداد الموتى بعد أن حصدهم جور الاستعمار"².

وقعت ضحية عنصرية النظام الاستعماري. كما وهب نفسه للدفاع عن كل المقهورين على الأرض، حيث قال عن نفسه: "أنا أنتمي إلى السلالة التي يتم قهرها". من أشهر مؤلفاته في مجال مناهضة الاستعمار: «Discours sur le colonialisme». توفي في 2008.

<http://www.toupie.org/Biographies/Cesaire.htm> consulté le 03juin 2016 à 11:20.

¹ - Sartre (Jean-Paul), Positions anticolonialistes, «préface aux Damnés de la terre de Frantz Fanon», préface de Fatima Beldjoud, collection voix de l'anticolonialisme, Alger, Éditions ANEP, 2006, p 95-96 et 110-111.

² - أولوا (ماري- بيار)، فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل من مقاومة الاحتلال النازي لفرنسا إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ص 191.

المدخل مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

إن الإنتاج الفكري الذي يدرس الظاهرة الاستعمارية من وجهة نظر أبناء المستعمرات نجح في إيصال معاناة شعوبهم. وكان لذلك تأثير كبير على المثقفين الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة، إذ مكّنه من الاطلاع على الواقع الاستعماري كما يحياه ويشعر به أبناء المستعمرات وليس كما توردته التقارير الأمنية والمقالات والأخبار الصحفية، التي عادة ما تسوق الصورة التي تريد هي أن يراها الناس وليس الصورة الحقيقية للواقع المعاش. وهذا ما فهمه العديد من المثقفين خاصة من التيار اليساري. ولا يمكن أن تجد مثقفا يعبر بصدق عن هذا التوجه مثل (جان بول سار) الذي كتب في مجلته «Les Temps Modernes» مقالا بعنوان «الاستعمار هو نظام – Le colonialisme est un système»، فكك فيه الآليات السياسية والاقتصادية للنظام الاستعماري، وناد بمحاربه، والتعجيل برحيله. وفي آخر المقال يرى «سارتر» أن الاستعمار في حالة احتضار، ولتحليل الجميع من شوره، يجب مساعدته على الانتحار¹.

لكن السؤال المطروح هو متى ظهر أول تيار مناهض للاستعمار في المجتمع السياسي الفرنسي؟ يرى (جيل مانسيرون - Gille Manceron)²، أن المقدمات الأولى لظهور تيار مؤيد لتصفية الاستعمار يعود إلى الحرب الإثيوبية الإيطالية لسنة 1935، إذ وقف مثقفون وللمرة الأولى إلى جانب مقاومة أمة من خارج القارة الأوروبية ضد قوة استعمارية أوروبية، والمقصودة هنا هي الحبشة ضد إيطاليا الموسولينية³، من خلال نشر بيانين في أكتوبر 1935 الأول هو "البيان من أجل احترام القانون الدولي" والثاني هو "من أجل العدالة والسلام". وفي شهر ديسمبر من نفس السنة نشرت مجلة «إسبري - Esprit» عدد خاص بعنوان «الاستعمار، مستقبله، تصفيته - La colonisation, son avenir, sa liquidation» وفي السنة الموالية نشرت «لجنة اليقظة للمثقفين المناهضين للفاشية - le Comité de Vigilance des Intellectuels Antifascistes» مطوية بعنوان: "بنت المصلحة والعنف - Fille de l'intérêt et de la violence" تهاجم فيها المؤسسة الاستعمارية،

¹ - Sartre, (Jean-Paul), (*Le colonialisme est un système*), Les Temps Modernes, n° 123, mars-avril 1956.

² - هو مؤرخ متخصص في الاستعمار وذاكرته وإرثه. وهو أيضا رئيس تحرير مجلة «Hommes et Libertés» الصادرة عن منظمة حقوق الإنسان.

³ - في أكتوبر عام 1935 م قرر الدكتاتور الإيطالي (بينتو موسوليني) مهاجمة إثيوبيا البلد الأفريقي المسيحي في الشمال الشرقي لقارة الإفريقية المستقل والعضو في عصبة الأمم، إذ أرسل موسوليني قوات ضخمة مجهزة بمدافع متطورة وقامت القوة الجوية الإيطالية بإسقاط قنابل الغاز السام على الجيش الإثيوبي ذي تسليح الضعيف، وأبدى الأثيوبيون مقاومة كبيرة ضد الغزاة، ولكن في عام 1935م احتل الإيطاليون أديس أبابا (العاصمة الإثيوبية)، وهرب حاكم أثيوبيا (هيلاسيلاسي - Helasi Lasi) إلى خارج البلاد، واستمر الحكم الإيطالي خمس سنوات فقط. في عام 1941م دحرت القوات البريطانية الإيطاليين وأعدت (هيلاسيلاسي) إلى عرشه.

لمزيد من التفاصيل حول الأزمة الإيطالية الإثيوبية ينظر:

كار (إدوارد هاليت)، العلاقات الدولية منذ معاهدات الصلح (1919-1939)، ط 1، ترجمة سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992، صص 199-207.

المدخل مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية

في المقابل كانت ترفض التحرير الفوري للمناطق المحتلة وتفضل تحضيرها تدريجياً لذلك بواسطة إجراء إصلاحات كثيرة وعميقة وجريئة. لكن كل تلك الخطابات التي تدافع عن فكرة تحضير المستعمرات لمرحلة التحرر لم تستهوَ الرأي العام، وكان لا بد من انتظار الحركات التحررية التي فجرت الحرب في الهند الصينية وفي الجزائر لكي يتشكل رأي عام لصالح تصفية الاستعمار¹.

بعد الحرب العالمية الثانية، ومع ظهور حركات التحرر في آسيا، والتي مست بشكل خاص الهند والهند الصينية والمستعمرة الهولندية التي ستصبح فيما بعد أندونيسيا، صعدت مجلة «إسبري - Esprit»، التي تعبر عن آراء ومواقف المثقفين الكاثوليك، انتقاداتها بشكل جذري ضد الحركة الاستعمارية، حيث نشرت في 22 نوفمبر 1948 أول أكبر بيان للمثقفين ضد الاستعمار. في حين انتظر الفاتيكان حتى أصبحت مسألة إنهاء الاستعمار واقع لا مفر منه، ولم يعترف بابا الفاتيكان (بي XII - XII) بحق الشعوب في التحرر إلا في 1954، وهذا يوضح جلياً أن المثقفين الكاثوليك كانوا مع تصفية الاستعمار قبل الكنيسة التي لم تقم سوى بمجارات الواقع².

الواقع أن مناهضة الاستعمار بدأ يشق طريقة في الضمائر قبل الحرب العالمية الثانية بقليل. والمثير في المسألة هو أن الدفاع عن الحرية انتقل في مدة قرن من الزمن من الكفاح من أجل الحرية الفردية إلى الكفاح من أجل حرية الشعوب في التكفل بنفسها. وهذا المبدأ هو الذي قامت عليه الحركات التحررية التي ظفرت بالاستقلال إما عن طريق المفاوضات، مثلما حدث مع تونس والمغرب الأقصى وإما بعد حرب تحريرية، مثلما حدث مع فيتنام والجزائر³. لكن نذكر أنه مع الجزائر، التي من المقترض أن تكون ثلاث مقاطعات فرنسية أين يسكن مليون أوروبي فإن فكرة الاستقلال كانت، ولمدة طويلة، مرفوضة من معظم الرأي العام ومن المثقفين، ولم يحدث تحول في الموقف إلا في 1957 مع تطور الحرب بين فرنسا و«ج.ت.و»، حيث وقف المثقفون ضد الحرب ومع الاستقلال ويشكل خاص الجيل الجديد من المثقفين الذي ظهر عقب الحرب العالمية الثانية والشبيبة الطلابية. وانقسمت فرنسا بأكملها حول المسألة الاستعمارية مما يدل على أن الفكر المناهض للاستعمار وصل إلى مرحلة الرشد⁴.

¹ - Yvon Le Gall, **ancienneté et limite de l'anticolonialisme en France**, entretien avec l'historien Gille Manceron, in la revue trimestrielle, Histoire & Patrimoine, n° 3, aout 2005.

² - Ibid.

³ - لمزيد من التفاصيل حول موضوع الاستقلال بعد مفاوضات ينظر الفصل الخامس من كتاب:

Liauzu (Claude), op cit, pp 390-409.

وعن الاستقلال بعد حرب تحريرية ينظر الفصل السادس:

Ibid, pp 410-508.

⁴ - Yvon Le Gall, entretien, op cit.

فيما يتعلق بالجزائر يمكن القول أنه ظهر تياران في التوجه المناهض للاستعمار إبان حرب التحرير الوطنية. من جهة يوجد تيار مناصر للعالم الثالث (Les tiers-mondistes) الذي كان يرى في شعوب قارة آسيا وإفريقيا نوع من البروليتاريا الجديدة التي تتولى مستقبل العالم في مواجهة أوروبا متهاوية وتجاوزها الزمن. والاعتماد عليها لبناء نماذج سياسية جديدة، وتحدث القطيعة مع الديمقراطية الغربية ومرجعياتها المخادعة لحقوق الإنسان. ومن جهة أخرى يوجد تيار كان يسعى لمنع الديمقراطيات الغربية من خيانة المبادئ والقيم التي قامت عليها، خاصة الديمقراطية وحقوق الإنسان والتي يمكن فقدانها بسبب السياسة الاستعمارية. فالثورة الفرنسية لعام 1789 مثلا كانت مصدر إلهام لكل التواقين للحرية والعدالة. وهذا ما جعل فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا تعلن في ماي 1957 بأن ما يجب أن يحدث هو ثورة كثورة 1789، وأن الكفاح الذي تخوضه هو كفاح شرعي يدخل ضمن تقاليد فرنسا الثورية. الرسالة إذن واضحة، بالنسبة لفدرالية الجبهة، فإن فرنسا بممارستها الاستعمارية في الجزائر تجعلها تخون أو تفقد قيمها¹.

¹ - Stora (Benjamin), op cit, p 265.

الباب الأول

جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

الفصل الأول

الرأي العام و الثورة الجزائرية

1 - تطور موقف الرأي العام في فرنسا وأوروبا الغربية من الثورة الجزائرية

2 - الدعاية الإعلامية وتأثيرها على توجهات الرأي العام

3 - الرأي العام وحرب الإخوة الأعداء

الفصل الأول: الرأي العام والثورة الجزائرية

1 - تطور موقف الرأي العام في فرنسا وأوروبا الغربية من الثورة الجزائرية

أدركت «ج.ت.و» منذ تأسيسها أهمية الرأي العام¹، حيث جعلت منه أحد الرهانات المعول عليها لكسب معركة التحرير الوطني وأداة لإحراج المستعمر ودفعه إلى الاعتراف بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم وبناء مستقبلهم بالطريقة التي تناسبهم. لكن المعضلة الأساسية هو أن هذا الرأي العام لم يكن يكثرث لما كان يحدث في الجزائر خلال السنوات الأولى من اندلاع الثورة التحريرية، ولا بالذي حدث من قبل في الهند الصينية وفي تونس والمغرب نظرا لانشغاله بالأوضاع الداخلية المرتبطة أساسا بالمعيشة. وحسب (شارل رويير أجرون- Charles-Robert Ageron)، الذي اعتمد على معطيات سبر الآراء² لدراسة توجهات الرأي العام الفرنسي، فإن هذا الأخير قد خرج من هزيمة «ديان بيان فو - Dien Bien Fhu» بالهند الصينية بشعور من الذلة والهوان. وتنفس الفرنسيون في معظمهم (64 %) الصعداء من انتهاء حرب الهند الصينية³. ولكن عملية تصفية الاستعمار في آسيا التي تمت قسرا بدت لهم وكأنها تهديد لـ«الاتحاد الفرنسي»⁴. وفيما يتعلق بالوضع في

1 - ورد في «موسوعة السياسة» أن الرأي العام هو "اتجاه أغلبية الناس في مجتمع ما اتجاهها موحدا إزاء القضايا التي تؤثر في المجتمع أو تهمة أو تعرض عليه. ومن شأن الرأي العام إذا ما عبر عن نفسه أن يناصر أو يخذل قضية ما أو اقتراحا معينا. وكثيرا ما يكون قوة موجهة للسلطات الحاكمة، علما بأن الرأي العام ليس ظاهرة ثابتة بالضرورة وقد يتغير إزاء مسألة ما من حين لآخر."

الكيالي (عبد الوهاب) وآخرون، موسوعة السياسة، ج 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994، ص 803.

لمزيد من المعلومات حول تعريف مصطلح الرأي العام ينظر:

منغور (أحمد)، موقف لرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954-1962 م، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، صص 27-42.

2 - كانت عمليات سبر الآراء يقوم بها «المعهد الفرنسي للرأي العام - Institut Française de l'Opinion Publique» (م.ف.ر.ع - I.F.O.P.). وهو أول مؤسسة لسبر الآراء ودراسات التسويق في فرنسا. تأسست في 1 ديسمبر 1938 من طرف (جان ستوتزال - Jean Stoetzel)، وهو عالم اجتماع وأستاذ سابق في جامعة السربون.

Cazenave (Hugues), *La Guerre des sondages*, éditions Michalon, 2011, p. 102.

3 - امتدت حرب الهند الصينية من 1946 إلى 1954 وانتهت بهزيمة فرنسا في معركة «ديان بيان فو - Dien Bien Fhu» في 7 ماي 1954 واضطرت فرنسا إلى عقد مؤتمر جنيف في 20 جويلية 1954 لوضع ترتيبات ما بعد الانسحاب من المنطقة. وقد كلفت هذه الحرب فرنسا 92 ألف قتيل، 114 ألف جريح و28 ألف مسجون.

Ageron Charles-Robert. *L'Opinion française devant la guerre d'Algérie*. In *Revue française d'histoire d'outre-mer*, tome 63, n° 231, 2^e trimestre 1976. P 258.

4 - عرف المسند الثامن من الدستور الفرنسي وفي المادة 60 «الاتحاد الفرنسي»، بأنه يتكون من الجمهورية الفرنسية

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

تونس والمغرب، وهما دولتان محميتان، فإن ثلث الفرنسيين الذي استفسروا عن آرائهم في 1954 لم يقترحوا حلا لمشكلة البلدين، بينما تراوحت الآراء الأخرى بين الاستقلال الذاتي والاستقلال التام والمحافظة على المحميتان مع إحداث تعديلات على السياسة الراهنة¹. وهذا الاختلاف في الآراء يدل على حيرة الفرنسيين في كيفية التعامل مع القضايا المطروحة حينذاك وبشكل خاص ما تعلق بمصير الاتحاد الفرنسي.

أما بالنسبة للجزائر فإن الوضع مختلف تماما مقارنة بالهند الصينية وتونس والمغرب. فالجزائر بالنسبة للفرنسيين إنما هي مجموعة عمالات فرنسية، لذلك فإن العمليات التي وقعت ليلة أول نوفمبر 1954 لا يمكن أن تقارن بما حدث في الهند الصينية أو في تونس والمغرب. وسارعت الحكومة الفرنسية آنذاك برئاسة (بيار منديس فرانس - Pierre Mendès-France) إلى وصف تلك العمليات بـ«أحداث الجزائر - Les événements d'Algérie»، وصرح وزير الداخلية (فرانسوا ميران - François Mitterrand) في الخامس من نوفمبر 1954: «إن الجزائر هي فرنسا. ولن تقبل فرنسا في عقر دارها بأي سلطة أخرى غير سلطتها»². والغاية هو إثارة انطباع لدى الرأي العام بأن ما حدث ويحدث في الجزائر ليس على جانب كبير من الأهمية والخطورة. وهذا ما أظهرته عملية صبر الآراء التي أجريت في أوت 1955، إذ بينت أن 5 % فقط من الناس الذين تم استجوابهم اهتموا بقراءة الأخبار عن الجزائر في الصحف³. والغريب في الأمر أن الرأي العام الفرنسي لم ينتبه إلى دلالات الإجراءات التي صاحبت «أحداث الجزائر» كمصادقة البرلمان الفرنسي بتاريخ 3 أبريل 1955 على القانون رقم 55-385 يقر فيه إعلان حالة الطوارئ بالجزائر لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد⁴، واستدعاء 70 ألف جندي احتياطي ليضافوا إلى الوحدات العسكرية الموجودة في الميدان، ليصل

والتي تضم فرنسا الدولة الأم، المحافظات والأراضي في ما رواء البحر، والأراضي والدول المرتبطة بها.
Catroux Georges, **L'Union française, son concept, son état, ses perspectives**. In revue française d'histoire d'outre-mer, volume 18, n° 4, 1953. P 240.

¹ - دعا 15 % من الفرنسيين إلى منح تونس الاستقلال الذاتي، و 17 % الاستقلال التام. ودعا 13 % إلى منح المغرب الاستقلال الذاتي، و 16 % الاستقلال التام. ودعا تباعا 14 % و 15 % إلى المحافظة على المحميتان بالوضعية القانونية الراهنة مع تعديل الساسة المتبعة اتجاههما.

Ageron Charles-Robert. Op cit, p 258.

² - L'Echo d'Alger , 7 November 1954.

³ - Ageron Charles-Robert. Ibid, p 259.

⁴ - Le Journal Officiel de la république Française, du 07 Avril 1955, N° 55-385, p 3479.

العدد الإجمالي في شهر جويلية 1956 إلى ما لا يقل عن 400 ألف جندي فرنسي، كما تم تمديد الخدمة العسكرية من 18 شهرا إلى 28 شهرا¹. كل هذه المعطيات لم تجعل الرأي العام، على الأقل، يتساءل: إذا كانت المسألة مجرد أحداث، لما كل هذه الإجراءات؟ الحاصل أن بين 1954-1956 كانت الحكومة، والجيش والصحافة تتحدث بلغة واحدة لتبرير ذلك بحجة الدفاع عن الجزائر فرنسية وحمايتها من أطماع الدول الأجنبية الامبريالية، ومن الوطنيين الجزائريين المتمردين والخارجين عن القانون المدفوعين من الخارج، والذين يريدون طرد الفرنسيين لأنهم يختلفون عنهم جنسيا ودينيا. وهذا الخطاب وجد صداه بين المجندين وعموم الشعب الفرنسي².

تمثل نهاية سنة 1955 بداية التحول لدى الرأي العام الفرنسي خاصة عند المثقفين اليساريين. ففي عدد نوفمبر 1955 كتبت مجلة «إسبري - Esprit»³: "أوقفوا الحرب في الجزائر - Arrêtons la guerre

¹ - Quemeneur tramor. **Les manifestations des rappelés contre la guerre d'Algérie**. In: revue française d'histoire d'outre-mer, volume 88, N° 332, 2001, p 410.

² - تحدثت الصحافة الفرنسية عن المؤامرة الخارجية. وكتب (روبير بوني - Robert Bony) في جريدة «L'Aurore» ليوم 5 نوفمبر 1954: "المنفذون تم تسليحهم وتوجيههم من الخارج"، وكتب (جان ماري جارود - Jean-Marie Garraud) في جريدة «Figaro» ليوم 2 نوفمبر 1954: "الجامعة العربية، منفيي القاهرة ليسوا بلا شك الوحيدة الذين يلعبون ضدنا السياسة السيئة. خيوط المؤامرة لا تمر كليهما من القاهرة... فرنسا لن تقاتل دائما ضد الأشباح. لا بد للأقنعة أن تسقط يوما ما." أما الحاكم العام (روجي ليونارد - Roger Léonard) فقد تحدث في كلمة إذاعية بثت في 5 نوفمبر 1954 عن رعود في سماء صافية: "أقول... في الوقت الذي تعيش فيه الجزائر في النظام والسلام، وفي الوقت الذي ليس هناك على الإطلاق ما يمكنه تبرير تلك الاعتداءات، وتوسيع إلى محافظاتنا الثلاث الفوضى الدموية والتي تأسفت لها البلدان المجارة [يقصد تونس والمغرب]. لمعرفة مصدر مؤامرة كهذه، يكفي الاستماع إلى النداءات المسعورة لبعض الإذاعات الأجنبية ومعرفة الروابط المباشرة التي تجمع بين قادة هذه المؤسسة البعيدة بالتجمعات الإرهابية التي نفذت العمليات في الجزائر."

Harbi (Mohammed), 1954, La guerre commence en Algérie, Éditions Barzekh, Alger, février 2005, p 26-27.

³ - «إسبري - Esprit» مجلة شهرية أسسها (إمانويل مونيي - Emmanuel Mounier) في 1932. وهي مجلة فكرية فلسفية يسارية ملتزمة تهتم بدراسة التطور السياسي والاجتماعي والثقافي في فرنسا والعالم.

à 11:30. <http://www.esprit.presse.fr/whoarewe/history.php> consulté le 13-07-2016

ينظر أيضا:

Treanton Jean-René. **Winock M., Histoire politique de la revue « Esprit », 1930-1950.** Senarclens P. de, **Le mouvement Esprit, 1932-1941.** *Revue française de sociologie*, volume 16, N° 3 1975, pp. 423-424.

en Algérie¹. وفي أسبوعية «فرانس أويسارفاتور - France Observateur»، العدد 279، الصادرة في 15 سبتمبر 1955، كتب (روبار بارا - Robert Barrat)² مقالا بعنوان: «صحافي فرنسي عند الخارجين عن القانون الجزائريين - Un Journaliste français chez les hors la loi algériens»، على خلفية التحقيق الصحفي الذي قام به في أعالي جبال «الأخضرية»، «بليسترو - Palestro» سابقا، والتقى مع المجاهدين وتناقش مع العقيد (عمار أوعمران)، كما التقى بـ(عبان رمضان). وحاول (برا - Barrat) مقابلة (جاك سوستال - Jacques Soustelle)³ الحاكم العام للجزائر ليسلم له مطالب «ج.ت.و»، لكن دون جدوى. لذلك قرر كشف ما لديه من معطيات سلمها له كل من (عبان رمضان) و(عمار أوعمران) ونشرها في الصحيفة المذكورة. ومما جاء في المقال: "نعتقد أننا لا نخدم قضية الذين يضحون بحياتهم في الحرب التي انطلقت، بتجاهلنا الحقيقة التي سوف تظهر عاجلا أم آجلا...إننا نعلم مغالطة الرأي العام الفرنسي ونكذب على أنفسنا، حين نقول أن في الجزائر قطاع طرق... ولا نقل للفرنسيين هناك في الجزائر رجال يناضلون من أجل مطالب سياسة"⁴. وعلى إثر ذلك اعتقل (برا - Barrat) بأمر من وزير الحرب (بيار كونيغ - Pierre Koenig) بتهمة عدم الإبلاغ عن مجرمين. وقد

¹ - 1. Esprit, Novembre 1955, p. 1.

² - (بارا - Barrat) صحفي فرنسي كاثوليكي من مناهضي الاستعمار. ولد في مدينة «دوي - Douai» شمال منطقة «با دو كالي - بيكاردي - Pas-de-Calais-Picardie» في 12 مارس 1919 وتوفي في باريس في 16 أوت 1976. كان من الأوائل الذين دافعوا عن الثورة الجزائرية وشرعية مطالبها عبر مقالاته وتحقيقاته في جريدة «France Observateur» و«Témoignage chrétien».

Khettab (Rachid), Les amis des frères, dictionnaire biographique des soutiens internationaux à la libération nationale algérienne, Editions Dar Khettab, Alger, 2012, pp 31-33.

³ - (جاك سوستال - Jacques Soustelle) هو الحاكم العام للجزائر من 26 جانفي 1955 إلى 30 جانفي 1956.

Cheurfi (Achour), Dictionnaire de la révolution..., op cit, p 320.

⁴ - Ibid, p 31.

ينظر أيضا:

Duranton-Crabol Anne-Marie, **La guerre d'Algérie : témoignages et historiographie**, *Revue d'histoire moderne et contemporaine* 4 /2002 (n°49-4), p. 170-176.

ينظر أيضا:

Quemeneur Tramor. Barrat Robert, *Un journaliste au cœur de la guerre d'Algérie (1954-1962)* ; Barrat Denise et Robert (Textes et documents réunis par), *Algérie, 1956. Livre blanc sur la répression*, préface de Pierre Vidal-Naquet, postface de Bruno Etienne, *Revue française d'outre-mer*, volume 89, N° 336, 2002, pp. 410-412.

أحدث ذلك ضجة إعلامية كبيرة إذ هب الإعلاميون والصحفيون في حملة إعلامية للدفاع على (بارا) باسم حرية الصحافة، فما كان من الوزير الأول (إدغار فور - Edgar Faure) إلا أن يامر بإطلاق سراحه¹. وفي ذات الفترة صدر عن دار «لو سوي - Le Seuil» كتاب «الجزائر الخارجة عن القانون - L'Algérie hors la loi» للزوج (فرانسيس وكوليت جانسون - Francis et Colette Jeanson)². كل هذه الشهادات عن حقيقة الوضع بالجزائر، وإن كان صدها محدود في ذلك الوقت إلا أنها ساهمت في تحسيس بعض الأوساط بضرورة إيجاد حل جذري للمشكل الجزائري³.

إن المتتبع لتطور الرأي العام الفرنسي إزاء الوضع في الجزائر يجد أن تفاعله معه كان مبني في معظمه على أساس مصلحي أناني، ويتعلق بمدى تأثير الثورة على الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للفرنسيين وليس بمعانات الجزائريين من السياسات الاستعمارية الظالمة والمهينة. ويكفي أن نستعرض بعض نتائج عمليات صبر الآراء لتتكشف هذه الحقيقة. ففي جويلية 1956 طرح سؤال: "في الجزائر، هل تعتقد بأن، منذ ستة أشهر⁴، الوضع تحسن أم ازداد سوءا؟" فأجاب 40 % بأنه أصبح أسوأ مقابل 16 % بأنه تحسن. وطرح سؤال ثان يقول: "في هذه التغيرات للوضع، ما هي حصة الحكومة من المسؤولية؟" فأجاب 40% بأن مسؤولية الحكومة كبيرة، و 10 % ليست كبيرة جدا، و 4 % غير مسؤولة⁵. هذه المواقف إنما هي نتاج وضع سياسي عرفته فرنسا في هذه الفترة وهو سقوط حكومة (إدغار فور - Edgar Faure) وإجراء انتخابات في

¹ - Khettab (Rachid), op cit, p 31.

² - سيأتي الحديث عن هذا الكتاب وتأثيراته في الباب الثاني.

³ - Sirinelli (Jean-François), *Intellectuels et passion française, manifestes et pétitions au xxe siècle*, Éditions Gallimard, Paris, 1990, pp 321-322.

⁴ - أي من شهر جانفي 1956، وهو تاريخ فوز اليسار في الانتخابات وتعيين (غي مولي - Guy Mollet) رئيسا للوزراء، إلى بداية شهر جويلية 1956 وهو تاريخ التصويت على قانون السلطات الخاصة.

⁵ - Fourquet Jérôme. *L'évolution de l'opinion sur la situation en Algérie pendant les 5 premières années de la guerre*, atlantico du 1 Nivembre 2014.

<http://www.atlantico.fr/decryptage/evolution-opinion-situation-en-algerie-pendant-5-premier-annee-guerre-jerome-fourquet-1836659.html> consulté le 15-07-2016 à 23h.

2 جانفي 1956 أفضت إلى فوز «الجبهة الجمهورية - Le front républicain»¹ وتعيين (غي مولي - Guy Mollet) رئيسا للوزراء، والذي وعد الفرنسيين بتحقيق السلم في الجزائر وأن تكون الانتخابات في الجزائر موحدة لكل الجزائريين، المسلمين والمستوطنين²، ووصف الحرب في الجزائر بـ «الحمقاء وبلا مخرج». لكن في نفس الوقت اعتبر أن استقلال الجزائر «حل غير مقبول لفرنسا التي ستحول إلى قوة منقوصة». لكن وعوده تلك اصطدمت بمعارضة أنصار «الجزائر فرنسية» في فرنسا وبخاصة في الجزائر. وفي زيارته إلى الجزائر في 6 فيفري 1956 استقبل بمظاهرة حاشدة ضمت 20 ألف متظاهر، من تنظيم اليمين الاستعماري المتطرف المنضوي تحت «لجنة الدفاع عن الجزائر فرنسية - Comité de défense de l'Algérie Française»³، وتعرض هو والوفد المرافق له للرشق بألف كيلوغرام من الطماطم الطازجة، وبالكاد تمكن من

¹ - «الجبهة الجمهورية - Le front républicain» هي تحالف انتخابي يضم: الحزب الاشتراكي الفرنسي المسمى «الفرع الفرنسي للأمية العمالية - Section française de l'Internationale ouvrière (SFIO)» بقيادة (غي مولي - Guy Mollet)، «الحزب الراديكالي الاشتراكي - Le partis socialiste radical» بقيادة (إدوارد هيريو - Edouard Herriot)، «الاتحاد الديمقراطي والاشتراكي للمقاومة - l'Union démocratique et socialiste de la Résistance (UDSR)» بقيادة (فرانسوا مثيران - François Mitterrand) و حزب «الجمهوريون الاجتماعيون - Républicains sociaux» بقيادة (جاك سيان دلماس - Jacques Chaban-Delmas). وتمحورت الحملة الانتخابية «للجبهة الجمهورية» حول ضرورة إيجاد حل تفاوضي للحرب في الجزائر. للمزيد من المعلومات عن «للجبهة الجمهورية» ينظر:

Lafon François, **Le gouvernement du Front républicain: une politique réformatrice sous fortes contraintes**, Histoire@Politique 1/2011, n° 13, p 62-75.

URL: www.cairn.info/revue-histoire-politique-2011-1-page-62.htm. consulté, le 26-8-2016 à 23:30.

² - كان دستور 1947 يمنح المواطنة الفرنسية نظريا لكل الجزائريين، لكن في انتخابات الجمعية الجزائرية، كان الجزائريون المسلمون ينتخبون في هيئة انتخاب منفصلة عن هيئة انتخاب المستوطنين. وكان 9 ملايين من الجزائريين المسلمين ينتخبون 60 نائبا، في حين ينتخب المستوطنون نفس عدد النواب لـ 1,2 مليون مستوطن. إضافة إلى ذلك فإن الإدارة الفرنسية كانت تزور الانتخابات لصالح الجزائريين المسلمين المخلصين لها.

Chevard Alin. Mars 1956 : **le vote des pouvoirs spéciaux pour la guerre en Algérie**, Lutte Ouvrière n° 2483, 2 Mars 2016.

http://journal.lutte-ouvriere.org/2016/03/02/mars-1956-le-vote-des-pouvoirs-speciaux-pour-la-guerre-en-algerie_66129.html consulté le 15-07- 2016 à 23:50.

³ - من رواد هذه اللجنة نذكر: (روبار مارتال - Robert Martel) المعروف بـ «Le Chouan de la mitidja»، (جان - باتيست بياجي - Jean-Baptiste Biaggi) أحد المقاومين لاحتلال الألمان لفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، (أوغوست أرنولد - Auguste Arnould) وهو محامي باريس، (جو أورتيثز - Jo Ortiz) أحد أتباع حركة «البوجاديين» نسبة إلى (بيار بوجاد - Pierre Poujade) وغيرهم. بمساندة شخصيات أخرى مثيرة للشقاق جاءت خصيصا من فرنسا وتحت أعين قوات الأمن وبعض الضباط. وكل هذا العالم سيلتقي بعد خمس سنوات لتأسيس

الإفلات من الجموع الغاضبة. واصطلح على تسمية هذا اليوم بـ«يوم الطماطم» - La journée des tomates¹.

ظهرت حكومة «الجبهة الجمهورية» بقيادة (غي مولي - Guy Mollet)، بعد أحداث «يوم الطماطم»، ضعيفة في مواجهة اليمين، والمستوطنين والجيش، وتحولت مهمتها من «إحلال السلم بالجزائر»، وهو البرنامج الذي على أساسه فازت «الجبهة الجمهورية» في الانتخابات، إلى الحل الأمني القائم على الاستخدام الواسع للقمع ضد الثورة وضد «ج.ت.و» والهجوم على قواعدها الخلفية في الخارج². وعلى هذا الأساس دفع (غي مولي - Guy Mollet) بمعظم المجموعات البرلمانية في البرلمان الفرنسي، بما فيهم الحزب الشيوعي الفرنسي³، إلى التصويت على قانون «السلطات الخاصة» في 12 مارس 1956، والذي يمنح

«منظمة الجيس السري - L'OAS» الإرهابية.

Ruscio Alain. 6 février 1956. Guy Mollet est accueilli à Alger par une pluie de tomates. L'Humanité, 5 février 2016.

<http://www.humanité.fr-fevrier-1956-guy-mollet-est-accueilli-alger-par-une-pluie-de-tomates-598199>
consulté le 16-7-2016 à 02:00.

¹ - Chevard Alin. op cit.

² - مثلما حدث في أزمة السويس 1956، حيث شاركت فرنسا في العدوان الثلاثي على مصر على خلفية اتهامها لمصر بزعة الاستقرار في الجزائر وتحولها إلى قاعدة خلفية لمن تسميهم بالخارجين عن القانون.

³ - اليسار الفرنسي في معظمه والحزب الشيوعي على وجه الخصوص بتصويته على قانون «السلطات الخاصة» فإنه يقر السياسة الاستعمارية في الجزائر ومواصلة الحرب، ويكون بذلك قد حاد عن مبدأ مناهضة الاستعمار. وأثار هذا الموقف اضطرابا في أذهان المنظمات اليسارية وحتى لدى بعض القادة اليساريين الذين رأوا في ذلك انبطاحا لليمين وتشجيعا لأطروحاتهم الاستعمارية. وقد برر الحزب الشيوعي الفرنسي موقفه لأسباب حزبية بحتة وهو التخلص من العزلة السياسية التي كان يمر بها الحزب وإعطاء ديناميكية جديدة للحزب تسمح له بالعودة القوية للمشهد السياسي الفرنسي.

لمزيد من المعلومات عن مواقف اليسار والحزب الشيوعي الفرنسي من قانون «السلطات الخاصة» والحجج التي يسوقها لتبريرها ينظر:

Pattieu (Sylvain), Les camarades des frères, Trotskistes et libertaires dans la guerre d'Algérie, préface de Mohammed Harbi, Casbah Editions, Alger, 2006, pp 91-92.

ينظر أيضا:

Martelli (Roger), Communisme français, histoire sincère du PCF 1920 – 1984, Messidor Editions Sociales, Paris, 1984, p 156.

ينظر أيضا:

Sadoun Marc, Les socialistes entre principes, pouvoir et mémoire, intervention présentée

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

سلطات خاصة للحاكم العام (روبار لاکوست - Robert Lacoste)¹ والجيش في التعامل مع الثورة و«ج.ت.و» مما أدى إلى انزلاق الأوضاع إلى العنف الذي توسع أكثر فأكثر حتى امتد إلى الأراضي الفرنسية، وأصبح جزء لا يتجزأ من المشهد السياسي الفرنسي وأحد أولوياته، وهذا ما جعل، كما ذكرنا، 40 % من الفرنسيين يحملون الحكومة مسؤولية سوء الأوضاع التي آلت إليها البلاد. وهذا الشعور برز عند طرح السؤال التالي في جويلية 1956: "إذا كانت الأوضاع ستسوء أكثر في الجزائر وأن فرنسا لم يكن لها الخيار إلا في حلين أيهما تفضل؟" فاختار 45 % من المستجوبين "التفاوض مع المتمردين لمنح الاستقلال للجزائر"، مقابل 23 % اختاروا "استخدام كل الوسائل العسكرية المتاحة لقمع التمرد"، علما أن نفس السؤال طرح في أبريل 1956 وكانت النتيجة متعادلة بين الخيارين بنسبة 39 % لكل منهما. وهذا التحول في الرأي العام يدل على تأثره المباشر بتزايد قوة الصراع وتداعياته².

أما في الجوانب المرتبطة مباشرة بالحياة المعيشية فإن الرأي العام بدا أكثر حساسية. ففي شهر أبريل 1956 استجوب الناس على مدى استعدادهم لتحمل تكاليف الحرب في الجزائر. ففي سؤال: "إذا كانت الحكومة ترى أنه من الضروري، لإحلال السلم في الجزائر، فرض مزيد من الضرائب، هل تقبل

au colloque de l'institut d'histoire du temps présent sur le thème de **La guerre d'Algérie et les français**, Paris du 15-17 décembre 1988, pp 225-234.

ينظر أيضا :

Becker Jean-Jacques, l'intérêt bien compris du parti communiste français, intervention présentée au colloque de l'institut d'histoire du temps présent sur le thème de **La guerre d'Algérie et les français**, Paris du 15-17 décembre 1988, pp 235-244.

ينظر أيضا:

T.m, **Pouvoirs « spéciaux »**, in Les Temps Modernes, n° 123, Mars – Avril 1956, pp 1345-1353.

¹ - (روبار لاکوست - Robert Lacoste) نقابي ورجل سياسي فرنسي. عينه (غي مولي - Guy Mollet) حاكما عاما للجزائر، خلفا لـ(جورج كاترو - Georges Catroux) في فيفري 1956، بعد أحداث «يوم الطماطم» واستمر في هذا المنصب في عهد حكومة (موريس بورجيس مونوري - Maurice Bourges-Maunoury) و(فيلكس غايارا - Félix Gaillard) حتى ماي 1958. كان من المدافعين بشراسة عن «الجزائر فرنسية». ولم يتردد في الدفاع عن استخدام التعذيب من قبل الجيش الفرنسي والشرطة.

Cheurfi (Achour), Dictionnaire de la révolution algérienne, Casbah Editions, Alger, 2011, p 213.

² - Fourquet Jérôme, "atlantico", op cit.

شخصيا أن ترفع ضرائبك؟" أبدا 48 % من المستجوبين رفضهم للمقترح مقابل 34 % وافقوا على رفع الضرائب. وفي سؤال آخر يقول: "هل تقبل أن نطلب من كل الفرنسيين بدفع مزيد من الضرائب لتمويل نفقات حرب الجزائر؟". رفض 51 % المقترح مقابل 28 % قبلوا بذلك. وعلى أساس هذه النتائج يظهر أن قسم كبير من المجتمع الفرنسي لا يريد أن يرهق مستواه المعيشي من أجل الحرب في الجزائر. ونجد الأمر نفسه فيما يتعلق بالمسائل العسكرية. ففي السؤال: "إذا كانت الحكومة ترى من الضروري، لإحلال السلم في الجزائر، هل ستوافق أم لا على إرسال الشباب الذين يؤدون الخدمة العسكرية إلى الجزائر؟" رفض 48 % المقترح مقابل 37 % لا يرون في ذلك حرج. وفي سؤال آخر يقول: "إذا كانت الحكومة ترى أنه من الضروري، استنفار دفعة أو عدة دفعات إضافية في الجزائر، هل تقبل أم لا؟". 49 % رفضوا المقترح مقابل 35 % قبلوا به¹. ونؤكد مرة أخرى أن تطور موقف الرأي العام الفرنسي اتجاه الثورة التحريرية كان في معظمه تمليه وتحدهه التدايعات المباشرة للثورة على المشهد السياسي، الاقتصادي والاجتماعي للفرنسيين، خاصة إذا علمنا أن أحداث الثورة لم تعد فقط أخبارا تأتي من الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط يقرأ عنها الفرنسيون في الصحف والمجلات بالمقاهي وهم يرتشفون القهوة مع شتى أصناف المربطات، أو يسمعون التعليقات والتحليلات حولها في القنوات الإذاعية، بل أصبحت جزء من واقعهم وهم يضاف إلى مجموع الهموم اليومية التي يواجهها في حياته اليومية.

أما الرأي العام في أوروبا الغربية فكان معنيا أيضا بالمأساة الجزائرية لوجود جالية جزائرية متفاوتة العدد من دولة إلى أخرى، حيث يوجد بها بضعة آلاف من العمال الجزائريين في كل من منطقة «السار - Le Sarre» بألمانيا، حيث يعيش 500 عامل في 1955، وفي نفس السنة كان يعيش في بلجيكا حوالي 5000 جزائري يتوزعون في منطقة «لياج - Liège»، «مونس - Mons» و«شارلوروا - Charleroi»، وفي سويسرا تم توظيف 500 عامل في 1960، وفي ألمانيا الاتحادية بلغ عدد العمال الجزائريين حوالي 3500 عاملا². ويضاف إلى هؤلاء عدد من الطلبة الجزائريين الذين يزاولون الدراسة في المدارس العليا والجامعات الأوروبية وكانت هذه الجالية تتفاعل بطريقة أو بأخرى مع القضية الوطنية، واستطاعت أن تجعل منها مسألة أوروبية

¹ - Fourquet Jérôme , "atlantico", op cit.

² - Stora (Benjamin), Les immigrés algériens en France une histoire politique 1912-1962, Editions Fayard, Paris, 2009 p 148.

وليست فرنسية فقط¹.

2 - الدعاية الإعلامية وتأثيرها على توجهات الرأي العام

شكلت الدعاية الإعلامية واحدة من الأسلحة الفعالة التي وظفها الاستعمار الفرنسي ضد الثورة الجزائرية بهدف تقزيمها وإظهارها على أنها مجرد أعمال عنف معزولة، وتشويه صورتها ووصفها بالأعمال الإرهابية ونعت روادها بالإرهابيين والخارجين عن القانون والمدفوعين من الخارج. وخلال السنوات الأولى من انطلاق الثورة لم تكن مختلف وسائل الإعلام الفرنسية، وفي مقدمتها الصحافة المكتوبة التي كانت الأكثر انتشارا في تلك الفترة، مهتمة بالأوضاع في الجزائر ولا بالمستجدات التي طرأت منذ الأول من نوفمبر 1954، بل كانت تزين صفحاتها الخارجية والداخلية بأخبار الصراع بين الشرق والغرب وقضايا أوروبا والانتخابات وأخبار الفن والفنانين، وغيرها من المواضيع السياسية والاجتماعية².

بالتركيز على الصحافة المكتوبة والكيفية التي تناولت بها الحرب في الجزائر، فإننا سنتناول الصحف اليومية والأسبوعية الرئيسية الصادرة فقط في فرنسا³. فيما يتعلق بالصحف اليومية الوطنية والجهوية نذكر أساسا: جريدة «لورور - L'Aurore»⁴ وهي جريدة إخبارية كبيرة ينتمي جزء كبير من قراءها إلى الطبقة المتوسطة. جريدة «فرانس سوار - France Soir»⁵ وهي جريدة تقدم أخبار الساعة بأسلوب في متناول عامة الناس. تلجأ في عناوينها وتقاريرها الصحفية إلى الإثارة وذلك بعرض القضايا السياسية بطريقة مسرحية تحكمية.

¹ - Stora (Benjamin), op cit, p 145.

² - محمد مبارك الميلي، «الحياة السياسية داخل الجزائر وخارجها منذ اندلاع الثورة إلى غاية مؤتمر الصومام»، الملتقى الثاني لتاريخ الثورة، المنظمة الوطنية للمجاهدين، مج 2، جز 2، طبع ونشر قطاع الإعلام والثقافة، الجزائر، 1984، ص 24.

³ - لم نر ضرورة في تناول الصحف الفرنسية الصادرة في الجزائر لأنها أقل ارتباطا بنشاط الجبهة بفرنسا.

⁴ - أنشئت في السرية سنة 1942 من طرف (روبار لازوريك - Robert Lazurick)، الذي أصبح مديرها في 1958. E. Augris. **La guerre d'Algérie à travers les médias.** <http://histoire-commune.blogspot.com/2009/05/la-guerre-d'algerie-a-travers-les-mediats-html> consulté le 25-08-2016 à 22:30.

⁵ - ظهرت جريدة «فرانس سوار - France Soir» في 1944. وهي امتداد لجريد أخرى كانت تصدر باسم «لاديفونس - La Défense». تديرها مجموعة «فرانبار - Franpar»، حيث تحض دار النشر المعروفة «أشات - Hachette» بالأغلبية.

E. Augris, op cit.

جريدة «لوباريزيان ليبري- Le Parisien Libéré»¹، وهي جريدة إخبارية مؤيدة لانتصار «الجزائر فرنسية»، وهي أكثر الجرائد الصباحية من حيث السحب. جريدة «لوموند- Le Monde»² وتديرها شركة ذات مسؤولية محدودة تضم في 1958 أشخاص طبيعيين وشركة المحررين. جريدة «لومانيتي- L'Humanité»³ وهي جريدة تابعة للحزب الشيوعي الفرنسي منذ 1920. جريدة «لوفيجارو- Le Figaro»⁴، ويعتبرها القراء جريدة معتدلة. مديرها هو (بيار بريسون- Pierre Brisson) منذ 1958. أما الصحف الجبهوية فلا تختلف عن الصحف الوطنية إلا في محليتها. وفيما يخص أخبار الجزائر فغالبا ما كانت تعيد نشر العناوين الكبرى للصحف الوطنية كل حسب توجهها اليميني أو اليساري. ففي شمال فرنسا نجد مثلا جرائد «لاديپاش دو ميدي- La Dépêche de Midi»، «ميدي ليبر- Midi Libre»، «لوبروجري- Le Progrès». وفي غرب فرنسا لدينا مثلا جريدة «أواست فرانس- Ouest France». وفي جنوب فرنسا فلدينا مثلا جريدة «لامارسيان- La marseillaise» وجريدة «بروفانسال- Le Provençal». أما الصحف الأسبوعية الأساسية لتلك الفترة، وبعضها لا تزال يصدر إلى يومنا هذا نذكر: «ليكسبراس- L'Express»⁵ وهي مجلة يسارية تقف ضد الحروب الاستعمارية ومع تصفية الاستعمار. «كارفور- Carrefour»⁶ وهي مجلة أسبوعية ديغولية تعود ملكيتها للمجموعة الصحفية «أموري-

1 - أنشئت «لوباريزيان ليبري- Le Parisien Libéré» في أوت 1944. بديره (أميليان أموري- Amilien Amaury) منذ 1958.

Ibid.

2 - أنشئت جريدة «لوموند- Le Monde» في ديسمبر 1944. مديرها هو (أوبار بوفميري- Hubert Beuvenmery).

Ibid

3 - أنشئت جريدة «لومانيتي- L'Humanité» في 1904 من طرف (جان جوراس- Jean Jaurès). كانت تنشر في السرية بين 1939-1944. مديرها هو (مارسال كاشان- Marcel Cachin) منذ 1958.

Ibib.

4 - أنشئت جريدة «لوفيجارو- Le Figaro» في 1858. توقفت عن الصدور من نوفمبر 1942 إلى أوت 1944.

Ibid.

5 - تأسست «ليكسبراس- L'Express» في ماي 1953. وهي جريدة رأي أسبوعية قريبة من رئيس الحكومة (بيار منداس فرانس- Pierre Mandés France). مدراءها هم: (جان جاك سفران شرايبر- Jean-Jacques Sevrان- Schreiber) و(فرانسوا جيرو- François Giroud). ومن أهم كبار الأقلام المساهمة في الأسبوعية: (جان دنيال- Jean Daniel)، (فرانسوا موريالك- François Mauriac)، (بيار منداس فرانس- Pierre Mandés France)، (جان بول سارتر- Jean-Paul Sartre) وغيرهم. تصدر يوم الخميس ومعدل سحبها في 1958 بلغ 157 ألف نسخة.

E. Augris, op cit.

6 - تأسست مجلة «كارفور- Carrefour» في 1944. تصدر يوم الأربعاء ومعدل سحبها في 1958 هو 47 ألف نسخة.

Amaury». «فرانس أوبسارفاتور - France Observateur»¹ وهي مجلة يسارية تناضل من أجل تصفية الاستعمار. «تموانياج كريتيان - Témoignage Chrétien»² وهي جريدة أسبوعية للأخبار العامة. مناصرة لتصفية الاستعمار والتفاوض المباشر مع «ج.ت.و». كانت في غالب الأحيان تتعرض للمصادرة في الجزائر وفي فرنسا. «باري ماتش - Paris Match»³ وهي مجلة للأخبار العامة. يغلب على صفحاتها الرسوميات على حساب النص، مع تخصيص مساحة واسعة للإشهار⁴.

بالنظر إلى أسلوب تعاطي الصحافة الفرنسية مع أحداث الثورة في الجزائر، يمكن التمييز بين مرحلتين: الأولى تمتد من 1954 إلى 1957، والثانية من 1957 إلى 1962. ففي المرحلة الأولى نلاحظ أن الحرب الدائرة في الجزائر كانت تأخذ حيزا صغيرا في الصفحات الأولى من الجرائد اليومية. وفي المجلات كانت المقالات صغيرة ونادرة وتركز خاصة على الجانب السياسي وتتجنب الحديث عن الجانب العسكري. ويمكن تفسير ذلك بالرقابة المفروضة على الصحافة منذ إعلان حالة الطوارئ، وإنشاء لجنة الرقابة لدى وزارة الاتصال لتفادي أن تقوم الجرائد بنشر نداءات أو أخبار تؤدي إلى "اضطراب النظام العام". وكان لهذه الإجراءات نتائج ثقيلة على بث البرقيات خاصة بالجزائر، فقد لوحظ أن عدد البرقيات المنقولة تراجع بشكل واسع، ونقل الصور من الجزائر إلى باريس أصبح ممنوعا، والبرقيات المرسلة إلى الجزائر أصبحت مراقبة بقوة، وحتى المراسلات بين وكالات الأنباء ومراسليهم الخاصين في الجزائر أصبحت مراقبة عن قرب وفي بعض الأحيان يتم قطعها⁵. ومن

Ibid.

1 - تأسست مجلة «فرانس أوبسارفاتور - France Observateur» في 1950 من طرف (روجي ستيفان - Roger Stéphane) و(جيل مارتيني - Gilles Martinet). مديرها السياسي هو (كلود بوردي - Claude Bourdet). تصدر يوم الخميس ومعدل سحبها في 1958 بلغ 72 ألف نسخة. في نوفمبر 1964 غيرت المجلة اسمها إلى «نوفيل أوبسارفاتور - Nouvelle Observateur».

Ibid.

2 - تأسست جريدة «تموانياج كريتيان - Témoignage Chrétien» في 1944. وهي امتداد لمجلة كانت تصدر سابقا باسم «كايي دو تموانياج كريتيان - cahiers du témoignage Chrétien». مديرها في 1958 هو (جورج مونتارون - George Montaron). يصدر كل يوم جمعة. معدل سحبها في 1958 بلغ 58 ألف نسخة.

Ibid.

3 - أنشئت مجلة «باري ماتش - Paris Match» في 1949 من طرف (جان بروفوست - Jean Prouvost). مديرها في 1958 هو (غاستون بونور - Gaston Bonheur). يصدر كل يوم سبت. معدل سحبها في 1958 بلغ 1 مليون 800 ألف نسخة.

Ibid.

Ibid. - 4

E. Augris, op cit. - 5

هذا المنطلق كان على الصحافة الفرنسية أن تبتكر طريقة خاصة في نقل ما يحدث في الجزائر دون المساس بسلطة الدولة أو دحض الخطاب الذي تروج له، مع الالتزام بالمصطلحات التي تفرضها الحكومة لوصف الوضع في الجزائر، وطبيعة الإجراءات المتخذة لمواجهة¹. لكن في المقابل كيف يمكن للقائمين على هذه الصحف، في ظل إعلان حالة الطوارئ، والإجراءات الاستثنائية، تعبئة الجيش وإعادة استدعاء الجنود الذين أدوا الخدمة العسكرية أن يقتنعوا بأن ما تقوم به الحكومة في الجزائر هي مجرد عمليات إعادة السلم ؟ والحال كذلك لجأت الصحف اليومية إلى إدراج أخبار الجزائر ضمن صفحة الأحداث ومع تكرارها تتحول أخبار العنف في وعي القراء إلى أحداث عادية قلما يُلتفت إليها².

في جريدة «لوفيجارو - Le Figaro» مثلاً نجد أن أخبار الجزائر تدرج في الصفحة السادسة عشرة بعد أخبار الرياضة. في أحد الأخبار عن الجزائركنبت في عنوان علوي: "الكمين في الأوراس - **L'embuscade dans l'Aures**", وعنوان سفلي "الجنود الفرنسيون الأربعة الذين قتلهم المتمردون كانوا يستقلون المركبة الأولى - **Les quatre militaires français tués par les rebelles occupaient le premier véhicule**". وفي خبر آخر كُتبت تحت عنوان رئيسي: "في الجزائر - **En Algérie**" وعنوان فرعي أول: "الهجوم على سيارة أجرة من طرف الخارجين عن القانون: أربعة موتى - **Un taxi attaqué par les hors-la loi: quatre morts**", وعنوان فرعي ثاني: "اشتباك في منطقة تكوت: وقتل ثلاثة متمردين وجندي فرنسي - **Accrochage dans la region de T'Kout: trios rebelles et un soldat tués**". ونشرت أيضاً خبراً بعنوان: "اشتباكين في الأوراس: قتل، خمسة جرحى واثنين مفقودين من بين قوات الأمن - **Deux accrochages dans les Aurès: un tué, cinq blessés et deux disparues parmi les forces de l'ordre**". وفي جريدة «لوموند - Le Monde» نقرأ خبراً: "ثلاثة جنود وثلاثة متمردين قتلوا في الجزائر - **Trois militaires et trois rebelles tués en Algérie**", وفي عدد آخر نقرأ:

1 - كانت الحكومة الفرنسية تستخدم مصطلح «أحداث الجزائر - Les événements d'Algérie» لوصف ما يحدث في الجزائر، وتستخدم مصطلح «إحلال السلم - La Pacification» لوصف تدخلها لمعالجة الوضع. وفرنسا من الناحية الرسمية ليست في حرب.

2 - Roche Émilie. **Le fait divers comme stratégie d'évitement des discours de presse écrite pendant la guerre d'Algérie.** *Les Cahiers Du Journalisme*, N° 17 – Été 2007, p 72.

3 - Le Figaro du 6 janvier 1955.

4 - Le Figaro du 17 janvier 1955.

5 - Le Figaro du 3 mars 1955.

6 - Le Monde du 4 novembre 1955.

"قتل جندي وجرح ثلاثة في القطاع القسنطيني _ Un militaires tué et trois blessés dan le Constantinois"¹، وفي عدد آخر نقرأ أيضا: "بعد الكمينين اللذين كان تمنهما عشرون قتيلا من فرقنا، تم القيام بعمليات لإيجاد العصابات المتمردة _ Après les deux embuscades qui ont couté vingt tués de nis troupes, des opérations ont été entreprises pour retrouver les bandes rebelles"². وفي جريدة «لومانيتي - L'Humanité» نقرأ: "ثالث شتاء من الحرب يبدأ في الجزائر _ Un troisième hiver de guerre commence en Algérie"³، وفي عدد آخر نقرأ: "معارك كبيرة في مدينة الجزائر _ Importants combats à Alger"، ونقرأ أيضا: "بالأمس أيضا عشرات الموتى والجرحى _ Hier encore des dizaines de morts et de blessés"⁴.

في مجموع العناوين الواردة في هذه الصحف، والتي اخترناها كنماذج، فإن لفظة «حرب - Guerre» كانت غائبة، لكن كل شيء موجود لتعيين الحرب، وكل العناوين والمقالات تصف جو الحرب. فالجرب في الجزائر أصبحت واقعا في غاية من العنف سواء من جهة «ج.ت.و»، بواسطة العمليات التفجيرية والاختيالات، أو من جهة الاستعمار الفرنسي، بواسطة نظام عسكري وشُرطي قمعي، يتخذ من الاعتقال، الإقامة الجبرية، التعذيب، الاغتيال، ... وسيلة للمواجهة. وهذا الجو بقي سائدا حتى نهاية الحرب⁵. ولا نغادر المرحلة الأولى دون الحديث عن بعض المجلات الأسبوعية وأسلوبها في تناول الحرب في الجزائر. فمجلة «ليكسبراس - L'Express» و«فرانس أوبسارفاتور - France Observateur» اختارت إستراتيجية المواجهة منذ 1955 بالتنديد مبكرا بممارسة التعذيب في الجزائر، والتشهير بالتجاوزات الخطيرة التي تقترفها مختلف الأجهزة الأمنية التي تمادت في أفعالها خاصة بعد صدور قانون منح سلطات خاصة للجيش في التعامل مع الوضع المتفجر في الجزائر⁶.

أما في المرحلة الثانية التي تبدأ من 1957، وهي السنة التي تفجرت فيها مسألة التعذيب بعد الذي حصل مع (موريس أودان - Maurice Audin)، (هنري ألاق - Henri Alleg)، (علي بومنجل) والحكم

¹ - Ibid, 4-5 décembre 1955.

² - Ibid, 18 février 1956.

³ - L'Humanité du 8 octobre 1956.

⁴ - Ibid, 12 octobre 1956.

⁵ - Roche Émilie, op cit, p 72 et 76.

⁶ - Roche Émilie, op cit, p 83.

بالإعدام الذي صدر في حق المجاهدة (جميلة بوحيرد)¹، فإن الجرائد تجاوزت حاجز الرقابة وأصبحت أكثر جرأة في تناول الشأن الجزائري، وتحولت أخبار الجزائر من مجرد أحداث في الصفحات الداخلية لتحتل الصفحات الأولى، بل وتتحول إلى الخبر الرئيسي، وأصبحت عبارة «حرب الجزائر» متداولة، ليقف الجميع في النهاية على حجم المشكل الجزائري وتداعياته السياسية، الاقتصادية والاجتماعية على المجتمع الفرنسي والدولة الفرنسية، خاصة بعد أن قررت «ج.ت.و» نقل الحرب إلى التراب الفرنسي².

3 - الرأي العام وحرب الإخوة الأعداء

تمثل المواجهة، أو حرب الإخوة الأعداء، بين «ج.ت.و» والمصاليين المنتظمين في حزبهم الجديد «الح.و.ج» من جهة وبين «ج.ت.و» و«قوة الشرطة المساعدة - Force de Police Auxiliaire» المعروفة بـ«الحركي»، من جهة أخرى، من الفصول العنيفة والمؤلمة والمؤسفة في الثورة التحريرية، و أدت إلى سقوط آلاف الضحايا من الجانبين، وكان المسؤولون الأكثر استهدافا³. هذه الحرب المزدوجة زادت في حيرة الرأي العام في اتخاذ موقف حاسم وواضح حول ما يحدث في الجزائر هل هي حرب تحريرية أم حرب أهلية على الزعامة كما كانت تروج له الحكومات الفرنسية.

بالنسبة للمواجهة بين «ج.ت.و» و «الح.و.ج» المصالية فقد تجلت في عدة أوجه: مواجهة مسلحة ودموية في الجزائر وفي فرنسا وأوروبا، مواجهة سياسية لافتكك شرعية تمثيل الثورة في الداخل والخارج ومواجهة نقابية للظفر باعتراف ودعم النقابات العمالية العالمية. وحسب مصادر متعددة فإن حصيلة الضحايا وصلت إلى 10 آلاف قتيل و25 ألف جريح⁴. وهذه الحصيلة تعد بلا شك خسارة كبيرة للجزائريين، خاصة أنه من الصعب رصد أي اختلاف في المطالب والأهداف بين الجانبين، بل أنهما يلتقيان إيديولوجيا في المطالب الأساسية مثل الجنسية والسيادة الجزائرية، وهما شيء واحد لا يمكن الفصل بينهما، والأمة في حدودها الترابية بما فيها الصحراء، وتحرير كل المعتقلين الجزائريين ورفع كل إجراءات الوضع الاستثنائي، ووحدة المغرب العربي⁵. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن وسائل عمل التنظيمين متشابهة من حيث تحصيل الاشتراكات والضرائب

¹ - سيتم الحديث عن هذه المسائل في الفصل الثالث.

² - Ibid, pp 78-83.

³ - Doum (Ahmed), De la Casbah d'Alger à la prison de Fresnes 1954-1962, Casbah Editions, Alger, 2013, p 131.

⁴ - Abane (Belaid), Resistances algériennes, Abane Ramdane et les fusils de la rébellion, Casbah Editions, Alger, 2011, p 502.

⁵ - Stora (Benjamin), op cit, p 172.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

والغرامات وتوزيع الصحف والمناشير ومصالح التأديب أو الحملات العقابية¹. والحال كذلك فإنه من حقنا أن نتساءل عن الأسباب الحقيقية للمعركة الدموية التنظيمية والتي استمرت طيلة الثورة التحريرية، ونريد أن نفهم أيضا سبب فشل محاولات التقارب العديدة بينهما، ثم نكتشف كيف استثمرت فرنسا في ذلك لتشويه قضية الشعب الجزائري التحررية وضرب الثورة في العمق.

لكن قبل ذلك دعونا نستعرض بعضا من فصول المواجهة الدموية بين «ج.ت.و» و«ح.و.ج»، والتي بدأت منذ اللحظات الأولى من اندلاع الثورة التحريرية، انطلقت في الجزائر وانتهت في فرنسا، بل امتدت إلى الدول الأوروبية المجاورة، خاصة يلجيكا وألمانيا². صحيح أنها كانت هادئة في البداية ولم تتجاوز حدود التصريحات والبيانات والرسائل، لكنها انزلت، فيما بعد، إلى العنف الدموي الذي بلغ في بعض مراحله حدا لا يمكن وصفه إلا بالحرب الأهلية³، والمواجهة كانت أكثر دموية في فرنسا التي أحصت وحدها حوالي 13 ألف ضحية من مجموع 35 ألف ضحية، منها 04 آلاف قتيل مقابل 10 آلاف قتيل في الجزائر⁴. وحسب تقرير سري لشرطة باريس يحمل عنوان «المنظمات السرية الجزائرية في المنطقة الباريسية»، فإن المصاليين كانوا هم المبادرين بالعنف مما دفع بفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا، في 1955، إلى إنشاء منظمة خاصة في هيكلها السياسي والإداري في باريس تتولى مسألة الرد على عنف المصاليين وتجاوزاتهم⁵. وقد أكد ذلك (أحمد دوم)⁶

1 - Amiri (Linda), La bataille de France. La guerre d'Algérie en France, préface de Benjamin Stora, Chihab Editions, Alger, 2004, p 49.

2 - سنكتفي باستعراض نماذج من المواجهة في فرنسا وأوروبا فقط لارتباطها المباشر بالموضوع.

3 - Elsenhans (hartmut), La guerre d'Algérie 1954-1962, La transition d'une France à une autre, Le passage de la IV^e à la V^e république, préface de Gilbert Meynier, traduction par Vincent Goupy, Editions EDIF 2000, Alger, 2010, p 830.

4 - Abane (Belaid), op cit, p 502.

5 - Amiri (Linda), op cit, pp 49-50.

6 - (أحمد دوم): من مواليد 12 ماي 1930 في القصة بالجزائر. بدأت خصوماته الأولى في الحركة الوطنية بالانضمام إلى فوج «القطب» للكشافة الإسلامية الجزائرية. في 1945 انخرط في «ح.ش.ج. / ح.إ.د. - P.P.A / M.T.L.D»، وفي مدة قصيرة أصبح مسؤول خلية القصة، ثم مسؤول فوج القصة، ثم مسؤول على فرع القصة والقصة السفلى في 1947. في أوت 1950 هاجر إلى فرنسا أين وجد وظيفة بسرعة في السكة الحديدية في مدينة «سوشو - Sochaux»، وهناك جدد الارتباط بالنضال الوطني، وتقلد عدة مسؤوليات في قسمة «سوشو - Sochaux» التابعة لـ«ح.إ.د. - M.T.L.D». التحق بجبهة التحرير الوطني في ديسمبر 1954، وأصبح من الأعضاء الأوائل للجنة الفدرالية لـ«ج.ت.و - F.L.N» ومسؤول عن منطقة باريس. أُلقي عليه القبض في 19 نوفمبر 1956 بباريس وسجن في سجن «فران - Fresnes» ولم يطلق سراحه إلا في أبريل 1962. بعد الاستقلال كان أحد المؤسسين لـالحزب الثوري الاشتراكي (P.R.S) المعارض، لكن سرعان ما غادره.

Cheurfi (Achour), dictionnaire de la révolution..., op cit, p 136.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

في مذكراته، حيث بين أن الفدرالية لم تكن تملك لا الإمكانيات ولا الكوادر التي تمكنها من خوض أي معركة جانبية مهما كان حجمها، فما بالك أن تكون مع الإخوة، وأن جهودها كان منصبا على مقارعة الاستعمار في عقر داره¹.

في المقابل ترى (جنينة مصالي)، ابنة "الزعيم"، بأن «ج.ت.و» هي من تسببت في تدهور الأوضاع بينها وبين «ح.و.ج» من خلال الإستراتيجية التي شرعت في تنفيذها أواخر 1955 لإزاحة الـ«ح.و.ج». تقوم تلك الإستراتيجية على: أولا: محاولة إفساد عقول المناضلين في المهجر اتجاه «ح.و.ج» من خلال الرسائل التي أرسلها الوفد الخارجي للجبهة بالقاهرة إلى أشخاص تم تعيينهم وفق قائمة أعدت مسبقا من طرف فدرالية الجبهة يدعوهم فيها للالتحاق بالجبهة، وأوردت نموذجا منها، وهي الرسالة المؤرخة في 07 فيفري 1955، وموقعة من (محمد خيضر)² يصرفم فيها عن «ح.و.ج»، "ويضع نفسه تحت تصرفهم لتقديم كل التوضيحات اللازمة حتى لا يكونوا تحت رحمة الذين يريدون استغلالهم"، والمقصود هنا هي «ح.و.ج». تلك الرسائل، كما تقول، والتي تم تحريرها ببراعة، تحاشت ذكر «ح.و.ج» بالاسم، لكنها موقعة من طرف إسم معروف لتكون ذات مصداقية. ثانيا: حملة دعاية ضد شخص (مصالي الحاج) بهدف تكسير صورته والحط من سمعته، وبالتالي ضرب المصالية بكل الوسائل بدء بتزوير التاريخ، مروراً بالتخويف والتهديد، وانتهاء بالتصفية الجسدية. وتضيف: "إن مخططات «ج.ت.و»، في ذلك الوقت، تتمثل في إفقاد الثقة في (مصالي) لكي يُنتزع منه الحق في الاستفادة من ماضيه، وبالتالي الاستحواذ على إرث «ح.ش.ج-P.P.A» وتوظيفه ضد مؤسسه. هذا الهجوم الذي تم تنفيذه بتمعن، قد استفحل، والخصوم الأكثر إضرارا، لا يتأخرون عن ذمه وارتكاب ما لا يمكن إصلاحه وهو وصف (مصالي الحاج) "بالخائن". حينئذ، نكون أمام "ذريعة حرب"³.

1 - ذكر دوم حول هذه المسألة: "ينسب بعض المتسببين في الأحداث إلى «ج.ت.و» مسؤولية تشييد دورة العنف، مع الإغفال الكلي لموازين القوة في ذلك الوقت. وإذا افترضنا أن «ج.ت.و» تكون قد غذت النية في الشدة اتجاه أولئك المشنعين، فكيف كان بإمكانها فعل ذلك، وهي التي كانت حتى نهاية 1955 محرومة من الوسائل البشرية والمادية؟ كل المهاجرين الجزائريين كانوا حينذاك مناصرين لـ(مصالي). مناضلو «ج.ت.و»، الذين كان عددهم قليل، ويتخفون في حياة جد سرية. مسؤوليها في فرنسا لم يكن في متناولهم حتى ملجأ يأويهم ولا مركب للتنقل."

Doum (Ahmed), op cit, p 130.

2 - ينظر نص الرسالة في: Harbi (Mohamed), Les archives de la revolution algérienne, Editions Dahlab, Alger, 1981, p 104.

3 - Messali-Benkelfat (Djanina), Une vie partagée avec Messali hadj, mon père, Hibre Editions, Alger, 2013, pp 245-246.

استخدمت الكاتبة عبارة «Casus belli»، وهي عبارة لاتينية معناها «ذريعة حرب» عندما أرادت أن تثبت بأن اتهام

يُجمع مناضلو فدرالية الجبهة بفرنسا¹ بأن الفترة ما بين 1955 و1957 كانت تجربة رهيبة ومجنونة بالنظر إلى عدد الضحايا الذين سقطوا بنيران أخواهم من الجانبين². ففي 1956، كان عدد الضحايا 586 ضحية، وفيها 76 قتيل و586 جريح، وفي 1957 بلغ عدد الضحايا 3905 ضحية، وفيها 817 قتيل و3088 جريح. ويُحصى تقرير قدمه أحد البرلمانيين الفرنسيين إلى وزير الدولة المكلف بالشؤون الجزائرية آنذاك (لويس جوكس - Louis Joxe)، عدد ضحايا المواجهات بين «ج.ت.و» و«ح.و.ج» على الأراضي الفرنسية بـ 11567 ضحية، فيها 3889 قتيل و7678 جريح بين 1956 و1961³. ولم تقتصر المواجهات على منطقة بعينها، بل شملت كل المناطق التي تتواجد بها الجالية الجزائرية في فرنسا، بل امتدت إلى بلجيكا والसार، والفرق كان فقط في شراسة المواجهات.

يروي (محمد مشاطي) في مذكراته الملاحقات والتعقب الذي تعرض لهما شخصيا في مدينة «ليون - Lyon» من قبل المصاليين وكيف تم ضربه بوحشية عندما تمكنوا منه يقول: "...المصاليين الذين كان عددهم كبير جدا تمكنوا في الأخير من اللحاق بي وأشبعوني ضربا باللكمات والعصي. أمام هذا الاستعراض، قام أناس من الحي بالاتصال بالشرطة، وجاء أشخاص لنجدتي لأنني كنت ملقا على الأرض والدماء تسيل مني. ومن بعيد، فإن صافرات إحدى سيارات الشرطة، جعلت المعتدين يهربون، في ذلك الوقت كنت أتلقي المساعدة للنهوض، وبمشية مترنحة انفصلت بسرعة عن المجموعة وانسحبت بدوري في متاهات الشوارع تحت النظرات المندهشة للناس الذين رأوا الضحية تهرب كما هرب المعتدون." ⁴ وفي كتاب الولاية السابعة يروي (علي هارون) حادثة تصفية جماعية وقعت في كوخ يقع في طريق «بوير - Buërs» بمدينة «فيلوربان - Villeurbanne» بضاحية «ليون - Lyon» في 23 جوان 1959، نفذاها كومندوس مكون من ثلاثة أشخاص تابعين لل«ح.و.ج»، وهم (عبد القادر لعجل) مسؤول الفوج ومساعديه (فرحات ثابت) و(رابح حامد)، في حق ثمانية جزائريين اعترفوا بأنهم يدفعون الاشتراكات لل«ج.ت.و»، حيث تم اقتياد (عبد الله ماضي)، المسؤول عن جمع المال إلى الخارج ودُبح. وبعد أن صادر الكومندوس مبلغ 64 ألف فرنك قديم، أطلق نيران رشاشاته على البقية، الذين لم ينج منهم سوى شخص

(مصالي الحاج) بالخيانة، إنما كانت ذريعة لإعلان الحرب عليه.

¹ - سيأتي الحديث عن فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا في الفصل الثاني.

² - Djerbal (Daho), L'Organisation Spéciale de la fédération de France du FLN. Histoire de lutte armée du FLN en France 1956-1962, Chihab Editions, Alger, 2012, p 43.

³ - Stora (Benjamin), op cit, p 206.

⁴ - Méchat (Mohamed), Parcours d'un militant, chihab Editions, Alger, 2009, p 99.

واحد¹.

في مذكراته يروي ايضا (محمد أكلي بن يونس)² عملية نفذها عناصر تابعين للـ«ج.و.ج» يقول: "أتذكر يوم 13 مارس 1957 وهو التاريخ الذي كنا فيه ضحية اعتداء من عناصر الـ«ج.و.ج» في 31 شارع «بواسونيي - Poissonniers» بباريس، الدائرة الثامنة عشر، في فندقنا الخاص. لقد جاءوا، وأطلقوا النيران بطريقة عمياء في داخل المؤسسة ثم انصرفوا بسرعة. أصابوا شخصين: عمي (بن يونس محمد عراب) الذي أصيب في البطن والكتف، و(عمار ياكورن)، أحد نزلاء الفندق، أصيب في اليد"³.

امتدت المواجهة إلى بلجيكا حيث ورد في نداء من «ج.ت.و» إلى العمال الجزائريين المهاجرين إلى بلجيكا مؤرخ في نوفمبر 1957 دعوتهم إلى عدم الانجرار إلى العنف المصالي وضرورة احترام صداقة الشعب البلجيكي والقوانين البلجيكية، ومن بين الضحايا الذين وردت أسمائهم في النداء: (معاشي العلمي) الذي قتل في أول نوفمبر 1956، و(محمد صحراوي) الذي جرح في مارس 1957⁴. وفي منطقة «الसार - Sarre» وجهت «ج.ت.و» نداء من مدينة «ساربروكن - Saarbrücken»، مؤرخ في 20 سبتمبر 1958، إلى العمال الجزائريين المهاجرين في «الसार - Sarre» تتبرأ فيه من الهجوم الذي تعرض له معسكر للاجئين الجزائريين في مدينة «نوينكيرشن - Neunkirchen» والذي نفذته ستة أفراد مسلحين واستولوا على مبلغ 90 ألف فرنك. وفي بيان مؤرخ في 20 أكتوبر 1958 ردت الجبهة على الخبر الذي نشرته بعض الصحف الفرنسية في شهر أكتوبر، حول الحادث الذي وقع في مدينة «فولكلينجن - Völklingen»، حيث قام جزائري بالاعتداء المسلح على أحد مواطنيه وأصابه إصابات بالغة لأنه رفض دفع اشتراكه إلى «ج.ت.و»، وأوضحت

¹ - Haroun (Ali), La 7^e wilaya la guerre du FLN en France 1954-1962, Casbah Editions, Alger 2005, p 249.

² - (محمد أكلي بن يونس) من مواليد 13 نوفمبر 1936 في عين الحمام. التحق مبكرا بالنضال من أجل قضية التحرير الوطني. شابا غادر مسقط رأسه إلى فرنسا لمساعدة والده الذي كان يمارس نشاطا تجاري في مدينة «سان دوني - Saint-Denis»، ثم في حي «بارباس - Barbés» بالدائرة الثامنة عشر للعاصمة الفرنسية باريس. في الثامنة عشر من عمره التحق بجبهة التحرير الوطني بفرنسا وخاض كفاح طويل إلى غاية الاستقلال. في 2004 أصبح رئيسا لـ«جمعية المجاهدين لفدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا 1954-1962». وفي 2008 عين عضوا في مجلس الأمة ضمن الثلث الرئاسي.

Benyounes (Mohand Akli), Sept ans dans le feu du combat, La guerre d'Algérie en France 1954-1962, Casbah Editions, Alger, 2012, couverture finale du livre.

³ - Ibid, p 36.

⁴ - بوعزيز (يحي)، الاتهامات المتبادلة بين ميصالي حاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني 1946-1962، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 164.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

أن الصحافة الفرنسية لا هم لها سوى تشويه صورة الجبهة لدى السلطات في منطقة السار. وفي 12 أكتوبر 1958 قتل المدعو (سعيد سكو) في ظروف مماثلة للأحداث السابقة الذكر¹.

من أجل ذلك، وتحت ضغط القاعدة التي كانت تطالب بحق الدفاع عن النفس، قررت فدرالية الجبهة بفرنسا الرد الانتقائي باستهداف المسؤولين والمتورطين في أعمال العنف. وفي الفترة الممتدة بين منتصف شهر سبتمبر ومنتصف شهر أكتوبر 1957 سوف تفقد «ح.و.ج» أبرز قياديينها: (أحمد شماس) اغتيل في 20 سبتمبر 1957، وهو مسؤول «اتحاد نقابات العمال الجزائريين» والمعروفة اختصاراً بـ«إ.ن.ع.ج - U.S.T.A»² في منطقة باريس، (سعيد ملولي) اغتيل في 24 سبتمبر 1957، مسؤول فرع «إ.ن.ع.ج - U.S.T.A» في مصلحة المستخدمين في شركة «رونو - Renault» للسيارات، وفي نفس اليوم اغتيل (حسين ماروك) وهو عامل في صناعة المعادن، وشقيق (محمد ماروك) القيادي في «ح.و.ج»، (أحمد بخات) وجد مقتولا برصاصتين في قفاه، يوم 26 أكتوبر 1957 بأرض بور في مدينة «كولومب - Colombes»، وكان أمين عام لـ«إ.ن.ع.ج - U.S.T.A». أما (عبد الله فيلاي)، المساعد الأمين لمصالي، فقد أصيب بأربع طلقات نارية في الظهر يوم 07 أكتوبر 1957 في شارع «أونغيان - Enghien» ولفظ أنفاسه الأخيرة يوم 27 نوفمبر 1957 في المستشفى³. وفي نفس الشارع أيضا لقي (محمد ناجي)، أمين عام «إ.ن.ع.ج - U.S.T.A» في منطقة باريس، والمدعو (عنتر)، حتفه يوم 6 جوان 1959. وفي «كليشي - سو - بوا - Clichy-sous-Bois»، وهي بلدية صغيرة تقع في محافظة «سان - دونيز - Seine-Denis» في منطقة «إيل دو فرانس - Ile-de-France»، ويعيش فيها حوالي خمسون شخصا من المصاليين في فندقين. هذه البلدية شهدت مقتل جميع قادتها تباعا: (شريف عبد القادر) في 25 جويلية 1959، (قرقو محمد) في 29 أوت 1959، (مفتاح مختار) في 31 ديسمبر 1960. وفي بلدية «ليفري - قارقان - Livry-Gargan» جرح (سفيان محمد) جروحا خطيرة

¹ - يدعى مرتكب حادثة السار (محمد أمزيان) وهو عضو مناهض للجبهة، أي من المصاليين، وهو معروف لدى الجبهة بقتله لاثنتين من أعضائها في باريس، ثم تمكن من الهروب من فرنسا، وأنه ارتكب جريمته في السار بمساعدة الشرطة الفرنسية.

بوعزيز (يحي)، المرجع السابق، ص 169.

² - «إ.ن.ع.ج - U.S.T.A»: هي نقابة عمالية تابعة لـ«ح.و.ج»، تأسست بالجزائر في 14 فيفري 1956 ودخل في منافسة حادة مع «الاتحاد العام للعمال الجزائريين - UGTA»، التابع لـ«ح.و.ج» الذي تأسس 24 فيفري 1956.

³ - Messali-Benkelfat (Djanina), op cit, p205.

أنظر أيضا

Haroun (Ali), op cit, pp 257-258

انظر أيضا

Stora (Benjamin), op cit, pp 212-213.

أثناء عملية استهدافه يوم 3 أبريل 1961¹.

أما العملية النوعية، فهي تلك التي استهدفت الزعيم (مصالي الحاج) في 17 سبتمبر 1959، حيث نجح من محاولة اغتيال فاشلة تعرض لها أثناء تجواله بالقرب من إقامته في «شانتيلي - Chantilly»، وراح ضحيتها أحد حراسه وهو المدعو (علي جوادي)، في حين نجح الشاب الذي استهدفة من الإفلات بعد أن تسلل بين الأشجار. وهنا أيقن (مصالي الحاج) أن عملية اصطياده قد بدأت بالفعل، وأنه لم يعد في منأى عما يحدث لكوادركته². ولم يتأخر المصاليون للرد على محاولة اغتيال زعيمهم، فحسب تقرير للشرطة الفرنسية، فإنه بعد يوم من محاولة الاغتيال قام ثلاثة أشخاص مسلحين، مساء 18 سبتمبر 1959 على الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة، بمهاجمة مقهى تابع لجبهة التحرير، يقع في 26 شارع «شومين دو فير - Chemin-de-fer» بمدينة «روبي - Roubaix» الواقعة بالمنطقة الشمالية لفرنسا، ويديره المدعو (بلقاسم العيفا)، حيث أطلق المهاجمون النار على الزبائن وجرحوا ثلاثة أشخاص، ثم لاذوا بالفرار على متن دراجات هوائية³.

رغم فظاعة المواجهات بين الجبهويين والمصاليين، فإن فدرالية الجبهة، حسب (علي هارون)، لم تكن ترد بعمل مسلح شامل ومن دون تمييز، لأنها كانت على يقين بوجود مناضلين نزهاء وقعوا ضحية التضليل الممارس من 'الديماغوجيين المصاليين' وأن دعوة هؤلاء إلى الانضمام يعد خط سياسي ثابت متبع من قبلها نحوهم⁴. وفي هذا السياق وردت ملاحظة للأمن الفرنسي، مؤرخة في 21 فيفري 1959 تؤكد: "حسب تعليمات أعطيت مؤخرا والتي تسعى إلى تغيير موقف الجبهويين، فإنه، من الآن فصاعدا، ليس مقبولا قتل إخوة جزائريين. وكل مناضل من «ج.ت.و» يعتدي على حياة مناضل من «ح.و.ج» سيستحق

¹ - Stora (Benjamin), op cit, p 215.

² - يذكر (سطورا - Stora) أن الشاب الذي حاول اغتيال (مصالي) تردد في إطلاق النار بعد أن وجه مسدسه باتجاه (مصالي)، الذي كان يرمقه بنظرة ثابتة، وهذه المدة القصيرة هي التي سمحت لحراسه بالتدخل وإنفاذه من الموت. واعتقد أن الذي جعل الشاب يتردد في إطلاق النار هي الهيبة والقدسية التي كانت تحيط بشخص (مصالي).

Ibid, p 214.

ويذكر أيضا (محمد لجاوي) في مذكراته «vérités sur la révolution Algérienne» صص 77-78، انه عندما عينته (ل.ت.ب. - C.C.E) ليكون مسؤول فدرالية الجبهة بباريس في 1956 خلفا لـ(صالح لوانشي)، كلفة (عبان رمضان) بمهمة ثانوية وهي: "ضمان، بأسرع ما يمكن، التصفية الجسدية لمصالي الحاج" وأنه كان من حيث المبدأ يعارض تصفيته، ومهما كانت أخطائه، فإنه يعتقد أن اغتياله ستكون جريمة يمكن أن تسيء للقضية الجزائرية.

³ - Ibid, pp 214-215.

⁴ - Haroun (Ali), op cit, p 264.

الإعدام"¹. ومن بين ما جاء في نداء الفدرالية لتمرير هذه التعليمات في صفوف مناضلي الجبهة: "الحرب مستمرة منذ خمس سنوات ونحن قادرون على مواصلتها حتى استقلال وطننا لكن لا يمكن ربح المعركة إلا إذا أوقفنا الحرب بين الإخوة الجزائريين. يجب أن لا يكون، من الآن فصاعدا، إلا عدوا واحدا: فرنسا"².

من جهة أخرى، ذكرت فدرالية الجبهة بأرضية الصومام التي تنص على ضرورة مشاركة جميع الجزائريين في تحرير الوطن، وأعلنت في تعليمة مؤرخة في 14 أبريل 1959 بباريس متعلقة بالانشقاقات داخل الـ«ح.و.ج.»، أن صفوف الثورة مفتوحة إلى كافة المناضلين الذين يتخلون عن تقديس الأشخاص ويريدون المشاركة في المعركة ضمن «ج.ت.و.» ومستعدون للتضحية بأعز ما عندهم من أجل استقلال الوطن³. والظاهر أن هذه السياسة وُفقت في جعل العشرات من مناضلي الـ«ح.و.ج.» ينضمون فرادى وجماعات إلى فدرالية الجبهة. ففي ديسمبر 1958 استُقبل (أحمد نسبة)، مسؤول التنظيم في «ح.و.ج.» منذ 1955، وعضو المكتب السياسي منذ 1958، والإطارات المرافقة له، من طرف (عمر بوداود) رئيس فدرالية الجبهة وعبد الكريم سويسسي عضو لجنة الفدرالية⁴. وخلال اللقاء تم شرح حقيقية الأمور، وقد أبدى (أحمد نسبة) ومرافقيه رغبتهم في الإطلاع بأنفسهم على جيش التحرير الوطني، وهذا ما حصل فعلا، إذ سافروا إلى تونس لهذا الغرض. وبعد عودتهم شرعوا في شرح ما كانوا شاهدون عليه لمناضليهم⁵. وفي 18 سبتمبر 1958 نُشر في تونس تحذيرا إلى مناضلي «ح.و.ج.» موقع من طرف أعمدة في الحركة ببلجيكا وشمال وشرق فرنسا وهم: (أحمد نسبة)، مسؤول التنظيم وعضو المكتب السياسي، (بوجعة عليان)، قائد ولاية الشمال، (محمد بسطاوي)، قائد دائرة «موبوج - Maubeuge»، (رمضان دويش)، أمين قسمة «هورنو - Hornu» ببلجيكا، (ميلود بلهادي)، قائد دائرة «ليل-روبي - Lille-Roubaix»، (علي بابا علي)، (محمد رباحي)، (ساعد شيشة)، والثلاثة قادة في دوائر الشمال، (مختار حميدوش)، مسؤول السار. قام هؤلاء بتوجيه هذا التحذير على خلفية الأزمة الخطيرة التي تهمز منذ عدة شهور، ليس فقط، إطارات ومسؤولي «ح.و.ج.» بل

¹ - Chabrun (Laurent), La guerre de l'ombre, RG contre FLN, Editions Jacob Duvernet, Paris, 2011, p 48.

² - Ibid

³ - Haroun (Ali), op cit, p 271.

⁴ - تمت عملية الاتصال بطلب من (أحمد نسبة) بواسطة (حفيظ كيرمان) المدعو (مالك)، مسؤول في «ج.ت.و.» بمكتب «بون» بالألمانية الفدرالية. ولإثبات صدقهم قاموا بتسليم الأملاك التي كانت بحوزتهم، وهي سيارتين وحصة من السلاح، وكذلك تقريرا كاملا عن الوضعية الحالية للـ«ح.و.ج.».

Ibid, p 269.

⁵ - Ibid, pp 269-270.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

امتدت إلى القاعدة أيضا، وغايتهم، من ذلك كله، هي مساعدة المناضلين على رؤية الحقيقة ليتمكنوا من اتخاذ قرارهم على بيئة ومسؤولية كاملة.¹

كل هذه المستجدات جعلت (مصالي الحاج) يشعر بالصدمة وينقلب على أتباعه المعارضين لسياسته ويأمر بتصفيتهم، لا لشيء إلا لأنهم عبروا عن رغبتهم في الالتحاق بصفوق «ج.ت.و». ومن بين الضحايا: (مختار دعيد)، وهو أمين قسمة قتل في مدينة «مونس - Mons» ببلجيكا في جوان 1959، (على منصور)، وهو رئيس قطاع في «ليل - Lille»، (بلقاسم بسطاني)، وهو أمين قسمة، قتل في «فالنسيان - valenciennes» في جويلية 1959، (عمار آيت يحيى) قتل في باريس، وهو من المناضلين القدامى منذ 1936، (علي لغباش)، وهو صاحب قاعة سينما، قتل في أوت 1959.² ومهما كانت التبريرات التي يحاول كل طرف من طرفي الصراع، فإن كلاهما يتحمل المسؤولية التاريخية اتجاه الأرواح الجزائرية التي أزهقت من الجانبين

بالعودة إلى التساؤل الذي أثارناه عن الأسباب الحقيقية للمعركة الدموية بين «ج.ت.و» و«ح.و.ج» فإننا نلاحظ أن كلاهما يقود نفس المعركة، وأن كل واحد منهما يريد بالضبط ما يريده الآخر: نهاية النظام الاستعماري والاستقلال، لكن كل منهما يدعي بأنه الأكثر شرعية للتحدث باسم الشعب الجزائري. بالنسبة ل(مصالي الحاج) الذي يناضل قرابة الثلاثين سنة، تعرض خلالها للإقامة الجبرية، السجن وحتى النفي، فإن الشرعية تُستمد من التاريخ، وأن كفاح الشعب الجزائري لا يمكن فصله عن مساره الشخصي. فال«ح.و.ج» تعتبر نفسها الوريث الوحيد ل«ن.ش.إ. / ح.ش.ج. / ح.إ.ح.د»، وهذه التنظيمات السياسية إنما هي من صنع (مصالي الحاج) الذي من حقه أن يمارس فيها السلطة المطلقة من دون أن يشاركه فيها أحد. في المقابل فإن الشرعية الوحيدة بالنسبة للشباب الذين أسسوا «ج.ت.و» هي الفعل، فهم الأوائل الذين حملوا السلاح وكانت لهم الجراءة على تحدي النظام الاستعماري، فلهم وحدهم ولحركتهم يرجع شرف وميزة حمل علم الجزائر المقاومة. من جانب آخر كانت «ج.ت.و» تقدم نفسها على أساس أنها «شيء جديد» وتنظر إلى (مصالي الحاج) على أنه رجل ينتمي إلى الماضي وأن «المصالية» فقدت قيمتها ولم تعد تمثل سوى «مرحلة الشيخوخة» للوطنية الجزائرية، التي أوصلت الحركة الوطنية إلى طريق مسدود.³

الواقع أن (مصالي الحاج) لم يتوقع الاندلاع المفاجئ للثورة التحريرية، وكما ذكر (عبان بلعيد) في كتابه:

¹ - Haroun (Ali), op cit, pp 270-271.

² - Ibid, p 272.

³ - Abane (Belaïd), op cit, pp 483-484.

"شعر بمبادرة نوفمبر، كأنها اعتداء على سلطته. و"أبناءه"، كما يحلو له أن يسميهم، أقدموا على تفجير الثورة من دون ضوئه الأخضر... وهؤلاء الشباب "المجانين" تجرأوا على مجابهة القوة الاستعمارية... الواجب يحتم عليه الالتحاق بـ«ج.ت.و» والثورة، وبإمكانه حتى أن يكون على رأسها... في النهاية «ج.ت.و» لا قائد لها، وهو، [أي مصالي]، باعتبار أن صيته ذائع، يمكن أن يكون، بطبيعة الحال، الزعيم التوافقي الذي ينقصها، على أن يُطلب منه ذلك بإلحاح. لكن (مصالي) لن يذهب إلى «ج.ت.و»،... ويفضل أن يفجر ثورته الخاصة، واثقا من قدرته على استرجاع الأمجاد والمكاسب المخزنة من طرف الشرارة والنيران الأولى لنوفمبر. أسس «الحركة الوطنية الجزائرية-M.N.A»، التي أخذت مكان «ح.إ.ح.د» الذي لا يزال دافئا والذي حُل في 5 نوفمبر 1954. في بداية ديسمبر دخلت «ح.و.ج» التي أعلن الكوموندوس التابع لها عن نفسه ببعض العمليات الإرهابية في القطاع القسنطيني¹. وفي هذه النقطة بالذات، أي الاندلاع المفاجئ للثورة، والتخطيط لإزاحة (مصالي) كتبت (جنينة مصالي)، ابنة (مصالي الحاج)، أن تفجير الثورة في نوفمبر كان عملا متعجلا وفوضويا. وأن خيار الدخول في عملية حربية، بلا إدارة سياسية مشكّلة بشكل جيد وقادرة على مراقبتها وتوجيهها، تعد مجازفة غير محسوبة العواقب².

نفهم مما سبق أننا أمام حالة تشنج في المواقف وعدم الاستعداد للتنازل، وكل طرف يريد من الطرف الآخر أن يندمج، ولا مجال لبقاء الثورة برأسين. بالنسبة لـ«ج.ت.و»، وفي بيان أول نوفمبر 1954، أكدت رغبتها في إدماج المجتمع الجزائري بكل مكوناته في الكفاح التحرري: "...ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية الفرصة أن تنضم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر، [...] إن جبهة التحرير هي جبهتك وانتصارها هو انتصارك"³. ومنذ خروج (عبان رمضان) من سجن «ميزون كاري - Maison-Garrée»، «الحراش» حاليا، في جانفي 1955، أخذت هذه الرغبة طابعا عمليا، حيث تكثف الاتصال بالتشكيلات السياسية الجزائرية لإقناع قادتها ومناضليها بالانضمام إلى ركب الثورة التحررية والمساهمة في صناعة الاستقلال الوطني⁴. وفعلا فقد أعلن المركزيون في القاهرة التحاقهم بالجبهة، والتحق بها في تونس (فرحات عباس)، رئيس حزب «إ.د.ب.ج-

¹ - Ibid, pp 482-483.

² - Messali-Benkelfat (Djanina), op cit, p 204.

³ - بيان أول نوفمبر 1954.

⁴ - ذكرت (جنينة مصالي) في مذكراتها، في الصفحة 207، أن «ج.ت.و» وجهت الدعوة إلى جميع التشكيلات السياسية باستثناء «ح.و.ج» وهذا دليل على أن الجبهة كانت تخطط لتهميش الحركة وإزاحتها من المشهد السياسي الجزائري.

U.D.M.A» في ربيع 1956¹، وفي نفس الفترة انضم (أحمد توفيق المدني)، وهو أحد المسؤولين الرئيسيين في «ج.ع.م.ج - Olémas»²، وأعضاء من الـ«ج.ش.ج - P.C.A»، وكان الانضمام بصفة شخصية وليست حزبية³. أما (مصالي الحاج)، الوثائق بشكل مبالغ فيه في كونه الوريث الوحيد لتقاليد «ج.ش.ج / ج.إ.ح.د»، أكد بأنه يمثل التعبير السياسي لأغلبية الشعب الجزائري، وأن كل مفاوضات أو اتفاق لا يأخذ بعين الاعتبار وجوده ومطالبه سيكون مآله الفشل الأكيد. وفي منشور، وُزع في ديسمبر 1955 عنوانه "سلة السرطان - Le Panier de crabes"، وصف إدارة الجبهة بالإصلاحيين الذين تم فصلهم من «ج.إ.ح.د»⁴. إذن لا غرابة أب يسود جو من عدم الثقة بين التنظيمين، ولا غرابة أن تنزلق العلاقة بينهما إلى المواجهة المسلحة بالشكل المأساوي الذي عرضناه سابقا، ولا غرابة أيضا أن يكون مآل مساعي المصالحة الفشل.

جرت محاولات عديدة لتوحيد العمل بين «ج.ت.و» و«ج.و.ج»، وبُذلت وساطات عربية: مصرية مغربية، تونسية وليبية في نفس هذا الاتجاه. ففي صيف 1956، اقترب السفير المصري لدى باريس (كمال الدين محمود عبد النبي) من (مولاي مباح)، الأمين العام للـ«ج.و.ج» وحادثه في مسألة "توحيد الثورة في الجزائر وتجنب الاقتتال الأخوي". وفي ماي 1958 أكد قادة من «ج.و.ج» لصحفيين أمريكيين أنه قبل أقل من سنة، قام مسؤولون من «ج.ت.و» بالانفتاح بشكل محدد على (مصالي الحاج)، بهدف توحيد الحركة الوطنية، واقترحوا عليه أحد الكراسي الرئاسية للـ«ج.ت.و»⁵. وفي شهر فيفري 1958 اتصل (مهدي بن

1 - في حوار أجرته معه قناة «أنتان 2 - Antenne 2» الفرنسية في 25 أكتوبر 1980 ذكر فرحات عباس: "في شهر ماي 1955 استقبلت في بيتي مسؤولين من «ج.ت.و»، الكولونيل (أوعمران) والمرحوم (عبان رمضان) وطلبوا مني مساعدتهم، وتحدثنا. قلت لهم هل تسمحون لي بالذهاب إلى فرنسا للبحث عند الفرنسيين وسيلة لإيقاف هذه الحرب؟ فسمحوا لي."

2 - حسب (محمد حربي) فإن الشيخ البشير الإبراهيمي، رئيس «ج.ع.م.ج»، كان متواجدا في الشرق الأوسط عندما اندلعت الثورة التحريرية. كان يعمل إلى جانب (أحمد مزغنة)، ممثل (مصالي الحاج)، على تشكيل جبهة موحدة بين التنظيمات الموجودة ورفض السيطرة السياسية للـ«ج.ت.و». وفي الوقت الذي كان فيه (مزغنة) مسجوناً من قبل السلطات المصرية، بطلب من «ج.ت.و»، فإن الشيخ الإبراهيمي تمت إزاحته من الحياة السياسية.

Harbi (Mohamed), op cit, p 110.

3 - نذكر من بينهم (فرناند إيفتون - Fernand Iveton)، (عبد القادر قروج)، (جورج أكمبورا - Georges Acampora)، (يحي بريك)، (فليكس كولوزي - Félix Colozzi)، و(محمد حشلاف). وانضمام «ج.ش.ج» إلى الجبهة، تم على إثر الاتفاق الموقع بينهما في 1 جويلية 1956.

4 - Harbi (Mohamed), Le FLN. Mirage et réalité, des origines à la prise du pouvoir (1954-1962), édition Jeune Afrique, Paris, 1980, p 178.

5 - Valette (Jacques), La guerre d'Algérie des Messalistes 1954-1962, L'Harmattan, Paris, 2001, p 120.

بركة)، زعيم حزب الاستقلال المغربي، بالـ«ح.و.ج» بهدف تشكيل جبهة موحدة مع «ج.ت.و»، وفي بلجيكا التقى (فرحات محمد)، وهو مسؤول الـ«ح.و.ج» في بلجيكا، رئيس محكمة طرابلس في ليبيا، والذي كان في زيارة خاطفة إلى (بروكسل)، حيث نصح هذا الأخير وباسم الملك الليبي (إدريس الأول)¹ بالتقارب بين «ج.ت.و» و«ح.و.ج»، وعرض تسهيل هذا التقارب. فاقترح (فرحات) أن يقوم الملك بعقد ندوة تجمع فيها مبعوثين عن الجبهويين والمصاليين بمشاركة ممثلين عن الدول الإسلامية. وفي حالة فشل الندوة يمكن للـ«ح.و.ج» نشر إعلان لكي توضح للرأي العام الإسلامي نيتها الصداقة ورغبتها الحقيقية في التفاهم². وفي 22 جانفي 1959 اغتنم الرئيس التونسي (الحبيب بورقيبة) إطلاق السلطات الفرنسية سراح (مصالي الحاج) في 18 جانفي 1959 ليكتب له رسالة، المغزى الذي يُفهم منها بعد الانتهاء من قراءتها، أنه يدعو إلى نسيان الخصومات القديمة والإسراع بالانضمام إلى الجبهة وتأسف للصراع بين الإخوة وتصفية الحساب بين الوطنيين والذي يضعف مجهود الأمة في التحرر. فعن «ج.ت.و» قال: "إن أولئك المناضلين الذين تمرسوا على صلابة النضال في مدرسة نجم شمال إفريقيا ثم «ح.ش.ج» ثم «ح.إ.ح.د» هم الذي يشكلون اليوم قوام «ج.ت.و» والعناصر الفدائية لجيش التحرير الوطني والأغلبية الساحقة للمحافظين السياسيين.... إن تجمعاً هائلاً لكافة القوى الحية وجميع العناصر الصالحة، أي المصممة على النضال حتى النصر، قد نشأ وسط الشعب الجزائري الذي استطاع بذلك أن يحقق المعجزة ويُفشل منذ أكثر من أربع سنوات جميع القوات المسلحة الفرنسية، مدعماً في ذلك بمساعدة لا مشروطة من الشعبين الشقيقين"³.

أما خطابه لـ(مصالي) فكان بنبرة المعاتب: "إن ما صرفهم عنك [يقصد شباب «ج.ت.و»] وبصفة عامة عن جميع السياسيين هو المنظر المحزن لخصوماتهم وعجزهم وذلك في وقت بدأ فيه على طرفي شمال إفريقيا العمل المسلح للشعبين التونسي والمغربي تحت قيادة جيدة وتنظيم قوي، وهو العمل الذي بدأ يعطي نتائج حاسمة... لقد تأسفت كثيراً لكون هذا التجمع غير ملتف حولك. وسيكون الأمر مأسوياً إذا تم بدونك وأشد مأسوياً إذا كان في النهاية ضدك. ولما رأيت كل هذا

1 - (إدريس الأول) هو (محمد إدريس المهدي السنوسي)، أول وآخر ملوك ليبيا بعد استقلالها في 1951. حكم من 24 ديسمبر 1951 إلى 1 سبتمبر 1969، تاريخ الانقلاب الذي نفذته بعض الضباط الشباب يقودهم (معمر القذافي) وتم إلغاء الملكية وإعلان النظام الجمهوري. (توفي إدريس الأول) في القاهرة في 25 ماي 1983.

Cheurfi (Achour), L'Encyclopédie Maghrébine, Casbah Editions, 2006, p 535.

2 - Stora (Benjamin), op ct, p 220.

3 - (هارون علي)، الولاية السابعة حرب ج.ت.و في فرنسا 1954-1962، ترجمة الصادق عماري ومصطفى ماضي، تذييل محمد بوضياف، منشورات القصة، الجزائر، 2006، صص 347-349.

وأحسست به في نفسي، نصحتك في أول مرة بأن تنسى، ولو لبعض الوقت، اللوم القديم والخصومات القديمة والإقصاء القديم، فقد صار كله لا يساير الزمن بل يبعث على الرثاء، وأن تنضم بطريقة استعراضية وبلا تردد إلى التجمع الجديد الذي له شرف مهيب في خوض معركة قاسية من أجل استقلال الجزائر... ولم يفهموا [أي المناضلين] كيف أن الرجل الذي كانت حياته كلها مثالا للعناد ونموذجا للتضحية لا يعرف كيف يضحي بالأحقاد وحب الذات من أجل تحقيق إجماع الشعب الجزائري وهو شرط انتصاره... قم بهذا التصرف الذي أطلبه منك وأقسم لك أنك لن تتأسف عليه¹.

إضافة إلى هذه الوسطات وغيرها، فقد بُذلت أيضا محاولات بينية مثل مشروع الإعلان المشترك بين «ج.ت.و.» و«ح.و.ج.» في 17 جوان 1957 في سجن «لا سونتي - La Santé» بين (أحمد بن بلة) و(محمد ماروك)، عضو المكتب السياسي لل«ح.و.ج.»، المعتقلين هناك². لكن بعد ثمانية وأربعين ساعة من التفكير لمح (بن بلة) ل(ماروك) بأنه لن يتمكن من توقيع الإعلان "بسبب الوضعية الخاصة التي يتواجد فيها". ومما جاء في الإعلان: "المسؤولون الموقعون عن جبهة التحرير الوطن والحركة الوطنية الجزائرية المعتقلين في سجن لاسونتي، يعلنون بأنهم تحركهم الرغبة في رؤية التنظيمين يعملان ببرنامج موحد لإعداد وتطبيق برنامج قادر على وضع حد وبسرعة للسيطرة الاستعمارية في الجزائر، ويوجهون نداء إلى المقاومين والمناضلين من التنظيمين لتجنب كل مواجهة بين الإخوة، والتي لا تخدم سوى العدو، ولتركيز كل الجهود ضد قوى الاحتلال في الجزائر³. إن رفض (أحمد بن بلة) التوقيع على الإعلان المشترك بحجة أنه غير مستعد لتحمل هذه المسؤولية وحده، يوجد، في اعتقادي، ما يفسره وهو مبدأ القيادة الجماعية الذي اعتمدته الجبهة منذ تأسيسها ورفضها لأي انفراد بالقرار، في حين أن (محمد ماروك) كان مستعدا لتوقيعه باسم «ح.و.ج.». وتساءل (خالد مرزوق) في كتابه: "يمكن أن نتساءل كم من آلاف الجزائريين جرفهم هذا النزاع، وكم كان بإمكان إنقاذهم بهذه الحركة البسيطة [يقصد التوقيع] التي رفض السيد (أحمد بن بلة) القيام بها، ولم تكن له شجاعة (محمد ماروك)⁴. وهكذا فإن فشل مبادرات

1 - انظر نص الرسالة في (هارون علي)، المصدر السابق، صص 347-349. وفي (Haroun Ali), op cit, pp 266-268.

2 - ظهرت فكرة مشروع الإعلان المشترك على إثر اتصال قامت به «ح.و.ج.» في روما مع (أحمد محساس)، أحد المقربين من (أحمد بن بلة)، حيث تم إعداده لعرضه على هذا الأخير، المسجون آنذاك في سجن «لا سونتي - La Santé» بفرنسا.

3 - أنظر نص الإعلان المشترك كاملا في Harbi (Mohamed), Les Archives ...op cit, p 140.

4 - Merzouk (Khaled), Messali Hadj, et ses compagnons à Telemcen récit et anecdotes de son époque 1898-1974, Editions El-dar El Othmania, Alger, 2008, p 317.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

التقارب والصلح بين «ج.ت.و» و«ح.و.ج» حول العلاقة بينهما إلى معركة، الانتصار يكون فيها للأفضل، وهو الأكثر عزيمة والأكثر استعدادا للحرب والأكثر إيلا ما للآخر¹.

لقد حُسمت المعركة لصالح «ج.ت.و». ومنذ 1957 بدأت «ح.و.ج» تفقد الساحة شيئا فشيئا في فرنسا وأوروبا، كما فقدتها من قبل في الجزائر، وبدا أن الجزائريين أصبحوا يميلون أكثر فأكثر إلى صف الجبهة، ولم تشفع، لا مكانة ولا سمعة ولا كاريزمية (مصالي الحاج) في إنقاذه وإنقاذه حزيه من الغرق. وفي اعتقادي أن النهاية المأساوية التي آل إليها (مصالي) وحزيه، إنما هي محصلة سياسات ومواقف اعتمدها الرجل منذ اندلاع الثورة في أول نوفمبر 1954، والتي حرمته من رؤية الأوضاع على حقيقتها وبالمعطيات الواقعية، وليس كما يريد هو أن يراها. وأول هذه المواقف: نسب الثورة إلى نفسه وإيهام الرأي العام الوطني بأنه مفجرها، ووجه تعليمات إلى (مولاي مرياح) مثله الشخصي بالجزائر يطلب منه إبلاغ أنصاره بفرنسا والجزائر بأن لا يسألوا عمن يقف وراء الثورة وأن يواصلوا غمار الكفاح ويحاولوا السيطرة على الحركة. ومع أن هذه التعليمات لم تصل (مرياح)، لأن السلطات الاستعمارية اعتقلته، إلا أنها تدل على أن (مصالي) أراد خطف الثورة من مفجريها². وسار الرأي العام في غالبيته الساحقة وراء هذا الاعتقاد إيمانا منه بأن الثورة لا يمكن أن يعلنها إلا (مصالي). من أجل ذلك رأت «ج.ت.و» بأنه من الضروري، بل من الواجب، كما ذكر (محمد لبحاوي)، توضيح: "بأن «ج.ت.و» وليس «ح.و.ج» من فجر ثورة أول نوفمبر. وأن «ج.ت.و» وليس «ح.و.ج» من يوجه الانتفاضة ويقود الكفاح على التراب الوطني، وترجم من الآن فصاعدا تطلعات الغالبية العظمى للشعب. فهي إذن من يجب، من أجل نفس الكفاح، تنظيم العمال الجزائريين في فرنسا. يكفي أن نقنعهم بذلك: وبالتالي لا مجال للشك في مواقفهم³. وفي كتاب «Autopsie d'une guerre» كتب (فرحات عباس): "إن الرجل الذي استحوذ على "الوطنية" والذي جعل منها على ما يبدو عقيدة له، وفرس القتال لديه، فإن مصالي الحاج لم يبارك انتفاضة أول نوفمبر 1954. بل على العكس، فقد ارتكب أول خطأ له وهو يرفض رئاسة جبهة التحرير الوطني التي عرضها عليه "الأبطال التاريخيون الستة" الذين كانوا يوجدون آنذاك في الجزائر العاصمة. وارتكب الخطأ الثاني في محاولة منه للنيل من هؤلاء الرجال ونسب فضل هذه الانتفاضة لـ«ح.و.ج»، أي لنفسه⁴.

¹ - Abane (Belaïd), op cit, p 571.

² - انظر شهادة (مولاي مرياح) في عباس (محمد)، رواد الوطنية، شهادات 28 شخصية وطنية، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، صص 336-352.

³ - Lebjaoui (Mohamed), op cit, p 76.

⁴ - Abbas (Ferhat), Autopsie d'une guerre, L'Aurore, Alger-Livres Editions, Alger, 2011, p 61.

لكن مع مرور الوقت واتساع نطاق الثورة، بدأ يتضح للجميع أن ادعاءات (مصالي) لا أساس لها من الصحة وأن القائد الحقيقي لحركة التحرر الوطني من الاستعمار الفرنسي إنما هي «ج.ت.و» مما أدى بالعديد من المناضلين إلى فقدان الثقة في (مصالي) ومراجعة مواقفهم بالهجرة فرادى وجماعات من حزبه إلى «ج.ت.و». والأمر الثاني يتعلق بتهمة التعاون مع الحكومة الفرنسية ضد «ج.ت.و»، وصل البعض إلى اتهامه بالخيانة والمطالبة بإعدامه وتصفيته جسدياً¹. وظهر هذا التعاون في الجزائر فيما عرف بـ«قضية بلونيس»² والشكوك التي أثّرت بشأن علاقته بـ(مصالي الحاج)³ وفي فرنسا في الغطاء الذي كانت تقدمه الشرطة الفرنسية

1 - يذكر محمد حربي في كتابه «Le F.L.N mirage et réalité» في ص 157 أن مواقف (مصالي الحاج) اتجاه الجبهة دفع بعض قادة الثورة إلى معاداته ومناهضته بشراسة وفي مقدمتهم (محمد بوضياف) و(عبان رمضان) لدرجة أنهما اتهماه بالخيانة وصمموا على تصفيته.

2 - ارتبطت «قضية بلونيس» بـ(محمد بلونيس)، وهو من مواليد 1912 في مدينة «برج منايل» التابعة حالياً لولاية «بومرداس». وكان في بداية حياته السياسية مناضلاً في صفوف «ح.ش.ج» و«ح.إ.ح.د». وبعد اندلاع الثورة عهد إليه (مصالي الحاج) في بداية 1955 قيادة «ج.و.ش.ج - A.N.P.A»، وهو الجناح العسكري للـ«ح.و.ج» والموازي للـ«ج.ت.و - A.L.N» الذراع العسكري للـ«ج.ت.و». وتحول هذا الجيش إلى حالة من العمالة المكشوفة للجيش الفرنسي ابتداء من أوت 1957، ووجد (بلونيس) نفسه على رأس قوة عسكرية مدعومة بالجيش الاستعماري الفرنسي بوحدات التدخل السريع المعروفة بفرقة «الصدمة 11»، ودخل في حرب حقيقية مع «ج.ت.و» في الولاية الثالثة وهي القبائل والولاية الرابعة وهي الجزائر العاصمة وضواحيها. وقد تمكنت وحدات «ج.ت.و» من دحر (بلونيس) وهزيمته لتكون نهايته مأساوية إذ تمت تصفيته من طرف الجيش الفرنسي في 14 جويلية 1958 في ظروف غامضة في العملية العسكرية التي يطلق عليها الجيش الفرنسي تسمية «عملية أشجار الزيتون».

ينظر مزيد من التفاصيل حول «قضية بلونيس» وشخصيته في: بوعزيز (يحيى)، المرجع السابق، صص 145-154. وفي: شبوط (سعاد يمين)، الولاية الرابعة في مواجهة الحركات المناوئة للثورة الجزائرية 1954-1962، دار الهدى، الجزائر، 2015، صص 87-158. وفي Cheurfi (Achour), Dictionnaire de la révolution..., op cit, p 57-58.

3 - في تعليمية داخلية للـ«ح.و.ج» حول «قضية بلونيس» صادرة في صيف 1957 وأوردها (محمد حربي) في كتابه «Les archives de la révolution algérienne» ينفي فيها علمه وعلم حزبه بالاتصالات القائمة بين (بلونيس) والجهات العسكرية الفرنسية واعتبرها مناورة من الاستعمار الفرنسي، وأن (بلونيس) أخلف عن أداء واجبه، عندما لم يعلم الحزب بتحركاته والتي هي من صلاحيات القيادة، وإطلاقه لتصريحات مخالفة للخط السياسي للحزب وتكره للـ«ح.و.ج». من خلال كل هذه التصرفات تحول غلى لعبة في يد الإمبريالية. لكن (جنينة مصالي) تعترف بأن «قضية بلونيس» أساءت كثيراً للـ«ح.و.ج» وتسببت في سقوطها.

أنظر المزيد من التفاصيل حول هذه النقطة في:

Harbi (Mohamed), Les archives de la..., op cit, pp 147-149.

ينظر أيضاً:

Messali (Djanina Benkelfat), op cit, pp 236-244.

ينظر أيضاً:

Merzouk (Khaled), op cit, pp 316-319.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

لـ«أفواج المواجهة» التابعة لـ«ح.و.ج» ونقابة «إ.ن.ع.ج - U.S.T.A» التابعة لها أثناء قيامها بعمليات إطلاق نار عمياء على المقاهي والمطاعم والفنادق التي يرتادها المحسوبين على «ج.ت.و»¹. والأمر الثالث يتعلق بالدعوة إلى "طاولة مستديرة" يشارك فيها جميع الجزائريين وبلا إقصاء لمناقشة مستقبل الجزائر. ولما أرادت الحكومة الفرنسية استغلال ذلك لصالحها، قامت بإطلاق سراح (مصالي الحاج) في 18 جانفي 1959، بهدف نزع صفة الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري عن «ج.ت.و» في أي مفاوضات مستقبلية مع الحكومة الفرنسية. فالـ«ح.و.ج» والقوة الاستعمارية كلاهما يرفض تقديم «ج.ت.و» على أنها الممثل الوحيد للشعب الجزائري. والغريب في الأمر أن (مصالي الحاج) الذي كان يعلن بأن حركته وحدها تمثل الشعب الجزائري قد تنازل عن هذا المطلب بموافقة على مبدأ الطاولة المستديرة وطرح نفسه كأحد الممثلين للشعب الجزائري إلى جانب مختلف الاتجاهات الوطنية. ففي شهر جانفي 1959 صرح: "أتمنى أن ألاقى حول مائدة مستديرة إخواني في القاهرة، أولم أكن أول من دعا إلى هذه الطاولة المستديرة لكي تتاح لكل الممثلين الرسميين للحركات الوطنية الجزائرية أن نبث إمكانية التفاوض"². وهنا نتساءل هل كان هذا الموقف من (مصالي الحاج) مبني على تنسيق بينه وبين الحكومة الفرنسية أم هو مجرد التقاء واتفق في المصلحة؟³.

المؤكد هو أن تلك التصريحات أثرت في مسار المفاوضات بين «ح.م.ج.ج» والحكومة الفرنسية إذ تم تأجيل المفاوضات التي كانت من المفروض أن تنعقد بينهما من 07 أفريل إلى 20 ماي 1961، حيث صرح

1 - حول هذه النقطة يذكر (علي هارون): "إن عناصر الأفواج المسلحة لـ«ح.و.ج» مزودون في الأغلب ببطاقات نقابية كوسيلة ضرورية لتسهيل مرورهم إذا حدث أن أوقف الفوج المسلح خلال عملية القتل التي يقوم بها ، من طرف الشرطة الفرنسية... وكانت المقاهي والمطاعم والفنادق والأمكنة العامة المفترض دفعها الاشتراك لـ«ج.ت.و» تفتش بدقة من طرف الشرطة التي تتأكد من لا أحد يحمل السلاح. وبعد هذا التفتيش مباشرة يظهر في أحيان كثيرة كوماندوس لـ«ح.و.ج»... يظهر كما لو كان ذلك صدفة فيطلق بكل اطمئنان نيران الرشاشات على الزبائن. فلا يبقى لـ«ج.ت.و» إلا إحصاء موتاهم وللشرطة الفرنسية العودة إلى الأمكنة لإجراء معاينة "تصفية الحساب بين شمالي إفريقيا" وهي المعاينة التي تجريها للمرة الألف". هارون (علي)، المصدر السابق، صص 337-338.

2 - France Observateur, n° du 29 /01/1959 عن لونييسي (إبراهيم)، المرجع السابق، ص 72.

3 - كانت الحكومة الفرنسية قد جربت صيغة الطاولة المستديرة خلال المفاوضات في «إكس-لي-بان- Aix-les-Bains» مع مختلف اتجاهات الحركة الوطنية في المغرب الأقصى والذي أفضى إلى الاستقلال السياسي للمغرب في 1956. وهذه الصيغة تتمثل في وجود حكومة فرنسية واحدة تحاور عدة شركاء من السكان الأصليين، الذين لا يوجد أي تنسيق بينهم وبالتالي ستكون الحكومة الفرنسية الأكثر استفادة من هذه الصيغة.

Elsenhans (Hartmut), La guerre d'Algérie 1954-1962. La transition d'une France à une autre. Le passage de la IV^e à la V^e république, préface de Gilbert Meynier, traduction par Vincent Goupy, Editions Edif 2000, Alger, 2010, p 831.

(لويس جوكس - Louis Joxe)، ممثل الوفد الفرنسي في المفاوضات، من وهران أنه سيتفاوض تباعا مع «ح.و.ج.» و«ح.م.ج.ج.»¹ إلا أنه في نهاية المطاف فشلت «ح.و.ج.» في مساعيها أمام الخطاب الواضح ل«ج.ت.و.» بأن لا تفاوض إلا بعد قبول التعامل مع حقيقة أنها الممثل الشرعي الحقيقي والوحيد للشعب الجزائري. ويبدو أن الحكومة الفرنسية استوعبت ذلك فأوقفت كل الاتصالات مع «ح.و.ج.» بداية من نهاية أفريل 1961 باعتبار أن الحركة لم تعد تمثل أي قوة سياسية في الجزائر، وأن خطابها وإن كان يبدو أكثر انفتاحا، من «ج.ت.و.» على المبادرات الفرنسية إلا أنها لا يمكن أن تفرض نفسها في المفاوضات إلا بممارسة المزايدة فيما يتعلق بمطالب «ح.م.ج.ج.»². ويذكر (علي هارون) أن في السنة الأخيرة من الحرب: "تقلصت «ح.و.ج.» حتى لم تعد إلا ظل نفسها، واقتصرت على صرف طاقتها الضعيفة في الاستعطاف لقبولها على طاولة المفاوضات. ويتابع (مصالي) إذن من قصر «توتفوا - Touevoie» مفاوضات إيفيان حول وقف إطلاق النار. وهكذا ظل على الهامش في وقت حاسم يتقرر فيه مصير الجزائر المستقلة"³.

الأمر الرابع هو أن «ح.و.ج.»، كما ذكر (بلعيد عبان) في كتابه، جعلت من مسألة تحييد «ج.ت.و.» مهمتها الأساسية وليس مواجهة الاحتلال وهذا ما جعل رسالتها اتجاه الشعب تشوبها ضبابية فيما تريده الحركة، وتعمقت تلك الضبابية مع انفجار «قضية بلونيس» في الجزائر وأعمال «أفواج المواجهة» في فرنسا، حتى أن الشيء الوحيد الذي أصبح يقال عن «ح.و.ج.» وزعيمها بأنهما الأعداء الألداء ل«ج.ت.و.» وليس للاستعمار الفرنسي. في المقابل فإن رسالة «ج.ت.و.» كانت واضحة وبسيطة تتمثل في التحرير والاستقلال في إطار وحدة الشعب والوحدة الثورية، ولا تساهل مع الخونة وأعداء الوطن ومفرقي الصفوف والمنحرفين عن الطريق الصحيح للثورة والذين يعادون الاستعمار لحسابهم الخاص. فالجبهة ستضل القائد الوحيد للثورة مهما كان الثمن الذي يجب دفعه⁴. ومما جاء في الكتاب: "إذا أردنا في النهاية النظر في عمق الأشياء، سنلاحظ أن المصاليين حاربوا ليس الاستعمار لكن «ج.ت.و.»، من أجل انتصار مصالي والمصالية، مشوهين بذلك معنى كفاحهم والتزامهم الماضي. نسجل أيضا أنه في أعينهم، أصبح الاستقلال هدفا ثانويا أو حتى ساخرا أمام "خطر ج.ت.و." التي تهدد بتفكيك تمثال الزعيم. أما بالنسبة ل«ج.ت.و.» المنزعج للانقسام، وتشتت القوى والخيبة، فقد كان يقاتل للمحافظة على الوحدة الثورية، الضرورية

1 - لونيسي (إبراهيم)، مصالي الحاج في مواجهة جبهة التحرير الوطني خلال الثورة التحريرية، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 72.

2 - Elsenhans (Hartmut), op cit p 835.

3 - هارون (علي)، المصدر السابق، ص 358.

4 - Belaïd (Abane), op cit, pp 517-518.

للانتصار على الاستعمار، مع الاقتناع بالتحرك من أجل الصالح العام¹. الأمر الخامس يتمثل في التشويش الذي كانت تقوم به «ح.و.ج» على تحركات الجبهة. ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في الإضراب العام لمدة ثمانية أيام الذي أمرت به فدرالية الجبهة بفرنسا ابتداء من 28 جانفي 1957 امتثالا لقرار «ل.ت.ت»، حيث قامت «ح.و.ج» باختيار نفس اليوم لتدخل هي أيضا في إضراب لكن ليوم واحد. ففي اليوم الأول بلغت نسبة الإضراب 40 % وكان من الصعب معرفة حصة كل واحد من الطرفين من هذه النسبة من المضربين. وفي الأيام المولية التي كان فيها الإضراب جبهويا سجلت الاستجابة نسب قياسية إذ تراوحت بين 75 و 80 % مما أعطى دفعا قويا للجبهة ورفع الشك حول مدى تمثيلها للشعب الجزائري، وفضح حقيقة «ح.و.ج» وشكك في مدى قدرتها على التعبئة².

ما يمكن أن نحتفظ به بعد استعراضنا للصراع المأساوي والمؤسف بين «ج.ت.و» و«ح.و.ج» هو أن الخاسر الأكبر فيه هم الجزائريون أنفسهم. والدم الجزائري الذي سال على يد جزائريين آخرين في ذلك الصراع يجعل، في اعتقادي، نشوة الفرح بالاستقلال فيها مرارة مزمنة سوف تلازم الجزائريين كلما استذكروا ما حدث. وإن كان البعض يرى في المأساة الضريبة التي كان يجب دفعها للوصول إلى الاستقلال، إلا أن البعض الآخر يرى أن الطرفين المتقاتلين لم يبذلوا الجهد الكافي لتجنب الجزائريين اختيار أحد الطرفين في الوقت الذي كانا يكافحان من أجل هدف واحد.

أما المواجهة الثانية التي خاضتها «ج.ت.و» فكانت مع «ق.ش.م - F.P.A»، والتي أنشئت في 30 نوفمبر 1959، بقرار من الوزير الأول آنذاك (ميشال دوبري - Michel Debré)³، وهي شرطة من الجزائريين وتعرف أيضا باسم «الحركة - Les Harkis»⁴ وهي عبارة عن شرطة مساعدة مكونة فقط من

¹ - Ibid, p 520.

² - Haroun (Ali), op cit, pp 259-260.

³ - (ميشال دوبري - Michel Debré) رجل سياسي فرنسي، وعضو في حزب «تجمع الشعب الفرنسي - R.P.R» منذ تأسيسه في 1947. عينه الرئيس (شارل ديغول) كأول رئيس حكومة في الجمهورية الخامسة من جانفي 1959 إلى أفريل 1962. كان (دوبري) من أشد أنصار "الجزائر فرنسية".

, consulté http://www.larousse.fr/encyclopedia/personnage/Michel_Debr%C3%A9/115862 le 19 février 2016 à 09:32.

⁴ - «الحركة - Les Harkis» ومفردها «حركي» وهي لفظة تطلق على الجزائريين الذين خدموا كقوة مساعدة في الجيش الفرنسي، واختاروا أو أجبروا، في بعض الحالات، على القتال إلى جانب فرنسا ضد إخوانهم الجزائريين. تأسست أول وحدة للـ«حركة» في نوفمبر 1954 في منطقة الأوراس للقتال إلى جانب الجنود الفرنسيين، وابتداء من 1956 شكلت وحدات منهم مؤطرة من ضباط فرنسيين، وهم من يقوم، عادة، بعمليات التمشيط في الجبال.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

الجزائريين، توضع تحت تصرف مدير شرطة باريس، ويتم إشراكها في الحرب المكثفة على «ج.ت.و» في باريس. وقد تم استنساخها عن القوات المساعدة التي استخدمها النظام الاستعماري في الجزائر¹. تعود فكرة إنشاء هذه الفرقة إلى النقيب (ريموند مونتنيير - Raymond Montaner)²، الذي لعب دورا أساسيا في إعداد الآلة القمعية ضد الجزائريين في باريس حيث تتواجد أحياء «نوننير - Nanterre» القصديرية، والتي كانت من بين الأماكن المحتضنة لنشاط فدرالية جبهة التحرير في باريس.

أبدت «ج.ت.و» صرامة شديدة في التعامل مع «ق.ش.م - F.P.A»، إذ توعدهم بالعقاب المناسب لاصطفافهم إلى جانب العدو ضد أبناء وطنهم ودعتهم إلى مراجعة مواقفهم وعدم الثقة في المستعمر والالتحاق بالثورة قبل فوات الأوان. وهذا ما تضمنه النداء الذي نُشر في جريدة المجاهد، ثم وزع في شكل

للمزيد من المعلومات عن هذه الفئة ينظر:

Cheurfi (Achour), Dictionnaire de la révolution..., op cit p 181-2.

¹ - لمزيد من المعلومات عن «قوة الشرطة المساعدة - F.P.A»، ينظر:

Ageron Charles-Robert, **Les supplétifs Algériens dans l'armée française pendant la guerre d'Algérie**, in : Vingtième Siècle, revue d'histoire, n° 48 octobre-décembre 1995. Pp. 3-20.

ينظر أيضا:

Vallat Remy, **Un tournant dans la « Bataille de Paris » : l'engagement de la force de police auxiliaire (20 mars 1960)**. Vichy et les colonies, In Outre-mers, tome 91, n° 342-343, 1^{er} semestre 2004, Pp. 321-344.

ينظر أيضا:

Péju (Paulette), **Ratonnades à Paris, précédé de Les harkis à paris, préface de pierre Vidal-Naquet, introduction de Marcel Péju, postface de François Maspero**, EDIF 2000, Alger, 2010, pp 25-133.

² - ينتمي (ريموند مونتنيير - Raymond Montener) إلى فئة المستوطنين الجزائريين المعروفة باسم «الأقدام السوداء»، وهو من مواليد 1912 في مدينة «بوفاريك»، شارك في حرب الهند الصينية (1947-1954)، ثم عمل في «ف.إ.م - S.A.S» في مدينة «الخميس» قرب الحدود المغربية، ولاحقا عين ضابطا في «ف.إ.ح - S.A.U» على مقاطعة الجزائر التي تحوي الحي القصديري الضخم في «كلو صلومبيي - Clos-Salembier»، «المدنية» حاليا، والذي تعتبره السلطات الاستعمارية في الجزائر، أحد المعاقل الرئيسية لـ«ج.ت.و». انخرط في العمليات التي كانت تقوم بها وحدات «الحركي» في الجزائر والمعروفة باسم «أصحاب البزة الزرقاء - les bleus de chauffe» والتي قامت بحملة ضد «ج.ت.و» في العاصمة خلال معركة الجزائر.

House (Jim) et MacMaster (Neil), Paris 1961. **Les Algériens, la terreur d'état et la mémoire**, Traduit de l'anglais par Christophe Jaquet, Casbah Editions, Alger, 2012 p 109.

منشور. ومما جاء فيه: "[...] تحرص فرنسا الاستعمارية على كل قطرة من دم أبنائها وكالمعتاد تفضل علأن يسفك دم الأجانب في حروبها على الشعوب التي تريد إبقاءها تحت سيطرتها. لهذا السبب جندتكم ودربتكم وقذفت بكم في حرب مفتوحة على إخوانكم المهاجرين بفرنسا." وأبدت فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا تفهمها للضغوط التي يتعرضون لها من العدو، لكن ذلك ليس مبررا للرضوخ لها. وجاء في هذا الصدد: "إننا على دراية بالحيل والضغط والابتزاز التي مورست عليكم من قبل أولئك الذين يعرضونكم عن قصد لضربات مواطنيكم. أي معنى سيكون لموتكم حينئذ؟ عليكم أن تطرحوا على أنفسكم فورا هذا السؤال."¹

في المقابل أوضحت بأنه بوسعها الرد بقوة إذا تعرض أمن مواطنيها المهاجرين بفرنسا للخطر، وحينها تقوم الصحافة الفرنسية باستغلال ذلك لتظهر بأن كفاح الجزائريين ما هو إلا تصفية حسابات بينهم وأنهم غير قادرين على التحكم في مصيرهم: "بوسعنا - كما أكرهنا على فعله في السابق حينما تحتم علينا القضاء على العديد من أعوان العدو والخونة والمرشدين، إلخ- أن نرد بقوة الوسائل نفسها على العمليات التي ستكونون أنتم منفذيها الغافلين. ستحدث حينها الصحافة الفرنسية عن «تصفية حسابات بين الجزائريين» زاعمة أن ذلك نتيجة تشتت صفوفنا وأنا غير قادرين على أن نتحكم في مصيرنا." وفي الأخير أوضحت بأن الجزائر ستستقل لا محالة، وأنهم سيكونون في النهاية الخاسر الأكبر، وعليه ليس لهم خيار سوى الالتحاق فورا بالثورة: "إن الاستعمار بترنح وأجل اندثاره وهزيمته قد قرب [...] غدا سيتخلى عنكم ولن تكونوا في نظره سوى عملاء دون قيمة تذكر. كيف ستصبحون في جزائر ستعود لشعبها بأسرع مما تضمنون ؟ [...] عليكم باتخاذ قراركم. التحقوا بصفوف الثورة الجزائرية قبل فوات الأوان²." ويذكر (علي هارون) بأن النداء لم يلق نجاحا، إذ لم تستجب إلا القلة القليلة منهم³. وقد وضعت فدرالية الجبهة تهديداتها قيد التنفيذ في الهجوم الذي دبرته «المنظمة الخاصة»، الجناح العسكري للفدرالية بفرنسا، في 23 أكتوبر 1960، على مقرات «ق.ش.م» أو «الحركي» في الدائرتين الحضريتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة، وأسفرت عن مقتل عضوين من «المنظمة الخاصة»، وجرح ثلاثة، إضافة إلى جرح ضابط شرطة

¹ - El Moudjahid, V3, n°68, du 05-08-1960, pp 188-189.

² - El Moudjahid, op cit.

³ - Haroun (Ali), op cit, p 411.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

وثمانية من «الحركي»، وأعلنت الفدرالية مسؤولتها الكاملة عن الهجمات¹. وحسب المؤرخ الفرنسي (بيار فيدال ناكي - Pierre Vidal-Naquet)، فإن (عمار العدلاي) لم يكن يجذب اللجوء إلى التصفيات الجسدية في التعامل مع «ق.ش.م» بل كان يفضل استعادتهم إلى الصف الوطني وكان ينظر إليهم كمساكين ضالين عن جادة الحق. وكان يرى من الأجدى هيكلتهم في الثكنات للقيام بعمل ذي صدى كإحداث تمرد داخل الثكنة أو الفرار الجماعي، وهكذا عمل يكون مردوده أكبر من التأثير منهم².

حاولت الحكومات الفرنسية المتعاقبة الاستثمار في تلك المواجهات، على ثلاث مستويات: المستوى الأول: الحرب الأخوية بين «ج.ت.و» و«ح.و.ج»، من جهة، وبين التنظيمين و«ق.ش.م» أو «الحركي»، من جهة أخرى، رغم أن هذه الأخيرة هي قوة شرطة مساعدة لشرطة باريس شكلت أصلاً لمواجهة نشاط الجبهة، وحتى «ح.و.ج»، إلا أن العمليات التي تقوم بها ضد الحركات الوطنية، والعمليات التي تنفذ ضدهم، كانت الصحافة تدرجها ضمن الحرب الأخوية بين الجزائريين³. والهدف هو استغلال "حرب الإخوة الأعداء" لإعطاء الانطباع بأن ما يسمونه ثورة تحريرية إنما هي حرب على الزعامة، وأن هؤلاء المتمردين لا يمثلون إلا أنفسهم، والدليل هو أن جزائريين (الحركي) تجندوا إلى جانب فرنسا، ضد إخوانهم. المستوى الثاني: عمليات المداومة والاعتقالات ضد الفدرالية وكوادرها لإبراز مدى يقظة مختلف الأجهزة الأمنية وقدرتها على توجيه الضربات الموجعة، المستوى الثالث: العمليات التي تنفذها الفدرالية في فرنسا رداً على أعدائها ووصفها بالإرهاب.

اعتادت الصحافة الفرنسية أن تملأ صفحاتها بأخبار عمليات تصفية الحسابات الدموية بين الإخوة الأعداء «ج.ت.و» و«ح.و.ج». ونقلت جريدة «لورييبليكان لوران - Le Républicain Lorrain»

¹ - Amiri (Linda), op cit, p 106.

² - ينظر التوطئة التي كتبها (بيار فيدال ناكي - Pierre Vidal-Naquet)، لكتاب: Paulette (Péju), op cit, p 9.

³ - رغم أن «ق.ش.م» كانت من الأجهزة الأمنية الملحقة بشرطة باريس إلا أن الصحافة لم تكن تنظر إليها باعتبارها جهاز أمن فرنسي. فجريدة «فرانس سوار - France Soir» في عدد 5 أكتوبر 1961 كتبت مقالا عن سلسلة الاعتداءات المسلحة وقعت ليلة أمس في فندق "شمال إفريقي" ولم تتعرض لمقتل أحد «الحركي» إلا في آخر المقال. أما جريدة «لورور - L'Aurore» قدمت قاتل ذلك «الحركي» على أنه شخص من نفس الديانة.

D'oop Guillaume. **Les Algériens acteurs des faits divers pendant la guerre d'Algérie.** mémoire de maîtrise d'histoire sociale, sous la direction de Michel Pigenet, Université Paris I Panthéon Sorbonne, 2001.

<http://barthes.ens.fr/clio/revues/AHI/articles/volumes/dhoop.html> consulté le 3-9-2016 à 19:20.

حادثة وقعت في 3 نوفمبر على الساعة العاشرة مساء في حي «غرونال - Grenelle» بالدائرة الحضرية 15 بباريس، حيث جرح شخص من أصول شمال إفريقية بعد تعرضه لإطلاق نار بمسدس من إخوانه في الدين، لكنه نجا من الموت بعد أن لجأ إلى مركز شرطة الحي، أين صرح بأنه سجن في قبو أحد الفنادق الذي لم يتعرف على اسمه لأنه اقتيد إليه وهو معصوب العينين¹. وكتبت جريدة «باري جورنال - Paris-Journal»، عن حادثة اقتتال، وقعت بين شخصين من أصول شمال إفريقية في أحد فنادق «كولومب - Colombes»، حيث تعرض (بن حاج عمار)، 37 سنة، وأحد نزلاء الفندق، ومناضل في «ح.و.ج»، لهجوم في غرفته من جزائري آخر، أين أطلقا النار على بعضهما البعض ليصاب الرجلين بجروح قاتلة². وعادت جريدة «باري بريس - Paris-Press»، إلى عملية تقتيل، وقعت في نوفمبر 1957 على الساعة الثانية صباحا، وراح ضحيتها ستة أشخاص من أصول شمال إفريقية كانوا نائمين في أحد فنادق «بوندي - Bondy»، حيث تم التعرف على منفذ العملية، وهو فوج مسلح تابع لـ«ح.و.ج» من خلال ضراوة العمليات التي ينفذها. وتضيف الجريدة أن الفوج نفسه قام في أواخر مارس 1958 على الساعة العاشرة مساء بإعدام جماعي الخمسة أشخاص، أعضاء في نقابة «إ.ع.ع.ج - U.G.T.A»، التابعة لـ«ج.ت.و»، بقاعة الأكل في مسكن مستأجر يشارع «مابيون - Mabillon»³. وفي نفس اليوم تحدثت جريدة «فراس سوار - France-Soir» عن فصل جديد للصراع بلا هوادة بين «ج.ت.و» و«ح.و.ج» وقع أمساء أمس في مقهى فندق ملك لاحد الشمال الإفريقيين، في 7 شارع «ليجليز - L'Eglise» بـ«دوي - Deuil»، حيث اغتيال فوج مسلح متكرر بزي الشرطة، شخصين من أصول شمال إفريقية، من أتباع (مصالي الحاج)، بطلقات نارية من مسدس، بعد أن أوهموهم بأنهم من الشرطة جاءوا للقيام بعمليات دهم⁴. و نشرت جريدة «لوفيجارو - Le Figaro»، خبر اكتشاف جثتي مسلمين جزائريين داخل أكياس بلاستيكية بمنطقة «لوفالوا - Le Vallois» تم قتلهم خنقا⁵. وفي جريدة «لوموند - Le Monde» نقرأ خبر عن (آيت عبد اللووا) الجزائري الساكن بـ«فوارون - Voiron»، الذي احتجز من طرف مناضلين تابعين لـ«ج.ت.و» في عمارة بـ«فونتان - Fontaine» بالقرب من مدينة «جرونوبل - Grenoble»، حيث قفز من نافذة بالطابق الأول فكسرت جمجمته وتشم أحد فكيه ونقل على إثره إلى المستشفى⁶. و في بلجيكا نشرت جريدة «لوسوار - Le Soir» خبر عن تصفية حسابات بين جزائريين في مدينة «هورنو - Hornu»، حيث تمكنت الشرطة من الوصول إلى شقة

¹ - Le Républicain Lorrain du 9 Novembre 1957.

² - Paris-Journal du 27 mars 1958.

³ - Paris-Press du 26 avril 1958.

⁴ - France-Soir du 26 avril 1958.

⁵ - Le Figaro du 25 avril 1958.

⁶ - Le Monde du 13 avril 1960.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

الضحايا بإتباع آثار الدم لأحد الجرحى لتكتشق ضحيتين في حالة مزرية استدعى نقلهم إلى مصحة «لويس كاتي - Louis Caty» بـ«بودور - Baudour»¹. وأورد (علي هارون) في كتابه «الولاية السابعة» مظهرا آخر لتوظيف الصحافة الفرنسية لصراع فدرالية الجبهة بفرنسا مع «ح.و.ج» المصالية، وهو التعاطف والتحيز الواضح لبعض صحف اليسار إلى جانب الحركة المصالية ضد الفدرالية، من بينها أسبوعية «دومان - Demain» التي يشرف عليها (أندري فيرا - André Ferat)²، وجريدة «لأناسيون سوسياليست - La Nation Socialiste» التي يشغل فيها (أوغوست لوكور - Auguste Lecœur)³ عضو لجنة الإدارة، والتي لا تولي أي اعتبار لمقتل مناضلين في فدرالية الجبهة من طرف المجموعات المسلحة التابعة لـ«ح.و.ج»، وعندما ترد الفدرالية بالمثل فإنها تسارع للتعبير عن استنكارها ضد قتلة «ج.ت.و»، ويصفونها بالاتجاه البرجوازي الواقع تحت تأثير مشترك بين القاهرة وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁴.

على المستوى الثاني والمتمثل في عمليات المداومة والاعتقالات ضد الفدرالية وكوادرها، كانت الصحافة الفرنسية تحتفي بالعمليات الكثيرة والمتكررة التي تنفذها مختلف الأجهزة الأمنية الفرنسية، والتي ذكرنا نماذج منها أعلاه⁵. وكانت في كل مرة تعبر عن فرحتها بقطع رأس «ج.ت.و» في الميتروبول، خاصة في مرحلة تأسيس الفدرالية في فرنسا⁶. وتزداد الأخبار أهمية وإشهارا عندما يتعلق الأمر باكتشاف الأسلحة والذخيرة، حيث نقلت جريدة «لوفيجارو - Le Figaro» خبر اكتشاف شرطة «دي.أس.تي»، في الأسبوع الأخير، مخزون هام من الأسلحة في مرأب بـ«قينييسيو - Vénissieux» يضم: 100 مسدس آلي عيار 7,65 مم و9 مم مع 200 مشط، 100 قنبلة يدوية و48 رشاش مخبئين في صناديق تحت سلات الخضر. وذكرت الجريدة أيضا أن هذه الترسانة من الأسلحة من المحتمل أنها كانت موجهة لأفواج المواجهة التابعة لـ«ج.ت.و» لاستخدامها في حربها ضد الـ«ح.و.ج»⁷.

¹ - Le Soir du 27 décembre 1958.

² - (أندري فيرا - André Ferat): هو الرئيس السابق للفرع الكولونيالي بالحزب الشيوعي الفرنسي، ثم تحول، بعد ذلك، إلى عضوية اللجنة المديرة بالـ«ف.أ.ع - S.F.I.O»، أي الحزب الاشتراكي الفرنسي.

Haroun (Ali), op cit, p 258.

³ - (أوغوست لوكور - Auguste Lecœur): هو عضو سابق في الحزب الشيوعي الفرنسي.

Ibid.

⁴ - Ibid, p 258.

⁵ - كان ذلك في الفصل الثاني من الباب الأول، في النقطة التي عالجنا فيها ملاحقة الأجهزة الأمنية لفدرالية الجبهة للحد من نشاطها على التراب الفرنسي وفي الدول الأوروبية المجاورة.

⁶ - Haroun (Ali), op cit, p 27.

⁷ - Le Figaro du 25 avril 1959.

أما المستوى الثالث فهي الحملات الإعلامية الشرسة التي تشنها الصحافة ضد العمليات التي تنفذها الفدرالية في فرنسا منذ أن قررت «ج.ت.و» في 1958 نقل الثورة إلى التراب الفرنسي. والمتغير الأول والبارز الذي يمكن ملاحظته هي العبارات المستخدمة لتوصيف العمليات العنيفة. في السابق كانت الصحف تستخدم عبارة «تصفية الحسابات بين الشمال الإفريقيين - Règlements de comptes entre Nord-africains» لأن ما كان يحدث بين الجزائريين من اقتتال ليس هو المشكلة، وإنما ما يترتب عن ذلك من إخلال بالنظام العام، والفرنسيين الذين قد يذهبون ضحية ذلك. وفيما يتعلق بهذه النقطة الأخيرة، فإن الصحف الفرنسية كانت تدرج الضحايا الفرنسيين من الاقتتال الجزائري-الجزائري ضمن «القتل الخطأ» أو «اللامبالاة»، مثلما حدث لطالب أصيب بجروح بعد إطلاق النار من مسدس بـ«إيسي لي مونييلو - Issy-les-Moulineaux»، لأن الذين أطلقوا النار عليه حسبوه جنديا، لأنه كان يرتدي قميصا يشبه قمصان الجنود¹. وفي 14 جوان 1958 نشرت معظم الصحف حدث اغتيال امرأة في العشرين تدعى (ليون كامبيون - Léone Campion) بـ«كونفلان سانت أونورين - Conflans-Sainte-Honorine» من طرف مناضلين في فدرالية الجبهة كانوا يراقبون أحد الفنادق التابعة لـ«ح.و.ج» ليلا، ولما لمحا ظلي رجلين أطلقوا النار باتجاههما وكانت (كامبيون - Campion) يوم ذاك ترتدي سروالا². ومع توسع العمليات وارتفاع عدد الضحايا من الفرنسيين، بدأت الصحافة تستخدم عبارة «الإرهاب الشمال الإفريقي - terrorisme Nord-africains» أو «اعتداء إرهابي - attentat terroriste»، وتقدم «ج.ت.و» و«ح.و.ج» كحركات عنيفة تضرب بطريقة تعسفية، وأعضاءها لا يمكن أن يكونوا إلا أسوأ المجرمين الجزائريين في المتروبول، وموجهين من قبل أشباه السياسيين وهذا يؤدي إلى فقدان المطالب الجزائريين البعد الوطني. ومن جانب آخر، أصبحت الصحف تظهر تعاطف مع الضحايا الجزائريين من المهاجرين، الذين رغم دفعهم للضرائب - وتقصد الاشتراكات - بطريقة إرادية إلا أنهم يسقطون ضحايا لتصفية الحسابات. وبهذه الكيفية فإن رد فعل الرأي العام الأوروبي من النزاع، بالصورة التي تروج لها الصحافة، هو أن يكون متفهما لكل الإجراءات التي تتبناها فرنسا، وحتى ولو كانت قمعية، لحماية المهاجرين الجزائريين من الذين يريدون استخدامهم لتصفية الحسابات³.

مما سبق يتجلى أن الرأي العام كان محل تجاذب بين مختلف أطراف الصراع، وهذا التجاذب جعله غير قادر على اتخاذ مواقف ثابتة والتي عادة ما كانت تتأثر بتوفير الاستقرار وتحسين المستوى المعيشي. وقد حرص

¹ - L'Aurore du 18 septembre 1958.

² - Chabrun (Laurent), La guerre de l'ombre RG contre FLN, préface de Benjamin Stora, Editions Jacob-duvernet, Paris, 2011, pp 46-7.

³ - D'oop Guillaume. Op cit.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

المتصارعون في استراتيجياتهم على كسب تعاطفه ومساندته والسير خلف أطروحاته.

الفصل الثاني: إستراتيجية جبهة التحرير الوطني اتجاه الرأي العام في فرنسا وأوروبا الغربية

وعيا منها بأهمية الرأي العام في معادلة الصراع مع الاحتلال الفرنسي، وضعت «ج.ت.و» إستراتيجية تقوم على جعله جزء من الحل للمعضلة الاستعمارية بإقحامه بقوة في السجال وإقناعه بأن استقراره السياسي والاقتصادي والاجتماعي مرهون لما ستؤول إليه قضية الشعب الجزائري. ومن المعالم البارزة لهذه الإستراتيجية بالنسبة لفرنسا وأوروبا الغربية نذكر:

1 - تأسيس فدرالية لجبة التحرير الوطني في فرنسا

في الوقت الذي كانت فيه «ج.ت.و» تواجه القوات الاستعمارية الفرنسية على الأرض الجزائرية، كانت تخوض مواجهة ثانية موازية على الأرض الفرنسية بواسطة تأسيس فدرالية لتعبئة الجالية الجزائرية في المهجر وتجنيدتها لتقديم الدعم اللازم للثورة ولتكون ذراعها الضارب للاستعمار في عقر داره، ناقلة بذلك، ولأول مرة في تاريخ الثورات الشعبية، الحرب إلى أرض البلد المحتل، وهو ما اعتبره بعض المؤرخين الفرنسيين الحالة الوحيدة في العالم التي شهدت هذه الصيغة من الكفاح¹.

الواقع أن فدرالية فرنسا، كتنظيم سياسي، لم تنشأ مع جبهة التحرير الوطني، وإنما كانت متواجدة من قبل، إذ كانت تابعة لـ«حزب الشعب الجزائري- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية» «ح.ش.ج- ح.إ.ح.د- P.P.A-M.T.L.D» التي يتزعمها (مصالي الحاج)، والذي حدث فيما بعد هو انتقالها من إدارة وسلطة حزب (مصالي الحاج) إلى إدارة وسلطة جبهة التحرير الوطني، وهذا الانتقال هو أحد مظاهر الأزمة التي عصفت بـ«ح.ش.ج- ح.إ.ح.د- P.P.A-M.T.L.D» منذ أفريل 1953، حيث لم يستوعب ولم يستسيغ البعض، خاصة العناصر الشابة، استمرار الحركة الوطنية في أساليبها السياسية التقليدية في التعامل مع الاستعمار الفرنسي، رغم عقمها وعدم جدواها، في ظل تمسكه بنهج الاستعماري، وأفضى ذلك إلى تبلور

¹ - نذكر من بين هؤلاء المؤرخين: "هنري بويو" (Henri pouillot)، وكان جنديا احتياطيا في الجيش الفرنسي خلال ثورة التحرير الوطنية من جوان 1961 إلى مارس 1962، وشاهد على عمليات التعذيب التي مارسها الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ومن المؤمنين بأنه لا يمكن طي الصفحة المأساوية للاستعمار الفرنسي نهائيا إلا إذا تم الاعتراف رسميا بجرائمه. ونذكر أيضا المؤرخ (جان لوك إينودي- Jean-luc Einaudi) الذي استدعي إلى محكمة الجنايات ليورد كشاهد على مجازر 17 أكتوبر 1961 أثناء محاكمة "موريس بابون" (Maurice Papon) في قضية اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، وصاحب كتاب: *La Bataille de Paris – 17 octobre 1961*

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

شعور قوي وإرادة قوية بضرورة إعادة النظر في المنظومة النضالية المعتمدة في مواجهته، وأدى في نهاية المطاف إلى قيام الثورة وإجبار الجميع على الخضوع لمنطقها.

من المفيد أن نذكر بأن الحركة الوطنية، بمختلف تياراتها، ومنذ نشأتها بعد الحرب العالمية الأولى وإلى غاية اندلاع الثورة التحريرية في 01 نوفمبر 1954، لم تكن علاقاتها مع الاحتلال الفرنسي إلا سلسلة من الخيبات، وذلك بسبب الطريقة غير الجدية وغير الصادقة للحكومات الفرنسية المتعاقبة في التعاطي مع مطالبها، حتى تلك التي تتماشى مع أطروحاتها وتصوراتها للصفة التي يكون عليها المجتمع الجزائري ضمن الدولة الفرنسية. لقد دأب الاستعمار الفرنسي على طرح مشاريع إصلاحية لفائدة بعض الجزائريين كلما شعر بالغليان الشعبي وتوقع ردود أفعال عنيفة ضد سياساته الاستفزازية والقمعية، بهدف امتصاص الغضب الشعبي ليس إلا. ويكفي الاطلاع على مضامين تلك المشاريع الإصلاحية للتأكد بأنها صيغت من أجل فئة قليلة من المجتمع الجزائري الذي حرم غالبية أبنائه منها¹. لكن مجازر 08 ماي 1945 هزت المجتمع الجزائري في العمق ولم يهضم كيف أن فرنسا التي حارب معها ومن أجلها، ودفع خيرة الشباب لتحريرها يكافأ بحمام دم وبتلك الطريقة الوحشية²، وضد الشباب الناجون من المجازر من جهة والمجندون الجزائريون العائدون من جبهات القتال في تونس وإيطاليا ومقاطعة «الألزاس - l'Alsace» وألمانيا، من جهة أخرى، بمنظر قراهم المدمرة وعائلاتهم المنكوبة، فأصيبوا بخيبة عميقة، ووقفوا، مرة أخرى، على حقيقة نكران فرنسا للجميل وسخريتها من تضحيات الجزائريين وتطلعاتهم، وشعروا بأنهم استخدموا كوقود لحروبها ليس إلا، فتأججت مشاعر الغضب في قلوبهم³. وكان السؤال الجوهرى الذي طرحه كل جزائري على نفسه هو: ماذا يمكن للجزائريين أن يقدموه

1 - بعد الحرب العالمية الأولى وإلى غاية بداية ثورة التحرير الوطني في الأول من نوفمبر 1954، ظهرت العديد من مشاريع الإصلاح أهمها: «إصلاحات 4 فيفري 1919» في عهد الأمير خالد، «مشروع بلو فيوليت» في 1936 في عهد حكومة الجبهة الشعبية برئاسة (ليون بلوم - Léon Blum)، «أمرية ديغول» في 7 مارس 1944 في عهد حكومة فرنسا الحرة، «دستور الجزائر أو القانون الخاص» في 20 سبتمبر 1947.

2 - أشار الدكتور (جمال قنان) في كتابه: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الصادر عن منشورات المتحف الوطني للمجاهد في 1994، صص 205-206، إلى تضارب الأرقام والتقديرات التي قدمتها مختلف المصادر بالنسبة للضحايا الجزائريين، فتقرير (بول توبر - Paul Tubert) يذكر 1500 قتيل، والعسكريين منفذي المجازر 07 أو 08 آلاف قتيل، والقوى السياسية الوطنية استقر العدد لديها عند 45 ألف قتيل، أما المصدر المحايد، وهو الجانب الأمريكي، فقد قدر عدد الضحايا بين 40 و50 ألف قتيل. ومهما يكن من أمر هذه الأرقام فإن الحكومة الاستعمارية الفرنسية أوقفت تحقيقاتها خوفا من اكتشاف هول المأساة أمام الرأي العام.

3 - Ben Khedda (Benyoucef), Les origines du 1^{er} novembre 1954, Editions Dahlab, Alger,

لفرنسا أكثر من الدم حتى ترضخ لمطالبهم؟ وما الذي يجب فعله لحملها على فعل ذلك؟ وبعد انطلاق الثورة بدا واضحا أن هناك ثلاثة أطراف أساسية وفاعلة هي التي ستصنع المشهد في الجزائر وفي فرنسا وفي أوروبا وتمثل في «جبهة التحرير الوطني - F.L.N»، «الحركة الوطنية الجزائرية - M.N.A»¹ والحكومة الفرنسية.

في فرنسا كانت الجالية الجزائرية محل اهتمام مختلف الأحزاب السياسية الوطنية التي كانت تسعى لاستقطاب أكبر عدد من المنخرطين، فحزب «إ.د.ب.ج - U.D.M.A» الذي أسسه (فرحات عباس)، كان تواجهه جد محصور وتأثيره محدود في وسط المهاجرين بسبب طابعه النخبوي ومطالبه الاندماجية². أما الحزب الشيوعي الجزائري فلم يكن له أي تواجد يذكر باعتبار أنه كان تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي، وكان الشيوعيون الجزائريون مصنفون ضمن ما كان يعرف بـ«المجموعات اللغوية» التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي. ومن جهتها فإن «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» لم يكن لها إلا أقلية من الممثلين على التراب الفرنسي³. في المقابل استقطب «ح.ش.ج - ح.إ.ح.د - P.P.A-M.T.L.D» عدد كبير من المهاجرين الجزائريين الذين وجدوا فيه المعبر الحقيقي عن تطلعاتهم، باعتبار أن طابع الحزب استقلاليا يكافح لاستعادة السيادة الوطنية ويدعو الجميع للمساهمة في النضال الوطني ضد الاحتلال الفرنسي، والمحصلة هي أن الحزب بقي بلا منافسه حقيقية في أوساط المهاجرين⁴. وبعد انقسام الحزب وظهور الصراع بين «المصاليين» و«المركزيين» فيما يعرف بـ«أزمة ح.ش.ج، ح.إ.ح.د» في 1953، تمكن (مصالي) من كسب تعاطف وولاء غالبية أعضاء فدرالية فرنسا. لكن مع ظهور «اللجنة الثورية للوحدة والعمل - ل.ث.و.ع - C.R.U.A» في 23 مارس 1954⁵، والتي

1989, pp 105-106

¹ - (ح.و.ج - M.N.A) هو حزب أسسه (مصالي الحاج) في 01 ديسمبر 1954 كبديل لـ(ح.إ.ح.د - M.T.L.D) الذي حلته السلطات الاستعمارية الفرنسية في 05 نوفمبر 1954، بعد اتهامه بالوقوف وراء عمليات 01 نوفمبر 1954. وتحول هذا الحزب الجديد إلى منافس لـ(ج.ت.و) ليس في الجزائر فقط ولكن في فرنسا أيضا، وأدت إلى وقوع مواجهات دموية بينهما وعرفت هذه الظاهرة بـ«حرب الإخوة الأعداء».

Ben Khada (Benyoucef) , op cit, p 250.

² - كان (محمد بومنجل) هو الأمين العام للحزب في فرنسا، وكان الحزب يسعى إلى إقناع الحكومة الفرنسية بأنهم أمل فرنسا الوحيد في الجزائر وأن الفيدرالية بين فرنسا والجزائر هي الضمان الوحيد لعدم انزلاق الأوضاع إلى الأسوأ، كما أبدوا أسفهم لتنامي تيار الوطنية المتشدد الذي تقوده «ح.إ.ح.د».

³ - Ibid, p 105.

⁴ - Ibid, p 106.

⁵ - «اللجنة الثورية للوحدة والعمل - C.R.U.A» هي تنظيم سياسي أسسه جماعة من مناضلي «ح.إ.ح.د» الشباب الذين

تحولت عشية اندلاع الثورة التحريرية إلى «جبهة التحرير الوطني - ج.ت.و - F.L.N»، فإن هذه الأخيرة تجاوزت صراع «المصاليين» و«المركزيين» لتعلن الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي. وكانت فدرالية فرنسا حينذاك تضم عضوين مؤسسين لـ«ل.ث.و.ع - C.R.U.A» وهما (محمد بوضياف)، الذي كان يشغل منصب مسؤول التنظيم، و(ديدوش مراد)، الذي كان نائبه، وذلك في الفترة الممتدة بين 1953-1954¹. من أجل ذلك فإن موقف غالبية المناضلين الجزائريين بفرنسا خلال السنوات الأولى من الثورة التحريرية كان موقفا مؤيدا لـ(مصالي الحاج) وحزبه الجديد «الحركة الوطنية الجزائرية - ح.و.ج - M.N.A»، أي حوالي 8 آلاف مناضل يقدمون مساهمات متنوعة لحساب الحركة². وهذا أمر طبيعي جدا نظر للمكانة التي يحض بها في أوساط المهاجرين، الذين كانوا يعتقدون بأن «الزعيم»، وهو الاسم الذي كان يطلق على (مصالي)، هو الذي يقف خلف العمليات التي سمعوا عنها في بداية نوفمبر 1954، ويجهلون حقيقة التنظيم السياسي الجديد المدبر الفعلي لها، وهو «ج.ت.و»³.

رفضوا الانخراط في الصراع الدائر بين «المصاليين» و«المركزيين» من أجل الزعامة، وانتقل للإعداد الفعلي للعمل المسلح، ومنها انبثقت «جبهة التحرير الوطني».

Cheurfi (Achour), Dictionnaire de la révolution..., op cit, pp 111-112.

1 - كان مكتب فدرالية فرنسا التابع لـ«ح.إ.ح.د» عشية انقسامها في 1953 تتكون من: اللجنة الفدرالية، وتضم كل من (بولكرو موسى) وهو رئيس اللجنة المركزية، (بوضياف محمد) المدعو (إسماعيل) وهو مسؤول التنظيم، (يزيد امحمد) المدعو (زبير) وهو مكلف بالتنسيق مع اللجنة المركزية للحزب، إضافة إلى (بولحروف الطيب)، (بوزفران إيدر) المدعو (بوعلام)، (مونجي زين العابدين) المدعو (حسين). أما الأعضاء الدائمون الآخرون فهم: (بن مهل توفيق) مكلف بالإعلام، (بلعلى عيسى) إداري، (بلوشراني عمر) مندوب لدى الكونفدرالية العامة للشغل، (ديدوش مراد) مساعد مسؤول التنظيم، (حمر العين) مسؤول نقابي، (ينات صالح) مكلف بالإدارة العامة، (زورور بشير) ملحق لدى (مصالي الحاج). بالنسبة للمسؤولين الجهويين الدائمين نجد: (عمرون سعيد) المدعو (مصطفى)، (بن فرحات بوسعيد) المدعو (عمر)، (بن سالم فوضيل) المدعو (نور الدين)، (قراس عبد الرحمان) المدعو (عمار)، (العدلاني عمار) المدعو (صالح)، (طربوش مراد). أما المساعدون فهم: (خنشول علي) مساعد (العدلاني) في الشمال و(موزارين سعيد) المدعو (محبوبي صالح) مساعد (قراس) في «ليون - Lyon».

Haroun (Ali), op cit, p 437.

2 - Djerbal (Daho), L'organisation Spéciale de la Fédération de France du FLN, histoire de la lutte armée FLN en France (1956-1962), Chihab Editions, Alger, 2012, p 37.

3 - ارتفع مقام (مصالي الحاج) وازدادت سمعته انتشارا، خاصة في العالم العربي، بعد أدائه فريضة الحج وقيامه بجولة في المشرق العربي، وبمناسبة انعقاد دورة الأمم المتحدة في باريس، عندما كانت مقرا للهيئة الدولية، وقبل نقلها نهائيا إلى نيويورك، أقام (مصالي) في 2 ديسمبر 1951، في «فندق دو بارك - Hôtel du Parc» الكائن في مدينة «شانتيي - Chantilly»، مقر إقامته الجبرية، حفل استقبال على شرف الشخصيات السامية العربية والإسلامية، فأصبح، بذلك، يحتل مكانة دولية زادت من إعجاب وتمسك العمال الجزائريين بشخصه. ومن بين تلك الشخصيات الحاضرة (عزام باشا) الأمين العام للجامعة العربية، (محمد صلاح الدين) وزير خارجية مصر، (فارس الخوري)

من المهم أن نشير إلى أن فدرالية (ح.إ.ح.د - M.T.L.D) تأثرت بالأزمة التي كانت تمر بها الحركة ولم تعد تدري إلى أي جناح من الجناحين المتصارعين تقدم ولاءها، وأصابتها الانقسام هي أيضا. صحيح أن غالبية أعضاء الفدرالية بقوا أوفياء ل(مصالي)، وأن قلة قليلة رفضت الالتحاق به¹، لكن الواقع يقول بأن الأزمة لم يتم احتواءها في الجزائر، بل امتدت إلى فرنسا أيضا، وتلك الجماعة القليلة هي التي شكّون النواة الأولى ل(ج.ت.و - F.L.N) في فرنسا. من جهة أخرى فإن اللجنة الوحيدة التي لم تتخذ موقفا من الأزمة، هي لجنة قسمة «سوشو - Sochaux» في شرق فرنسا² التي «افتعلت كل الحجج لتجنب اتخاذ موقف من الجناحين المتصارعين، رغم ضغط القاعدة عليها، إذ بقيت تنتظر حتى تُكوّن رأيا صحيحا حول ما يجري»³. وهذه القسمة ستكون أول قسمة تابعة ل(ج.ت.و) على التراب الفرنسي.

لقد أدرك قادة الثورة الأوائل مدى أهمية الجالية المهاجرة في فرنسا والوزن الذي تمثله والدور الذي لعبته في دعم ومساندة الحركة الوطنية، وهذا ما دفع (ج.ت.و - F.L.N) إلى العمل على استقطابها وجعلها شريكا في الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي، من خلال تأسيس فدرالية تابعة لها في فرنسا⁴. البداية كانت بتشكيل لجنة تجمع كل المناهضين ل(مصالي الحاج)، وأعضاء سابقين في اللجنة المركزية اتخذوا موقف الحياد، ومناضلين

رئيس الوفد السوري، (جميل مكاي) أحد أعضاء الوفد اللبناني، وكذلك ممثل العراق، اليمن، باكستان، اندونيسيا وغيرهم.

Haroun (Ali), Ibid, p 12.

1 - من بين أعضاء فدرالية (ح.إ.ح.د - M.T.L.D) الذين رفضوا الالتحاق بالزعيم، نذكر من اللجنة الفدرالية كل من: (محمد بوضياف)، (الطيب بولحروف)، (توفيق بن مهل)، (موسى بولكرو)، (إيدير بوزفران)، (مراد ديدوش)، (أحمد يزيد)، وغيرهم. ومن الأعضاء الدائمين نذكر: (سعيد عمرون)، (عيسى بلعلي)، (بوسعيد بن فرحات)، (فوضيل بن سالم)، (علي خنشول)، (عمار العدلاني)، (سعيد موزارين)، (مراد طربوش)، (صالح بنات)، (بشير زرزور). ومن المسؤولين المحليين نذكر: (محمد مرار)، (أحمد دوم)، (أحمد خلاف). أما إدارات الحزب نذكر: (محمد أكلي بومدين)، (حمر العين)، (سي سعيد مجاهد)، (سعيد سليمي)، (عمر بولوشراني).

Haroun (Ali), Op cit, p 37.

2 - كانت قسمة «سوشو - Sochaux» التابعة ل(ح.إ.ح.د - M.T.L.D) تغطي: «أودينكور - Audincourt»، «بلفور - Belfort»، «بوزانسون - Besançon»، «فوسول - Vesoul»، «ديجون - Dijon»، «شرق جورا - Jura-Est». أما لجنة القسمة فكانت مشكلة من: (محمد مرار) مسؤول القسمة، (أحمد يرماش)، (بوجمعة أورافيل)، (مزيان مناصرية)، (قدور لونيس)، (شريف حمدي) و(أحمد دووم).

Doum (Ahmed), op cit, p 42 et 47.

3 - هارون (علي)، المصدر السابق، ص 20.

4 - Benyounes (Mohand Akli), op cit, p 29.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

محيطين من الصراعات الداخلية. وإذا أردنا تتبع مراحل تأسيس فدرالية (ج.ت.و) بفرنسا، يمكن تقسيمها إلى مرحلتين كبيرتين: المرحلة الأولى، وتمتد من 1954 إلى أواسط 1957، وتضم فترتين: فترة الفدرالية الأولى برئاسة (مراد طربوش) وفترة الفدرالية الثانية برئاسة (محمد لبجاوي)، وتميزت بعدم الاستقرار نظرا للاعتقالات التي كانت تطال الأعضاء من طرف الشرطة الفرنسية، أما المرحلة الثانية، فتمتد من أواسط 1957 إلى غاية الاستقلال في 1962، وتضم الفدرالية الثالثة والرابعة برئاسة (عمر بوداود)، مع الإشارة إلى أن فترة الفدرالية الرابعة بدأت عندما تم نقل نشاط فدرالية «ج.ت.و» من فرنسا إلى مدينة «فرانكفورت» بجمهورية ألمانيا الفيدرالية، وتميزت هذه المرحلة بالاستقرار سواء في المسؤولين، والتنظيم المحكم والتنوع في النشاطات، ليس فرنسا وحدها، بل امتدت إلى معظم أوروبا الغربية¹.

بدأت الخطوات الأولى لتأسيس فدرالية الجبهة بفرنسا في اللوكسمبورغ عندما اجتمع (محمد بوضياف)، في جانفي 1955 بإتني عشر مسؤولا، حسب (أحمد دوم)²، خمسة عشر مسؤولا، حسب (علي هارون)³ من منطقة شرق فرنسا: "بدأ النقاش بشرح مطول عن الأسباب التي دفعت المبادرين لإعلان الثورة، دون أن يغفل عن إعطاء معلومات مفصلة عن انشقاقات «ح.إ.ح.د- M.T.L.D»... طيلة الفترة الصباحية، كان بوضياف يستعرض الوضعية بطريقة واضحة ومقنعة، الكثير من المعلومات كانت جديدة بالنسبة لنا، وهكذا تعرفنا على تفاصيل جد مهمة."⁴ قبل ذلك كان (بوضياف) قد كلف (مراد طربوش)⁵

¹ - Haroun (Ali), Op cit, p 438.

² - Doum (Ahmed), Op cit, p 64.

³ - Haroun (Ali), Op cit, p 16.

⁴ - Doum (Ahmed), Op cit, p 65.

⁵ - (مراد طربوش) من مواليد قرية «آيت عبد المومن» جنوب ولاية تيزي وزر في 1921. بدأ دراسته في قريته، ثم أتمها في مدينة الجزائر في 1936. هاجر فيما بعد إلى فرنسا وانخرط هناك بـ(ح.إ.ح.د- M.T.L.D). في 1951. تم تعيينه مسؤولا على منطقة «نانسي- Nancy»، ثم على منطقة الجنوب. كان قريبا من التوجهات السياسية لـ(محمد بوضياف) في أزمة (ح.إ.ح.د- M.T.L.D)، وقلقه هذا الأخير بتأسيس «فديرالية ج.ت.و» بفرنسا، وكان أول مسؤول عليها. ألقى عليه القبض من قبل الشرطة الفرنسية في 1955، وحول إلى سجن «فريسنيس- Fresnes»، ولم يطلق سراحه إلا في 1961. في 1962 عين مديرا لمكتب (كريم بلقاسم)، الذي كان حينذاك وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بتونس. كان معارضا للنظام السياسي الحاكم في الجزائر بعد الاستقلال. توفي بتونس في ظروف غامضة في 1972.

Cheurfi (Achour), Dictionnaire de la révolution..., op cit, p326.

ينظر أيضا:

في اجتماع معه في جنيف بسويسرا، بتشكيل هيئة الأركان الأولى لفيدرالية «ج.ت.و» بفرنسا مع (أحمد محساس)¹، (محمد زروني)²، (عبد الرحمن غراس)³، الطالب (العربي ماضي محمد)⁴، والتحق (أحمد دوم) فيما بعد. لكن هذه الهيئة لم يكتب لها الاستمرار بسبب أن الشرطة السويسرية كانت قد فتشت مكان اللقاء بين (بوضياف) و(طربوش) قي جنيف ووجدوا في غرفة هذا الأخير قائمة تضم أسماء بعض الشخصيات الوطنية التي تم اختيارها لتشكيل فدرالية الجبهة بفرنسا ومن بينها: (علي خنشول)، (عبد الرحمن غراس)، (العربي محمد

Ould El Houcine (Mohamed Cherif), De la résistance à la guerre d'indépendance 1830-1962, Casbah Editions, 2010, p 199.

1 - (أحمد محساس): من مواليد مدينة «بودواو» بولاية «بومرداس» في 17 نوفمبر 1923. مناضل في «ح.ش.ج.-P.P.A» في سن مبكرة، اعتقل مرات عديدة في 1941 و1945. رفض الانخراط في الصراع بين المصاليين والمركزيين وفي نفس الوقت لم ينظم إلى «ل.ث.و.ع.-C.R.U.A». التحق بالثورة في ديسمبر 1954، وبعد من ضمن النواة الأولى المؤسسة لفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا. غادر فرنسا إلى القاهرة في أبريل 1955، إثر اعتقال معظم أعضاء الفدرالية الأولى المجبهة بفرنسا. كان إلى جانب (أحمد بن بلة) من المعارضين لقرارات مؤتمر الصومام 20 أوت 1956. أُلقي عليه القبض في تونس بأمر من العقيد (أوعمران) ممثل «لجنة التنسيق والتنفيذ-C.C.E»، ثم فر إلى ألمانيا أين تعرض لحادث سيارة منعه من الالتحاق بالجزائر إلى ديسمبر 1962. بعد الاستقلال عين وزيرا للزراعة والإصلاح الوراقي بين 1963-1966، ثم عضو في مجلس الثورة في جويلية 1965. دخل في خلاف مع الرئيس (هواري بومدين) والتحق بالمعارضة. وخلال التعددية الحزبية أسس في مارس 1989 حزب: «اتحاد القوى الديمقراطية-U.F.D». في 2001 عين عضوا في مجلس الأمة. توفي في 24 فيفري 2013.

Cheurfi (Achour), Op cit, p 225-226.

2 - (محمد زروقي) من مواليد مدينة الجزائر في 19 أوت 1925. تابع دراسته في متقن «رويسو» في الرسم الصناعي. انخرط في صفوف «ح.ش.ج./ ح.إ.ج.-د- P.P.A/ M.T.L.D» وأصبح بين 1948-1950 مسؤول «الكشافة الإسلامية الجزائرية-S.M.A». بعد اندلاع الثورة شارك إلى جانب (أحمد محساس) في تأسيس النواة الأولى لفدرالية الجبهة بفرنسا، حيث أصبح مسؤولا على الخزينة. اعتقل في 28 ماي 1956، وبعد الإفراج عنه ناضل في صفوف فدرالية الجبهة بفرنسا بين 1956-1957.

Ibid, p 364.

3 - (عبد الرحمن غراس): من مواليد 24 جانفي 1921 في قسنطينة. مناضل في المنظمة الخاصة. بعد اكتشاف المنظمة في 1950 لجأ إلى فرنسا حيث عين ممثل جهوي لـ«ح.إ.ج.-د- M.T.L.D» في «ليون-Lyon» في 1952. أصبح عضو في إدارة فدرالية الجبهة بفرنسا ومكلف بالشؤون السياسية بمعية (محمد مشاطي) و(نور الدين بن سالم). بعد الاستقلال عين نائبا في البرلمان في 13 سبتمبر 1962.

Ibid, p 174.

4 - (العربي ماضي محمد): من مواليد 29 سبتمبر 1928. مسؤول عن فرع الطلبة في «ح.إ.ج.-د- M.T.L.D» في 1953 و«لجنة مساندة ضحايا القمع-C.S.V.R». التحق بالجبهة مباشرة بعد إعلان الثورة، وأصبح أحد المؤسسين لفدرالية الجبهة بفرنسا. أُلقي عليه القبض في 1955، ثم سجن مع (مراد طربوش) في الحراش. خرج من السجن في 1958، وتمت تصفيته من طرف الدرك الفرنسي في سوق أهراس.

Cheurfi (Achour), Op cit, p 224.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

ماضي)، (محمد زروقي)، وغيرهم، كما قامت باستجواب الرجلين¹. ويبدو أن الشرطة السويسرية تكون قد سلمت هذه القائمة لزملائها في الشرطة الفرنسية التي كانت تترصد تحركات (طربوش) حتى اعتقاله في فندق «المارب - La Harpe»، تم اعتقال معظم الشخصيات الأخرى. وهكذا فإن الخطوات الأولى للجبهة في فرنسا لم تكن واعدة². ولم ينج من الاعتقال سوى (عبد الرحمن غراس)، لأنه كان مسجلا باسم آخر، وهو (سي علي)، في قائمة (طربوش)، و(أحمد محساس) الذي غادر فرنسا بعد انكشاف أمره للشرطة الفرنسية³.

في شهر ماي 1955 تم إعادة بعث فدرالية الجبهة بفرنسا من خلال أربعة أشخاص⁴ وهم: (فضيل بن سالم)⁵ الذي عين مسؤولا على شمال فرنسا، ومكلف بالطباعة، (عبد الرحمن غراس) مسؤولا على منطقة جنوب غرب فرنسا، أي «ليون، مرسيليا - Lyon, Marseille» والمناطق التابعة لها، ومكلف بالأخبار والاستعلامات والنشر، (محمد مشاطي)⁶ على شرق فرنسا، ومكلف أيضا بالأخبار والاستعلامات والنشر. أما (أحمد دوم) فقد عين مسؤولا على باريس والمناطق التابعة لها، ومكلف بالمالية. فيما بعد سيُدعم هؤلاء

1 - ذكر (أحمد دوم) في مذكراته أن (محمد بوضياف) عند استجوابه نفى أن تكون له أي علاقة بفرنسا، وأكد للشرطة السويسرية بأنه مصري.

Doum (Ahmed), Op cit, p 67.

Ibid, p 67. - 2

Haroun (Ali), Op cit p 17. - 3

4 - ذكر (أحمد دوم) في مذكراته أن اللقاء بين الأشخاص الأربعة، والذي شهد ميلاد فدرالية الجبهة بفرنسا، تم في مقهى «لو طابا - Le Tabac» الكائن عند مدخل باب «بانتين - Pantin» الواقع عند مخرج الميترو.

Doum (Ahmed), Op cit, p 70.

5 - (فضيل بن سالم): المدعو (نور الدين). مناضل في «ح.ش.ج - P.P.A» في فرنسا بعد 1945. عضو في إدارة «ح.إ.ح.د - M.T.L.D» للمنطقة الشرقية في فرنسا. عند اندلاع الثورة اصطف إلى جانب «ج.ت.و - F.L.N» أصبح عضوا في إدارة فدرالية جبهة التحرير بفرنسا، في جناحها السياسي في 1955-1956. ألقى عليه القبض في أوت 1956، استطاع الهروب من السجن في 7 جوان 1961 ليصبح عضو في «المجلس الوطني للثورة الجزائرية - C.N.R.» أنسحب من النشاط السياسي، بسبب الأوضاع التي آلت إليها الجزائر بعد الاستقلال.

Cheurfi (Achour), Op cit, p 71.

6 - (محمد مشاطي): من مواليد قسنطينة في 04 مارس 1921. جند في الخدمة العسكرية في قطاع الاتصالات من 1938 إلى 1945. بعد تسريحه من ان الجيش انخرط في «ح.ش.ج - P.P.A» كعون إداري في مجال الاتصالات. عضو في المنظمة الخاصة «لوص - L'O.S»، ثم عضو في «لجنة 22». يعتبر من المسؤولين الأوائل لفدرالية «ج.ت.و - F.L.N» بفرنسا. ألقى عليه القبض في 1956، ولم يطلق سراحه إلا في أوت 1961. بعد الاستقلال أشرف على فدرالية الجبهة بقسنطينة بين 1962-1963، ثم عين قنصلا للجزائر في تونس ثم في سويسرا. توفي بجنيف في 03 جويلية 2014 عن عمر 93 سنة. كتب مذكراته والتي صدرت بعنوان «مسار مناضل - Parcours d'un Militant» الصادر عن «دار الشهاب» في 2009.

الأربعة بكل من (صالح لوانشي)¹ و(أحمد طالب الإبراهيمي)². وكان على الأربعة الأوائل، وفي ظل انقطاع

¹ - (صالح لوانشي) من مواليد 21 جوان 1923 في «إغيل مال» بولاية تيزي وزو. ناضل في صفوف «الكشافاة الإسلامية الجزائرية» منذ 1939 وأشرف على الجريدة الناطقة باسمها «لا فوا دي جون- La voix des jeunes». وفي بداية الخمسينات أطلق مع (أندري مندوز- André Mandouz)، أستاذ الأدب بجامعة الجزائر، و(فرانز فانون- Frantz Fanon)، طبيب الأمراض النفسية بمستشفى البلدية، مجلة «كونسيونس ماغربين- Consciences Maghrébines». دخل في اللجنة المركزية لـ«ح.إ.ح.د- M.T.L.D» في خضم الأزمة التي كانت تمر بها الحركة في 1953، وكان من بين المسؤولين الذين تم فصلهم من الحركة من المصلين في المؤتمر الذي عقده في مدينة «هورنو- Hornu» البلجيكية. التحق بـ«ج.ت.و- F.L.N» في 1955، حيث التقى بـ(عبان رمضان) الذي عينه مسؤولا على راس فدرالية فرنسا، كما أشرف على جريدة «المقاومة الجزائرية- Résistance». عمله في «الكشافاة الإسلامية الجزائرية» سمحت له بإقامة علاقات مع الكشافاة الفرنسية، ومع مناضلي «جوناس إتيديونت كريتيان- Jeunesses Etudiantes Chrétiennes» التي يترأسها (بيار شولي- Pierre Chaulet)، وبواسطته تمكن (فرامسيس جانسون- Francis Jeanson) من الاتصال بـ«ج.ت.و- F.L.N». على إثر انعقاد مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956 أصبح عضوا أضافيا في «م.و.ث.ج- C.N.R.A». ألقى عليه القبض في 27 فبراير 1957 مع (محمد لبجاوي) ووضعا في سجن «فران- Fresnes» أين عقد قرانه مع (آن ماري شولي- Anne-Marie Chaulet) أخت الطبيب (بيار شولي- Pierre Chaulet). بمجرد أن أطلق سراحه في 1962 أطلق جريدة الشعب اليومية ونسختها الفرنسية «Le Peuple». أصبح نائبا برلمانيا ونائب رئيس المجلس الشعبي الوطني بين 1962-1965، ثم مديرا عاما للإعلام وهو منصب مربوط برئاسة الجمهورية. عارض الانقلاب الذي وقع ضد (بن بلة) في 19 جوان 1965. توفي 27 ماي 1990.

Cheurfi (Achour), Op cit, p 221.

² - (أحمد طالب الإبراهيمي): من مواليد 05 جانفي 1923 بمدينة «سطيف». قام بدراسته الابتدائية في مدينة «تلمسان»، حيث كان والده (الشيخ البشير الإبراهيمي) يقيم منذ 1933 كمسؤول لـ«جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» عن الغرب الجزائري، ثم انتقل إلى مدينة «أفلو»، حيث فرضت السلطات الاستعمارية على والده الإقامة الجبرية من 1940-1943. بعد عودة العائلة إلى تلمسان واصل دراسته الثانوية في ثانوية (دو سلان- De Slan)، وفي نفس الوقت كان يتابع دروس في مدرسة «دار الحديث». واصل دراسته الثانوية في مدينة الجزائر التي انتقل إليها والده في 1945. في 1949 باشر تعليمه العالي، أولا في كلية الطب في الجزائر، ثم في كلية باريس لنيل شهادة الدكتوراه. بالتوازي مع دراسته باشر نشاطه السياسي لخدمة القضية الوطنية. بعد أن ناضل لبعض الوقت في صفوف حزب «إ.د.ب.ج- U.D.M.A» الذي أسسه (فرحات عباس)، أسس جريدة «لو جون موزيلمو- Le jeune musulman» في 1952. عارض مع (بلعيد عبد السلام) فكرة إنشاء حركة طلابية جزائرية لائكية. عند انعقاد الجمعية العامة لـ«جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا» في فرنسا في 27 فيفري 1955، ودافع عن توجه قائم على العروبة والإسلام. ومن هذا المنطلق تم تبني تسمية «الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين- U.G.M.A». في مارس 1956، انظم إلى اللجنة الفدرالية لفدرالية الجبهة بفرنسا، حيث أصبح مكلفا بالمالية، ثم العلاقات الخارجية. ألقى عليه القبض في 27 فيفري 1957 وسجن في سجن «فريسنيس- Fresnes»، ثم حول إلى سجن «لا سونتي- La Santé» إلى أن أطلق سراحه مؤقتا في 08 سبتمبر 1961. ورغم وضعه تحت الإقامة الجبرية، إلا أنه تمكن من مغادرة فرنسا واللجوء إلى الهيئات التي تقود الثورة التحريرية في تونس. في ديسمبر 1961 أصبح عضو في بعثة (ح.م.ج.ج- G.P.R.A) إلى الدورة السنوية للأمم المتحدة. بعد الاستقلال عين وزيرا في (1965-1979)، (1982-1988)، ثم رئيسا لمجلس المحاسبة (1979-1982). مرشح الانتخابات الرئاسية في 1999. أسس (حركة وفاء)، لكنه لم يحصل

الاتصالات بقيادة الثورة في الجزائر وبالوفد الخارجي بالقاهرة، والمشاكل الكبيرة التي برزت، القيام بالمهام المنوطة بهم، كل في منطقته. وقد لخص (عبد الرحمن غراس) ظروف العمل الصعبة حيث يقول: "... غياب الاتصال بالجزائر وبالوفد الخارجي، لا مال، لا مأوى قار، جالية جزائرية تحت سيطرة المصاليين، باستثناء منطقة الجنوب التي كان يشرف عليها وقسمة «سوشو»، لا تعليمات متلائمة مع الوضع في فرنسا آنذاك، صعوبات كبيرة في مواجهة مختلف الحركات الموجودة في فرنسا: المصاليين خاصة، ولكن أيضا البربريين، العلماء. باختصار لم يكن علينا إلا الاعتماد على أنفسنا"¹. في ظل هذه الأجواء السوداوية الغارقة في مشاعر الحيرة والقلق أرسلت العناية الإلهية، كما عبر عن ذلك (علي هارون) رجلا فرنسيا، وهو (جان جاك روسي - Jean-Jacque Rousset)² الذي سخر شقته الكائنة في 06 شارع (ألكسندر دوما - Alexandre Dumas) في الدائرة 11 لباريس، لخدمه الفريق الذي نصب مركز قيادته فيها³، ولجأت إليه الفدرالية عندما قررت اقتناء آلة السحب فقام بشرائها، وهو أيضا من زود الفدرالية بالأختام الأولى التي كتب عليها رموز «ALN-FLN» و«fédération de France du FLN». فشقة (روسي - Rousset) إذن، بالإضافة إلى المبيت، كانت تستخدم لإخفاء المداخل المالية، التي كانت جد محدودة، وسحب المناشير التي تحتوي على الأدبيات السياسية للجبهة بواسطة آلة السحب التي تم اقتنائها. لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بالنسبة ل(روسي - Rousset)، بل حتى والدته وجدته كانت لهما مساهمات لدى فريق الفدرالية: فالوالدة، التي كان الجميع يناديها «السيدة الوالدة - Madame mère»، كانت تتولى الكتابة على ورق «الستانسيل - Stencil»⁴، وهو شيء ذي قيمة في ذلك الوقت، لأنه لم يكن من السهل إيجاد

على الاعتماد.

Cheurfi (Achour), Op cit, pp 187-188.

Méchat (Mohamed), op cit, p 96. - 1

2 - ينتمي (جان جاك روسي - Jean-Jacques Rousset) إلى اليسار الفوضوي، الذي تقوم نظريته السياسية على ضرورة التعاون الطوعي بين الأفراد أو الجماعات، وأن الدولة أكبر أعداء الفرد وتجب إزالتها. تعرف فريق الفدرالية على (روسي) بواسطة (عبد الكريم سويسبي)، أحد المناضلين في «ح.إ.ح.د - M.T.L.D»، ثم «ج.ت.و - F.L.N». سافر إلى فرنسا في نوفمبر 1954 أيام بعد اندلاع الثورة وهناك تعرف على (روسي) وأصبح صديقا مقربا إليه. انظر تعريف الفوضوية في قاموس المنهل للدكتور (سهيل إدريس)، ص 68. ينظر المزيد عن (جان جاك روسي) و (عبد الكريم سويسبي) في:

Doum (Ahmed), Op cit, pp 79-83.

Haroun (Ali), Op cit, p 17. - 3

4 - «الستانسيل - Stencil» كان يستخدم في الطابعات القديمة، وهو عبارة عن ورق أو مشعّ يخزّن لطبع عدد كبير

شخص يقوم بمثل هذا العمل السري والخطير. أما جدته فكانت لا تتردد في تقديم المساعدة¹.

في شهر أوت 1955، وبعد أسابيع من تأسيس الفدرالية ووضعها على السكة وانطلاق نشاطاتها، وسط بحر من المشاكل والعقبات، كان لا بد من إعادة ربط الاتصال بقيادة الثورة التحريرية في الجزائر أو القاهرة والذي انقطع بعد أن اعتقلت الشرطة الفرنسية (مراد طربوش) الذي كانت بحوزته كلمة السر التي تمكن من تحقيق ذلك. لذلك تقرر بدء محاولات الاتصال بالجزائر وانتدب (أحمد دوم) للقيام بهذه المهمة². كان (دوم) يأمل أن يقابل مجاهدين لي طرح عليهم مسألتين عاجلتين: الأولى: "إرسال مقاتلين إلى فرنسا ليشهدوا بأن الجبهة هي التي تقود المعركة مما يساعد على "قلب القدر" لصالحنا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إعطاء تعليمات للمجاهدين من أجل مراسلة أوليائهم وأصدقائهم المقيمين بفرنسا للتأكيد على أن «ح.و.ج - M.N.A» غريبة عن اندلاع المقاومة المسلحة³. وهذا ما وقع في اللقاء الذي جمع بين (دوم) وممثل الجبهة في العاصمة، المسمى (محمد بن مقدم) الذي كان مرفوقا بـ(أحسن العسكري) في مقهى بالقصبة. لكن إجابات (بن مقدم) كانت مخيبة: "ليس من الضروري الصعود إلى الجبال ورؤية المجاهدين، لسنا بحاجة إلى منظمة في فرنسا، لكن فقط جمع المال وإرساله إلينا"⁴ في هذه الفترة كان (عبان رمضان)⁵ القائد رقم واحد في الداخل الجزائري. وهكذا فإن هذه المهمة الأولى كانت فاشلة ولم يتحقق

من النسخ.

سهيل (إدريس)، المنهل، قاموس فرنسي عربي، دار الأدب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، ص 1147.

¹ - Doum (Ahmed), Op cit, pp 80-81

² - شرح (محمد مشاطي) في مذكراته، الدوافع التي جعلت فوج الفدرالية يختار (أحمد دوم)، رغم صغر سنه، ليكون أولا: مسؤولا على منطقة باريس وضواحيها، وثانيا: مكلفا لإعادة الاتصال والارتباط بقيادة الثورة بالجزائر وفي القاهرة فيقول: "أحمد دوم القادم من قسمة سوشو (الموالي لـ ج.ت.و منذ الأيام الأولى من نوفمبر)، غير معروف في العاصمة، تم تعيينه على باريس وكل ضواحيها، وهي المنطقة الأكثر أهمية للأصغر سنا من بيننا. وقع الاختيار عليه لحيويته، وكفاءته كإداري صارم، وطلعته الصيبانية الأنيفة والتي تعطي الانطباع بالثقة، ولم يكن ملاحقا، وفي وضعية قانونية كعامل في شركة السكة الحديدية بسوشو منذ 1950. ... ودوم، الذي كان يملك الوثائق القانونية، هو من سيكون المبعوث إلى الجزائر للاتصال بإدارة الثورة..."

Méchaty (Mohamed), Op cit, p 97.

³ - Doum (Ahmed), Op cit, p 88.

⁴ - Doum (Ahmed), Op cit, p 88.

⁵ - (عبان رمضان) من مواليد 20 جوان 1920 في قرية «عزوزة» بالقرب من مدينة «الأربعاء نايت إرائن» بولاية «تيزي وزو»، ينتمي إلى عائلة بسيطة. درس في البلدة وتحصل على شهادة البكالوريا في 1941، لكن الصعوبات

ما كان مأمولا منها. أما المحاولة الثانية للاتصال مع إدارة الجبهة فكانت في «إكس لاشابيل - Aix-La-chapelle»¹، على إثر الرسالة التي بعث بها جيش التحرير المغربي يخبر فيها بأن أصدقاء يرغبون في اللقاء في ألمانيا، فأخذ (دوم أحمد) القطار من باريس إلى بروكسل للاتحاق بمدين «مونس - Mons» البلجيكية، ثم إلى «إكس لاشابيل - Aix-la-Chapelle». لكن شرطة الحدود اكتشفت أن جواز سفر (دوم) منتهي الصلاحية، لذلك فليس هناك مجالا لإتمام الرحلة. فرصة أخرى ضاعت للاتصال بالجبهة. فيما بعد علم (دوم) أن الصديق الذي كان ينتظره في «إكس لاشابيل - Aix-la-Chapelle» كان (أحمد بن بلة)². لكن في ديسمبر 1955 قام (عبان رمضان) بتعيين (صالح لوانشي) على رأس الفدرالية، مما أدى إلى ظهور خلافات بين فريق (عبان) في الداخل من جهة والوفد الخارجي للجبهة، من جهة ثانية، وفي مقدمتهم (محمد بوضياف) و(أحمد بن بلة) الذين احتجا على تصرفات (عبان)، خاصة التعيينات التي أجراها دون الرجوع إليهما أو استشارتهما في الأمر³. ومن جهة ثالثة على مستوى اللجنة الفدرالية بفرنسا الذين استاءوا من مضمون رسالة

المالية حالت دون التحافه بالجامعة. تم تجنيده خلال الحرب العالمية الثانية برتبة رقيب في فوج من المشاة بالبلدية. في 1943 انخرط في «ح.ش.ج - P.P.A» بدعوة من (أحمد محساس). كان شاهد عيان في مجازر 08 ماي 1945. أصبح عضوا في المنظمة الخاصة (لوص - L'O.S) وألقي عليه القبض في 1950 في عنابة وحكم عليه في 07 مارس 1951 بست سنوات من السجن، وحول إلى سجن مدينة «أيزيسهن - Eisisishen» في «الراين الأعلى - Haut Rhin». في السجن قرأ للثوريين من أمثال (كارل ماركس - Karl Marx)، (لنين - Lenine) و(مين كامبف - Mein Kampf)، كما درس المظاهر السياسية للثورة الجزائرية. أطلق سراحه في 19 جانفي 1955 من سجن الحراش، والتحق بالجبهة وعينه (كريم بلقاسم) مستشارا سياسيا بمنطقة الجزائر. نجح في إقناع (فرحات عباس) رئيس حزب «الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري - U.D.M.A» و(عمار أوزقان) رئيس «الحزب الشيوعي الجزائري - P.C.A» وبعض أعضاء «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» بالانضمام إلى الثورة. لعب دورا أساسيا في مؤتمر الصومام المنعقد في 20 أوت 1956، الذي كان سببا في جلب عداوة العسكريين ضده على خلفية القرارات التي خرج بها مؤتمر الصومام، خاصة مسألة أولوية الداخل على الخارج والسياسي على العسكري. تم استدراجه إلى مدينة «تيطوان» المغربية، حيث تمت تصفيته في 26 ديسمبر 1957، في حين أن جريدة المجاهد الصادرة في 29 ماي 1958 أعلنت أن الأخ (عبان) سقط في ساحة الشرف.

Cheurfi (Achour), Op cit, pp 21-23.

1 - «إكس لاشابيل - Aix-la-Chapelle» مدينة ألمانية تعرف اليزم باسم «أخن - Aachen» تقع في غرب ولاية شمال الراين - وستفاليا في غرب ألمانيا تبعد 60 كم إلى الجنوب الغربي من مدينة كولونيا.

2 - ينظر تفاصيل رحلة (أحمد دوم) من باريس إلى حدود مدينة «إكس لاشابيل - Aix-la-Chapelle» في:

Doum (Ahmed), Op cit, pp 93-95 .

3 - يذكر (أحمد دوم) في مذكراته أن (عبان رمضان) قام بتعيين (آيت أحسن) في تونس، وأن هذا التعيين أدى إلى حدوث مواجهات دموية، لأن (أحمد محساس) الذي كان متواجدا في تونس رفض الاعتراف بهذا التعيين، فاعتقل من أنصار (آيت الحسين)، ولم يطلق سراحه إلا بعد تدخل وزير الداخلية التونسي آنذاك (سليم منجي). أما (بوضياف) فقد عارض تعيين (لمين دباغين) في القاهرة و(لوانشي) في فرنسا.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

التعيين التي سلمها (لوانشي) لأعضاء الفدرالية والتي تؤكد أن هذا الأخير أصبح الوسيط الوحيد مع الجزائر، وأن (رضا)، أي (أحمد دوم) هو الوحيد الذي يمكنه الاتصال به. وبطبيعة الحال أحس الأعضاء الفدراليون بالإهانة، فبعد كل المجهودات المبذولة في محيط معادي، والمخاطر التي تمت مواجهتها لتأسيس الفدرالية يتم الاستخفاف بهم والانتقاص من قيمتهم بهذه الطريقة¹. لذلك لم يعترف أعضاء الفدرالية الأربعة بـ(لوانشي) اعترافا تاما². والحال كذلك من حقنا أن نتعرف على سبب عدم اعتراف الأعضاء الأربعة بـ(لوانسي)، هل الاعتراض كان على الشخص نفسه؟ أم طريقة التعيين؟ أم هي صيغة الخطاب التي تضمنها قرار التعيين؟ أم الاستياء من الداخل بعد محاولة الاتصال الأولى الفاشلة والمخيبة للآمال بواسطة (بن مقدم)، كما ذكرنا سلفا؟ أم هو عدم فهم لأبعاد تعليمات (عبان) في رسالة تعيين (لوانشي)؟ وماذا يمكن لشخص مثل (لوانشي) أن يضيفه للفدرالية؟

لنترك (أحمد دوم) يعطينا توضيحاته حول المسائل التي أثراها. فيما يتعلق بالصدمات الناتجة عن تعيينات (عبان) من جانب واحد يقول: "بالرجوع إلى الوراء، يمكن أن نتساءل بأي حق يقوم (عبان)، حتى وإن أخذ زمام الثورة، أن يقرر دون الرجوع إلى (بوضياف)، (خيضر)، (آيت أحمد) و(بن بلة)؟ ألم يكن لهؤلاء الرجال ما يقولونه؟ لكن من جهته، فإن (عبان) في داخل البلاد، وسط الولايات وفي خضم المعارك، كان بقوة الأشياء، كان مجبرا على إدارة الأمور. ومن أجل فعالية التحرك، كان عليه استخدام سلطته للضرورات الملحة. وفي غياب الاتصال الدائم والمتواصل، كان من الضروري، في بعض الأحيان، اتخاذ القرار بدون انتصار..."³ أما عن (لوانشي) نفسه فيقول: "الطريقة التي نصب بها (صالح لوانشي) على رأس اللجنة الفدرالية، كان من الممكن أن تؤدي إلى صدمات، لولا ذكائه الكبير وحكمته الكبيرة... مع ذلك، فإنه بفضل (لوانشي) الأمور سارت بهدوء. عرف كيف يتجنب الفتنة، أو أي

ينظر مزيد من التفاصيل حول هذه النقطة في:

Ibid, pp 90-91.

1 - يذكر (أحمد دوم) في مذكراته أن (عبد الرحمن غراس) اشتكى إليه من تصرفات (عبان): "لماذا كل هذا؟ نحن نعرف أنه أنت من ينتقل من أجل الاتصال". ويضيف (دوم) أن كل أعضاء اللجنة الفدرالية اعتبروا ما حدث نكران للجميل وعدم الاعتراف بما تم انجازه.

Ibid, p 92.

2 - Djerbal (Daho), Op cit, p 31.

3 - Doum (Ahmed), Op cit, pp 92-93.

قطيعة محتملة، وذلك بتقديم نفسه، لا باعتباره قائد كبير، وإنما كوسيلة اتصال بيننا وبين الجزائر. بهذه الكيفية قدم المهمة التي أسندت إليه للجنة الفدرالية: أن يكون جهة اتصال بالجزائر، التكفل بالجريدة [جريدة المقاومة باللغتين العربية والفرنسية]، محاولة كسب اليسار الفرنسي لصالح قضيتنا. العمل تواصل إذن كما في العادة بطريقة جماعية. من جهتنا، وباستثناء الشعور بحب الذات المخدوش، فقد قررنا إشراكه في اجتماعاتنا، وهذا احتراماً لشخصه ولموقفه المحترم لتضحياتنا، لكن أيضاً من أجل فعاليته، لماذا في الواقع يتم إضجاره بتقارير اجتماعاتنا، في حين يمكنه المشاركة فيها وإنجاز تقاريره بكل هدوء؟ زد على ذلك وجدنا فيه الشخص الذي يخلصنا من تبعات الجريدة ومن الاتصالات، وكان يتكفل بالاتصالات الخارجية للمنظمة"¹. أما (آن ماري شولي - Anne-Marie Chaulet) زوجة (لوانشي)، وفي كتابها المعنون: «صالح لوانسي، مسار مناضل جزائري - Salah Louanchi, parcours d'un militant algérien» تحدثت عن الظروف المحيطة بتعيين زوجها على رأس الفدرالية، والمهمة التي سافر من أجلها إلى فرنسا، والمواقف التي أثارها هذا التعيين، وكيف تعامل معها². وما جاء في الكتاب في هذه المسائل: "استقر [تقصد صالح] في باريس، في الأيام الأولى من ديسمبر. بلا شك، لم يعرفوا كيف يقدرُوا تواضعه الكبير. البعض³ حاول تقليص مسؤولياته إلى مجرد مستشار تقني، أو لم ينظروا إلى تعيينه سوى نوع من الإنزال لمصلح. صحيح أنه لم يكن لـ(صالح) أي ميول لتصدر الساحة، لذلك تركهم يقولون ويفعلون، وهذا ما يفسر هذه الانزلاقات في تفسير الأشياء! ما هو مؤكد، هو أنه كان موكلاً من الإدارة المؤقتة بالجزائر، بالتوافق مع البعثة الخارجية، لتمثيل «ج.ت.و» في فرنسا.⁴ واستناداً على كلام (آن ماري)، إن صح، فإن تعيين (لوانشي) على رأس الفدرالية، لم يكن من طرف واحد، أي (عبان)، وإنما بالاتفاق مع البعثة الخارجية.

¹ - Ibid, pp 91-92.

² - Louanchi (Anne-Marie), Salah Louanchi, parcours d'un militant algérien, Editions Dahlab, Alger, 2009, pp73-89.

³ - وضعت الكاتبة عند كلمة «البعض» تهميشاً تذكر فيه كتاب «الولاية 7» لـ(علي هارون) وكل كتب التاريخ الحديثة التي اتهمتها بتقليل دور (صالح) في فدرالية فرنسا بطريقة ممنهجة.

Ibid, p 89.

⁴ - Louanchi (Anne-Marie), op cit, p 73.

رغم تعيين (لوانشي) على رأس الفدرالية إلا أن الاتصالات بين الفدرالية والوفد الخارجي لم تتوقف، إذ تلقت الفدرالية، بعد وقت قصير، رسالة من (بوضياف)، عن طريق الشبكة المغربية، يقول فيها بأنه علم بأن الشخص الذي أرسل إلى «إكس لاشابيل - Aix-la-Chapelle» لم يتمكن من عبور الحدود، وحدد موعدا جديدا في روما الإيطالية، وكلف (دوم) بهذه المهمة للأسباب التي ذكرناها آنفا. وبمجرد وصوله إلى روما واستقراره في فندق عائلي أرسل برقية إلى القاهرة يعلمهم بوصوله¹. وفي صباح اليوم الموالي كان اللقاء مع (بوضياف)، حيث تم تقديم عرض شامل عن الوضعية التي توجد عليها الفدرالية من حيث عدد المنخرطين، التنظيم الإداري حسب المناطق، الأعضاء الفدراليين، الاشتراكات التي تم تجميعها، وضم أعضاء جدد إلى المكتب الفدرالي، وفوق كل ذلك المسألة التي كانت تشغل بال الجميع، والمتمثلة في غياب الجهة التي يمكن التحاور معها في الداخل أو الخارج، وكيف سيكون العمل الجماعي للجنة الفدرالية بعد تعيين (عبان رمضان) (صالح لوانشي) مسؤولا عليها، وغيرها من النقاط الأخرى. وفيما يتعلق بإضافة أعضاء جدد إلى اللجنة الفدرالية فقد تم اقتراح كل من (الطيب بولحروف)² و(منجي زين العابدين)³، وقد التحق الاثنان فعلا بالفدرالية فيما بعد. وكان (بوضياف) يسجل عنده كل هذه الانشغالات والاقتراحات، على أن يخصص

1 - للإطلاع على تفاصيل رحلة (أحمد دوم) من باريس عبر «نيس - Nice» إلى روما والتعرف على الأشخاص الذي ساعدوه على بلوغ وجهته، ينظر في مذكرات (دوم):

Doum (Ahmed), Op cit, PP 95-98.

2 - (الطيب بولحروف): من مواليد 09 أبريل 1923 في «واد زناتي» بولاية قالمة. التحق بـ«ح.ش.ج - P.P.A» في سن 15، حيث كان يبيع جريدة «الأمة» التابعة للحزب، وطرد من المدرسة بسبب ذلك. قام بعدة نشاطات سياسية في صفوف «ح.ش.ج» مع أحمد ج.ح.إ.ح.د - P.P.A / M.T.L.D ، خاصة في عنابة وقالمة والقطاع القسنطيني، أصبح مسؤولا مهما في الحزب في القطاع القسنطيني. وعندما حدثت أزمة 1953 انحاز إلى المركزيين. بعد اندلاع الثورة في 1954 تاضل في صفوف «ج.ت.و - F.L.N» بفرنسا، وتولى تسيير فدرالية فرنسا بعد إلقاء القبض على رئيسها (محمد ليجاوي) في فيفري 1957. وفي جويلية 1958 عين ممثلا للـ«ح.م.ج.ج - G.P.R.A» في روما. شارك في المسار التفاوضي بين «ح.م.ج.ج - G.P.R.A» والحكومة الفرنسية. بعد الاستقلال عين سفيراً، على التوالي، في كل من إيطاليا، البيرو، رومانيا، الأرجنتين، بوليفيا والبرتغال.

Cheurfi (Achour), Op cit, p 86.

3 - (زين العابدين مونجي): المدعو (حسين)، من مواليد 20 جانفي 1926 في حي «بلكور» بالعاصمة. ناضل في قسمة «بلكور» التابعة لـ«ح.ش.ج - P.P.A»، ثم في فدرالية فرنسا التابعة لـ«ح.إ.ح.د - M.T.L.D». في 1953 أصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب. بعده التحق بـ«ج.ت.و - F.L.N» ليصبح عضوا في اللجنة الفدرالية للجبهة بفرنسا في 1956. أُلقي عليه القبض في أبريل 1958 ولم يطلق سراحه إلا في 1961. بعد الاستقلال تقلد عدة مناصب سياسية في وزارة الخارجية، وعين سفير للجزائر في مالي.

Ibid, p 257.

جلسة اليوم الموالي للإجابة عنها. في إجاباته بدأ (بوضياف) حديثه بتهنئة أعضاء الفدرالية على العمل الذي يقومون به، وأمرهم بعدم تعيين لا مسؤول ولا نائب مسؤول، ليعلن في الأخير الإجراء المهم وهو أن فدرالية فرنسا ستكون من الآن فصاعدا تابعة للخارج. وكتب رسالة بهذا المضمون، ثم قرأ نصها على (دوم) وقال: "هذه هي الرسالة التي سأرسلها إلى الجزائر"¹. ويذكر (دوم) في مذكراته أنه: "عندما تسلم (عبان) رسالة (بوضياف)، أوضح وبدون لبس معارضته المطلقة لذلك، في رسالة وجهها إلى (لوانشي)، حيث تحدث عن (بوضياف) و(رضا) اللذين يتآمران في روما"². ومن هنا تولدت الخلافات بين الداخل والخارج، وكذا العداء بين أعضاءها³. بالإضافة إلى اللقاء مع (بوضياف) في روما، تلقت الفدرالية دعوة أخرى للقاء في روما من (أحمد بن بلة)، وتم انتداب، كما في كل مرة، (أحمد دوم) لذلك⁴. وفي قاعة استقبال فندق «رَجينا-Regina» كان الموعد بين (دوم) و(بن بلة) بحضور (أحمد محساس). انتقل الجميع إلى فندق فاخر أين تم التطرق إلى عدة مسائل أهمها: الرد على الانتقادات التي وجهها (عبان) للوفد الخارجي فيما يتعلق بالتزود بالسلاح، اقتراح تشكيل «لجنة شراء السلاح» يكون مقرها في روما أو في ألمانيا لتتكفل بمشكل التسليح. فيما يتعلق بالمسألة الأولى، ذكر (بن بلة) أن: "الجزائر تريد أن يتم إنزال السلاح من الطائرات بواسطة المضلات، لكن الإنزال، من الناحية العملية، أمر مس-ت-حيل" ثم بدأ يشرح أسباب ذلك، مقترحا أن تكون عملية تمرير السلاح بواسطة البحر⁵.

هكذا، وبسبب تعدد المرجعيات وتعدد المحاورين وغياب قيادة متجانسة ودائمة، لم يعد في الإمكان المحافظة على تماسك الفدرالية واستقرار أعضائها. زد على ذلك وجود جهات عديدة تسعى للسيطرة عليها: من جهة، لدينا الأشخاص الذين يسيطرون على الهيئة التنظيمية للفدرالية، ومن جهة ثانية المعتمدون من قبل

¹ - Doum (Ahmed), Op cit, pp 97-98.

² - Ibid, p 99.

³ - يذكر (دوم) في مذكراته فيما يتعلق بالخلافات بين الداخل والخارج: "لم ألمس وجود منافسة بالمعنى الصحيح للكلمة، ولكن نوع من العصبية برزت بفعل أن كل واحد كان يعمل على انفراد جاهلا بالصعوبات التي يتعرض لها الآخر... في المقابل لم ألاحظ وجود أي خلاف حول مستقبل الثورة. واستقلال البلاد كانت تمثل نقطة اتفاق وإجماع ولم يكن أحد يشك في هدف الحرب"

Ibid, p 99.

⁴ - ينظر تفاصيل سفر (دوم) من باريس إلى روما للقاء (بن بلة) والإجراءات المتخذة لإنجاح اللقاء والأشخاص الذين التقى بهم في طريقه في Ibid, pp 112-115.

⁵ - Doum (Ahmed), Op cit, pp 114-115.

لجنة التنسيق والتنفيذ القادمون من الجزائر العاصمة¹. وما زاد الأمور تعقيدا المواجهة مع الجماعات المصالية وملاحقات الشرطة الفرنسية، كما سيأتي توضيحه لاحقا. كل هذه الأوضاع المشوشة ستنتهي بعد موجة الاعتقال التي باشرتها الشرطة الفرنسية ابتداء من 28 أوت 1956، حيث اعتقلت (جان جاك روسي - Jean-Jacques Rousset) في شقته ومعه (عبد الكريم سويسسي)، (إدموند مازور - Edmond Mazure)، وهو سمسار في معدات المكتبات. أما (محمد مشاطي) ومرافقه (أحسن شبلي) فقد تم إلقاء القبض عليهما في مقهى يقع في «بلاس دو لا ناسيون - place de la Nation»² ونفس المصير لقيه (عبد الرحمن غراس) و(فضيل بن سالم)، ليلتحق بهم (أحمد دوم) الذي اعتقل في 19 نوفمبر 1956³، ووجد (لوانشي) نفسه بلا مساندة ولا اتصالات تسمح له بتسيير مختلف القيادات الإقليمية⁴. إضافة إلى ذلك قامت الحكومة الفرنسية باعتقال قادة الثورة الخمسة وهم: (أحمد بن بلة)، (محمد بوضياف)، (حسين أيت أحمد)، (محمد حيضر) و(مصطفى الأشرف)⁵. وهنا خلا الجو ل(عبان) لتولي أمر الفدرالية، حيث قررت «لجنة التنسيق والتنفيذ - C.E.E» المنبثقة عن مؤتمر الصومام تعيين (محمد لبجاوي)⁶ على رأس فدرالية جبهة

1 - Djerbal (Daho), Op cit, pp 34-35.

2 - ينظر تفاصيل عملية إلقاء القبض على (مشاطي) ومرافقه (شبلي) في Méchati (Mohamed), Op cit, pp 107-108.

3 - ينظر تفاصيل الاعتقالات في Doum (Ahmed), OP cit, pp 105-109.

4 - Djerbal (Daho), Op cit, p 33.

5 - في 22 أكتوبر 1956، استقل القادة الخمس للثورة التحريرية طائرة تابعة للخطوط الملكية المغربية من الرباط باتجاه تونس للمشاركة في قمة حول المستقبل المغاربي، من تنظيم الرئيس التونسي (الحبيب بورقيبة). رأت المصالح السرية الفرنسية، في ذلك، فرصة لا يمكن تفويتها، فأرسلت الطائرات المطاردة، التي حولت مسار الطائرة، حيث حولت إلى الجزائر بدلا من تونس، ثم إلى فرنسا، أين تم سجن القادة الخمسة، ولم يطلق سراحهم إلا بعد «إيفيان» 1962.

ينظر مزيد من التفاصيل عن عملية الاختطاف في مذكرات (عمر بوداود):

Boudaoud (Omar), Du PPA au FLN, Mémoires d'un combattant, Casbah Editions, Alger, pp 95-98.

6 - (محمد لبجاوي): من مواليد 20 فيفري 1926 بمدينة الجزائر. ينتمي إلى النخبة الجزائرية الصغيرة في الخمسينيات. كان قريبا من الأوساط الليبرالية الأوروبية والحزب الشيوعي الجزائري، واهتم بالإضرابات العمالية التي كانت تهز الجزائر في هذه الفترة، وبهذه الكيفية اكتسب ثقافة ماركسية متينة ومعرفة بالحركة العمالية. بدأ أول اتصالاته ب(ج.ت.و) في 1955 مع (كريم يلقاسم) في منطقة القبائل، ثم مع (عبان رمضان) في الجزائر. بسرعة أعطيت له مهام قيادية، ففي 1956 أعطيت له مسؤولية متابعة التدايعات تأسيس «الاتحاد العام للعمال الجزائريين - U.G.T.A» و«الاتحاد العام للتجار الجزائريين - U.G.C.A». شارك في التحضير لمؤتمر الصومام في 20 أوت 1956، وأصبح على إثره عضو في «م.و.ث. - C.N.R.A». في ديسمبر 1956 أرسلته «ل.ت.ت. - C.E.E» إلى باريس لقيادة

التحرير بفرنسا خلفا لـ(لوانشي). وهكذا يسدل الستار على الفدرالية الأولى، التي بدأت بـ(مراد طربوش) وانتهت بـ(صالح لوانشي).

عينت «ل.ت.ت - C.E.E» (لبجاوي) في ديسمبر 1956، وانتقل إلى فرنسا في جانفي 1957 ومعه نائبه (حسين المهداوي)، لكن الشرطة الفرنسية المعروفة اختصارا بـ«دي.أس.ت - D.S.T»¹ لم تمهله حتى يجسد المهمة التي أرسل من أجلها، إذ وقع هو وفريقه في اللجنة الفدرالية² في شراكها في فيفري 1957. ويبدو أن لبجاوي كانت لديه مخططات كثيرة ينوي تنفيذها، لكن: "لم يكن لدي الوقت للتحويل إلى الأفعال. في 26 فيفري 1957، كان اجتماعا مبرمجا والذي من المفروض أن أشارك فيه مع (أحمد طالب)، (صالح لوانشي)، (الطيب بولحروف). مكان اللقاء كان شقة فريبة من النجم [ساحة]³ ... بمجرد أن فُتح الباب، ارتدى علي سبعة أو ثمانية من رجال الشرطة فكلبوني ودفعوني إلى غرفة الاستقبال، أين تعرفت على (أحمد طالب)، الذي ألقى عليه القبض دقائق قبل ذلك... وتم اقتيادنا (طالب) وأنا إلى «دي.أس.تي - D.S.T»⁴. في اليوم الموالي تم اقتياد (لبجاوي)، (طالب) و(سيد علي مبارك) إلى سجن

فدرالية الجبهة بفرنسا، بعد اعتقال أعضاء اللجنة الفدرالية. ولم يمض شهرين على مجيئه إلى فرنسا حتي وقع في شراك الشرطة الفرنسية في فيفري 1957. أمضى ما تبقى من حرب التحرير في سجن «فران - Fresnes» ثم سجن «لا سونتي - La santé»، حيث شارك في مختلف حركات الإضراب عن الطعام لافتكاك صفة السجين السياسي. بعد وقف إطلاق النار أطلق سراحه، والتحق بتونس، وقدم دعمه للتحالف الذي يقوده (أحمد بن بلة)، (هوارى بومدين) و(محمد خيضر). عارض انقلاب 19 جوان 1965، وتحول إلى المعارضة. ألف العديد من الكتب منها: «Vérités sur la révolution algérienne»، «Bataille d'Algérie»، «un morceau de lune et une étoile couleur de sang, poèmes et récits sur la Révolution Pour la défense des droits de l'homme en Algérie»، «Au nom de l'Algérie, assai politique»، «Sous le bras mon soleil, poèmes». Cheurfi (Achour), Op cit, P 217.

¹ - (D.S.T): هو اختصار لجهاز «إدارة مراقبة التراب - Direction de la surveillance du territoire» وهو جهاز مخابرات تابع لوزارة الداخلية وملحق بالمديرية العامة للشرطة الوطنية، مكلف بمحاربة التجسس في فرنسا.

² - كان فريق اللجنة الفدرالية الذي شكله (لبجاوي)، ويعرف بالفدرالية الثانية، يتكون من: (سعيد بوعزيز)، (الطيب بولحروف)، (أحمد بومنجل)، (قدور العدلاني)، (مونجي حسين)، (سويسي عبد الكريم)، (أحمد طالب)، (يوسف بن صيام)، (حسين المهداوي)، و(إبراهيم سيد علي مبارك).

Haroun (Ali), Op cit, p 438.

³ - صاحب الشقة هو (إبراهيم سيد علي لمبارك) وتقع في حي هادي بالدائرة 16 ببباريس.

Ibid, p 26.

⁴ - Lebjaoui (Mohamed), Vérités sur la révolution algérienne, Editions Anep, rouiba,

«فران - Fresnes»، أين وجدوا الأشخاص الذين تم اعتقالهم في نفس العملية¹.

لخص (لبجاوي) مهمته في فرنسا فقال: "عند مغادرتي الجزائر، التعليمات التي تبناتها «ل.ت.ت- C.E.E» بالنسبة لمهمتي كانت واضحة. كنت مكلفا بـ«نقل الحرب إلى فرنسا»: بمعنى القيام بعمليات ثار في المدن والأرياف الفرنسية في كل مرة تحدث فيها تجاوزات استعمارية واسعة في الجزائر... الهدف هو تحسيس الرأي العام الفرنسي بحقيقة الحرب، وإفهامه بأنه مسؤول عما يتم فعله باسمه في الجزائر وأنه بالاستمرار في التغاضي عنها، سوف ينتهي به الأمر إلى تحمل تبعات ذلك. «يجب أن يتصدر الدم العناوين الرئيسية للصحف» هذا ما قاله لي (عبان) عند توديعي². لكن الظاهر أن عملية القبض على (لبجاوي) وفريقه هو الذي تصدر عناوين الصحف الفرنسية، التي ابتهجت لخبر الإطاحة بقيادة «ج.ت.و» بفرنسا. ونظرا لحالة الذعر التي انتشرت وسط الجالية الجزائرية بفرنسا بسبب الاعتقالات، كان لا بد من التصرف وبسرعة³. ولم يمض وقتا طويلا حتى تشكلت لجنة مؤقتة تحت مسؤولية (الطيب بولحروف)، بتزكية من (كريم بلقاسم)⁴، وكانت تضم: (أحمد بومنجل)، (عمار العدلاي)¹، (حسين

Alger, 2005, p 83.

يضيف (علي هارون) في كتابه «الولاية السابعة» صفحة 35، في النسخة العربية، أنه: "بمجرد وصول مسؤول الفدرالية الجديد [يقصد (لبجاوي)] إلى باريس وقع تحت المراقبة الشديدة لجهاز «دي.إس.تي- D.S.T». وقد تمهل هذا الجهاز مدة من الوقت ليتمكن من تحديد مكان العناصر المهمة التي سيلتقي بها لبجاوي، قبل أن يلقي بشباكه." وحاول أن يفهم سبب الإطاحة بـ(لبجاوي) وفريقه، حيث تساءل: "هل تعجل لبجاوي في اتصالاته؟ وهل أهمل بعض الاحتياطات اللازمة لطبيعة النشاط السري؟"

1 - يتعلق الأمر بـ(بن يوسف بن صيام)، (صالح لوانشي)، (حسين المهداوي)، (العايشي ياكور)، (وحريري بولعراس)، (الصغير مالك أحسين)، وهو مناضل تونسي من أجل القضية الجزائرية، (من أجل القضية الجزائرية، (عمور بن غزال)، (وحمو يوسف الحاج).

Ibid, p 27. أنظر أيضا. Djerbal (Daho), Op cit, p 35.

2 - Lebjaoui (mohamed), Op cit, p 77.

3 - Haroun (Ali), Op cit, p 27.

ينظر أيضا:

Djerbal (Daho), Op cit, p 35.

4 - (كريم بلقاسم): من مواليد 14 ديسمبر 1922 في دوار «آيت يحي أوموسي» قرب «ذراع الميزان» بولاية «تيزي وزو». انخرط في «ح.ش.ج- P.P.A» في بداية 1946. أصبح قائدا برفقة (عمار أوعمران) على منطقة القبائل العليا التابعة لـ«ح.إ.ح.د- M.T.L.D» في 1952. عين قائدا على المنطقة العسكرية الثالثة وهي القبائل أثناء التحضير للثورة التحريرية. لعب دورا هاما في التحضير لـ«مؤتمر الصومام» الذي انعقد في 20 أوت 1956، حيث أصبح عضو في

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

منجي)، (عبد الكريم سويس²، الذي كان معتقلا لمدة ثلاثة أشهر، ثم أطلق سراحه لعدم كفاية الأدلة، و(سعيد بوعزيز)³. وكان على هذه اللجنة المؤقتة أن تواصل التجنيد والهيكلة في صفوف الجالية الجزائرية في فرنسا، ريثما تقوم «ل.ت.ت. - C.E.E» بتسوية الوضع. وفعلا ففي شهر جوان 1957 تقرر تعيين (عمر بوداود) رئيسا لفدرالية الجبهة بفرنسا⁴.

«م.و.ث. ج. - C.N.R.A» و«ل.ت.ت. - C.E.E». عند تأسيس «ح.م.ج.ج. - G.P.R.A» عين نائب رئيس، ووزير القوات المسلحة، ثم نائب رئيس وزير الشؤون الخارجية، ثم نائب رئيس وزير الداخلية. قاد الوفد الجزائري في «اتفاقيات إيفيان»، وهو الذي وقعها عن الجانب الجزائري. بعد الاستقلال كلن من المعارضين لـ(بن بلة) و هيئة الأركان العامة، تحت إمرة (هوارى بومدين)، وعارض انقلاب 1965. اغتيل خنقا، بواسطة ربطة عنقه، في 18 أكتوبر 1970، في فندق بمدينة «فرانكفورت» الألمانية.

Cheurfi (Achour), Op cit, pp 207-209.

1 - (عمار العدلاني): المدعو (قدور)، و(صالح)، و(بيدرو - Pedro)، من مواليد 24 أكتوبر 1925 في «تيزي وزو». عندما هاجر إلى بلجيكا في نهاية الأربعينات، كان مناضلا في صفوف «ح.ش.ج. / ح.إ.ح.د. - P.P.A/M.T.L.D». انتقل إلى فرنسا في منطقة «شمال با دو كالي - Nord- Pas-de-Calais»، حيث أصبح مسؤولا عن فدرالية «ح.إ.ح.د. - M.T.L.D» في 1953. انضم إلى «ج.ت.و» في 1955، وأصبح عضو فدرالية الجبهة بفرنسا إلى غاية 1957. وفي عام 1959 دخل في «م.و.ث.ج. - C.N.R.A». يعد من المنظمين الرئيسيين لمظاهرات 17 أكتوبر 1961 بباريس.

Ould El Hocine (Mohamed chérif), Op cit, p 201.

2 - (عبد الكريم سويس): من مواليد «عنابة». ينتمي إلى عائلة مناضلة في الحركة الوطنية. بدأ نضاله منذ أن كان قاصرا وألقي عليه القبض وحول إلى محكمة خاصة بالقصر. عين قائدا لفوج، ثم مسؤول في صفوف «ح.إ.ح.د. - M.T.L.D» في عنابة. عين عضو في «اللجنة الوطنية لمحاربة البطالة». بعد اندلاع الثورة في 1 نوفمبر 1954 بفترة قصيرة، ألقى عليه القبض، ثم أطلق سراحه بعد عدة أيام. التحق بفرنسا في أواخر نوفمبر 1954 واتصل مع (بوجمعة أميني) و(مراد طربوش) لتنصيب وتوسيع «ج.ت.و» المتكونة في فرنسا. في أبريل 1955 عين نائبا لـ(أحمد دوم) على منطقة باريس، إلى غاية 1956، تاريخ أول اعتقاله. بعد ثلاثة أشهر أطلق سراحه مؤقتا، حيث كلف بتشكيل تنظيم خاص للقيام بالعمل المسلح. في أوت 1957 ألقى عليه القبض، ثم أطلق سراحه مرة أخرى. انتقل بعد ذلك إلى بلجيكا ثم إلى ألمانيا، حيث اقترح عليه (عمر بوداود) في ماي 1958 التكفل بالمالية في اللجنة الفدرالية. بعد الاستقلال عين على التوالي: سفير، نائبا في البرلمان في 1977، مسؤول عن «صداقة الجزائريين بفرنسا» في 1980، ورئيس المجلس الأعلى للشباب في 1986.

Cheurfi (Achour), Op cit, p 319.

3 - (رابح بوعزيز): المدعو (سعيد) من مواليد 1928 في بلدية «تيزي راشد» بولاية «تيزي وزو»، عضو في «م.و.ث. ج. - C.N.R.A» بين 1959-1962. مسؤول في فدرالية فرنسا بين 1957-1962. بعد الاستقلال أصبح عضو في البرلمان بين 1962-1965، وعضو في اللجنة المركزية لحزب «ج.ت.و» بين 1964-1965. توفي بالجزائر العاصمة في 10 أكتوبر 2014.

Cheurfi (Achour), Op cit, p 79.

4 - (عمر بوداود): من مواليد 05 ماي 1924 في «تيفزيرت على البحر» بولاية «تيزي وزو». بعد حصوله على شهادة التعليم الابتدائي، واصل دراسته في مدرسة لتعليم غراسة الأشجار في بلدية «مشتراس» والتي تقع على بعد 32

على إثر تعيينه، نزل (بوداود) بباريس عند صديقه (سعيد سليمي) الساكن بـ 10 شارع «تومبل- Temple» بجانب القصر البلدي. وتمكن من الاتصال بـ (أحمد بومنجل) بواسطة صديق آخر وهو (بلقاسم بن يحي) في «شاتلي - Chatelet»، وهناك التقى بمسؤولي الفدرالية، حيث وجد كلا من (طيب بولحروف)، (عمار العدلاي)، (منجي زين العابدين)، (وعبد الكريم سويسبي)، و(سعيد بوعزيز)، و كشف عن رسائل التعيين الصادرة عن «ل.ت.ت - C.E.E». كل شيء سار على ما يرام، إلا أنه وبعد خمسة عشر يوما طرأ تغييرا في تشكيلة اللجنة الفدرالية بمغادرة (بولحروف) فرنسا إلى تونس، ثم تبعه (أحمد بومنجل)، حيث وضعا نفسيهما تحت تصرف «ل.ت.ت - C.E.E»¹. أما (عبد الكريم سويسبي) فقد أُلقي عليه القبض في شهر أوت 1957. وهكذا انحصر عدد أعضاء اللجنة الفدرالية إلى أربع، وهم: (عمر بوداود)، (عمار العدلاي)، (منجي زين العابدين)، و(سعيد بوعزيز)، ولمزيد من الفعالية وتقاسم الأعباء تم تدعيم اللجنة الفدرالية بأعضاء

كم جنوب ولاية «تيزي وزو». انقطع عن الدراسة في سن السابع عشر. اكتشف وجود «ح.ش.ج - P.P.A» عن طريق صديق له من «تيزي وزو»، الذي أمدّه بمنشور صادر عن الحزب، وأبدى رغبته في الانخراط، والتقى ممثلا عن الحزب، وهو (محمد زروالي)، الذي وضعه في الحين مسؤولا عن منطقة «تيفزيرت». ونظرا لنشاطاته السياسية أُلقي عليه القبض في 31 ماي 1945، ولم يطلق سراحه إلا عند صدور قانون العفو العام في 16 مارس 1946. كان أحد المناضلين الخمسة عشر المشكلين لبعثة منطقة القبائل إلى مؤتمر «ح.إ.د - M.T.L.D» في فيفري 1947. وبعد تأسيس «المنظمة الخاصة - L'O.S» عين مسؤولا جهويا عن المنظمة في منطقة القبائل السفلى. أُلقي عليه القبض في 1949 في مدينة «بغلية» بعد إطلاق سراحه في 1951 سافر إلى فرنسا واشتغل في المقاهي والمحلات. التحق بـ (ج.ت.و) منذ انطلاق الثورة التحريرية. في 1955 ذهب إلى المغرب. في شهر جوان 1957 عين على رأس فدرالية الجبهة بفرنسا، بعد اعتقال (لبجاوي) وفريقه في الفدرالية الثانية، إلى الاستقلال في 1962. في 1964 أصبح عضو في اللجنة المركزية لحزب «ج.ت.و». وبعد انقلاب 19 جوان 1965، انسحب من الحياة السياسية واشتغل بالأعمال. في 1990 أصبح رئيس جمعية مجاهدي فدرالية (ج.ت.و) بفرنسا.

Cheurfi (Achour), Op cit, pp 81-82.

¹ - برر (بولحروف) مغادرة اللجنة الفدرالية بالتعب الذي نال منه، ورغبته في التوجه إلى الخارج. لكن (بوداود) له رأي آخر عبر عنه في مذكراته حيث يقول: "حاولت إقناعه بالبقاء نظرا لكونه أدري مني بحالة الفدرالية، ومعا ستكون فعاليتنا أكبر... لكنه أصر. فهمت عندها أنه لا جدوى من إكراهه على البقاء، فغادرنا. غير أن شيئا ما في نفسي كان يقول لي بأن الرجل قد صدم لعدم تأكيده في المنصب الذي كان يشغله مؤقتا لمدة أربعة شهور. لماذا لم يقيم مجلس التنسيق والتنفيذ بذلك؟ لست أدري. فهل يعود السبب إلى الأحاسيس التي يضمهرها مسيرو جبهة التحرير الوطني تجاه المركزيين و (بولحروف) كان منهم؟ ربما."

بوداود (عمر)، من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني، مذكرات مناضل، ترجمة أحمد بن محمد بكلي، دار القصة، الجزائر، 2009، صص 100-101.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

جدد باقتراح إضافة عضوين جديدين هما: (مسعود قدروج)¹ و(محمد حربي)²، وبهذه الكيفية تشكلت ما يعرف بالفدرالية الثالثة برئاسة (بوداود)، والتي استمر عملها إلى بداية 1958.

خلال عام 1958 سوف تتعرض تشكيلة اللجنة الفدرالية لتعديلات، وصفها (بوداود) بالهامية والتي ستعطي تمارها في المستقبل. هذه التعديلات بنيت على أساس معطيات جديدة أهمها: الإفراج عن (عبد الكريم سويس) و(زين العابدين منجي). فالأول عاد لاستلام وظائفه بالإشراف على المالية، والفرع الجامعي، والودادية العامة للعمال الجزائريين، والثاني تم تعيينه في مدرسة تكوين الإطارات،³ وتم نقل (مسعود قدروج) إداريا إلى المغرب، أما (محمد حربي) فقد تم إقصاءه من اللجنة الفدرالية بتهمة زرع الفرقة في صفوف اللجنة

¹ - (مسعود قدروج): من مواليد منطقة سكيكدة. دخل في اللجنة المركزية لـ«ح.إ.ح.د- M.T.L.D» أثناء أزمة الحركة في 1953. التحق بـ«ج.ت.و» في 1955، وعين مسؤولا عن ولاية شمال فرنسا، ثم منطقة الوسط، ثم عضو في اللجنة الفدرالية في ماي 1957. في 1958 نقل إلى المغرب بسبب معارضته للإدارة الفدرالية.

Cheurfi (Achour), Op cit, p 174.

² - (محمد حربي): من مواليد 16 جوان 1933 في «الحروس» بولاية «سكيكدة». انخرط في «ح.ش.ج/ ح.إ.ح.د- P.P.A/ M.T.L.D» منذ سن الخامس عشر. أنهى دراسته الثانوية في ثانوية «سانت بارب- Sainte Barbe»، وتابع دراسته العليا في جامعة «السربون». في 1954 أصبح الأمين العام لـ«جمعية الطلبة لشمال إفريقيا»، وكان ضمن المجموعة التي كانت أكثر قربا من «ل.ث.و.ع- C.R.U.A» في فرنسا. لذلك كان من أوائل المسؤولين في فدرالية الجبهة بفرنسا، ومنشط لـ«لجنة الصحافة والأخبار». في أبريل 1958 غادر فرنسا إلى ألمانيا، واستقال من فدرالية فرنسا. انتقل إلى تونس، حيث أوكلت له مهام سياسية، ثم دبلوماسية في المكتب المدني لوزارة القوات المسلحة، حيث عينته «ح.م.ج.ج- G.P.R.A» سفيراً «كوناكري» بدولة غينيا، وبعدها عين مستشارا لوزير الشؤون الخارجية (حسين دحلب). يعد من المحررين الأساسيين لبرنامج طرابلس. أثناء أزمة صائفة 1962 ابتعد عن «مجموعة تلمسان» و«مجموعة تيزي وزو». من 1963 إلى 1965 أشرف على أسبوعية «ريفولسيون أفريكان- Révolution Africaine». في 1965 عارض انقلاب 19 جوان 1965، فوجد نفسه في السجن لمدة خمس سنوات من دون محاكمة، ثم في الإقامة الجبرية. في منفاه في فرنسا، منذ 1973، ألف العديد من الكتب عن الحركة الوطنية الجزائرية، منها: «Aux origines du FLN, Le populisme révolutionnaire en Algérie»، «Le FLN, mirage et réalité, des origines à la prise du pouvoir (1954-1962)»، «L'Algérie et son destin : croyants et citoyens».

Cheurfi (Achour), Op cit, p 181.

³ - تأسست هذه المدرسة في بداية 1959، وكان مقرها في محل بمدينة «هاغن- Hagen»، وهي مدينة صغيرة تقع في «رينانيا-وستفاليا- Rhénanie-Westphalie» بألمانيا الغربية، آنذاك. وهذا المحل وفره أصدقاء للثورة الجزائرية في الشبيبة الاشتراكية الألمانية «Die Falken». تتولى المدرسة تكوين إطارات للثورة قادرين على القيام بالمهام المناط بهم بكفاءة عالية.

ينظر مزيد من التفاصيل عن المدرسة وطبيعة عملها في:

Boudaoud (Omar), Op cit, pp 119-123.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

الفدرالية، لتسببه في مشاكل من بينها مشكل يخص مصير الطلبة الأعضاء في «الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين» بعد حله من طرف الحكومة الفرنسية، ومشكل آخر يتعلق بالعمليات الحربية المقررة في فرنسا. وعليه التحق (حري) بسويسرا، ثم بتونس، ثم مصر، ثم إلى «غارديماو - Ghardimaou» بألمانيا لدى قيادة الأركان العامة¹. وهكذا بقي في اللجنة الفدرالية أربعة أعضاء وهم: (عمر بوداود)، (عبد الكريم سويسبي)، (عمار العدلائي)، و(سعيد بوعزيز). وفي ماي 1958 نقلت «ل.ت.ت - C.E.E» (علي هارون)² إداريا إلى اللجنة الفدرالية، وهذه التشكيلة الجديدة المتكونة من خمسة أعضاء هي التي ستباشر تسيير الفدرالية إلى غاية الاستقلال³.

من حق المهتم بتاريخ فدرالية الجبهة بفرنسا أن يتعرف على العوامل التي مكنت الفدرالية من التمتع بالاستقرار طيلة أزيد من أربع سنوات، من 1958 إلى 1962، علما أن مسيرتها جاءت من آفاق متباينة، وكانت مستويات تكوينهم مختلفة. لخص (بوداود) هذه العوامل: "الانسجام الذي ساد بين أعضائها وحسهم المتطور بأهمية المسؤولية المنوطة بهم. [...] سادت ثقة تامة مطلقة بيننا، نحن الذين كنا نتقاسم نفس الخيار السياسي ونفس النظرة للمستقبل... كان لنا إيمان راسخ بجبهة التحرير الوطني... لقد برهن معظم أعضاء اللجنة الفدرالية على جدارتهم كمناضلين في الحركة الوطنية، كان كل واحد فينا مروضاً على ما ينتظره من مهام في القطاع الخاص به. لقد جمعت بيننا أخوة المقاومة، كمناضلين وكأحباب. كانت قرارات اللجنة مشتركة. كنا نناقش، بشدة أحيانا، مع تمسك كل واحد بجوانب الصواب في رأيه بحرية مطلقة، ويتخذ القرار عموماً بالإجماع، فإن تعذر ذلك، نلجأ إلى التصويت"⁴.

¹ - ينظر تفاصيل أكثر عن هذه المشاكل وطبيعتها في:

Boudaoud (Omar), Op cit, pp 153-155.

² - (علي هارون)، من مواليد 1927 في «بئر مراد رايس» بالجزائر العاصمة. بعد التعليم الابتدائي والثانوي في مدينة الجزائر، تابع دراسته في ملية الحقوق بباريس. ناضل ضمن الفرع الجامعي لـ«ح.إ.ح.د»، ثم أصبح عضو في اللجنة الفدرالية لفدرالية الجبهة بفرنسا في 1958، وفي «م.و.ث.ج - C.N.R.A». بعد الاستقلال أصبح نائبا عن مدينة الجزائر في «الجمعية الوطنية التأسيسية» بين 1962-1963. انسحب من الحياة السياسية ليتفرغ للعمل في مكتبه للمحاماة. وبعد إلغاء المسار الانتخابي في 1992، أصبح وزيرا لحقوق الإنسان في 1992، عضو في «المجلس الأعلى للدولة - H.C.E» بين 1992-1994. من أهم مؤلفاته: «La 7^{ème} wilaya»، و«L'été de la discorde».

Cheurfi (Achour), Op cit, p 183.

³ - Boudaoud (Omar), Op cit, p 152.

⁴ - بوداود (عمر)، المصدر السابق، صص 155-156.

لكن هناك عامل آخر لا يقل أهمية عن العوامل الأخرى، وهو نقل مقر الفدرالية من فرنسا إلى ألمانيا في ربيع 1958، والتي اتخذت مقرا مؤقتا في مكتب ذي غرفتين كائن بعمارة، تشغلها شركات تجارية، موجودة في شارع «هوهنزوليرن رينغ - Hohenzollern Ring»، استخدم فقط للتلاقي وعقد الاجتماعات، ولم يُتخذ كمركز دائم للفدرالية¹.

الواقع أن قرار تحويل قيادة الفدرالية إلى «ألمانية الاتحادية»، جاء بناء على التجارب السابقة التي مرت على اللجان الفدرالية منذ 1955، والتي لم تصمد، كلها، أكثر من ستة أشهر لتقع في شرك الشرطة الفرنسية، وكان آخرها اللجنة الفدرالية برئاسة (محمد لبجاوي)، التي لم تُعمر سوى شهرين. يقول (بوداود) حول هذه المسألة: "كانت العبرة التي وجب استخلاصها من مختلف عمليات إلقاء القبض واضحة: إن بقاء الفدرالية واستمرارية نشاطها مرهون بوضع إدارتها بمنأى عن إصابتها من طرف مصالح القمع الفرنسية"². إن الاستقرار والاستمرارية الذين تحققا للفدرالية منذ 1958 فتح لها وللهجرة الجزائرية في فرنسا وفي بقية البلدان الأوروبية، المجال واسعاً، لتقديم مساهمة ثمينة، فعالة وحاسمة في إنجاح الثورة، والدليل الواضح على ذلك، أن «م.و.ث.ج - C.N.R.A»، قرر في دورته المنعقدة في ديسمبر 1959 - جانفي 1960 ترقية فدرالية فرنسا رسمياً إلى مرتبة ولاية وفي نفس المرتبة مع بقية الولايات الست في التراب الوطني³. وهكذا نشأت ما سيعرف بـ«الولاية السابعة» والتي تعد بحق واحدة من أعظم انجازات الثورة ودليل عبقريتها في التخطيط والتنظيم.

تعددت مهام الفدرالية وتنوعت، لكن يمكن حصرها في: دعوة الجالية الجزائرية إلى احتضان الثورة ومساندتها وتوفير المال اللازم لاستمرارية الثورة، نقل العمل المسلح إلى أراضي العدو وتوعية الرأي العام بالفظائع التي ترتكبها الحكومات باسمهم. لكن المهمة المستعجلة كانت كسب الجالية الجزائرية، التي كانت

¹ - يذكر (بوداود) في مذكراته أن المكتب استأجره، لفائدة الفدرالية، شخص يدعى (مسعود)، وهو طالب جزائري، درس الحقوق في «بغداد»، يتحدث الألمانية بطلاقة، ويتوفر على أوراق إقامة قانونية. المكتب سُجل باسم شركة مختصة في استيراد وتصدير العتاد الكهرو- منزلي.

بوداود (عمر)، المصدر السابق، ص 161.

² - نفسه، ص 160.

³ - Boudaoud (Omar), Op cit, p 158.

حينذاك تدين بالولاء المطلق والأعمى لـ(مصالي الحاج)، في حين أن «ج.ت.و» كان تنظيماً جديداً غير معروف على نطاق واسع في الجزائر، فما بالك في فرنسا. لذلك فإن الأولوية بالنسبة لها هو التعريف بنفسها، وبروادها، وبأهدافها، وهذا ما تضمنه بيان أول نوفمبر 1954. وجاء في مذكرات (أحمد دوم)، من قسمة «سوشو - Sochaux»، وهي القسمة الأولى التي التحقت بالجبهة، أنه في مسعى تعريف الجزائريين في المهجر بـ«ج.ت.و» اهتدى إلى طريقة مؤثرة ذات مفعول قوي يقول عنها: "كنت أنقل إلى بن سالم أسماء وعناوين بعض أعضاء القسمة ممن ألمس فيهم القابلية لاختيار الجبهة. وكانت تلك المعلومات تصل بواسطته إلى القاهرة دون علم المعنيين. وبعد عدة أيام يتلقى أولئك الأعضاء من مصر أغلفة تتضمن نسخة من بيان أول نوفمبر وبعض المنشير، وكم كان تأثيرها فوراً. تخيلوا مناظلاً بسيطاً في «ح.إ.ح.د» في ركن ما بفرنسا، يتلقى رسالة من القاهرة تدعوه شخصياً للانضمام إلى «ج.ت.و». لقد كان للأثر النفسي مفعولاً كبيراً، يجعل هذا المناضل يقول في قرارة نفسه: "أنا معروف في عاصمة العالم العربي"، فيصبح ينظر بعين العطف إلى هذه المنظمة الجديدة، هذه الجبهة التي تدعوه إلى المعركة. لكن سرعان ما يطرح المرسل إليه على نفسه أسئلة أخرى: "من الذي نقل عنواني إلى هذا المكان البعيد؟ وإذا وجب علي الانخراط في هذه الحركة التي اقتنعت ببيانها فبمن سأتصل؟ وأين توجد جبهة التحرير الوطني؟"¹. وهناك طريقة أخرى في الاتصال بالمهاجرين أوردتها (دوم) تتمثل في أنهم: "يجدون عند استيقاظهم منشير لـ«ج.ت.و» كنا نجعلها تنساب من تحت الأبواب على الساعة الرابعة صباحاً...وبن سالم هو الذي كان يزودنا بتلك المنشير...العشرات من المناضلين الذين اقتربنا منهم، كلهم أستجابوا. قررنا إذن توسيع هذه النواة بالتجنيد من قسمات أخرى"². إضافة إلى ذلك كانت الفدرالية تلجأ إلى عقد الاجتماعات الإعلامية في المقاهي، المراقد والفنادق التي يرتادها المهاجرون لشرح حقيقة الكفاح المسلح الذي تم الإعلان عنه في الجزائر والجهة الفعلية التي تقف وراءه. وهناك أسلوب آخر أثبت نجاحه، وهو اجتماعات المواجهة أو المقابلات وجهاً لوجه، ويتم اللجوء إلى هذا الأسلوب في حال بروز شكوك أو تردد لدى القسمات التي لم تعد، في ظل عدم وضوح الرؤية، قادرة على حسم موقفها اتجاه التيارين المصالي والجهوي. وفي مسعى ترجيح أحد الموقفين، يتم اقتراح تعيين عنصراً أو أكثر من بين الحاضرين في

¹ - Doum (Ahmed), Op cit, p 63.

² - Doum (Ahmed), op cit, pp 63-64.

اجتماع المواجهة للذهاب إلى الجزائر للعودة بالخبر اليقين عمن يخوض الكفاح حقاً. وبمرور الوقت اتضح أن ذلك الأسلوب كان مثمراً بالنسبة للفدرالية، لأن الحقيقة بدأت تدريجياً تتجلى للمهاجرين¹. وهكذا فإن الفدرالية التي بدأت ببعض الأعضاء الذين يعدون على أصابع اليد في 1955، قفز عدد أعضائها إلى عشرين ألف عضو في 1957، وإلى مئة وست وثلاثين ألفاً وثلاث مئة وخمسة وأربعين عضواً في 1961².

بقدر ما كانت عملية التجنيد شاقة ومضنية، فإن تأطير الأعداد المتزايدة للجالية الجزائرية كانت مسألة أكثر تعقيداً، تتطلب معرفة دقيقة ومؤكدة لمدى إيمان المجندين بالقضية وقدرتهم على الالتزام وقابليتهم للكفاح. ويذكر (علي هارون) أن: "المجنّد حديثاً يمر عموماً على مراحل متتابعة، متعاطف، فمخروط، ثم مناضل... ويسمح هذا التصنيف للمجنّد الجديد عند انتقاله من صنف إلى آخر، بتقوية إرادته وترسيخ أفكاره أو الوقوف على حدود إمكانياته³. بالنسبة للفدرالية فإن المتعاطف هو الذي يطلب الانضمام بمحض إرادته، ويخضع لتدريب يؤهله للارتقاء إلى الأصناف الأخرى. وعليه يُطلب منه القبول بانضباط الفدرالية وسلطتها، يحضر الاجتماعات التي تعقدها الخلية التي ينتمي إليها، يقرأ ويوزع المنشائر، ويدفع اشتراكاته. وقد لجأت الفدرالية إلى هذا الإجراء، خوفاً من الاختراق من جواسيس الإدارة الاستعمارية الفرنسية، أو المصاليين. وإذا ارتقى المتعاطف درجة صار مخروطاً وفي هذا المستوى يشارك في التكوين النظري والعمل الذي يسمح فيما بعد بانتقاء أفضل العناصر وترقيتها إلى مناضلين. فالمناضلون، كما يقول (علي هارون): "هم الذين لعبوا الدور الرئيسي في منظمة فدرالية (ج.ت.و) بفرنسا وكانوا ينجزون المهام المختلفة الأشد خطورة، مما جعلهم العنصر المحرك للجالية الجزائرية التي كانوا، بلا نقاش، طليعتها في المعركة"⁴.

امتد اهتمام الفدرالية إلى حياة المهاجرين الخاصة والعامة عبر لجان خاصة مكلفة بالتكفل بالقضايا العامة التي تعترضهم، مثل لجان دعم الموقوفين لمساعدة المساجين السياسيين الذين يتم تنظيمهم داخل السجون وتوفير هيئات للدفاع عنهم أمام المحاكم الفرنسية. وكذلك لجان العدالة التي كانت مكلفة بفض النزاعات بين

¹ - Haroun (Ali), Op cit, pp 19-20.

² - Ibid, p 62.

³ - هارون (علي)، المصدر السابق، ص 62.

⁴ - هارون (علي)، المصدر السابق، ص 63.

الجزائريين، خاصة بين التجار وبين أصحاب الفنادق وزبائنهم وشجارات تافهة وقضايا الطلاق. ولجان الصحة المكلفة بمراقبة الحالة العامة لفنادق الجزائريين، ومدى ملائمتها للشروط الصحية، والتأكد من عقلانية تكلفة الكراء¹. وحتى النساء شملهم هذا التأطير، خاصة مع تزايد عددهن²، وبعضهن تقلدن مسؤوليات سياسية بالفدرالية³. ومن خلال هذه اللجان، كانت الجبهة تهدف إلى وضع حواجز بين فرنسيي الجزائر المسلمين والإدارة الفرنسية، ومن ثم تأسيس دولة داخل دولة⁴.

فيما يتعلق بجمع المال فقد كانت اشتراكات المهاجرين الجزائريين أحد المصادر الرئيسية لتمويل «ج.ت.و». وكان ذلك المال يشكل عصب الثورة، لأنه بواسطته أمكن للجبهة أن تتحمل أعباء الجهود الحربية وتبعاته، فالتكلفة المرتفعة لشراء الأسلحة للمجاهدين، ومستلزمات العمل الدبلوماسي، والتكفل بعائلات المناضلين الموقوفين وعائلات الشهداء، تجعل النفقات دائما مرتفعة دون توقف⁵. قبل اندلاع الثورة كانت الاشتراكات تصب في حساب «ح.إ.ح.د- M.T.L.D»، وبعد قيام الثورة أصبحت تُصب في حساب حزب «ح.و.ج- M.N.A» المصالي، ضنا، كما ذكرنا سابقا، بأن (مصالي الحاج) هو مفجر الثورة. لذلك فإن «ج.ت.و» في سعيها لإقناع الجالية الجزائرية بأنها صاحبة المبادرة، كانت تقترح تجميد الاشتراكات ريثما تتضح الأمور، ثم يتم تسلم الأموال بعد ذلك إلى التنظيم الذي يتضح أنه يخوض فعلا كفاح التحرير، وبهذه الكيفية نجحت الفدرالية في جعل القاعدة الموالية «ح.و.ج- M.N.A» تقطع العلاقة مع مسؤوليها على الأقل إلى حين الفصل في المسألة⁶. خلال سنتي 1954-1955 كان المبلغ المحصل قليل جدا

¹ - Haroun (Ali), Op cit, pp 58-59.

² - قامت محافظة شرطة باريس سنة 1955 بإحصاء النساء. وورد في التقرير المؤرخ في 31 ديسمبر 1955، أن في حي «لا غوت دور- La Goutte d'Or» تم إحصاء 47 امرأة، وفي حي «لافبيات كونت- La Villette compte» 35 امرأة. وفي ضواحي باريس: 48 امرأة في دائرة «بوتو- Puteaux»، و35 امرأة في «سانت دوني- Saint Denis». ويفيد ذات التقرير أن هؤلاء النسوة لا يخرجن من بيوتهن ولا يعتنن إلا بولادتهن العديدة، لكن التقرير لم يحدد إذا كان الأمر يتعلق بالجزائريين فقط.

Amiri (Linda), op cit, p 56.

³ - Ibid, p 55.

⁴ - Ibid, p 54.

⁵ - Stora (Benjamin), Les immigrés algériens en France, une histoire politique 1912-1962, éditions Pluriel, Paris, 2009, p 164.

⁶ - Haroun (Ali), Op cit, p 20.

ولا يساوي شيئا. ومع تزايد عدد المنخرطين تحسن المدخول المالي بين سنتي 1956-1957، ليحقق قفزة معتبرة ابتداء من 1958، عندما استقر الطاقم الإداري للفدرالية، وأصبحت التأطير شبه كلي لكافة المهاجرين. ففي 1957 بلغ المدخول المالي أكثر من 483 مليون فرنك، ليقفز إلى أكثر من 2 مليار و815 مليون فرنك، ليصل إلى أكثر من 05 مليار و968 مليون فرنك سنة 1960¹.

حُدد مبلغ الاشتراك، بالنسبة للأجراء²، بألف فرنك فرنسي قديم ثم ألفين فرنك، وأخيرا ثلاثة آلاف فرنك. أما التجار فكانوا يدفعون خمسة آلاف فرنك كمبلغ قاعدي، ويرتفع مبلغ الاشتراك حسب رأسمال كل تاجر. ويؤكد (علي هارون) أن المهاجرين كانوا متحمسين لمبدأ المشاركة والدعم المالي للثورة، إدراكا منهم بضرورة تحمل أعباء الحرب من قبل جميع أفراد الأمة الجزائرية، وهم جزء من هذه الأمة، وفند أكاذيب وأباطيل الصحافة والشرطة الفرنسية التي تزعم أن الاشتراكات ما هي إلا ابتزاز مالي، لأن الأموال كانت تُجمع بالعنف والتهديد³. فقد كتبت الصحف الفرنسية، في تلك الفترة، وبعناوين كبيرة عما أسمته "الضريبة الثورية - *L'impôt Révolutionnaire*، "جو من الرعب - *Climat de terreur*"، "ابتزاز - *Racket*". فجريدة «باريس-بريس - *Paris-Presse*»، كتبت بعنوان كبير: "ابتزاز أف.أل.أن- *Le racket du FLN*" ذكرت أن رقم الأعمال يصل إلى مئة مليون فرنك شهريا في باريس، وادعت بأن ولا جزائري يمكنه الإفلات من الضرائب غير القانونية. وكتبت الأسبوعية البروتستانتية «ريفورم - *Réforme*»، وبعنوان كبير أيضا: "الضريبة أو الموت - *L'impôt ou la mort*" وذكرت أن دفع الاشتراكات بطريقة إرادية ليس أمرا سهلا بالنسبة للعمال للجزائريين⁴. ومما جاء في رد (هارون) على تلك الافتراءات: "حتى ولو فرضنا ذلك... كم كان علينا أن نوفر من عميل لابتزاز ونشل 300 ألف ضحية لكل واحدة عليها دفع مبلغ 3 آلاف فرنك؟ إن مجرد التذكير بهذه الأرقام يكفي لدحض هذه الأباطيل الكاذبة".⁵ وفي نفس

¹ - Haroun (Ali), Op cit, p 309.

² - حسب (علي هارون)، كان معدل أجرة العامل الشهرية وقتذاك تتراوح بين 60 ألف و70 ألف فرنك فرنسي قديم. ظهر الفرنك الجديد في فرنسا أواخر الخمسينات. وواحد فرنك فرنسي جديد كان يساوي آنذاك مئة فرنك قديم.

Ibid, p 306.

³ - Ibid, p 306.

⁴ - Stora (Benjamin), Op cit, p 168.

⁵ - هارون (علي)، المصدر السابق، ص 406.

السياق يؤكد المؤرخ الفرنسي (بنيامين سطورا- Benjamin Stora) أن: "...معظم عشرات الآلاف من المهاجرين الجزائريين الذين يدفعون الاشتراكات، كانوا يقومون بذلك بقناعة سياسية، ورغبة في تحرير الجزائر، متمسكين بالإيمان الديني، أو رافضين للاندماج في المجتمع الفرنسي، حيث يعيشون ويعملون"¹.

في المقابل يعترف (هارون) بالتأثير السلبي لـ "الدعاية التهرجية للصحافة الفرنسية"² خاصة ما تعلق بالأموال التي نجحت الشرطة الفرنسية من حجزها ومصادرتها خلال عمليات التعقب والمداخلة، والتي أضرت بالفدرالية، وجعلت المناضلين يستاءون ويشتمون مما حدث ويتساءلون: "ما الفائدة من جمع أموال كثيرة مع كل ما يتطلبه من مخاطر ونسلمها في النهاية قي طبق محسوبة ومرتبة للشرطة"³. وقدر مجموع ما حجزته الشرطة الفرنسية من أموال بين 1956-1962 أكثر من 11 مليار و225 مليون فرنك جديد⁴. ولحماية الأموال من مخالب الشرطة الفرنسية أعطت الفدرالية تعليمات صارمة تتعلق بمكان إيداع المبالغ المجمعة والمدة المناسبة لتسليمها، وأقصاها ثلاثة أيام. وهكذا أصبحت مسألة تأمين الأموال وضمان سلامتها أمرا ملحا وجب متابعتها عن كثب بدءا من خلية الجمع إلى خلية تحويل الأموال إلى خارج فرنسا، على أن تكون عملية الجمع والإيداع سريعة وبعيدة عن أعين الشرطة الفرنسية⁵. وكان تحويل المبالغ المالية الكبيرة إلى خارج فرنسا يبدأ من سويسرا، كمحطة أولى، ثم يتم تقسيمها وتوزيعها نحو جهات أخرى. وقد استعانت الفدرالية في ذلك بشبكات دعم أوروبية للثورة، تتسلم الأموال في باريس وتحوّلها إلى جنيف. وعبرت (ليندة عميري) عن هذا المفهوم بقولها: "...فقد ركزت أيضا [أي الفدرالية] على حل مشكلة إرسال الاشتراكات التي تتطلب بناء شبكة سرية للدعم، وشيئا فشيئا بُنيت الاتصالات بأناة شديدة حيث أصبح أولئك الأوروبيون والأوروبيات من الذين آمنوا بقضية جبهة التحرير الوطني "حاملي الحفائب" وبناء لسلسلة من شبكات الإرسال العابرة للدول المتاخمة لفرنسا"⁶. وستتطرق لهذه القضية بالتفصيل في الباب الثاني.

¹ - Stora (Benjamin), Op cit, p 169.

² - هارون (علي)، المصدر السابق، ص 408.

³ - نفسه، ص 409.

⁴ - Stora (Benjamin), Op cit, p 164.

⁵ - Haroun (Ali), Op cit, p 308.

⁶ - ليندة (عميري)، معركة فرنسا، حرب الجزائر بفرنسا، ترجمة فضيل بومالة، منشورات الشهاب، الجزائر، 2013،

2 - شرح أسباب وأهداف الثورة والمبادئ التي تقوم عليها

منذ انطلاق ثورة التحرير الوطني حرصت «ج.ت.و» على مخاطبة الرأي العام مباشرة لشرح الأسباب والأهداف التي دفعت الشعب الجزائري إلى إعلان الكفاح المسلح. وارتكزت في مخاطبتها على: "مبادئ نوفمبر ومثله العليا التي أجمعت ما بين مبادئ الكفاح المسلح ومبادئ الثورة الإنسانية التي تدخل في صميم تعاليم الدين الإسلامي، الذي هو دين الإخاء والتسامح ومكارم الأخلاق وحب الوطن والدفاع عنه ولو يقتضي الأمر الاستشهاد من أجله. كما أنها قد تغذت بدون شك وتشبعت بمبادئ الثورة الفرنسية المتمثلة في الحرية والأخوة والمساواة، ولم تكن غريبة عن مبادئ ولسون والشرعية الدولية وتكريس مبدأ تقرير مصير الشعوب المستعمرة"¹.

في مناسبات كثيرة اغتنمت «ج.ت.و» الفرصة لتذكير الرأي العام بأسباب إعلان الكفاح المسلح. ففي مؤتمر التضامن للشعوب الأفروآسيوية المنعقد في 26 ديسمبر 1957 بالقاهرة² ورد في خطاب (لمين دباغين) قائد البعثة الجزائرية إلى المؤتمر ما يلي: "...لمدة طويلة اعتقد الشعب الجزائري بأنه سيتوصل، بالوسائل السلمية، إلى إقناع فرنسا بضرورة القطيعة مع التحالف الاستعماري. اعتقد بأن الحرب العالمية الثانية أزال القمع والرق وأنه، من الآن فصاعداً، لن يسود في هذا العالم إلا القيم النبيلة والحرية والسلام والأخوة المتضمنة في الإعلانات والمواثيق الدولية". واستذكر مأساة 8 ماي 1945 التي ألت بالجزائريين: "في 8 ماي 1945، مثله مثل بقية كل الشعوب الأخرى، كان الشعب الجزائري يستعد ليحتفل بفرح بانتصار الحرية على القمع، هذا الانتصار الذي ساهم فيه بشكل واسع. وكان يعتقد أنه انتصاره. فرنسا ردت بقمع حقيق، 45 ألف قتيل، هذا، أيها السادة، ما يعنيه 8 ماي 1945 بالنسبة للجزائريين... إذن،

ص 71.

¹ - محمد مجاود، المجالات الإنسانية في الثورة الجزائرية، مداخلة في الملتقى المغاربي حول الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية يومي 11 و12 جوان 2003، تحت إشراف الدكتور محمد مجاود، جامعة حيلالي ليايس، سيدي بلعباس، ص 17.

² - لمزيد من المعلومات عن مؤتمر التضامن الأفروآسيوي المنعقد في 26 ديسمبر 1957 بالقاهرة ينظر:

El Moudjahid, V 1, n° 15, du 1^{er} janvier 1958, pp 256-257.

لما لم يجد مخرجاً، اضطر لإعلان الثورة ضد القمع...¹. في نفس الاتجاه دحض (دباغين) في خطابه المزاعم والدعاية الفرنسية التي تريد أن تنسب ما يحدث في الجزائر إلى فئة عادة ما تصفها بالخارجة عن القانون وأكد أن "الثورة الجزائرية ليست انجاز ولا حكر لحزب أو طبقة اجتماعية وإنما هي من صنع جميع الجزائريين فلاحين، عمال، مثقفين، نساء وأطفال"².

في العدد الثاني من جريدة «El Moudjahid» كتب (العربي بن مهيدي)، قائد المنطقة العسكرية الخامسة، مقالاً بعنوان: "الأهداف الأساسية لثورتنا - Objectifs fondamentaux de notre révolution" يعرض فيه أهداف الثورة، ولخصها في أربعة أهداف أساسية وهي: طرد المحتل الإمبريالي، إقامة جمهورية ديمقراطية واجتماعية، إقامة نظام اشتراكي يتضمن، بشكل خاص، إصلاحات زراعية عميقة وثورية، توفير حياة معنوية ومادية لائقة، تحقيق السلام في المنطقة المغاربية. وفي ذات المقال أوضح أن: الشعب الجزائري في كفاحه التحرري الوطني، يعتمد على المساندة والتضامن الفعلي للعرب وعلى الصداقة الأفروآسيوية وعلى تعاطف الشعب الفرنسي والديمقراطيين والتقدميين في العالم. وهكذا فإن الانتصار على النظام الاستعماري سيسمح بإقامة تحالفات متينة، وبخاصة، مع الشعب الفرنسي في كفاحه ضد الفاشية ومن أجل الديمقراطية، وسيكون سداً منيعاً ضد الامبريالية في إفريقيا. ويختم المقال بالتأكيد على أن الأمة الجزائرية تحت القيادة النيرة لـ«ج.ت.و» وجيش التحرير الوطني ستواصل الكفاح إلى أن يتحقق الاستقلال الوطني، وتدمير الاستعمار إلى الأبد والعمل من أجل انتصار الحريات الإنسانية في ظل المساواة والأخوة العامة³.

أكدت «أرضية الصومام» مبادئ وأهداف الثورة الواردة في بيان أول نوفمبر. فالثورة الجزائرية، كما ورد في الأرضية، لا تهدف إلى رمي الجزائريين من أصل أوروبي في البحر، وإنما تدمير العبودية الاستعمارية غير الإنسانية، وهي ليست حرب أهلية ولا حرب دينية، وإنما ثورة تريد الحصول على الاستقلال الوطني من أجل إقامة جمهورية ديمقراطية واجتماعية تضمن مساواة حقيقية بين جميع المواطنين الذين يقطنون نفس الوطن دون

¹ - André (Mandouze), La révolution algérienne par les textes, préface de Abdelàziz Boutefflika, collection voix de l'anticolonialisme, Editions Anep, Alger, 2006, pp 29-30.

² - André (Mandouze), op cit, p 31.

³ - Ben M'hidi Mohammed Larbi, **Objectifs Fondamentaux de notre revolution**, Le combattant, n° 2, in El Moudjahid, V 1, p 32.

تميز¹. وفيما يتعلق باستقلالية الثورة وعدم خضوعها وتوجيهها من أي طرف خارجي، ورد في الأرضية: "الثورة الجزائرية، رغم افتراءات الدعاية الاستعمارية، هي كفاح وطني، في أساسه، وبشكل قطعي، ذي طابع وطني، سياسي واجتماعي، وليست تابعة لا للقاهرة ولا للندن ولا لموسكو ولا لواشنطن، بل تندرج ضمن المسار الطبيعي للتطور التاريخي للبشرية التي لم تعد تقبل بوجود أمم أسيرة. لهذا السبب أصبح استقلال الجزائر المجاهدة قضية دولية والمشكل المفتاح لشمال إفريقيا"².

في أول تصريح لها بعد تأسيسها في 19 سبتمبر 1958، أوردت «ح.م.ج.ج.» برئاسة (فرحات عباس) في نص التصريح المنشور في 26 سبتمبر 1958 سؤالاً يوضح: "لماذا نكافح؟ - **pourquoi nous combattons?**" ورد فيه تأكيداً بأن الشعب الجزائري شعب مسالم اضطره الاستعمار الفرنسي إلى حمل السلاح بعد أن استنفذ كل الوسائل السلمية للحصول على حريته واستقلاله. وذكّر بحقيقة أن الجزائر ليست فرنسا وأن الشعب الجزائري ليس فرنسياً. وكل المحاولات التي ترمي إلى القفز على هذه الحقيقة مآلها الفشل، لأن الشعب لن يلقي السلاح إلا يوم أن يتم الاعتراف بحقوقه كشعب ذي سيادة³. وفي ذات التصريح حذرت من أن استمرار الحرب في الجزائر سيشكل تهديداً دائماً للسلم العالمي. ووجهوا نداء لكل الرجال ولكل الشعوب بضرورة تضافر جهودهم مع جهود «ج.ت.و.» لوضع حد لهذه الحرب الاستعمارية الدموية⁴.

في المحصلة نستنتج أن «ج.ت.و.» حاولت أن تقدم صورة واضحة المعالم لماهية الثورة وأهدافها، فهي إذن ثورة ضد النظام الاستعماري ومن أجل الاستقلال والحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والمواطنة. وهذا ما يفسر المساندة والدعم المادي والمعنوي والدبلوماسي الذي استفادت منه الثورة من أحرار العالم. ويكفي أن نذكر أنه عند الإعلان عن «ح.م.ج.ج.» اعترفت بها إثنا عشر دولة ليصل إلى واحد وثلاثين دولة غداة وقف

¹ La plateforme de la soumman, III, 4, a. In Les textes fondamentaux de la révolution, - collection patrimoine, Editions Anep, Alger, 2005. P 55.

² La plateforme de la soumman, III, 4, D. In Les textes fondamentaux de la révolution, - op cit, p 64.

³ El Moudjahid, V2, du 10 octobre 1958, p 11.

⁴ Ibid, p 13.

3 - دعوة الرأي العام لتحمل مسؤولياته

تنفيذا لإستراتيجية إقحام الرأي العام، في فرنسا وأوروبا الغربية، في كفاح الشعب الجزائري لوضع حد للنظام الاستعماري، حرصت «ج.ت.و» ومن ورائها فدرالية الجبهة بفرنسا على التوجه إلى الرأي العام، على تنوعه، من فترة إلى أخرى، حسب ما تقتضيه الأحداث وتطوراتها، لتدعوه إلى تحمل مسؤولياته اتجاه الظلم الاستعماري الذي يسلط على الشعب الجزائري باسمه وبمباركته.

في العدد الثاني من جريدة «El Moudjahid» فندت «ج.ت.و» ما كان يُروج له من أن الشعب الفرنسي يساعد الجزائريين في كفاحه التحرري. ففي مقال بعنوان: «الصراع الجزائري وخرافة "المساعدة من شعب فرنسا - Le conflit algérien et la fiction de "l'aide du peuple de France"» وجهت انتقادا لاذعا إلى فعاليات المجتمع الفرنسي لموقفها السلبي المتفرج والمتواطئ اتجاه ما يتعرض له الشعب الجزائري من إبادة من الآلة العسكرية الفرنسية، حيث أكدت أن: "حرب الجزائر المستمرة تقريبا منذ سنتين وضعت محل إفلاس المبدأ، الذي اتخذته البعض عندنا كحصان حرب، والمتمثل في مساعدة شعب فرنسا للشعب الجزائري في حربه التحررية". ونسب الانتصارات المحققة إلى الشعب الجزائري وحده الذي: "بفضل مجهوداته وتضحياته الكثيرة أكد غايته وشخصيته القوية للرأي العالمي"².

في ذات المقال، وبعد أن تساءلت: "ماذا فعل شعب فرنسا وممثليه من أجل مساعدته [أي الشعب الجزائري] في معركته العظيمة؟" وجهت سهام النقد والعتاب إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي من المفروض أن يكون حزب تقدمي، حيث ورد: "ال«ح.ش.ف» الذي يُفترض أنه يساند دوما استقلال الشعوب المستعمرة وأنه يعلن دائما أنه الأقرب منا، لم يقم من الناحية العملية بأي شيء. خارج بعض التصريحات الأفلاطونية من أجل "وقف إطلاق النار" ومقالات أكاديمية في «لوماني-تي»

¹ - إبراهيم مياشي، ثورة أول نوفمبر والدولة الوطنية، مداخلة في الملتقى المغاربي حول الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية يومي 11 و12 جوان 2003، المرجع السابق، ص 89.

² - El Moudjahid, V 1, n° 2, sans date, p 33.

L'humanité»، لا شيء مهم تم القيام به من طرف هذا الحزب مقارنة بالإمكانات الضخمة التي بحوزته¹. وذكرت أنه بفضل الأصوات الممنوحة من (جاك دوكلو - Jacques Duclos)² وأصدقائه في غرفة النواب تمكن (غي مولي - Guy Mollet) والحاكم العام في الجزائر (روبار لاکوست - Robert Lacoste)³ من الحصول على كامل السلطات لخوض حرب إبادة ضد الشعب الجزائري، الذي ليس مستعدا لنسيان ذلك.

للتدليل على السلبية المطلقة لـ«ح.ش.ف» تساءلت «ج.ت.و» عن السبب الذي جعل المنتخبين الشيوعيين في قصر البوربون وفي مجلس الجمهورية وفي المجالس العامة والبلدية يسكتون بلا حياة عن الفظائع التي لا تعد والمرتكبة من القوات الفرنسية والامتناع عن القيام بأي عمل لصالح استقلال الجزائر. وتساءلت أيضا عن السبب الذي منع قادة وإطارات نقابة «سي.جي.تي - C.G.T» التابعة لـ«ح.ش.ف» من تنظيم إضراب لمضايقة الامبرياليين الفرنسيين في حربهم الاستعمارية. وذكرت مثالا واحدا ويتعلق الأمر بعمال الموانئ لـ«مرسيليا» و«بورديو» و«نانت» الذين يشحنون باستمرار سفن السلاح والذخيرة الموجهة لإلقاء الموت والدمار في الدواوير والمشاقي الجزائرية. كان بإمكان هؤلاء رفض القيام بهذا العمل والإضراب عنه مثلما فعل عمال الموانئ الهولنديين الذين رفضوا شحن سفن الأسلحة والذخيرة الموجهة إلى اندونيسيا⁴.

لم يسلم الحزب الاشتراكي والأحزاب المسيحية من الانتقاد، فقد سخرت «ج.ت.و» من الاشتراكيين وخاصة منتخبيهم الذين يطلقون تصريحات مدوية عن مبادئ (جوريس - Jaures) وعن وقف إطلاق النار مع الجزائريين، لكن في الواقع أصبحوا مديرين للاستعمار. ف(غي مولي) الوزير الأول و(روبار لاکوست) الحاكم العام على الجزائر اتفقا على قمع الجزائريين ومهاجمة المجاهدين في كل الخطابات. أما بالنسبة للأحزاب المسيحية فقد اتهمتها بأنها في الوقت الذي لا تتوقف فيه عن إشباع الأسماع بالكلمات الجميلة حول حب

¹ Ibid.

² - كان (دوكلو - Duclos) نائبا عن الحزب الشيوعي الفرنسي الذي صوت على قانون السلطات الخاصة لصالح الحاكم العام والجيش في التعامل مع الثورة في الجزائر.

³ - شغل (لاکوست - Lacoste) منصب حاكم عام الجزائر من 9 فيفري 1956 إلى 13 ماي 1958. وينتمي إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي.

⁴ - El Moudjahid, V 1, n° 2, op cit, p 33.

الجنس الإنساني واحترام كرامة الإنسان، في هذا الوقت لم تقبل التغطية على الصراع الجزائري فحسب لكنها شاركت فيه بفعالية. فشخصيات بارزة في الكنيسة تدعم سياسة (روبار لاكوست)، وحتى الشباب الكاثوليك والبروتستانت المجندين، فبدلاً أن يرفضوا المشاركة في الحرب فضلوا المجيء إلى الجزائر لممارسة تجاوزات لا تحصى على المدنيين بحجة الدفاع عن فرنسا¹.

من ناحية أخرى سفهت الجبهة الحجاج التي تبرر بها هذه الأطراف سلبيتها اتجاه معاناة الشعب الجزائري، من قبيل أن الأمور ليست سهلة، وأن الرأي العام في فرنسا ليس ناضجاً للقيام بما يطلبه الجزائريون، أو حجاج أخرى من قبيل أن هناك فرنسيين شجعان وصادقين، مع قلتهم، وقفوا ضد حرب الجزائر. لكن هذه الحجاج واهية ولا تعني شيئاً لأنها لا توقف إراقة الدم الجزائري الذي يسيل بغزارة². في المقابل طمأنت الجبهة الرأي العام في فرنسا بأن استنكار هذه الوقائع ليس بدافع الشوفينية ضد شعب فرنسا ولكن لإزالة الوهم من عقول بعض الجزائريين، خاصة المثقفين، الذين يضمنون بأنهم قادرين على وقف الصراع الجزائري بالتأثير على الرأي العام، لكن هذا الأخير انخرط في المغامرة الجزائرية بشكل كبير تضع الشكوك في قدرته على فعل أي شيء³.

من المجالات الأخرى التي ركزت عليها الجبهة في مخاطبة الرأي العام، تكلفة الحرب البشرية والمادية. وظهر ذلك جلياً في بعض الخطابات والمقالات نذكر منها مقالا بعنوان: "هل سيفهم الشعب الفرنسي أخيراً أن

حكامه يسوقونه إلى الهاوية ؟ - Le peuple français comprendra-t-il enfin que ses

gouvernements le mènent à l'abîme ?" وفيه تستغرب «ج.ت.و» ما الذي يجعل الحاكم

العام (روبار لاكوست) ييدي تفاؤلاً أمام وضع لا يمكن وصفه إلا بالمأساوي. فالـ 600 ألف جندي فرنسي، الذين تم استدعاءهم، لم يعودوا كافيين لاحتواء جيش التحرير الوطني. الكمائن ضد القوات الفرنسية تضاعف عددها في كامل التراب الجزائري وأصبحت قاتلة أكثر فأكثر. قائمة الضحايا الفرنسيين تطول كل يوم. موازاة لذلك فإن نجاحات جيش التحرير الوطني جعلت صفوف «ج.ت.و» تتدعم كل يوم. في هذا الوقت يصرح (لاكوست) بلا توقف أن "كل شيء يسير إلى الأحسن". هذا يعني أنه يحوز على خارطة طريق تقوده أو

Ibid. - 1

Ibid. - 2

El Moudjahid, V 1, n° 2, op cit, p 33. - 3

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

ورقة راجحة أو قنبلة فائقة السرية والتي ستقوم بتحطيم التمرد الجزائري¹. لكن كيفما كانت المخططات ومهما كان منفذوها فإن مآلها الفشل والسبب - كما وضحت الجبهة - أن القضية الجزائرية ليست قائمة فقط على تصورات يتم تخطيطها على الأوراق بل على معرفة عميقة بالشعب الجزائري ومسرح المواجهة والأطراف الفاعلة فيه، وكما كتبت الجبهة تقول: "فنحن من يعرف الشعب الجزائري لأن الشعب هو نحن ونحن ومسرح المواجهة هي أرضا والفاعلين هم نحن أنفسنا" المحصلة هو أن الشعب الفرنسي ما زال يحصي أمواته كل يوم وسيستمر في إحصائها ما دامت الحكومات الفرنسية مصرة على نهج عدم الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال².

إضافة إلى الأحزاب اليسارية والأحزاب المسيحية خاطبت «ج.ت.و» النخبة المثقفة والقوى الديمقراطية في البلدان الاستعمارية، حيث ذكّرتهم بواجبهم الأول وهو مساندة، بلا تردد، المطلب الوطني للشعوب المستعمرة. وهذا التصرف قائم على أسس نظرية مهمة جدا وهي: الدفاع عن فكرة الإنسان كإنسان، رفض المشاركة في المؤسسات التي تتسبب في تراجع ونفي بعض القيم والمصالح الجماعية للطبقة المنتجة في البلدان الاستعمارية وفي مجموع البلدان المستعمرة، وأخيرا العمل لفرض على الحكومات احترام حق الشعوب في تقرير المصير³.

في «أرضية الصومام» وجهت الجبهة كلاما إلى الديمقراطيين الفرنسيين جاء فيه: "من المؤكد أن «ج.ت.و» تولي اهتمام بالغ للمساعدة التي يمكن تقديمها للمقاومة الجزائرية من الفئة المتنورة من

¹ - تعود خلفية هذه التصريحات إلى محاولة اختراق صفوف جيش التحرير الوطني، حيث اعتقد الوالي العام على الجزائر (جاك سوستال) وخلفه (روبار لاکوست) أنهم حازوا على الوسيلة التي توصلهم إلى إجبار الجزائريين على وضع السلاح. ففي الولاية الثالثة (منطقة القبائل) اعتقدت أجهزة الاستعلامات التابعة لـ(سوستال) أنها نجحت في استمالة ثلاث مسؤولين ميدانيين جزائريين إلى صفها. ويتعلق الأمر بكل من (أحمد زيدات) و(طاهر عشيش) و(محمد يزورن) وكلفتهم بتشكيل مجموعات من المقاتلين الجزائريين تتكون من 15 إلى 20 فرد، على غرار المجموعات التابعة لجيش التحرير الوطني. وبعد تدريبهم وتسليحهم يتم دسهم ضمن وحدات جيش التحرير الوطني. لكن ما لم يكن يعرفه (سوستال) ثم (لاکوست) أن (زيدات) و(عشيش) و(يزورن) أعلموا قادة منطقة القبائل (كريم بلقاسم) و(سعيد محمد) بالمخططات الفرنسية. ولاستغلال ذلك لصالح الثورة أمر قادة منطقة القبائل المسؤولين الثالث إلى قبول العمل وأفضت العملية إلى إحباط المخطط الفرنسي، وكسب جيش التحرير الوطني مقاتلين مدربين وأسلحة.

Ibid, V 1, n° 3, p 53.

² - El Moudjahid, V 1, n° 3, p 53.

³ - Les intellectuels et les démocrates français devant la révolution algérienne, in El

Moudjahid, V 1, n° 13 du 1^{er} décembre 1957, p 199.

الشعب الفرنسي الذي ليست له المعلومات الكافية حول الفظائع التي لا يمكن وصفها المرتكبة باسمه... ونحن نقدر مساهمة ممثلي الحركة الليبرالية الفرنسية من أجل انتصار الحل السياسي لنفاذي إراقة الدماء بلا جدوى¹. في هذا الاتجاه كلفت «ج.ت.و» فدرالية الجبهة بفرنسا بمهمة القيام باتصالات سياسية مع المنظمات والحركات واللجان ضد الحرب الاستعمارية، توظيف الصحافة واللقاءات والمظاهرات والإضرابات ضد ذهاب الجنود ونقل المعدات الحربية، وتقديم الدعم المالي للمقاومين والمقاتلين من أجل الحرية².

في مقال نُشر في جريدة المجاهد الناطقة بالفرنسية تحت عنوان: "في الوقت الذي تتقدم فيه الثورة

الجزائرية بخطى عملاقة فرنسا عملية تسميم رأيها العام- Tandis que la révolution

algérienne progresse à pas géant la France continue d'intoxiquer son

opinion publique، تحدثت الجبهة عن عملية تسميم يتعرض له الرأي العام من المسؤولين الفرنسيين الذين يروجون أن جيش التحرير الوطني يوجد في حالة تعب وضجر وتآكل وبالتالي فإن الاستنتاج الذي يفرض نفسه هو الانهزام الوشيك للمقاتلين الجزائريين. وتمر الشهور والأعوام ولم يتحقق شيء من تلك التنبؤات، ومع ذلك يتم مرة أخرى تقديم وعد للشعب الفرنسي باستسلام «ج.ت.و» في الغد القريب. ورأت الجريدة في ذلك مجرد دعاية قديمة تلجأ إليها الحكومات التي تكون في حالة حرب للمحافظة على معنويات الشعب وذلك بتقديم جيوشها دائما منتصرة وتعد بانفراج الأوضاع في القريب العاجل. لكن في آخر المطاف يُفاجأ الشعب بحكوماتهم تعلن التفاوض مع الشعوب المستعمرة للانسحاب من البلدان المحتلة. وهنا تظهر حقيقة الطرف الذي كان يعاني فعلا من التعب والضجر والتآكل. بالنسبة لجيش التحرير الوطني، مع قلة إمكانياته التي لا تقارن مع إمكانيات الجيش الفرنسي، إلا أنه أثبت بأنه ليس خصما سهلا، وذلك باعتراف القادة العسكريين الفرنسيين الذين أقرّوا أنهم في العديد من المعارك وجدوا أنفسهم في مواجهة فيالق تابعة لجيش التحرير الوطني جد مسلحة وجد مدربة ولا يبدو أن هذا الجيش مصاب بالضجر كما يُروج له³.

¹ - plateforme de la Soummam, III, 4, e, in Les textes fondamentaux de la révolution, op cit p 59.

² - Ibid, III, 4, C, 1, in Ibid p 60.

³ - أورد المقال «معركة الشريعة»، التي وقعت في 19 ديسمبر 1957، كنموذج لفعالية وحدات جيش التحرير الوطني، حيث اعترفت القيادة العسكرية الفرنسية في بلاغ لها بأنها أُجبرت لإسناد العملية على الأرض بالاستعانة بسفن القرصنة وطائرات حربية من نوع «B. 26» و«ميسترال- Mistral» و«T.6». وكانت الفرق العسكرية تتقدم مسنودة بطلقات الهاون من عيار 120 و75 والقنابل اليدوية وحتى السلاح الأبيض. ومع ذلك فإن رشاشات الجزائريين أُجبرت قائد طائرة «P. C. Air» على الهبوط.

El Moudjahid, V 1, n° 13 du 1^{er} janvier 1958, pp 247-249.

كانت «ج.ت.و» بواسطة فدرالية الجبهة بفرنسا و«ح.م.ج.ج.» و«إ.ع.ع.ج.» و«إ.ع.ط.ج.» توجه من حين لآخر نداءات للشعب الفرنسي حسب المستجدات التي تطرأ على الساحة الجزائرية والفرنسية والدولية لتوضيح وجهة نظر الجزائريين والمواقف المتخذة حيالها حتى لا تترك فرصة للدعاية الفرنسية من الاستحواذ على توجيه الرأي العام كما يحلو لها. ففي نداء وجهته فدرالية الجبهة بفرنسا إلى الفرنسيين في جانفي 1959 تدعوهم إلى تحمل مسؤولياتهم اتجاه الجريمة التي تقتربها دولتهم في الجزائر. ومما جاء فيه: "يجب أن تقرؤوا ما نكتب، وتسمعوا إلى ما نقول. يجب أن يصل إليكم صوتنا، غير مشوه، أو غريب، ليس عن بعد، بل عن كثر [...] إن العالم بأسره يعلم حجم كفاحنا، وإنجازات جيشنا، والوسائل المتوفرة لدينا، والحماس الثوري لشعبنا. يبدو أنكم وحدكم من لا يزال يجهل ذلك، والذين من بينكم من لا يجهله، فإنهم يقومون دائما بازدرائه والانتقاص من قيمته [...] إن «ج.ت.و» تقوم، في مدينتكم وفي حيكم، بنشر تحاليلها السياسية وتُعرف بمواقفها، لكنكم لم تكونوا تولونها الاهتمام الذي يفرضه التفكير الحقيقي بالمستقبل، لكن كيف يمكنكم تقدير أحداث لا تعلمون إلا رواية عنها؟ كيف يمكنكم تحديد بشكل صحيح مواقفكم بالنسبة لهذه الثورة بينما تتجاهلون إرادة آراء الجزائريين، أولئك الذين انتقل جيشكم وأولادكم وإخوانكم، لمحاربتهم في بلدهم. إن وضع هذه النشرة الوثائقية، يعبر عن محاولتنا إطلاع الفرنسيين، باستمرار وكلما سمحت الفرصة، على تصريحات «ح.م.ج.ج.» وبمواقفها السياسية وقراراتها"¹.

في نداء بث بباريس مؤرخ في 30 جوان 1958 تأسفت «ج.ت.و» لتنكر الفرنسيين المناهضين للاستعمار لكفاح الشعب الجزائري من أجل: "العيش في بلد لا يمكن أن يكون إلا جزائر حرة ومستقلة" هذا في الوقت الذين كان من المفروض أن مذهبهم ومبادئهم يملئ عليهم معاداة الاستعمار². في المقابل أشادت فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا في نداء آخر مؤرخ في 25 أوت 1958 بمواقف الفرنسيين، مع قلتهم: "الذين يرمون في السجون أو يهانون من قِبل الجرائد والإذاعات الاستعمارية وذلك لأنهم تفهموا المثل العليا للحرية التي تنادي بها «ج.ت.و»... وهؤلاء الفرنسيين والفرنسيات العاديين سيكونون غدا المدافعين الحقيقيين عن القيم الفرنسية لدى الجزائر الحرة..."³.

1 - اتحادية فرنسا لجبهة التحرير الوطني "الولاية السابعة" 1959، جمع، تعريب وتقديم الدكتور علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر، 2013، صص 17-22.

2 - نفسه، ص 27.

3 - نفسه، ص 31.

من الأوتار الحساسة التي عزفت عليها «ج.ت.و» لتحريك الرأي العام هو التأكيد على أن الثورة التي يخوضها الشعب الجزائري منذ نوفمبر 1954 هي ثورة جزائرية صرفة هدفها القضاء على النظام الاستعماري واسترجاع الاستقلال الوطني وبناء علاقات جديدة مع المجتمع الفرنسي على أساس السيادة والاحترام المتبادل ويعتمد لتحقيق ذلك على نفسه فقط ولا يقبل أن يكون لا مدفوعا ولا موجها من الخارج. ولإثبات صدق إدعائها تساءلت الجبهة: "هل عثر الجيش الفرنسي على مقاتلين روسيين أو صينيين في صفوف جيش التحرير الوطني قبل اليوم؟"، لتقر في النهاية بأن الشعب الجزائري هو وحده من يتحمل الآلام والتضحيات وأن مئات الآلاف من الجزائريين والجزائريات ضحوا بأنفسهم وهناك ملايين آخرين عازمون على استلام المشغل لأنهم اختاروا بالإجماع التخلص من المحتل¹. وتمنت الجبهة أن يتوصل الفرنسيون إلى فهم واستيعاب الحقائق التي وضعتها أمامه، خاصة حقيقة أن الجزائر فرضت نفسها بقوة في الحياة الدولية. في ذات الوقت أبدت الجبهة تفهما لكون الفرنسيين وقعوا ضحية التهيئة النفسية الكثيفة والمنظمة التي خضعوا لها، وأكدت أن إرادة السلام تعني اليوم، وبالنسبة لكل فرنسي، الوعي بهذا الواقع البسيط والذي لا يمكن إنكاره أن الجزائر والدولة الجزائرية موجودتان، والثورة الجزائرية ستواصل سيرها ولن يكون هناك أية مفاوضات إلا بين حكومتين، ولن يكون هناك سلام إلا سلام فرنسي جزائري².

4 - الحضور في المؤتمرات والتجمعات الدولية النقابية والطلابية والنسوية

وعيا منها بأن الثورة لا يمكن أن تنجح إلا بتضافر جهود كل فئات المجتمع الجزائري بادرت «ج.ت.و» في تنظيمه في اتحادات، فظهر «إ.ع.ج.» و«إ.ع.ط.ج.» والحركة النسوية ممثلة في «إ.ع.ن.ج.» وغيرها من الاتحادات التي ساهمت مساهمة فعالة في مساندة الثورة ودفعها إلى الهدف المنشود. وفيما يتعلق بتوعية الرأي العام حول القضية الجزائرية لعبت دورا رائدا في إيصال صوت الثورة الجزائرية إلى مختلف مناطق العالم بالمشاركة الفعالة في التظاهرات العالمية.

منذ تأسيسه في 24 فيفري 1956، سعى «إ.ع.ج.» أن يكون أداة لنصرة الثورة التحريرية بتجنيد العمال الجزائريين في الجزائر وفرنسا وبعض دول أوروبا الغربية لكسب الحركة العمالية العالمية في صف قضية الشعب الجزائري. وفي هذا الاتجاه نجح «إ.ع.ج.» في الحصول على العضوية في «الكونفدرالية العالمية

¹ - نفسه، ص 46.

² - اتحادية فرنسا لجبهة التحرير الوطني "الولاية السابعة" 1959، المرجع السابق، ص 50.

للقابات الحرة - C.I.S.L.¹ في جويلية 1957 رغم المنافسة الشديدة من نقابة «اتحاد نقابات العمال الجزائريين - U.S.T.A» التابعة لمصالي الحاج². وكان هذا الانضمام فرصة لل«إ.ع.ع.ج» لإيصال صوت العمال الجزائريين وكفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال إلى كل أنحاء العالم من خلال المشاركة في المؤتمرات التي تعقدها الكونفدرالية، ونشر البيانات ضد السياسة القمعية الاستعمارية وكذلك الاستفادة من المساعدات المادية ذات الطابع الإنساني التي تقدمها خاصة للاجئين الجزائريين في تونس والمغرب³.

شارك «إ.ع.ع.ج» لأول مرة كعضو رسمي في «الكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة» في المؤتمر العالمي الخامس للمنظمة المنعقد بتونس من 5 إلى 13 جويلية 1957. وخصصت جريدة «El Moudjahid» مقالا لأشغال المؤتمر بعنوان: "ال(ك.ع.ن.ح) ومناهضة الاستعمار الغربي - La C.I.S.L et l'anticolonialisme occidental". أوردت فيه القرارات النهائية التي خرج بها فيما يتعلق بالجزائر: "المؤتمر... يعيد التأكيد على قناعته بأن الحل للمشكل الجزائري لا يمكن أن يجد الحل باستخدام القوة، ولكن بواسطة المفاوضات المباشرة مع الممثلين المؤهلين للشعب الجزائري، ويوجه إلى الطرفين المعنيين نداء بفتح، بلا تأخر، مفاوضات بهدف إقرار وقف إطلاق النار. هذه المفاوضات تجب أن تقوم على أساس، من جهة اعتراف فرنسا بالأمة الجزائرية وحق شعبها في تقرير مصيره، ومن جهة أخرى الحصول على تأكيد من الجزائريين باحترام، في إطار الصداقة الفرنسية الجزائرية، حريات ومصالح سكان الجزائر جميعهم".⁴

في المؤتمر الدولي السادس للكونفدرالية المنعقد في بروكسل ببلجيكا من 03 إلى 11 ديسمبر 1959،

1 - تأسست «الكونفدرالية العالمية للنقابات الحرة - C.I.S.L.» في 7 ديسمبر 1949 من طرف أعضاء منشقين عن «الفدرالية النقابية الدولية» بسبب هيمنة الشيوعيين عليها. وكان للاتحاد 225 عضوا في 148 بلدا وإقليما. حلت في 31 أكتوبر 2006 عندما اندمجت مع الاتحاد العالمي للعمل لتشكيل الاتحاد الدولي لنقابات. للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ينظر:

Paul Claude, Confédération Internationale des Syndicats Libres (C.I.S.L.), in encyclopédie Universalis [en ligne], consulté le 7-9-2015 à 21:10.

<https://www.universalis.fr/encyclopedie/confederation-internationale-des-syndicats-libres/>

2 - لمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة ينظر:

خلوفي بغداد، الحركة العمالية الجزائرية ونشاطها أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أ.د. بن نعيمة عبد المجيد، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2014-2015، صص 285-292.

3 - خلوفي بغداد، المرجع السابق، ص 292.

4 - El Moudjahid, V 1, n° 11 du 9 aout 1957, p 97.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

وفيما يتعلق بالجزائر، أعاد المؤتمر تأكيد التوصيات التي تم إقرارها في المؤتمر الخامس بتونس والمتمثلة أساسا في فتح المفاوضات وحرية النشاط النقابي وإقرار الحريات الديمقراطية وحرية ممارسة العمل النقابي وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين. والجديد في هذا المؤتمر هو مباركة المؤتمرين لتصريح الرئيس الفرنسي (شارل ديغول) في حق الشعب الجزائري في تقرير المصير والرد الإيجابي للـ«ج.م.ج.ج.»¹. وللتنديد بدعم «حلف شمال الأطلسي» لفرنسا في حربها القذرة في الجزائر بادر «إ.ع.ع.ج.» بطلب انعقاد مؤتمر للـ«ك.ع.ن.ح.» والذي التأم في بروكسل في 09 فيفري 1961 بحضور معظم نقابات الدول العضو في «حلف شمال الأطلسي»² وأجمع الحاضرون على ضرورة توجيه نداء للحلف للكف عن دعم التوجه العسكري لفرنسا في حل المشكل الجزائري وتشجيعها للدخول في مفاوضات مباشرة مع ممثلي الشعب الجزائري. ومع جنوح فرنسا إلى قبول التفاوض والاعتراف بـ«ج.ت.و.» عبرت اللجنة التنفيذية للكونفدرالية المجتمعة في بروكسل بين 30 أكتوبر و02 نوفمبر 1961 بسعادتها لمواصلة المفاوضات وحيث التضحيات البشرية التي لولاها لما تحقق ذلك ووعدت العمال الجزائريين بمساعدتهم في إعادة بناء وإعمار بلادهم وتحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي³.

لم تكن المؤتمرات والندوات والبيانات الوجه الوحيد لدعم الكونفدرالية لكفاح الشعب الجزائري بل تعدته إلى المساعدات المالية بتقديم مبالغ مالية في مناسبات عديدة، خاصة ما تعلق بالتكفل باللاجئين الجزائريين في تونس والمغرب، إلى جانب تقديم دورات تدريبية لإطارات «إ.ع.ع.ج.» والتدخل لدى الحكومة الفرنسية لإلغاء أحكام الإعدام الصادرة في حق بعض الجزائريين مثلما حدث مع المجاهدة (جميلة بوحيرد) و(جميلة بوعزة)⁴. وهكذا كانت «ك.ع.ن.ح.» نافذة للـ«إ.ع.ع.ج.» على العالم الخارجي للإطلاع الرأي العام، حيثما وصل صوته، بمعاونة الشعب الجزائري جراء السياسة الاستعمارية الفرنسية وفضح فرنسا وممارستها المنافية للمواثيق الدولية التي وقعت عليها وللقيم الإنسانية التي تتشدد بها وإحراجها حتى في القواعد التي كانت تعتبرها مناصرة وموالية لها.

أما الحركة الطلابية فلم تكن أقل نشاطا وعطاء وخدمه للثورة التحريرية، إذا لعبت دورا رائدا في تبليغ كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي من الاستقلال. ونظرا لخصوصية فئة الطلبة باعتبارها النخبة المتنورة في المجتمع ومع أن عددها قليل إلا أن السلطات الاستعمارية وضعتها تحت المراقبة المشددة ليس في

1 - خلوفي بغداد، نفسه، ص 295.

2 - لم تحضر نقابات بعض دول الحلف التي كانت تقف إلى جانب الطرح الفرنسي في المشكل الجزائري وندكر منها كندا، النرويج وإيطاليا.

3 - خلوفي بغداد، المرجع السابق، ص 297.

4 - للمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة ينظر: نفسه صص 298-300.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

فرنسا فقط وإنما في كل مكان، وبشكل خاص في أوروبا الغربية حيث كان نشاطها أكثر كثافة وأكثر إزعاجاً، باعتبار أن العشرات من الطلبة الجزائريين اضطروا إلى مغادرة فرنسا نحو أوروبا الغربية فراراً من المضايقة والملاحقة من المصالح الأمنية وتعرض بعضهم للتعذيب على أيديها. ويكفي أن نطلع على التقارير التي كانت تحررها المصالح الأمنية الفرنسية وفي مقدمتها «دي.أس.تي - D.S.T»¹ و«أس.دي.أو.سي.أو - S.D.E.C.E»² حول نشاط الطلبة الجزائريين لنكتشف مدى انزعاج وقلق الاستعمار الفرنسي من ذلك. وعلى سبيل المثال لا الحصر يكشف التقرير رقم (D 1908) مؤرخ في 19 أكتوبر 1961، استناداً إلى مصادر من «إ.ع.ط.م.ج - UGEMA»، أن صناعيين في جمهورية ألمانيا الفدرالية يكونون قد عرضوا أربعين منحة لطلبة جزائريين، لكن وبدخل من فرنسا تم سحب العرض³.

بدأ دور الطلاب الجزائريين يظهر أكثر ويتجسد على أرض الواقع منذ تأسيس «إ.ع.ط.م.ج - UGEMA» في صيف 1956. ولم تتردد «ج.ت.و» بإشراكهم في اتخاذ القرار وتنفيذه ووضعت ثقتهما التامة فيهم وذلك بإسنادهم مسؤوليات عالية وتكليفهم بمهام حساسة تتماشى وتكوينهم العلمي والثقافي.

¹ - «مديرية مراقبة الإقليم - D.S.T» هو جهاز للاستعلامات تابع لوزارة الداخلية. لدى المديرية العامة للشرطة الوطنية الفرنسية. تأسست في 1934 في عهد حكومة (غاستون دومارج - Gaston Doumergue) لممارسة الجوسسة المضادة في فرنسا، خاصة في فترة الحرب الباردة. وبعد زوال المعسكر السوفييتي، أضيفت إلى مهامه مكافحة الإرهاب وتجارة الأسلحة غير الشرعية. وفي 01 جويلية 2008 تم دمج «مديرية مراقبة الإقليم - D.S.T» وجهاز «الاستعلامات العامة - RG» ليصبحا «المديرية المركزية للاستعلام الداخلي - DCRI».

René LÉVY, «POLICE EN FRANCE DE LA LIBÉRATION À NOS JOURS», *Encyclopedia Universalis* [en ligne], consulté le 5 février 2016 à 20 h.

URL: <http://www.universalis.fr/encyclopedie/police-en-france-de-la-liberation-a-nos-jours/>

² - «مصلحة التوثيق الخارجي والجوسسة المضادة - Service de documentation extérieur et contre espionnage» هي مصلحة فرنسية للاستعلام الخارجي. تأسست في 28 ديسمبر 1945، وتغير اسمها إلى «المديرية العامة للأمن الخارجي - Direction Générale de la Sécurité Extérieure» في 2 أبريل 1982. في ظل الجمهورية الرابعة كانت ملحقة مباشرة بالوزير الأول، وفي الجمهورية الخامسة ألحقها الرئيس (ديغول) إلى وزارة الجيوش. استخدمها الوزير الأول (ميشال دوبري - Michel Debré) ضد «ج.ت.و» في الخارج.

Claude Faure, «Bref historique des services de renseignement et de sécurité français contemporains», *Revue historique des armées* [En ligne], 247 | 2007, mis en ligne le 01 août 2008, consulté le 23 juin 2016. URL : <http://rha.revues.org/1843>

³ - Archives de l'Armée de terre, service historique de la défense, château de Vincennes, la sous-série 1H, boîte n° 1H 1753, Dossier 2, bulletins du S.D.E.C.E relatifs aux relations du front de libération nationale avec l'Allemagne (1958-1962), fiche n° B 54, pays européens occidentaux et aide direct ou indirect à la rébellion, p 11.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

وبرهن الطلاب الجزائريون أنهم كانوا في مستوى الثقة التي وضعتها الثورة فيهم من خلال عملهم الدؤوب في تبليغ صوت الثورة ومعاناة الشعب الجزائري من القمع الاستعماري إلى كل مكان في فرنسا وأوروبا الغربية مستغلة التجمعات الطلابية الإقليمية والدولية التي اتخذتها منابر للفت الأنظار إلى كفاح الشعب الجزائري من أجل استقلاله. و«الكونفدرالية الشمال إفريقية للطلبة - Confederation Nord-Africaine des Etudiants» هي واحدة من تلك المنابر. ففي الاجتماع الذي عقده مجلس الكونفدرالية بالرباط من 08 إلى 10 جويلية 1959 بمشاركة الاتحادات الطلابية لتونس والجزائر والمغرب. وفي الشق المتعلق بالجزائر، والذي نشرته جريدة «El Moudjahid»، استعرض المجتمعون الانتهاكات الفرنسية المتواصلة في حق الشعب الجزائري، والتي ازدادت سوء بعد مجيء (ديغول) إلى السلطة. وخلص الاجتماع إلى توجيه تحية للكفاح البطولي للشعب الجزائري، إدانة سياسة الإبادة التي تنتهجها الحكومة الفرنسية، الاحتجاج لدى الرأي العام العالمي ضد «مخطط شال» الذي يطعن مبادئ الحضارة الإنسانية، تسجيل بفخر ورضا الانتصارات المحققة من جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني، توجيه تحية لتشكيل «ح.م.ج.ج.» باعتبارها تكريس لاستعادة الدولة الجزائرية، ترحب باعتراف نصف البشرية بهذه الحكومة باعتبار أعضائها ممثلين مؤهلين للشعب الجزائري المكافح، مطالبة الحكومات التونسية والمغربية والجزائرية اتخاذ كل الإجراءات لتحقيق استقلال الجزائر، كشرط أساسي لقيام مغرب عربي حر وموحد، وأخيرا إعادة تأكيد إرادة الطلبة الأفارقة لمواصلة الكفاح حتى تتجسد هذه الأهداف¹.

منبر طلابي آخر اعتلاه «إ.ع.ط.م.ج.» ويتعلق الأمر بالمؤتمر الثاني لل«التضامن الإفريقي للطلبة - Le Panafricanisme Etudiant»² المنعقد في تونس من 01 إلى 07 أوت 1959. وتكمن أهمية المؤتمر الثاني في الحضور الملفت والمكثف للمنظمات الطلابية الإفريقية وغير الإفريقية، من أوروبا وأمريكا وآسيا الذين أرسلوا ملاحظين. ورغم المحاولات لإفشال المؤتمر، بتوجيه النقاش حول المسائل التنظيمية بدلا من المسائل المصيرية، كما حدث مع المؤتمر الأول³. وفيما يتعلق بالجزائر أكدت الوفود المشاركة دعمها للقضية الجزائرية

¹ - El Moudjahid, V 2, n° 46 du 20 juillet 1959, pp 371-372.

² - عرف قاموس «لاروس - Larousse» ال«التضامن الإفريقي - Le Panafricanisme» بأنه فكرة سياسية وحركة تعد وتشجع على التضامن بين الأفارقة في العالم.

<http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/panafricanisme/5754> consulté le 08-09-2014 à 22:00.

³ - عقد المؤتمر الأول التأسيسي لل«التضامن الإفريقي للطلبة - Le Panafricanisme Etudiant» ب«كمبالا» في أوغندا من 01 إلى 08 جويلية 1958. وقد شهد تجاذب بين الحاضرين كاد يعصف به. ومع ذلك نجح المؤتمر الأول في الحصول على إجماع من الطلبة الأفارقة الحاضرين على العديد من المشاكل الجوهرية المطروحة في إفريقيا.

El Moudjahid, V 2, n° 48 du 17 aout 1959, p 415.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

وأعلنت تضامنها مع الكفاح الذي يخوضه الطلبة الجزائريون إلى جانب شعوبهم من أجل استقلال الجزائر¹.

أما «الاتحاد العالمي للطلبة - U.I.E» الذي تأسس في «براغ» ب«تشيكوسلوفاكيا» في 1946 حدث فيه انشقاق داخلي بانسحاب الاتحادات الوطنية الغربية لأسباب أيديولوجية وأجواء الحرب الباردة وأسست «المؤتمر العالمي للطلبة - C.I.E». لكن في فترة الانفراج الدولي حدث تقارب بين المنظمين الطلابيتين وحاولتا العمل معا فيما عرف بمؤتمر الطاولة المستديرة. وقد عمل «إ.ع.ط.م.ج» على التعامل والاستفادة من التنظيمين ونجح في إدراج مسألة الكفاح ضد الاستعمار ضمن انشغالاتهما. ومن جانب آخر أبدى استعداداه لمساندة القوى الإيجابية في المنظمين الطلابيتين العالميتين التي تعمل بصدق لتحقيق التطلعات العميقة للحرية والسلام لكل طلبة العام. هذه الأهداف التي جعلها «إ.ع.ط.م.ج» أهدافه لا يمكن بلوغها إلا بالتعاون العالمي². وفي المؤتمر العالمي للطلبة (C.I.E) التاسع المنعقد في سويسرا، وفيما يتعلق بالجزائر، ووفقا للتقارير المطروحة عن الوضع في الجزائر، عبر المؤتمر عن:

- انشغاله بتواصل الحرب في الجزائر مما يطرح بحدة مشكل التعليم سواء التعليم العالي والابتدائي والثانوي ما دام أن مئات الآلاف من الأطفال لا يتلقون أي تكوين مدرسي.
- التنبيه إلى وضعية الطلبة الجزائريين الخطيرة نظرا للقمع اليومي الذي يتعرضون له في فرنسا مما دفع عدد كبير منهم إلى مغادرتها.
- إعادة التأكيد على شرعية كفاح الطلبة الجزائريين من أجل الاستقلال الوطني.
- إدانة الحرب التي تكلف الجزائريين مئات الآلاف من الضحايا والمعاناة التي لا تحصى.
- إدانة حكومات الدول عضو في «حلف شمال الأطلسي» التي تسمح باستخدام المساعدات العسكرية لفرنسا لمواصلة الحرب في الجزائر.
- تسجيل بارتياح اعتراف فرنسا بحق الشعب الجزائري في تقرير المصير وفقا لميثاق الأمم المتحدة.
- عبر عن أسفه لفشل محادثات «مولان - Meulin» بين الحكومة الفرنسية و«ح.م.ج.ج».
- اتخاذ قرار اعتبار يوم 1 نوفمبر «يوم التضامن الدولي مع الطلبة الجزائريين المكافحين».
- وفي الأخير تم تكليف أمين المؤتمر بنقل بشكل رسمي هذه القرارات عن الجزائر للأمين العام ل«حلف شمال الأطلسي»³.

تلقت بعثة لل«إ.ع.ط.م.ج» و«إ.ع.ع.ج» دعوة من «الجمعية الدولية للشباب - l'Assemblée

¹ - Ibid, p 416.

² - El Moudjahid, V 3, n° 65 du 31 mai 1959, p p 115-116.

³ - Ibid, V 3, n° 79 du 25 septembre 1960, pp 225-226.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

«Mondiale de la Jeunesse» (W.A.Y)¹ قامت خلالها برحلة إعلام طويلة دامت شهرين عبر العديد من دول أوروبا. انطلاقا من النمسا زارت البعثة ألمانيا الفدرالية والدانمارك وفنلندا والسويد والنرويج وإسlanda وبريطانيا وهولندا وبلجيكا. وشكل ذلك فرصة للبعثة لإجراء لقاءات مع السلطات الرسمية لهذه البلدان، وبشكل خاص: مسؤول مكتب الوزراء الأول السويدي وكذا وزير الاتصالات، وعضو في الحكومة النرويجية و رئيس بلدية العاصمة الإسندنديّة «ري- RY» وكذا وزير الثقافة ووزير العدل الإسندنديين. تركزت اللقاءات حول الأوضاع السياسية في الجزائر وطبيعة الحرب في الجزائر والمشاكل السياسية التي تُطرح على هذه الدول جراء استخدام فرنسا للوسائل الموضوعية تحت تصرفها في إطار «حلف شمال الأطلسي». ولم تتردد البعثة الجزائرية في تقديم كل المعلومات التي تعطي صورة حقيقية عن الوضع في الجزائر بعيدا عن الدعاية الفرنسية. وهكذا سمحت رحلة البعثة الجزائرية من قياس أهمية حركة التعاطف التي تتمتع بها القضية الجزائرية. الإعجاب بالشعب الجزائري وبجيش التحرير الوطني في أعين الدول التي لم تعرف أي روح استعمارية والتي تعيش مرة أخرى، من خلال كفاح الشعب الجزائري، ملحمتهما التحررية، مثلما هو الحال بالنسبة للنرويج وإسlanda².

لم تكن المرأة الجزائرية بعيدة عن ساحات المعركة من أجل التحرير الوطني، والحضور في المؤتمرات الدولية النسائية هو واحد من هذه الساحات. وبمناسبة الاحتفال بالذكرى الخمسين لميلاد «المؤتمر العالمي للنساء- Le Congres internationale des Femmes» في 08 مارس 1910 في «كوبنهاجن- Copenhaguen» و على إثرها تم اعتماد هذا اليوم كعيد عالمي للمرأة، كانت المرأة الجزائرية ممثلة في الاحتفالات المنظمة بـ«كوبنهاجن- Copenhaguen» في شخص (مامية شنتوف) والطبيبة (نفيسة حمود). وقامت هذه الأخيرة بمدخلة روت فيها تجربتها الشخصية في الكفاح وكذا السجون الاستعمارية، ورسمت صورة لكفاح المرأة الجزائرية في الثورة. وقامت جريدة المجاهد بنقل مقاطع كثيرة من تلك المدخلة.

¹ - ظهرت فكرة تأسست «الجمعية الدولية للشباب- l'Assemblée Mondiale de la Jeunesse» (W.A.Y) أول مرة في 1945، وظهرت رسميا في 1949 بمبادرة من دول أوروبية والولايات المتحدة الأمريكية وكندا. وتم التوقيع على ميثاقها بـ«أشريدج- Ashridje» في بريطانيا من 29 دولة، وعقدت أول مجلس لها في بروكسل بمشاركة ممثلي 37 دولة. ووجهت الجمعية الدعوة للـ«إ.ع.ط.م.ج.» و«إ.ع.ع.ج.» على أساس أنها تقبل عضوية اللجان الشبابية التي تنشط في المناطق الغير مستقلة بنفس الشروط لجان الدول المستقلة.

لمزيد من التفاصيل حول «الجمعية الدولية للشباب- l'Assemblée Mondiale de la Jeunesse» (W.A.Y) ينظر:

Jean.A Pirlot. **L'Assemblée mondiale de la jeunesse s'oriente vers une coopération avec la jeunesse de l'Est**, In Le Monde Diplomatique, septembre 1969, p 6.

² - 567. p 84 du 29 Aout 1961, V 3, El Moudjahid.

وضحت الطيبة (نفيسة حمود) وهي تقارن بين المرأة الأوروبية والأمريكية والمرأة الإفريقية والآسيوية أن الأولى حصلت على الحقوق بالاحتجاج في حين أن الثانية لا يمكنها افتكاك حقوقها إلا باستقلال بلدانها من الهيمنة الاستعمارية. ولا يمكن للمرأة الجزائرية أن تستمتع بحقوقها كاملة إلا في إطار جزائر مستقلة ومتخلصة بشكل كامل من النظام الاستعماري. وعليه فإن ملايين النساء الجزائريات لا يمكنهن الحديث عن السلام ونزع السلاح بدون إدانة وبشكل قوي الحرب الاستعمارية في الجزائر. وفي هذا الاتجاه اصدر المؤتمر قرار تطالب فيه بـ: "إنهاء الحرب في الجزائر بالتفاوض على أساس شروط وضمانات بتطبيق حق تقرير المصير للشعب الجزائري"¹.

لم يغيب هذا النشاط النسوي عن أعين المخابرات الفرنسية، فقد ذكرت المعلومة رقم 8 المؤرخ في 18 أفريل 1960 أن السيدة (ماميا شنتوف) مبعوثة «ج.ت.و» المتنقلة، والطيبية (نفيسة حمود) وهي غير معروفة من الاستخبارات الفرنسية «Fichier inconnue»، قد تم تعيينهما من «ج.ت.و» للمشاركة في المؤتمر العالمي للنساء المنعقد في «كوبنهاجن - Kopenhagen»، وأتھما سيصلان إلى عين المكان عبر «فيينا»².

بعد هذا العرض يتضح أن المؤتمرات الدولية النقابية والطلابية والنسائية كانت بحق نوافذ مكنت «ج.ت.و» من إيصال صوت الثورة إلى الرأي العام العالمي وتعرض عليه صورة أخرى لواقع الشعب الجزائري وكفاحه التحرري بعيدا عن الصورة التي اعتاد عليها من الإعلام الفرنسي.

5 - فتح مكاتب للجبهة في أوروبا الغربية

من الوسائل الفعالة التي تبنتها «ج.ت.و» للتعريف بالقضية الجزائرية والوصول إلى الرأي العام ومخاطبته مباشرة فتح مكاتب رسمية لدى الدول الغربية. وعرفت هذه العملية وتيرة متسارعة بعد تأسيس «ح.م.ج.ج» التي كثفت جهودها باتجاه الحكومات الغربية لتحصل على الاعتراف. ويذكر أنه سبق لفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا أن فتحت مكتبا لها في مدينة «فرانكفورت» بجمهورية ألمانيا الفدرالية بعد أن اضطرت إلى نقل نشاطها من فرنسا إلى ألمانيا. وأدى الطلبة الجزائريون دورا فعالا في تأطير هذه المكاتب واتخاذها منابر في سبيل تحقيق الأهداف الوطنية وفي مقدمتها السيادة الوطنية.

منذ 1957 أصبح لـ«ج.ت.و» مكاتب في معظم أوروبا الغربية، إضافة إلى مكتب «فرانكفورت»

¹ - Ibid, V 3, n° 65, du 31 mai 1960, pp 113-115.

² - 1 H 1740, D 2, fiche n° (B. 53), Rens 8, dossier "E": Délégation féminine à Copenhague, le 18 avril 1960, p 2.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

بجمهورية ألمانيا الفدرالية والذي كان يشرف عليه (عمر بوداود)، فتحت مكتب آخر في العاصمة «بون-Bonn» وعينت عليه (حفيظ كرماني)، وعينت (محمد كلو) على مكتب لندن، و(الطيب بولحروف) ثم (محمد عبد الوهاب) على مكتب «مونتر- Montreux» بسويسرا و(محمد أمزيان آيت أحسن) على مكتب روما و(محمد الشريف ساحلي) على اسكندنافيا (الدانمارك، السويد، النرويج، وفنلندا) وكان مقر المكتب الذي يدير المنطقة في السويد. أما بقية المناطق مثل بلجيكا واللكسمبورغ وإقليم السار فكانوا تحت المسؤولية المباشرة لفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا¹.

الواقع أن الحكومات الغربية كانت تسمح ل«ج.ت.و» بالنشاط على أراضيها لكن في إطار جد محدود حفاظا على أمنها الداخلي وخوفا من أن تسيء تلك النشاطات لعلاقاتها مع فرنسا. ومن جهتها حرصت الجبهة على احترام القوانين المعمول بها في الدول التي تتواجد على أراضيها وتفادي أي نشاط يخالف ذلك.

تنوعت نشاطات مكاتب «ج.ت.و» في أوروبا الغربية بين النشاط الإعلامي والدعائي وربط اتصالات بالسياسيين والمنظمات النقابية والطلابية والإنسانية بهدف التعريف أكثر بالقضية الجزائرية وشرح مواقف «ح.م.ج.ج» من القضايا ذات الصلة بالحرب الجزائرية الفرنسية والحصول على المساعدات لصالح اللاجئين الجزائريين وللجنود الفارين من الجيش الفرنسي. يضاف إلى هذه النشاطات التكفل بالطلبة الجزائريين القادمين للدراسة في هذه البلدان². وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد بعض النماذج لهذه النشاطات، ففي مؤتمر الأممية الاشتراكية المنعقد في مدينة «هامبورغ» الألمانية من 14 إلى 17 جويلية 1959، وزع (حفيظ كرماني)، مسؤول مكتب «بون-Bonn» مذكرة على الأعضاء المشاركين في المؤتمر. وتمت صياغة هذه المذكرة، باسم «ج.ت.و» باللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية بالتنسيق مع مكتب «ستوكهولم» برئاسة (الساحلي) ومكتب «لندن» برئاسة (كلو). وتتضمن المذكرة عرض واقع الحرب مع فرنسا وطلب المساعدة³. وفي «روما»، وبحكم العلاقات الطيبة التي تربطه برجل الأعمال الإيطالي (ماتي- Mattei)⁴ تمكن (الطيب بولحروف) مسؤول مكتب «روما» بواسطته من تبليغ وجهة نظر «ح.م.ج.ج» في عدة مناسبات إلى رئيس الجمهورية الإيطالية (جيوفاني غرونشي - Giovanni Gronchi)، خاصة خلال زيارة (ديغول) إلى إيطاليا

1 - الطاهر جبلي، الدعم اللوجستي للثورة التحريرية (1954-1962)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أ.د يوسف مناصرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر 2008-2009، ص 280.

2 - بوضربة (عمر)، النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سبتمبر 1958-جانفي 1960، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012، ص 276.

3 - نفسه، ص 281.

4 - سيأتي الحديث عن هذه الشخصية في الباب الثاني.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

في جوان 1959. وفي «مدريد»، ورغم النظام البوليسي الديكتاتوري للجنرال (فرانكو - Franco) الذي كان يحكمها، والرقابة المشددة المضروبة على الصحافة والمطبوعات، إلا أن (صالح محبوبي)، مسؤول مكتب الجبهة بـ«مدريد»، تمكن في جويلية 1959 من عقد لقاء مع نائب قائد الأركان المكلف بالاستخبارات الإسبانية، السيد (كاساس - Cassas) علم من خلاله أنه سيتم التساهل مع نشاط الجزائريين على الأراضي الإسبانية كتعامل بالمثل لتساهل فرنسا مع الجمهوريين الإسبان المقيمين في فرنسا¹. وعلم أيضا بأمر تكليف شخص فرنسي لمراقبته شخصيا².

واجهت مكاتب «ج.ت.و» في أوروبا الغربية مشاكل وعراقيل كبيرة اعترضت نشاطاتها نذكر من بينها:

- تضيق حكومات أوروبا الغربية على نشاط مكاتب الجبهة ووضعها تحت المراقبة المشددة حفاظا على أمنها واستقرارها أولا وتجنب أي إزعاج أو مشاكل قد تنجم عنها وتؤدي إلى توتر العلاقة مع فرنسا التي يرون فيها شريك اقتصادي وحليف عسكري وسياسي.

- الملاحقة من مصالح الاستخبارات الفرنسية خاصة «دي.أي.تي - D.S.T» والتي كانت تكتب تقارير عن نشاطات مكاتب الجبهة وتحركات أعضائها وتنفذ عمليات تصفية لكوادر الجبهة والأشخاص المتعاونين معها تحت مظلة «اليد الحمراء». ونكتفي بذكر مثالين عن تلك التقارير الأول: في بطاقة المعلومات رقم (A 5)، تتحدث المعلومة رقم 5 والمرقمة (3068) والمؤرخة في 20 فيفري 1958، أن (رشيد النذير) ممثل الجبهة في مدريد يعتزم تشكيل تنظيم يتكفل بعبور الجزائريين الراغبين في الذهاب إلى الجزائر عن طريق المغرب عبر إسبانيا. وبلغ عدد الجزائريين المعنيين بالعملية ثلاثمائة شخص سيمرون من منطقة «دانشارينيا - Dancharinéa» ببال الألب تدريجيا في أفواج من ثلاثة إلى أربعة أشخاص يحملون تصاريح بالعبور، صادرة عن السفارة المغربية بإسبانيا، وتمنحهم الجنسية المغربية، وأن السلطات الإسبانية سيؤشرون على هذه الوثائق التي ستسمح للمعنيين بالتنجوال في إسبانيا والخروج منها من الحدود الجنوبية³ و الثاني: هو تقرير سري

¹ - بطبيعة الحال، بالنسبة لإسبانيا فإن الجزائريين المقيمين على أراضيها هم مواطنون فرنسيون.

² - سيتم العودة إلى بعض نشاطات الجبهة في أوروبا الغربية في الباب الثاني عند الحديث عن شبكات الدعم. ولمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة ينظر:

بوضربة (عمر)، المرجع السابق، صص 276-306.

³ - 1 H 1596, dossier 2, pays européens occidentaux (en particulier en Espagne): aide aux rebelles algériens, relations avec les rebelles algériens (1956-1961), fichier n° (A 5), Rens 5, (n° 3068): transit d'algériens par l'Espagne, 20 février 1958, p 1.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

مؤرخ في 20 جانفي 1961 ويحمل رقم (40100/A)، يتحدث عن اللجنة الممثلة لـ«ج.ت.و» في «السويد». ويتعلق الأمر بكل من: (ساحلي محمد) مسؤول الجبهة في اسكندينايا، (بن حيلس صديق) الأمين المالي في «السويد»، (دكار رايح) ومهمته جمع المال، (شايب علي) مكلف بربط الاتصال مع الدانمارك، (خيري رايح) أمين مالي سابق، (بوعلام) المدعو (فريد)، وقد غادر «السويد» باتجاه «القاهرة» في 15 سبتمبر 1960 ليعود إليها في 20 أكتوبر ومعه أفلام وثائقية من «ج.ت.و» موجهة إلى التلفزيون السويدي، ثم غادر السويد باتجاه «القاهرة» أو «تونس» في بداية نوفمبر. ويضم التقرير أيضا سيرة ذاتية مفصلة لكل عضو في اللجنة¹. أما «اليد الحمراء» فقد نفذت سلسلة من العمليات تحت اسم «أومو-Homo» وهي اختصار لكلمة «أومسيد-Homicide» ومعناها القتل، وكان أولها في 28 سبتمبر 1956 في مدينة «هامبورغ-Hambourg» بألمانيا الغربية، حيث تم تفجير مكاتب تاجر الأسلحة (أوطو شلوتر-Otto Schlütter) أحد أهم المزودين للسلاح لـ«ج.ت.و» أدت إلى قتل نائبه (لورانزن-Lorenzen) وفي وقت لاحق في 3 جويلية 1957 قتلت والدته العجوز في تفجير سيارتها. وفي 9 سبتمبر 1957 تعرض (جورج غيزير-Georges Geiser) صانع المتفجرات للطعن بخنجر في «جنيف» السويسرية. وفي نفس المدينة قتل مزود «ج.ت.و» بالمتفجرات (مارسيل ليوبولد-Marcel Léopold) بسهم مسموم أطلق من أنبوبة فصب سكر. وفي 5 نوفمبر 1958 اغتالت «اليد الحمراء» في «بون-Bonn» (آيت أحسن) أحد قادة الجبهة. ولقي (جورج بوشرت-Georg Puchert) حثفه بـ«فرانكفورت-Francfort»، وكان عضو في مصلحة التسليح للثورة الجزائرية منذ 1955². وبجانب محطة القطار بـ«ساربروك-Sarrebrück» عاصمة منطقة «الساار-Sarre» اغتيل (عبدال سولم) في 19 جانفي 1959. وفي 21 ماي 1959 وجدت الشرطة في قلب العاصمة باريس جثة المحامي (أمقران ولد عاودية)، أحد مجموعة المحامين الجزائريين لـ«ج.ت.و» مقتولا برصاصتين من عيار 9 مم. وفي 9 مارس 1960 بـ«بروكسل» اغتيل الطالب الجزائري (أكلي عيسو) بطلقة مسدس. وبنفس المدينة لقي في 25 مارس 1960 (جورج لابارش-Goerges

¹ - 1 H 1740, D 3, S.D.E.C.E, destinataire n° (541), refr (40100/A): **Organisation FLN en Suede**, le 20 janvier 1961, p 1 à 10.

² - ينظر المقال المنشور في جريدة «الوطن-El Watan» الجزائرية عن (جورج بوشرت-Georg Puchert) بعنوان «مات من أجل الجزائر-Mort pour l'Algérie» في عدد 13 جويلية 2005.

(laperches)، وهو أستاذ جامعي، حتفه بفعل انفجار طرد يحتوي على كتاب مفخخ أدى إلى بتر يديه وتمزيق جزء من وجهه وتوفي الأستاذ في سيارة الإسعاف التي نقلته إلى المستشفى. ونجا الأستاذ (بيار لغريف- Pierre Le Grève) من طرد مفخخ آخر، وفتحته زوجته، لكنه من حسن الحظ لم ينفجر، وقامت بإعلام الشرطة التي عطلت الآلة. وكان الأستاذان من المؤيدين لاستقلال الجزائر¹. وقائمة الجرائم التي ارتكبتها «اليد الحمراء» في حق الأشخاص طويلة، ذنبهم الوحيد هو أنهم آمنوا الشعب الجزائري وحقه في نيل حريته.

في ختام هذا الفصل يتبين بأن إستراتيجية «ج.ت.و» اتجه الرأي العام كانت قائمة على التوعية والإقناع بعدالة قضية الشعب الجزائري وأن الثورة التي أعلنها الشعب ليست موجهة ضد الفرنسيين وإنما ضد النظام الاستعماري الذي يقف حجر عثرة أمام تشييد علاقات جديدة بين الشعبين الجزائري والفرنسي، قائمة على الاحترام المتبادل وتنمية المصالح المشتركة. وهكذا تظهر أهمية الرأي العام في التأثير على الأحداث ودفعها نحو تحقيق الأهداف المرجوة.

¹ - Haroun (Ali), op cit, p 127.

الفصل الثالث

الأحداث التي هزت الرأي العام بين

1957-1962

1 - حركة العصيان في صفوف المجندين الفرنسيين

2 - مسألة التعذيب

3 - عمليات 25 أوت 1958

4 - مظاهرات 17 أكتوبر 1961

5 - أحداث «ميترو شارون» في 08 فيفري 1962

الفصل الثالث: القضايا التي هزت الرأي العام بين 1957-1962

مع توسع الحرب وامتدادها إلى الأراضي الفرنسية والبلدان الأوروبية بدأ الجميع يتحسس المآسي التي تخلفها هذه الحرب التي أصبحت تفوح منها رائحة القذارة التي ينشرها الاستعمار الفرنسي. ووصل الرأي العام إلى قناعة بأنه يجب فعل شيء ما لوضع حد لها. وقد ساهمت الكثير من الأحداث التي صاحبت الحرب في ارتفاع درجة الوعي لدى الرأي العام وتجنده من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه. ونرى بأن أكثر الأحداث تأثيرا فيه هي:

1 - حركة العصيان في صفوف المجندين الفرنسيين

تمثل حركة العصيان والتمرد في صفوف المجندين الفرنسيين إحدى التطورات المهمة في مسار الثورة التحريرية على التراب الفرنسي. ومنذ أن صوت البرلمان الفرنسي على قانون حالة الطوارئ بالجزائر في 3 أبريل 1955¹، ما فتئ عدد الجنود، الذين يتم إرسالهم إلى الجزائر، يتزايد باستمرار. ووجد الآلاف من الجنود، الذين أنفوا الخدمة العسكرية أو الذين على وشك إنهاؤها أنفسهم مدعويين للالتحاق مرة أخرى بالجيش. لكن هذه المرة الوضع مختلف لأن المدة الإضافية للخدمة العسكرية سوف لن تكون في فرنسا وإنما في الجزائر. والمهمة المعلنة هي "الحفاظ على النظام العام" و"إعادة السلم" الذي يريد بعض "المتمردين"، "الخارجين عن القانون"، "المجرمين" و"المدفوعين من الخارج" ضربهما. وفي النهاية فإن إرسال الجنود إلى الجزائر أمر جد عادي، أليست الجزائر ثلاث مقاطعات فرنسية؟²، ألا يعبر البحر الأبيض المتوسط فرنسا مثلما يعبر نهر السين² باريس؟. وعليه فإن قرار حكومة (إدجار فور - Edgar Faure) والحكومات التي جاءت بعدها إرسال قوات إضافية إلى الجزائر لمحاصرة الثورة والقضاء عليها في مهدها يدخل في إطار ممارسة السلطة على الرقعة الجغرافية.

لكن برزت حركة عصيان وتمرد، في مناطق عديدة من فرنسا لشباب أعلنوا رفضهم التجنيد للحرب في

¹ - للتذكير فإن قانون حالة الطوارئ يحمل الرقم 385-55 ونشر في الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية رقم 0085 الصادرة في 7 أبريل 1955، ص 3479.

² - «السين - La Seine» هو نهر فرنسي طوله 777 كلم. ينبع من «هضبة اللونجر - Le plateau de Langres» ويصب في بحر المانش شمال فرنسا. يمر عبر مدن: «تروي - Troyes»، «باريس - Paris»، «روان - Rouen» و«لوهافر - Le Havre». أما الجزء الذي يعبر باريس فيخترقها تقريبا في الوسط ويقسمها إلى ضفة اليمنى وضفة يسرى على مسافة 13 كلم.

لمزيد من التفاصيل عن نهر «السين - La Seine» ينظر:

Desjeux (Catherine et Bernard), Seine de vies : de la source à l'embouchure, les Editions Grandvaux, Paris 2015.

الجزائر، وتلقوا المساعدة من لجان وشخصيات من المجتمع المدني في المناطق المعنية بالتجنيد. وأخذت هذه الحركة تعابير مختلفة كالمظاهرات ورفض أو محاولة رفض الانصياع للأوامر أو التنفيذ المتأخر وغير المنضبط للمهام المطلوب إنجازها والفرار من الخدمة وغيرها من أشكال الرفض¹. ووصل عدد الجنود الفرنسيين الذين أعلنوا العصيان، خلال حرب التحرير، إلى حوالي 12 ألف شاب²، منهم 10831 جندي رفضوا الالتحاق عند استدعائهم (Les insoumis)، 886 فارغوا وحدهم العسكرية بطريقة غير قانونية، و420 معارض لحمل السلاح وارتداء البزة العسكرية³. وحسب (ترامور كمونور - Tramor Quemeneur)⁴ فإن التطور الكمي للتمرد مر بثلاث مراحل: الأولى وتشمل سنوات 1955-1956 وتتميز باستقرار عدد التمرد الذي كان مجرد احتجاجات على فرض إعادة التجنيد بالقوة. المرحلة الثانية وتشمل سنوات 1957-1959 وتتميز بارتفاع طفيف في عدد التمردات. أما المرحلة الثالثة والتي تمتد من 1960 إلى نهاية الحرب في 1962 فتتميز بالتصاعد العددي المستمر للتمرد⁵.

شهدت المرحلة الأولى 1955-1956 العديد من الاحتجاجات من تنظيم شباب أعيد استدعائهم مرة أخرى للخدمة العسكرية تحت العلم بمناسبة أخذهم إلى شمال إفريقيا. أولها الاحتجاج الذي نظمته الجنود التابعين للقوات الجوية في محطة القطار بـ«ليون - Lyon» في 11 سبتمبر 1955. وهذا الاحتجاج سيتحول إلى نموذج لكل الاحتجاجات التي ستأتي لاحقا. وفي 6 و7 أكتوبر 1955 وقع احتجاج ضد التجنيد من الكتيبة رقم 406 لسلاح المدفعية المضاد للطائرات «RAA»⁶ في ثكنة «ريشبانس - Richepanse» بـ«روان - Rouen». وباستثناء هذين الحدثين، فإن الاحتجاجات الأخرى كان صداها محدود جدا بين الرأي

1 - Clément Grenier. « La protestation des rappelés en 1955, un mouvement d'indiscipline dans la guerre d'Algérie ». Le Mouvement Social 2007/1 (n° 218), p 50.

2 - [Collectif], Le droit à l'insoumission. « Le dossier des 121 », Cahier Libre N° 14, François Maspero, Paris, 1961, p199.

3 - Quemeneur Tramor, Refuser l'autorité ? Étude des désobéissances de soldats français pendant la guerre d'Algérie (1954-1962). In Outre-mers, tome 98, n°370-371, 1^{er} semestre 2001. P 57.

4 - (نرامور كمونور - Tramor Quemeneur) هو مؤرخ وأستاذ جامعي فرنسي متخصص في "حرب الجزائر". درس في أطروحته للدكتوراه موضوع تمرد الجنود خلال الثورة التحريرية الجزائرية، تحت عنوان: Une guerre sans « non » ? Insoumission, refus d'obéissance et désertions des soldats français pendant la guerre d'Algérie (1954-1962)، بجامعة باريس 13، وتحت إشراف المؤرخ (بن يمين سطورا - Benjamin Stora).

Ibid, p 57.

Ibid. - 5

6 - «كتيبة سلاح المدفعية الجوية - Le régiment d'artillerie antiaérienne»

العام والسبب يعود إلى أنها كانت فردية أو جزئية تمكن الجيش من التحكم فيها والحد من تداعياتها. وحتى احتجاجات «ليون - Lyon» و«ريشبانس - Richepanse» فإن صدها كان يمكن أن يكون محدودا لو لم تكتب عنه الصحافة الشيوعية¹. تشير الدراسات أن عدد التمردات التي سجلت بفرنسا في 1955، بمناسبة إعادة استدعاء الجنود للخدمة تحت العلم، بلغ سبع وأربعين تمرد في السوق العسكرية الدفعة 1953/2، ومست ست وثلاثين جندي من الجيش البري، خمسة جنود من الجيش الجوي، وستة من البحرية. بالإضافة إلى إحدى عشر محطة قطار²، إحدى عشر ثكنة³، ثلاثة حصون⁴، أربع مخيمات عسكرية⁵، ثلاث قواعد عسكرية⁶، قاعدتين جوية بحرية⁷.

إذا عدنا للحديث عن الأشكال والتعابير التي تجلت من خلالها حركة العصيان والتمرد في صفوف الجنود الفرنسيين، نجد الصراخ وترديد الشعارات والأناشيد الوطنية خلال تجميعهم في الثكنات، والمخيمات العسكرية وفي محطات القطر. وقد نقلت جريدة «لومانيتي - L'Humanité»، التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي، أنه في الأول من سبتمبر 1955 قام ألفين من الجنود الذين أعيد استدعاءهم للخدمة تحت العلم بتنظيم مظاهرة في «محطة قطار الشرق - La Gare de l'Est» من الرابعة مساء إلى إقلاع القطر في الحادية عشر وخمس

1 - Clément Grenier. Op cit, p 45.

2 - يتعلق الأمر بمحطات قطر: «محطة قطر الشرق - Gare de l'Est»، «ليون - Lyon» و«مومبارناص - Montparnasse» في باريس، «فالونس - Valence»، «بورج - Bourges»، «بورج سانت موريس - Bourg Saint-Maurice»، «بيزيي - Beziers»، «تول - Tulle»، «مولين - Moulins»، «ميراما - Miramas» و«تولوز - Toulouse-Marabia».

Ibid, p 48.

3 - يتعلق الأمر بكنائس: «روان - Rouen»، «برينيون - Perpignan»، «دوبليكس - Dupleix» في باريس، «رويل المميزون - Rueil-Malmaison»، «فانسان - Vincennes»، «إستر - Istres»، «بريف لا غيارد - Brive-la-Gaillarde»، «كوبلونس - Coblence»، «كومارسي - Commercy»، «أوكسار - Auxerre» و«فالونس - Valence».

Ibid.

4 - يتعلق الأمر بحصون: «نوجو سور مارن - Nogent-sur-Marne»، «بروفين - Provins»، «فانسان - Vincennes».

Ibid.

5 - ويتعلق الأمر بمخيمات: «لاكورتين - La Courtine»، «سوج - Souge»، «فريلوز - Frileuse» و«روشار - Ruchard».

Ibid.

6 - يتعلق الأمر بقواعد: «ريمس - Reims»، «سانت ديزيي - Saint-Dizier» و«سومبيري - Chambéry».

Ibid.

7 - يتعلق الأمر بقاعدتي: «لان بياوي - Lann-Bihoué» و«لانفيوك بولميك - Lanveoc-Poulmic».

وأربعين دقيقة مساءً. وخلال هذه المدة كانوا يصرخون "لا كي! لا كي! - La Quille! La Quille!"¹ و"لا نريد الذهاب إلى الجزائر"² ونقلت الجريدة أيضا أنه في 13 أكتوبر 1955 بمدينة «تولون - Toulon» و«مرسيليا - Marseille» قام ثلاثة آلاف من الجنود التابعين للكتيبة 405 لسلاح المدفعية المضاد للطائرات «RAA»، أثناء نقلهم بالشاحنات، بترديد النشيد الوطني الفرنسي «لا مارسياز - La Marseillaise» احتجاجا على نقلهم إلى شمال إفريقيا³.

شكل آخر من أشكال الاحتجاج وهو العصيان والغياب المتكرر. ففي 20 سبتمبر 1955 رفض مئة جندي من البحرية ضمان الحراسة الليلية في القاعدة البحرية-الجوية ل«لان يؤوي - Lann-Bihoué» ب«لورينت - Lorient»⁴. وفي 10 أكتوبر 1955 رفض جنود الفرقة الثالثة عشرة لسلاح المدفعية الاستيقاظ قبل الثامنة صباحا ردا على إعلان نقلهم إلى شمال إفريقيا، وفي 11 أكتوبر نظم الجنود مظاهرة في شوارع «بورج - Bourges»، وفي 12 أكتوبر غادر الجنود الشكنة للالتحاق بعائلاتهم⁵. أما الغياب غير القانوني فقد تكرر مرات عديدة، ففي ليلة 30 سبتمبر إلى 01 أكتوبر 1955 خرج مئة وثلاثة وستون جنديا تابع للفرقة 403 لسلاح المدفعية المضاد للطائرات من المخيم العسكري ل«سوج - Souge» بالقرب من «بورجو - Bordeaux» لزيارة عائلاتهم قبل الذهاب إلى شمال إفريقيا، وتم اكتشاف غيابهم عند القيام بالمناداة لتسجيل الحضور. وفي 3 أكتوبر تأخر حوالي مئة جندي عن موعد العودة من إجازتهم إلى القاعدة الجوية ب«شامبيري - Chambéry» بيوم أو يومين. وفي 12 أكتوبر تم الإبلاغ عن الغياب المتقطع لثلاثين جنديا تابعين للفرقة 405 لسلاح المدفعية المضاد للطائرات ب«إيار - Hyère».

إذا كانت الاحتجاجات السابقة الذكر ذات طابع سلمي، فإن بعض الاحتجاجات كانت نوعا ما

¹ - «لا كي! - La Quille!» هي صرخة يطلقها الجندي تعبيرا عن فرحته بإنهاء الخدمة العسكرية القانونية وعودته إلى الحياة المدنية، أو السجن عند إنهاء مدة العقوبة في السجن. وقد اختلفت الآراء حول أصل الكلمة واستخداماتها. حول هذا الموضوع ينظر:

Dictionnaire des expressions françaises décortiquées, explication sur l'origine, signification, exemples, traduction. <http://www.expressio.fr/expressions/la-quille.php> consulté le 17-09-2016 à 09:51.

² - «2000 "rappelés" manifestent à la gare de l'Est», L'Humanité, 2 septembre 1955, p 1.
³ - «Manifestation à Marseille et à Toulon à l'embarquement de 3000 soldats et rappelés pour l'Afrique du Nord», L'Humanité, 14 Octobre 1955, p. 4.

⁴ - Clément Grenier. Op cit, p 50.

⁵ - «Les départs de troupes pour l'Afrique du Nord s'accélérent, le mécontentement grandit dans l'armée». L'Humanité, 15 octobre 1955, p. 4.

عنيفة. ففي 6 سبتمبر 1955، بمدينة «أوكسار - Auxerre»، وقبل مغادرة الكتيبة الرابعة للمشاة إلى المخيم العسكري بـ«فالداهون - Valdahon» الواقع بالقرب من الحدود السويسرية، قام جنود بالخروج إلى المقهى، ولما قامت دورية بإعادتهم إلى المخيم، لجأ حوالي عشرة منهم إلى أعمال التخريب للأسرة والأثاث¹. وفي ليلة 7 إلى 8 سبتمبر 1955 ثار كل الجنود في القاعدة الجوية لـ«سانت ديزي - Saint-Dizier» بـ«أوت ماترن - Haute- Marne»، وعددهم خمسة آلاف - حسب (موريس لازار - Maurice Lazard)، أحد الفاعلين في الحادث - والسبب هو أن الجنود المنتظمين في صفوف بساحة القاعدة الجوية كانوا ينتظرون الذهاب إلى ألمانيا فإذا بهم يكتشفون بأنهم ذاهبون إلى الجزائر. فتشتت الصفوف، وبواسطة حراب المسدسات التي وزعت عليهم قاموا بتكسير كل مرايا القاعدة. واضطرت قوات «سي.آر.أس - C.R.S»² إلى دفعهم لركوب القطار ليلاً باتجاه «مرسيليا - Marseille»، حيث تواصل الاحتجاج طول الطريق. ولدى وصولهم إلى مخيم «سانت مارت - Saint-Marthe» قرب «مرسيليا - Marseille» قاموا من جديد بإحداث ضجيج، ليركبوا في الأخير على السفينة إلى الجزائر³. وهناك العشرات من حركات العصيان والتمرد ضد التجنيد وعدم تحمس الجنود للذهاب إلى الجزائر لا يتسع المقام لسردها كلها⁴.

رغم كثرة الاحتجاجات وحركات العصيان في صفوف المجندين إلا أنها - كما ذكرنا - لم يكن لها صدى لدى الرأي العام ويعود ذلك إلى أسباب عديدة أهمها: الرقابة المفروضة على الصحف بحكم إعلان حالة الطوارئ، لجوء وزارة الدفاع الفرنسية إلى التقليل من أهمية الاحتجاجات، ومعاينة الجنود الذين يقودونها. ومن جهته اقترح الوكيل العام لدى محكمة الادعاء بـ«تولوز - Toulouse» مقاضاة الصحف الشيوعية بدعوى تحريض الجنود على العصيان⁵. ومع ذلك فإن الحكومة والسلطات العسكرية أبدوا قلقهم من رؤية جزء من الذين أُعيد استدعاؤهم للخدمة العسكرية غير مقتنع من جدوى، وحتى شرعية المهمة التي تحملوا على تنفيذها.

¹ - Clément Grenier. Op cit, p 51.

² - «سي.آر.أس - C.R.S» فرق الجمهورية للأمن - Compagnies Républicaines de sécurité

³ - Ibid, pp 51-52.

⁴ - للمزيد من الأمثلة عن حركات العصيان والتمرد ينظر:

Clément Grenier, po cit, pp 45-61.

ينظر أيضا:

Quemeneur Tramor. **Les manifestations des rappelés contre la guerre d'Algérie, contestation et obéissance. 1955-1956.** In: outre-mers, tome 88, n°332-333, 2^e semestre 2001. Collectes et collections ethnologiques : une histoire d'hommes et d'institutions. Pp. 407-427.

⁵ - Clément Grenier, op cit, pp 56-58.

وكان المدير العام للأمن الوطني الفرنسي آنذاك (مايري جان ماري ألبار - Mairey Jean Marie Albert)، في وقت سابق، قد تطرق في تقرير له مؤرخ في 24 نوفمبر 1954 إلى الصعوبات التي تمثلها إرسال قوات إضافية إلى الجزائر والتي ما فتئ الحاكم العام للجزائر يطالب بها. ومما جاء في هذا التقرير: "...ذلك يطرح مشكل خطير إذا تم إرسال وحدات جديدة، في حالة ما إذا أثّرت اضطرابات عامة في فرنسا [...] لا يجب التفكير في إخراج ولا فرقة درك واحدة من فرنسا، [...] أعارض كل ذهاب جديد".¹ وهذا يدل على أن الثورة الجزائرية أحدثت ارتباكاً كبيراً في المؤسسة العسكرية الفرنسية ودفعتها إلى إعادة النظر في إستراتيجيتها. وازدادت الأوضاع تفاقمًا وصعوبة بالنسبة للمؤسسة العسكرية الفرنسية عندما تدخلت أطراف أخرى لتعلن مساندتها لحركة العصيان في أوساط المجندين مثلما حدث في 23 نوفمبر 1955 عندما تظاهر جنود ليسوا ممن تم إعادة استدعائهم للخدمة تحت العلم في «شان إليزي - Champs-Élysées» في قلب باريس، وكذلك قيام بعض المسيحيين بتنظيم قداس في كنيسة «سانت سفيرين - Saint-Séverin» بثوا على إثره نص يدعو إلى العصيان. يضاف إلى ما ذكرناه من انخراط المجتمع المدني إلى جانب المجندين في المناطق التي مسها إعادة التجنيد. ويبدو أن الاحتجاجات جاءت بنتائج، بحيث أُعيد المجندون إلى منازلهم قبل نهاية 1955، مما أضعف حكومة (إدغار فور - Edgar Faure) وأدى إلى سقوطها والدعوة إلى انتخابات برلمانية مبكرة في جانفي 1956 والتي جاءت بالاشتراكيين (الائتلاف الجمهوري) إلى السلطة برئاسة (غي مولي - Guy Mollet)، على أساس برنامج إحلال السلم في الجزائر.²

لكن بعد حادثة «يوم الطماطم» التي تعرض لها (غي مولي - Guy Mollet) خلال زيارته إلى الجزائر غيرت الحكومة موقفها جذرياً، واختارت الحرب في الجزائر بدل إحلال السلم خلاف ما وعدت به أثناء الحملة الانتخابية، ومنحت في مارس 1956 سلطات خاصة للجيش وللحاكم العام في الجزائر للتعامل مع الثورة والثوار. ومن هذا المنطلق عادت، منذ أبريل 1956 عمليات إعادة استدعاء الجنود للخدمة تحت العلم وبأعداد متزايدة، وتبع ذلك عودة احتجاجات المجندين بكثافة أكثر من السابق. وبين شهر أبريل وجويلية 1956 وقع أكثر من ثلاثمائة حادث منها مأتي مظاهرة كانت نسبياً سلمية، كالمظاهرة التي وقعت في «لاروشال - La Rochelle» و«جرونوبل - Grenoble»³. وجاء كمين «باليسترو - Palestro»¹ الذي

¹ - Ibid, p 46.

² - Quemeneur Tramor. **Refuser l'autorité ? Étude de désobéissances des soldats français ...**, op cit, p 58.

³ - في «لا روشال - La Rochelle»، الواقعة بجنوب غرب فرنسا، التي نظم السكان المدنيون مظاهرة في 2 ماي 1956، حيث قاموا بتوقيف القطار القادم من مدينة «فان - Vannes»، الواقعة غرب فرنسا، واحتجزوا المجندين ومنعواهم من الذهاب إلى الجزائر. وفي «جرونوبل - Grenoble» وقعت في 18 مارس 1956 مواجهات عنيفة كان

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

نصبه جيش التحرير الوطني ضد كتيبة فرنسية في 18 ماي 1956 إلى اتساع حركة العصيان نظرا للعدد الكبير من الجنود الذين قتلوا في الكمين وقدر عددهم بعشرين قتيلا.

في خضم هذه الأجواء برزت ظاهرة فرار الجنود الذين بقي العديد منهم طي النسيان أو غير معروفين. ومن أكثر الفارين شهرة (هنري مايو - Henri Maillot)² الشيوعي الجزائري الذي فر من الجيش في أبريل 1956 بشاحنة مشحونة بالأسلحة والذخيرة ليلتحق بمجموعة من المجاهدين تشكلت بمنطقة «أوريونفيل - Orléansville»، مدينة «الشلف» حاليا، والتي كانت تحت إمرة (عبد القادر بابو) أحد أعضاء المكتب السري لـ«ح.ش.ج - PCA»³. وقام الجندي (نوال فافرليار - Noël Favrelière) بإنقاذ جزائري من

المتورطون فيها شباب مقبلون قريبا على أداء الخدمة العسكرية تحت العلم

L'Humanité, 3 mai 1956.

Quemeneur Tramor. **Refuser l'autorité ? Étude de désobéissances des soldats français** ... , op cit, p 59.

1 - كمين «باليسترو - Palestro» أو كمين «جراح - Djerrah» وقع بالقرب من قرية «جراح» في منطقة «باليسترو - Palestro»، ونسبى حاليا «الأخضرية»، حيث قامت فرقة تابعة لجيش التحرير الوطني تتكون من حوالي أربعين مجاهدا بقيادة الملازم الأول (علي خوجو) بمهاجمة الفرقة التاسعة للمشاة التابعة للجيش الفرنسي يتكون من واحد وعشرين جنديا بقيادة الملازم (هرفي آرثر - Hervé Artur) انتهت بمقتل عشرين جندي فرنسي ونجاة واحد فقط.

لمزيد من المعلومات عن كمين «باليسترو - Palestro» ينظر:

Branche (Raphaëlle), L'embuscade de Palestro, Algérie 1956, Casbah Éditions, Alger 2011. (254 p)

2 - (هنري مايو - Henri Maillot): مناضل في الشيوعي الجزائري، ومناهض للاستعمار. ولد في مدينة الجزائر في 1928. عمل موظفا في جريدة «ألجي ريبوبليكان - Alger républicain» القريبة من الشيوعيين الجزائريين. تأثر كثيرا بالقمع الذي ضرب الجزائريين عقب هجومات الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955، ليتخذ قرار الانضمام إلى الجزائريين المنخرطين في الكفاح من أجل الحرية. وفي رسالة وجهها إلى الصحافة كتب يقول: "لست مسلما، لكن أنا جزائري من أصل أوروبي. اعتبر الجزائر كوطن". في 1956 عين في الكتيبة 57 للمناوشين برتبة ملازم. وفي 4 أبريل 1956 فر من الجيش وحول شحنة من الأسلحة لصالح الجزائريين. في 22 ماي 1956 حكمت عليه المحكمة العسكرية بالجزائر بالإعدام غيابيا بتهمة الخيانة.

Sari Nora. **Des armes de «maquis rouge» pour Cherchelle et Miliana.** Témoignage du colonel ghebalou sur la destination d'un lot d'armes détourné par Henry Maillot, In Mémoire, groupe El Djazaircom.

[www. Memoria.dz/Avr-2014/guerre-liberation/des-armes-maquis-rouge-pour-cherchelle-miliana](http://www.Memoria.dz/Avr-2014/guerre-liberation/des-armes-maquis-rouge-pour-cherchelle-miliana) consulté le 21-9 2016 à 9:48.

3 - لمزيد من التفاصيل عن عملية تحويل شحنة الأسلحة والذخيرة من طرف (هنري مايو - Henri Maillot) ينظر:

Ibid.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

الإعدام كان وشيك التنفيذ بتهريبه عبر الصحراء إلى تونس. والمغني (كلود فانسي - Claude Vinci) الذي فر من الجيش في الجزائر بعد أن كان شاهداً على مجزرة ارتكبت ضد الجزائريين¹.

إذا كانت المرحلة الأولى من حركة عصيان الجنود بمختلف أشكالها (المظاهرات، التقاعس عن تنفيذ الأوامر، قلة الانضباط والفرار)، والتي امتدت لسنوات 1955-1956، تميزت بالسلمية، التعقيم والتكتم، فإن المرحلة الثانية التي امتدت لسنوات 1957-1959 ظهر نوع آخر من العصيان والتمرد، يتمثل في فضح الجنود لممارسات التعذيب والانتظام في شبكات صغيرة لمناهضة الحرب. وهذا النوع من العصيان فجره أسلوب التعذيب الذي لجأ إليه الجيش لافتكاك المعلومات من الجزائريين والذي امتد ليطال بعض الفرنسيين المناهضين للاستعمار². ومنذ ربيع 1957 تزايدت الشهادات التي تندد بممارسة التعذيب، من بينها شهادة الجنرال (جاك دو بولارديار - Jacques de Bollardière) الذي فضح علناً التعذيب الذي يمارسه الجيش وكلفه ذلك التهميش من قبل المؤسسة العسكرية، والسجن في قلعة بمدينة «كورنوف - Courneuve» لمدة ستين يوماً³. ونفس الموقف اتخذته أستاذ الفلسفة (جان لو مور - Jean Le Meur)، الذي استدعي للخدمة وكان برتبة ملازم في 1958، إذ كان شاهداً على عمليات تعذيب والتي سريها لجملة «إسبري - Esprit» عدد ديسمبر 1959⁴. وكان المجددون الشيوعيون الأكثر اعتراضاً على التوجه العام للجيش لتعميم استعمال التعذيب، مما عرضهم إلى السجن الانفرادي لمنع كل احتكاك بينهم والحيلولة دون اتساع رقعة المعارضة. وهذا الوضع دفع بعض المساجين إلى الاستعانة بأشخاص خارجيين للترويج للحق في الاعتراض عن تنفيذ الأوامر المرتبطة

ينظر أيضاً:

Chertouk Merzak. **Henri Maillot et Maurice Laban, héros oubliés**. El watan, 18-06-2007.

1 - ألف المغني (كلود فانسي - Claude Vinci) كتاب عن تجربته كجندي في الجزائر بعنوان: «Les porte de fer». «Ma guerre d'Algérie et ma désertion» صدر في ماي 2002 عن دار «Les Temps Des Cerises» (96 p)

2 - سيأتي الحديث عن مسألة التعذيب في العنصر الموالي.

3 - لمزيد من التفاصيل عن الجنرال (جاك دو بولارديار - Jacques de Bollardière) ومعارضته للتعذيب ينظر: Bollardière (Jacques de), *Bataille d'Alger, Bataille de l'Homme*, Paris, Desclée De Brouwer, 1972. (168 p)

ينظر أيضاً:

Marchet Jean- Dominique. **Bollardière, Le général qui a dit «non»**. In Libération, 14 juin 2001.

4 - **Histoire d'un acte responsable. Le cas de Jean Meur**. Esprit, décembre 1959, pp. 675-686.

بممارسة التعذيب¹. وقد حث الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي (موريس طوراز - Maurice Thorez) الجنود الشيوعيين على التوقف عن العصيان وقبول التجنيد، وهذا ما رفضه الشيوعيون المناهضون للاستعمار الذين اتهموا الحزب بالانحراف عن المبادئ الشيوعية². وهذا الموقف هو الذي فتح الباب على مصراعيه ليصبح العصيان ورفض الخدمة العسكرية في الجزائر موضوع نقاش حاد داخل المجتمع الفرنسي بين السياسيين والطبقة المثقفة والصحافة. ذلك النقاش هو ما ميز المرحلة الثالثة من حركة العصيان والتمرد في صفوف الجنود الفرنسيين.

في ربيع 1960 انفجر النقاش حول مدى أحقية الجنود الذين تم إعادة استدعائهم للخدمة تحت العلم، في رفض التجنيد والفرار من الجيش تعبيرا عن معارضة الحرب الدائرة في الجزائر والأساليب المستخدمة فيها خاصة التعذيب. وكان لاكتشاف حركة «المقاومة الشابة - Jeune Resistance»³ المناهضة للتجنيد القسري تأثير كبير في جعل الرأي العام يدرك المستوى المقلق الذي وصلت إليه حركة العصيان والتمرد بين الجنود والذي يمكن أن يضر المؤسسة العسكرية الفرنسية. بدأت المسألة تأخذ حيزا متزايدا من اهتمامات الرأي العام بعد ظهور كتب من تأليف جنود فارين أو متمردين عن الخدمة العسكرية ضمنوها شهاداتهم حول حقيقة الحرب في الجزائر، حيث ألف (جان لويس هورست - Jean-Louis Hurst) كتاب «الفار - Le déserteur» وألف (موريس ماشينو - Maurice Mashino) كتاب «الرفض - Le refus»⁴. يُضاف إلى ذلك إحالة الجنود العصاة إلى المحاكم العسكرية وما صاحب ذلك من تحركات على مستوى المجتمع المدني

¹ - لمزيد من التفاصيل عن حركة رفض تنفيذ الأوامر من المجندين الشيوعيين ينظر:

Quemeneur Tramor, «Les Soldats du refus». La détention, La compagne de soutien et la répression des soldats communistes refusant de participer à la guerre d'Algérie, Histoire de la justice 2005/1 (N° 16), pp. 189-201.

² - Quemeneur Tramor. Refuser l'autorité ? Étude de désobéissances des soldats français ..., op cit, p 63.

³ - «المقاومة الشابة - Jeune Resistance» هي حركة سرية تضم الشباب الفرنسي الذين رفضوا التجنيد والخدمة العسكرية في الجزائر خلال سنوات 1955-1956. تأسس في سويسرا في 1959. الهدف الأساسي للحركة هو تقديم العون والمساعدة المادية والمعنوية أمام العدالة العسكرية للجنود العصاة والفارين من الخدمة العسكرية بسبب الحرب في الجزائر.

Khettab (Rachid), Les amis des frères : Dictionnaire biographique des soutiens internationaux à lutte de la libération nationale algérienne, Les Editions Dar khettab, Alger, 2012, pp 181-182.

⁴ - صدر كتاب «الفار - Le Déserteur» في 1960 عن دار النشر «مينوي - Minuit» في 128 صفحة. وصدر كتاب «الرفض - Le Refus» في 1960 عن دار النشر «ماسبيرو - Maspero» في 207 صفحة.

لمساندة حركة العصيان، بل ظهرت عرائض وبيانات¹ تدعمها وتبررها أشهرها «بيان 121 - Le Manifeste des 121»² الذي كان تأثيره مدويا كونه موقعا من كبار المثقفين والفنانين في فرنسا من أمثال الفيلسوف والأديب (جان بول سارتر - Jean-Paul Sartre)، والشاعر (أندري بروتون - André Breton)، والممثلة (سيمون سينيوري - Simone Signoret) وغيرهم، ووجد هؤلاء المثقفون الموقعون على البيان أنفسهم ملاحقين، ممنوعين من الظهور في وسائل الإعلام، مفصولين من الإدارة وحتى محالين على العدالة بتهمة التحريض. وهناك صورة أخرى لمعارضة الحرب في الجزائر ومساندة الجنود المتمردين قائمة على المبادئ الأخلاقية الإنسانية تتبنى أسلوب اللاعنف برزت من خلال منظمة «العمل المدني غير العنيف - l'Action Civique Non Violente» (ACNV)، وهي منظمة مسيحية أسسها (جوزيف بيروني - Joseph Pyronner) للتنديد بالتعذيب واحتشدات. وقد انظم العديد من المجندين إلى هذه المنظمة بعد إعلان العصيان والتمرد³.

من جانبها تفاعلت فدرالية الجبهة بفرنسا و«ج.ت.و» مع حركة العصيان وتداعياتها، حيث كتبت في الموضوع العديد من المقالات بالعربية الفرنسية تهاجم فيها سياسة التجنيد الجديدة للحكومة الفرنسية في الجزائر، وتشيد وترحب بالموثق المشرف للجنود والمجتمع المدني المعارض لتلك السياسة. ففي مقال بعنوان: «الشباب الفرنسي في مدرسة الجريمة»، تطرقت الجريدة إلى التعليمات التي اتخذتها الحكومة الفرنسية

1 - تعددت العرائض والبيانات التي أصدرها المثقفون والمرتبطة بالثورة التحريرية، بلغت تسعة بيانات في 1959، ثمانية عشر في 1960 وعشرة في 1961. لكن يبقى «بيان 121» أكثرها شهرة على الإطلاق. للمزيد من التفاصيل عما يسمى بحرب البيانات ينظر الفصل التاسع بعنوان: «حرب الجزائر، حرب البيانات؟ - guerre d'Algérie, guerre des pétitions ?» في: Sirinelli (Jean-François), op cit, pp 314-366.

2 - ظهر «بيان 121 - Le Manifeste des 121» في 6 سبتمبر 1960 تحت عنوان «إعلان حول حق رفض التجنيد في حرب الجزائر - Déclaration sur le droit à l'insoumission dans la guerre d'Algérie» وقعه 121 شخص من مثقفين وفنانين كبار للتضامن مع الشباب الرافضين والفارين من الخدمة العسكرية والحرب في الجزائر. للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر: نفسه، صص 343-360.

3 - للمزيد من التفاصيل حول منظمة «العمل المدني غير العنيف - l'Action Civique Non Violente» (ACNV) ينظر:

Traamor Quemeneur, « L'ACNV (Action civique non violente) et la lutte contre les camps », Matériaux pour l'histoire de notre temps, 2008/4 (N° 92), pp 57-63.

ينظر أيضا:

Fraters (Erica), Réfractaires à la guerre d'Algérie avec l'Action Civique Non Violente 1959-1963, Editions Syllepse, Paris, 2005. (210 p)

لتجنيد الشباب الفرنسيين في سن الثمانية عشرة سنة، لسد النقص البشري في القوات الاستعمارية في الجزائر، لأن المليون من الجنود والدرك والشرطة وأفراد المليشيا لم يعودوا قادرين على مواجهة الثورة الجزائرية، وأن هذه الحاجة العاجلة أعمت أبصار المسؤولين الفرنسيين عن رؤية بشاعة الجريمة الجديدة التي يرتكبونها وتجعلهم لا يقدرون العواقب الوخيمة التي تنجر عن إرسال أطفال مراهقين إلى ميدان الحرب في الجزائر ليتربوا في "مدرسة الجريمة" ويمارسون يوميا تجارب التعذيب والسلب والنهب والقتل الجماعي بقيادة ضباط أصبحت الجريمة بمختلف أشكالها جزءا من حياتهم اليومية. وقد رفع أطباء وعلماء نفس أصواتهم للاحتجاج ضد هذا الإجراء الخطير، وأنذروا الحكومة الفرنسية بأن تجنيد المراهقين والزج بهم في حرب الجزائر في هذه المرحلة الحرجة من عمرهم، سوف يجعل منهم أشخاصا منهارين عصيبا ومخطمين نفسيا وتطبع حياتهم كلها بطابع الانحراف والسلوك الإجرامي.¹ كما قامت بنشر نص «بيان الـ 121» مترجما إلى اللغة العربية². ونقلت الجريدة شهادات ونداءات لمجندين وشباب عاشوا مأساة التجنيد، ومنها الرسالة التي وجهها الجندي الفرنسي (مرسيل أ. Marcel A.) إلى مدير صحيفة «ليكسبريس - L'Express»، جاء فيها: "كنت قبل هذا الوقت أستنكر موقف الفارين من الجندية والذين يرفضون التجنيد بسبب حرب الجزائر، والذين يتعاونون مع الثوار، وبعد ذلك فكرت، وفكرت، وتساءلت: إن مت في الجزائر، فلماذا أموت؟ وإن قتلت رصاصة جزائري، فلماذا تقتله؟ لا شك أنكم الآن تتوقعون مني أن أهرب بدوري من الجندية، رغم هذا فسوف أبقى في الجيش لأنني جبان، نعم جبان، إني خائف من السجن وقطع العلاقات مع عائلتي وأصدقائي، أخاف الفضيحة، هذه الأشياء كلها مؤكدة، أما الموت فهو ليس مؤكدا (...). آه لو رفض الآلاف هذه الحرب؟ أما وحدي ... إذن فما أنا ذاهب إلى الجزائر لكن لماذا؟"³

أما النداءات فقد نشرت نداء حركة شباب الحزب الشيوعي بفرنسا والتي تضم الشباب الشيوعي والفتيان والطلاب والشبيبة الفلاحية، جاء فيه: "نحن الذين نمثل مستقبل فرنسا نقول لها بوضوح لقد سئمتا التهدة من أجل القتال، إننا لا نريد أن نحارب في سبيل ألفاض لا معنى لها. إننا لا نريد أن ننتظر، لأن السلم لا تنتظر، إنها في متناول أيدينا، ولم يبق بيننا وبينها إلا خطوة واحدة. إننا آلاف من الشباب قد أصبحت هذه الحرب تمثل يأسنا، وإن التورط سيثقلنا إذا لم نقف وقفة رجل واحد. إن الشباب الفرنسي ليس مستعدا لأن يستسلم، وأن يسمح في حقه في الحياة والسعادة ليدافع عن استعمار انقضى عهده. إن الشباب الفرنسي يحرص على صداقة الشباب الجزائري الذي تألم كثيرا، ولكن في

1 - المجاهد، العدد 78، الاثنين 3 أكتوبر 1960، ص 9.

2 - نفسه.

3 - نفسه، ص 10.

هذا الوقت بالذات يريد «ديغول» أن يجند المراهقين من أبناء الثامنة عشرة من العمر، وهذا شيء لا يطاق. لقد دقت الساعة التي تنتهي فيها الحرب»¹. وفي النسخة الفرنسية كتنت جريدة المجاهد في العدد الصادر في 14 أكتوبر 1960 مقالا بعنوان "جنود فرنسيون يروون حرب الجزائر - Des soldats français racontent la guerre d'Algérie" أعادت فيه نشر المقاطع الرئيسية من رسائل الجنود مجندين بالجزائر، كانت أسبوعية «فرانس أوبسارفاتور - France-Observateur» قد نشرتها في عدد 29 سبتمبر 1960، ضمن ملف عن موقف الشباب الفرنسي اتجاه حرب الجزائر، والتي بسببه تمت مصادرتها. يروي هؤلاء الجنود يومياتهم القاسية التي عاشوها والتجاوزات الفظيعة التي ارتكبتها الجيش ضد الجزائريين العزل. ونورد ما جاء في رسالة جندي من المشاة، حيث ذكر أنهم أثناء عمليات في الجبل شاهدوا مجموعة من "الفلاقة" - يقصد المجاهدين - داخل مغارة فقاموا بإلقاء قنابل دخانية خاصة لإجبارهم على الخروج. وبعد مرور بعض الوقت خمن الملازم أن يكون المجاهدون قد أغمي عليهم ولكنه لم يكن متأكدا من الأمر. فقام بإحضار بعض الأطفال من القرية المجاورة وطلب منهم الدخول أولا في المغارة، فتصدى له أحد الجنود وانتصب أمامه وقال له: "لن تقوم بفعل هذه القذارة"².

ما يمكن الاحتفاظ به من كل ما قيل، هو أن حركة عصيان وتمرد الجنود على التجنيد في الجزائر، وبالأشكال المختلفة التي ذكرناها (تعطيل انطلاق القطارات التي تنقل المجندين، التماطل في تنفيذ الأوامر، عدم الانضباط، الفرار ...) كانت في البداية مجرد أعمال محدودة ومعزولة لتتحول مع تطور الأحداث إلى مسألة أخلاقية تشغل بال الرأي العام، إنما ينبع من عدم اقتناع الجنود بالمهمة المطلوب انجازها، وإخفاء الحكومة لحقيقتها: هل هي حرب أم عمليات حفظ على النظام ؟ والواقع المختلف الذي وجده المجاهدون في الجزائر، وصعوبة التعاطي معه، وتورط الجيش وانغماسه في استخدام الأساليب اللاإنسانية كالتعذيب والمحتشدات والإبادة والتي تذكر الفرنسيين بممارسات النازيين خلال الحرب العالمية الثانية. يضاف إلى ذلك النزيف البشري الذي شهدته فيالق الليفي الأجنبي بفعل فرار عشرات الجنود ورفضهم التورط في حرائم الجيش الفرنسي في الجزائر.

2 - مسألة التعذيب

تعد مسألة التعذيب من القضايا الشائكة والحساسة التي ميزت مسار الثورة التحريرية، ولا تزال تداعياتها ماثلة إلى وقتنا الحاضر. والمتورط الأساسي فيه هو المؤسسة العسكرية الفرنسية وبالتالي الدولة الفرنسية نفسها،

1 - المجاهد، العدد 78، نفسه.

2 - El moudjahid, volume 3 (du n° 61 à 91), n° 71, 14 October 1960, pp 254-257.

وهذا ما يطلق عليه «عنف الدولة - La violence d'État»¹. الهدف هنا ليس هو الحديث عن التعذيب الذي مارسه الجيش الفرنسي على الجزائريين بأساليبه وتقنياته، وإنما إبرازه كأداة عنف غير قانونية مارسه الدولة الفرنسية بشكل غير رسمي لقمع المجاهدين والثورة في الجزائر وعلى التراب الفرنسي، والإطلاع على ردود فعل الرأي العام اتجاهه. وسنركز أكثر على التعذيب الممارس ضد الجالية الجزائرية في فرنسا كجزء من سياسة الأجهزة الأمنية الفرنسية للتصدي لنشاطات فدرالية «ج.ت.و» في فرنسا وأوروبا الغربية.

دأبت الحكومات الفرنسية المتعاقبة على رفع تهمة ممارسة التعذيب عن المؤسسة العسكرية. وإن وجد فلا يعدو أن يكون أعمال وتجاوزات من بعض الأشخاص في المؤسسة العسكرية. وهذا ما عبر عنه رئيس الحكومة «غي مولي - Guy Mollet» أمام المناضلين الاشتراكيين لمنطقة «المارن - La Marne»² عندما قال: «لنتكلم بصراحة، على الأرجح أن هناك أعمال عنف نادرة حدثت فيما مضى، إلا أنني أؤكد أنها حصلت على إثر معارك وأعمال وحشية قام بها الإرهابيون. أما عن أعمال التعذيب المتعمدة بنية مسبقة، وفي حال حصولها، فإني أقول أنها أمر لا يحتمل. وإن مقارنة ممارسات الجيش الفرنسي، في هذا الموضوع، بممارسات «الغستابو - La Gestapo»³ غير مقبول¹. ولم يبتعد موقف الرأي العام

1 - يوجد نوعين من «عنف الدولة» عنف قانوني وعنّف غير قانوني. العنف القانوني وهو الذي تتحمل الدولة مسؤوليته بشكل مفتوح. وأعوان الدولة يمارسون العنف وفق نص قانوني رسمي. في المقابل فإن العنف غير القانوني يخضع لمنطق آخر وهو المصلحة العليا للدولة، تبيح فيها الدولة لنفسها التعدي على حقوق مواطنيها، دون تحمل المسؤولية المباشرة بممارسته. وعادة ما تصنفها ضمن التجاوزات التي يرتكبها أعوانها.

BRANCHE, Raphaëlle. **Faire l'histoire de la violence d'État : la torture exercée par l'armée française en Algérie (1954-1962)** In : Archives « secrètes », secrets d'archives ? Historiens et archivistes face aux archives sensibles [en ligne]. Paris : CNRS Éditions, 2003 (généré le 01 octobre 2016).

2 - Hamon (Hervé) et Patrick (Rotman), Les porteurs de valises, collecton H comme Histoire, Paris Editions Albin Michel, 2009, p 69.

3 - «الغستابو - La Gestapo»: هي اختصار للكلمة الألمانية «Geheime Staatspolizei»: أي شرطة «Polizei» الدولة «Staat» السرية «geheime»، أي شرطة الدولة السرية، وهو جهاز استخبارات ألماني أسسها النازي (هيرمان غورينغ - Hermann Göring) في 26 أبريل 1933 في «بروسيا - Prusse» الألمانية. يوصف «الغستابو» بأنه كان جهازا ذا كفاءة مرعبة في أداء مهمته الكبرى، وهي حماية الدولة والتصدي لما يترصد بها من أعمال تخريب وتجسس، وملاحقة معارضي النازية داخل ألمانيا وفي البلدان الأخرى التي احتلتها القوات الألمانية، وتهجيرهم قسرا إلى معسكرات الاعتقال ثم القضاء عليهم. إثر هزيمة هتلر في الحرب العالمية الثانية وانهايار ألمانيا النازية، انتهت أسطورة جهاز «الغستابو» وإعلان حله يوم 8 ماي 1945، وسبق من بقي من رؤسائه إلى «محاكم نورمبرغ» التي عقدتها الدول المنتصرة (الحلفاء) ما بين 1946 و1949، لمعاقبة «كبار مجرمي الحرب النازيين».

à <http://www.larousse.fr/encyclopedia/divers/Gestapo/121277> consulté le 06-10-2016 00h:08.

الفرنسي عن موقف الحكومة بدفاعه عن المؤسسة العسكرية واستبعاد كليا فرضية تورط الجيش في مسألة التعذيب. ورغم تواتر الشهادات الجزائريين تعرضوا للتعذيب إلا أن اتهام الجيش بشيء كهذا أمر مرفوض وغريب عن أخلاقياته، ولولا أن فرنسيين تعرضوا للتعذيب ما كان للفضيحة أن تتكشف للرأي العام. وما حدث لـ (موريس أودين - Maurice Audin) و (هنري أليج - Henri Alleg) على يد الجنود المضليين التابعين للجنرال (جاك ماسو - Jacques Massu) فجر المسألة وجعلها جزءا من الاهتمامات المفروضة على الرأي العام².

في يوم الثلاثاء 11 جوان 1957، وعلى الساعة الحادية عشر مساء، ومن مقر سكناءه، قامت قوات المضليين باعتقال (موريس أودين - Maurice Audin) أستاذ مساعد للرياضيات في كلية العلوم بجامعة الجزائر، وعضو في الحزب الشيوعي الجزائري منذ 1955. ومنذ 21 جوان 1957 اختفى، وإلى الأبد، وكان شابا في الخامسة والعشرين³، تاركا وراءه زوجة (جوزيت أودين - Josette Audin) وثلاثة أولاد. الرواية الرسمية، والتي يشكك الجميع في صحتها، أنه فر من سيارة من نوع (جيب - Jeep)، أثناء نقله من قبل السلطات العسكرية تحت إمرة النقيب (شاربونيه - Charbonnier)، المتهم الرئيسي بتعذيبه حتى الموت. ومن أكثر المشككين في رواية الفرار هو المؤرخ الفرنسي (بيار فيدال ناكي - Pierre Vidal - Naquet)، الذي يرجح أن يكون (أودين - Audin) قد مات تحت التعذيب، وأن مسألة الفرار ما هي إلا سيناريو مفبرك⁴. ولافتكاك ملف التحقيق من أيدي القضاء العسكري، قدمت زوجته (جوزيت - Josette) شكوى ضد مجهول. وأمام عجز السلطات الرسمية في حل لغز الاختفاء، اقترح (جان فرانسوا كاهن - Jean-

¹ - Vidal-Naquet (Pierre), Les crimes de l'armée française, Maspero, Paris, 1981, p 116.

² - (جاك ماسو - Jacques Massu): ضابط فرنسي برتبة جنرال. قائد الفرقة العسكرية العاشرة للمضليين في 1958، ورئيس «لجنة السلام العام - Comité du Salut Public» التي أسسها أنصار «الجزائر فرنسية» في 13 ماي 1958. ارتبط اسمه في الذاكرة الجزائرية بالقتل والإجرام برفقة الجنرال (مارسال بيجار - Marcel Bigeard).

Cheurfi (Achour), Dictionnaire de la révolution..., op cit, p 236.

³ - Pouillot (Henri), **Maurice Audin, la seule certitude**

<http://www.henri-pouillot.fr/0452fc99eb00032a6/0452fc99ea13bff6c/index.html> consulté le 06-10-2016 à 21:50.

⁴ - لمزيد من التفاصيل عن «قضية أودين - L'affaire Audin» ينظر:

Vidal-Naquet (Pierre), L'Affaire Audin (1958-1978), Hibr Editions, Alger, 2012. (190 p).

للإشارة فإن الطبعة الأولى للكتاب صدر في 1958 عن دار النشر الفرنسية «مينوي - Minuit» (100 p). الرواية التي يدافع عنها المؤرخ «بيير فيدال ناكي - Pierre Vidal-Naquet»، والتي أوردتها في الطبعة الأولى من كتابه (L'affaire Audin)، الصادر عام 1958، أن الفرار المزعوم، أمر يستحيل حدوثه، والأرجح هو أن «أودين - Audin» توفي تحت التعذيب يوم 20 جوان، وأن النقيب «شاربونيه - Charbonnier»، الذي كان مقنعا، أراد في اليوم الموالي التظاهر بالفرار. والهدف من هذه التمثيلية، هو إعطاء مصداقية وتبرير لاختفاء «أودين - Audin».

(François Cahen)، مدرس اللغة الإنجليزية في الكلية العسكرية بمدينة «فليش - Flèche»، على السيدة (أودين)، تشكيل جمعية للبحث عن حقيقة اختفاء زوجها، وهذا ما تم فعلا في منزل (فاي هالي - Weill Hallé)¹ الذي شهد ميلاد «جمعية أودين - Le Comité Audin» في نوفمبر 1957². أما (هنري أليق - Henri Alleg)³ فقد اعتقل بدوره ونقل إلى سجن «الأبيار» أين مكث شهرا، ذاق خلاله أنواعا من العذاب على يد النقيب (شاربونييه - Charbonnier) والنقيب (إرولين - Érulín)، قبل أن ينقل إلى سجن «بربروس»، أين بدأ بتأليف كتاب «الاستجواب - La question»⁴، يروي فيه ما حدث له في سجن «الأبيار» على يد جلادي الجنرال (جاك ماسو - Jacques Massu)، و التقاءه بـ(موريس أودين - Maurice Audin) الذي يكون قد عذب حتى لم يعد قادرا على الوقوف فسقط على ركبتيه ومطأطأ رأسه. عن هذا المشهد المروع كتب: «أحضروا أودين، قال شا... [يقصد النقيب شاربونييه]، إنه في البناية الأخرى...» [...] «هيا أودين قل له [يقصد أن يقول لـ«أليق»] ماذا ينتظره. جنبه فضائع مساء أمس!» رفعت رأسي فرأيت وجه صديقي أودين شاحبا وتائه وهو يرمقني ببصره، وقال لي "إنه فضيع

¹ - (فاي هالي - Weill Hallé): هي (ماري أندري لاغروا فاي هالي - Marie-Andrée Lagroua Weill Hallé) طبيبة أمراض النساء، مؤسسة حركة «الأمومة السعيدة - La Maternité Heureuse» في 1956، والتي تحولت إلى «الحركة الفرنسية من أجل التخطيط العائلي - Le Mouvement français pour le planing familial». توفيت في 8 جانفي 1994.

consulté le <http://www.larousse.fr/encyclopedia/personnage/Weill-Hall%C3%A9/180417> 6-10-2016 à 22:50.

² - Hamon (Hervé) et Patrick (Rotman), op cit, 74.

³ - (هنري أليق - Henri Alleg): اسمه الحقيقي (هاري سالم - Harry Salem) من مواليد 20 جويلية 1921 في لندن من عائلة يهودية ذات أصول روسية وبولونية. هاجر والداه إلى فرنسا، انتقل إلى الجزائر في 1939 وتزوج من جزائرية يهودية من أصول إسبانية. انخرط في «ح.ش.ج - P.C.A» وأصبح أحد قياداته. من 1950 إلى 1955 أصبح مديرا لجريدة «ألجي ريببليكان - Alger Republicain» التي منعت من الصدور ابتداء من سبتمبر 1955. بعد استقلال الجزائر أعاد إطلاق الجريدة لكنها توقفت نهائيا عن الصدور في 1965. غادر (أليق) الجزائر ليستقر في باريس. توفي في 17 جويلية 2013.

Cheurfi (Achour), Dictionnaire de la révolution..., op cit, p 33.

⁴ - ظهرت الطبعة الأولى لكتاب «الاستجواب - La question» في مارس 1958 لدى «منشورات مينيوي - Éditions Minuit»، لكن تم حجزه وسحبه من المكتبات فور توزيعه في السوق. وبعد أربعة عشر يوما أعاد الناشر السويسري (نيلز أندرسون - Nils Andersson) نشره في سويسرا. وتوزيعه سريرا ليصل عدد النسخ التي بيعت إلى 150 ألف نسخة. وقد ساهم الكتاب بشكل كبير في فضح التعذيب في الجزائر. ترويجه سريرا سمح بتوزيع 150000 نسخة.

Rappaport Roland. "La Question" d'Henri Alleg, histoire d'un manuscrit, le Monde du 24-07-2013.

ياهنري" ثم أخذوه.¹

أثار وفاة (موريس أودين) تحت التعذيب، وصدور كتاب «La question» لـ(هنري أليق)، وكتاب «ضد التعذيب - Contre la torture» ، مع تواتر الشهادات لضباط وجنود رفضوا التورط في التعذيب، وأغلبهم من التيار اليساري، صدمة عند شريحة كبيرة من الرأي العام، وفي مقدمتهم المثقفين والصحافة، الذين نادوا بضرورة التحرك بسرعة قبل أن يتفاقم الوضع ويتفشى التعذيب كممارسة في كل المؤسسة العسكرية. وفي هذا الاتجاه قام الأديب والمؤرخ (بيار هنري سيمون - Pierre-Henri Simon) بنشر كتاب بعنوان «ضد التعذيب - Contre la torture»². أما المفكر والفيلسوف الوجودي (جان بول سارتر - Jean-Paul Sartre) فقد أدان بشدة التعذيب المسلط على الجزائريين واعتبره جزءا من الشخصية الاستعمارية ومن أساسيات النظام الاستعماري. وكتب العديد من المقالات فضح فيها وحشية الجيش الفرنسي، ونبه إلى الانزلاق الخطير للمؤسسة العسكرية، مما تسبب في مصادرة الجرائد التي نشرتها. لاحقا تم جمع تلك المقالات في كتاب بعنوان «عارنا في الجزائر»³. وكتب (سارتر) أيضا مقدمة كتاب «الاستجواب - La question»

¹ - Alleg (Henri), La Question, collection voix de l'anticolonialisme, Alger ,Éditions ANEP, 2006, pp 25-26.

ينظر أيضا:

Ruscio Alin, **La Qestion, d'Henri Alleg: histoire d'un maître du XXe siècle**, L'Humanité, lundi 29 Juillet 2013.

² - Simon (Pierre-Henri), Contre la torture, Editions du Seuil, Paris, 1957. (124 p) الفكرة الأساسية لهذا الكتاب هو أن الكاتب يقف كطرف مع الثورة الجزائرية التي يعتبرها حرب استعمارية، وأن اعتراف فرنسا بذلك يسمح لها بتطوير مهمتها الحضارية. وفي نفس الوقت يثور ضد الممارسات ألا إنسانية المرتكبة ويندد بها، مثل التعذيب بكل أشكاله. وحلل وجهات النظر التي تبرر استخدام الوسائل البربرية لمواجهة من يقاتل الجيش الفرنسي، دون مراعاة أن ذلك يؤدي إلى انهيار القيم المسيحية وحقوق الإنسان وشرف الجيش. وأراد أيضا أن يوضح أن التعذيب ينتج على المدى المتوسط والبعيد إصرارا لا يتزعزع على المقاومة لدى المقاتلين الجزائريين، ويجعل السكان يقفون ضد فرنسا. ويرى أن عدم احترام القيم تكون وصمة عار على فرنسا، والمسؤولية السياسية تكون ثقيلة على الذين هم على اطلاع بوجود التعذيب ويشجعونه.

³ - سارتر (جان بول)، عارنا في الجزائر، ترجمة وتحقيق عابدة وسهيل إدريس، ط 2، منشورات دار الأدب، بيروت، 1963.

يضم الكتاب ثلاث دراسات: الأولى بعنوان «النظام الاستعماري الفرنسي في الجزائر»، يعري فيها الطرق والأساليب الجديدة التي ابتكرها الاستعمار الجديد لتستمر هيمنة وسيطرته على مقدرات الشعوب. ويوجه تحذيرا خطيرا للحيل الماكرة التي يخدع بها الشعوب المستعمرة والرأي العام معا. ويتستر وراء فكرة كاذبة صدقها هو نفسه، والقائلة بوجود نوعين من المستعمرين: مستعمرين صالحون، طيبون، ومستعمرين أشرار. ومن هنا فإن حالة المستعمرات إنما ساءت بسبب هؤلاء الأشرار. الدراسة الثانية «مجننون يشهدون»، و تتناول شهادات ووثائق لجنود فرنسيين أعيد استدعائهم للخدمة العسكرية، يكشفون فيها اللجوء المنظم للعنف والتعذيب المبرح لانتزاع الاعتراف والمعلومات، وألوان السلب

لـ(هنري أليق - Henri Alleg) تحت عنوان «Une victoire - إنتصار» أشاد فيها بشجاعة (أليق) ونجاحه بامتياز في اجتياز الامتحان الصعب والقاسي الذي أخضعه له الجلادون القساة وغلاظ القلوب¹. أما الصحافة فقد شهدت تحولا في الخطاب خاصة بعد شهادة السيدة (جوزيت أودين - Josette Audin) عن توقيف واختفاء زوجها. فجريدة «لوموند - Le Monde» التي كانت منذ 1945 تعتقد أن الاستعمار جلب الحضارة، فإنها في 1957 والسنوات التي بعدها أصبحت ترى بأنه من الصعب مواصلة حرب تثير كل تلك الفضائع. واستنكرت طرق الاستنطاق الممارسة من الجيش الفرنسي. وخصصت في أعداد 13، 24، 28، 31 أوت 1957 حيزا للحديث عن اختفاء (موريس أودين - Maurice Audin) ونداءات الاستغاثة لزوجته القلقة عن مصير زوجها. وفي أعداد 18 و 19 أوت 1957 تناولت قضية (هنري أليق - Henri Alleg)². ونفس الشيء قامت به جريدة «لوماني - L'Humanité» التي أدانت بشكل واضح التعذيب، مستندة في ذلك على الشهادات والروايات، وأكدت التزامها ضد النظام السياسي القائم والمضليين. وأثارت في أعداد 12، 13، 14 أوت 1957 مسألة اختفاء «أودين» وتعذيب «أليق»³. لكن جريدة «لوفغارو - Le Figaro» وبخلاف «لوموند - Le Monde» و«لوماني - L'Humanité» أنكرت، وبشكل قطعي، جميع حالات التعذيب، واعتبرت ذلك دسيسة شيوعية، في المقابل تبنت إستراتيجية المبالغة في وصف

والنهب والاعتداء على أعراض النساء، وأنواع الانتقام الوحشي من السكان المدنيين، والإعدام بالجملة وبلا محاكمة. والمهم في كل ذلك بالنسبة لسارتر هو أن يستيقظ الشعب الفرنسي من غفلته حول ما يجري في الجزائر، وأن لا ينساق وراء الأخبار الخادعة والمضللة، وإلا فسيتحول إلى شريك في الجريمة. و يكفي الشعب الفرنسي أن حكومته مجرمة. أما الدراسة الثالثة عنوانها «الجلادون» فضح فيها الجلادين الذين يمارسوا التعذيب على الجزائريين، وتذكر أيام الاحتلال الألماني النازي، حين رأى وسمع إخوانا له يصرخون من الألم نتيجة العذاب المسلط عليهم، ويعترف بأنه كان يعتقد بأنه يستحيل على الفرنسيين أن يجعلوا رجالا يصرخون بسببهم. ويتساءل كيف يمكن للضحية أن تتحول إلى جلاد؟ أم أن السنوات الخمسة عشر منذ الحرب العالمية الثانية جعلت الشعب الفرنسي ينسى، ويغفل عما يجري حوله حتى إذا رفع رأسه رأى المأساة، رأى وجها غريبا، بغضضا: إنه وجهه.

¹ - Sartre (Jean-Paul), Positions anticolonialistes, préface de Fatima Beldjoud, collection Voix de l'anticolonialisme, Editions ANEP, Alger, 2006, pp 73-91.

² - Roche Émile, op cit, p 80.

من بين العناوين التي تصدرت جريدة «لوموند - Le Monde»: «رسالة من السيدة م. أودين القلقة على مصير زوجها - Une lettre de Mme M. Audin inquiète du sort de son mari»، «اختفاء السيد موريس أودين... وقضيتي أليق - La disparition de M. Maurice Audin... et les affaires Alleg».

³ - من بين العناوين التي تصدرت جريدة «لوماني - L'Humanité»: «ماذا حل بموريس أودين الأستاذ المساعد في كلية العلوم للجزائر، المفقود منذ 21 جوان ؟ تتساءل زوجته في رسالة مفتوحة للصحافة؟ - Qu'es devenu Maurice Audin assistant à la faculté de Sciences d'Alger disparu depuis le 21 juin ? demande sa femme dans une lettre ouverte à la presse»، وفي خبر آخر «هنري أليق دائما في محتشد لودي - Henri Alleg toujours au camps de Lodi».

الأعمال الجهادية التي ينفذها المجاهدون ضد فرنسا. وفي نفس الفترة من شهر أوت 1957، حين كانت قضيتي (موريس أودين - Maurice Audin) و (هنري أليق - Henri Alleg) تملأ الصحف الكبرى، تجاهلت الجريدة القضيتين تماما وراحت تشجب العمليات الجهادية، وتصفها بالجرائم الفظيعة¹. أما أسبوعيتي «إسبري - Esprit» و «فرانس أوبسارفاتور - France Observateur» فقد تبنت إستراتيجية المواجهة، حيث أعلنت رفضها للصراع الدائر في الجزائر منذ بداياته ووقفت ضد سياسات العنف والتعذيب طيلة الحرب التحريرية. وفيما يتعلق بقضيتي «أودين - Audin» و «أليق - Alleg» فقد حركت طاقم تحرير الأسبوعيتين، بنفس القدر الذي حركتها قضية انتحار (علي بومنجل)² الملفقة، والحكم بالإعدام على (جميلة بوحيرد)³.

1 - كتبت جريدة «لوفيجارو - Le Figaro» في عدد 1957: "الفلاقة يقتلون ويعذبون... جرائم فظيعة كثيرا ما تُنسى".

Ibid, p 81.

2 - (علي بومنجل): محامي ومناضل في حزب «إ.د.ب.ج. - UDMA» الذي أسسه (فرحات عباس) في 1946. اعتقلته قوات المضليين التابعة للجنرال (جاك ماسو - Jacques Massu) في 9 فيفري 1957، ومكث رهن الاعتقال 43 يوما في سجن «الأبيار» ليكتشف في 23 مارس 1957 ميتا أسفل عمارة من ستة طوابق في طور الانجاز. وأعلنت السلطات الرسمية بأنه انتحر. أثار هذا الحادث سخطا كبيرا في الأوساط القضائية، حيث كتب (رني كبتان - Capitant René)، أستاذ الحقوق المدني في باريس، رسالة إلى وزارة التربية الوطنية الفرنسية يقول فيها: "علي بومنجل كان طالبا عندي في كلية الحقوق بالجزائر، في الفترة التي كنت أقود فيها حركة المقاومة «كفاح - Combat» في إفريقيا الشمالية. إن خبر وفاته في هذه الظروف يثير الأسى... لطالما استمرت هذه الممارسات، التي لم يتم اللجوء إليها، حتى في خصم الحرب [يقصد الحرب العالمية الثانية] لم تطبق على السجناء الألمان، وطالما سمح بها ضد الجزائريين، واستخدمت من قبل حكومة بلادي، فإني أجد نفسي غير قادر على التدريس في كلية حقوق فرنسية. لذا سأتوقف عن تقديم المحاضرات. سرحوني إن شئتم، إن استطعتم، سأقبل بسرور كل ما يساهم بتعميم احتجاجي ضد الممارسات التي تحط من شرف فرنسا، إذا بقيت سلبية اتجاهها".

Hamon (Hervé) et Patrick (Rotman), op cit, pp 68-69.

لمزيد من التفاصيل عن قضية (علي بومنجل) ينظر:

Rahal (Malika), Ali Boumenjel. Une affaire française. Une histoire algérienne, éditions barzakh, Alger. 2011, pp 183-236.

3 - كانت (جميلة بوحيرد) مناضلة في المنطقة الحرة لمدينة الجزائر ومتعاونة مع (ياسف سعدي) أحد قادة «معركة الجزائر - La Bataille d'Alger». أُلقي عليها القبض في 09 أفريل 1957 لتتعرض للتعذيب ويُحكم عليها بالإعدام في 15 جويلية 1957. وبفضل حملة واسعة لصالحها خفف الحكم إلى المؤبد مع الأشغال الشاقة.

Cheurfi (Achour), Dictionnaire de la révolution..., op cit, pp 84-85.

لمزيد من التفصيل عن قضية (جميلة بوحيرد) ينظر:

Felissi (Philippe Karim), Jacques Vergés l'anticolonialiste (entretien), Chihab Éditions, Alger, 2005, pp 35-57.

في فرنسا نفسها لم يسلم الجزائريون من الملاحقة، البطش والتعذيب على يد الشرطة و«دي.أس. تي - D.S.T» وقوة الشرطة المساعدة المعروفين بـ«الحركي»، وأقيمت المحتشدات لمراقبة الجزائريين عن قرب، وخصصت أقبية البنايات والبنايات المهجورة لممارسة التعذيب. وهذه الممارسات هي التي طبقت على الفرنسيين أيام الحرب العالمية الثانية على يد النازيين. ومع ذلك فإن الرأي العام الفرنسي، في معظمه، يرفض الاعتراف بهذه الحقيقة. وحين تحدث الناس عن المسألة يكون ردهم موحدًا: "لا تقولوا بأن هناك محتشدات في فرنسا! وإن وجدت لا يمكن أن يكون لها أي شيء مشترك مع محتشدات النازيين. لا يمكن أن نتصور إقامة محارق في فرنسا!" وردهم هذا يشبه تماما ما كان يردده الألمان بعد سقوط (أدولف هتلر - Adolphe Hitler) بأنهم كانوا يجهلون ما كان يحدث في المحتشدات، بل ينكرون وجودها أصلاً¹. لكن الشكاوي التي كان يرفعها بعض الجزائريين لمحافظة الشرطة² أو المحاكم عن طريق محامي «ج.ت.و»³ تثبت أن الأجهزة الأمنية الفرنسية لجأت فعلاً للتعذيب أثناء استنطاق الجزائريين، يضاف إلى ذلك التقارير التي كان يرسلها المناضلون لإطاراتهم يعلمونهم بالوحشية التي تظهرها الشرطة خلال هجوماتها على الجزائريين⁴. وفي الشريط الوثائقي الذي أنجزه مجموعة من السينمائيين الفرنسيين، ومن بينهم (جاك بانيجال - Jacques Panijel) بين أكتوبر 1961 ومارس 1962 بعنوان «أكتوبر في باريس - *Octobre à Paris*» قاموا بعرض شهادات حية لجزائريين تعرضوا للتعذيب من قبل الشرطة و«دي.أس. تي - D.S.T» و«الحركي»⁵.

¹ - Keramane (Hafid), La pacification. Livre noir de six années de guerre en Algérie, préface de Nil Anderson, Chihab éditions, Alger, 2014, p 149.

² - نذكر على سبيل المثال الرسالة التي كتبها (صالح ك)، العامل بمصلحة المنشآت الميكانيكية بمحافظة «السين» (لموريس بابون - Maurice Papon) يشتكي فيها عن العنف الذي تعرض له ابنه ذي السادسة عشر من العمر في «معرض طرون - La foire de Trône» من طرف الشرطة، حين كان يتشاجر مع أخيه الأصغر بسبب تأخره في الدخول إلى المنزل وكان الوقت متأخراً. غير أن (بابون - Papon)، وبعد التحقيق في الأمر، أكد بأنه لا يوجد أي دليل يثبت أن الشرطة ألحقوا أي ضرر جراء ممارسة أي عنف على ابنه.

Amiri (Linda), op cit, p 117.

³ - نذكر على سبيل المثال الرسالة التي كتبها أحد مساجين معتقل «سان موريس لاردواز - Saint-Maurice Lardoise»، ويدعى (صالح ق) لمحامي «ج.ت.و» الأستاذ (أوصديق). في الرسالة يصف أشكال التعذيب الذي تعرض له من قبل «م.م.إ. - DST» و«ق.ش.م. - F.P.A» بعد اعتقاله يوم 19 أبريل 1961، حيث أرغموه على شرب ماء الصابون والجافيل وأدخلوا عنق قارورة زجاجية في شرجه وكسروا بعض ضلوعه.

Ibid, p 116.

⁴ - نذكر على سبيل المثال تقرير مؤرخ في سبتمبر وأكتوبر 1961 بروي فيه محرروه ما تعرضوا له من تفتيش وإهانة في المقاهي والفنادق، وإتلاف الأمتعة، تمزيق البدلات والقمصان وسكب الزيت على الأفرشة.

Ibid, p 123.

⁵ - Le comité Maurice Audin et Vérité Liberté. *Octobre à Paris*, film tourné d'octobre

لكن القضية التي فجرت فضيحة التعذيب وخلقت أزمة دولة هي القضية التي عرفت بـ«الغريغرينا - La gangrène»، وهو عنوان كتاب صدر عن منشورات «مينوي - Minuit» في 16 جوان 1959¹ يحتوي على تصريحات لخمسة طلبة جزائريين، أعضاء أو أعضاء سابقين في «الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين»، تعرضوا للتعذيب بمقرات مديرية مراقبة الإقليم «D.S.T» بمباركة من مديرها (روجي ويوت - Roger Whibot) وهم: (بشير بومعزة)، 31 سنة، الممثل التجاري، (مصطفى فرانسيس)، 29 سنة، طلب في طب الأسنان، (بن عيسى سوامي)، 21 سنة، طالب في العلوم السياسية، (عبد القادر بلحاج)، 31 سنة طالب في العلوم، (موسى قبائلي)، 26 سنة، طالب في الأشغال العمومية². عرض الكتاب للبيع في المكتبات في 18 جوان، وكان منشط في القناة الإذاعية الخاصة «أوروب 1 - Europe 1» أول من أذاع خبر صدور الكتاب في 19 جوان، مشيراً إلى أهميته. وفي 20 جوان خصصت له جريدة «لوموند - Le Monde» عمودين في الصفحة الأولى، حيث كتب (جاك فوفي - Jacques Fauvet): "لا نعرف ما هو الأكثر فضاة، وحشية الأفعال أم وضاعة نفوس أولئك الذين يضيفون الشتم إلى التعذيب"³. من أجل ذلك قامت الشرطة، وبأمر من حكومة (ميشال دوبري - Michel Debré)، بمصادرة الكتاب على مستوى دار النشر «مينوي - Minuit»، كما سحبه من المكتبات الباريسية الكبرى⁴. لكن جريدة «تموانياج كريتيان - Témoignage Chrétien» و«تموانياج إي دوكيمو - Témoignages et documents» أعادت نشر مقاطع من الكتاب ليكون الرأي العام على علم بما يدور حوله. وقامت صحف فرنسية من مختلف الاتجاهات، وفي مقدمتهم جريدة «لورور - L'Aurore» اليمينية و«لومانيتي - L'Humanité» الشيوعية بالوقوف ضد إجراء المصادرة والحجز واعتبرت ذلك مساساً بحرية التعبير التي يكفلها دستور 1959. وفي 24 جوان 1959 استدعى (غاستون دفير - Gaston Defferre)، وهو نائب في البرلمان ورئيس بلدية مرسيليا، الحكومة لشرح موقفها في موضوع مصادرة الكتاب وسحبه من السوق. وفي تدخله أمام البرلمان اعتبر الوزير

1961 à Mars 1962, au cours même des événements qu'il relate, par une équipe cinéastes français. Les personnages, les lieux et les faits sont tous vrais.

<https://www.youtube.com/watch?v=AFFQXP3OX2s> consulté le 20-07-2016 à 20:30.

1 - في هذا التاريخ كان مدير منشورات «مينوي - Minuit» هو (جيروم ليندون - Jérôme Lindon) الذي تولى إدارة دار النشر من 1948 إلى وفاته في 9 أبريل 2001.

2 - للاطلاع على تصريحات الطلبة الجزائريين كاملة ينظر:

Jérôme (Lindon), La gangrène, Les éditions de Minuit, Paris, 1958.

أو الطبعة الجزائرية الصادرة عن Editions Rahma في ديسمبر 1992.

3 - Le Monde, 20 Juin 1959.

4 - Gérôme (Lindon), La gangrène, Edition Rahma, Alger, 1992, p 91.

الأول (ميشال دوبري - Michel Debré) أن الكتاب ما هو إلا مجموعة من الأكاذيب قام بتأليفها عضوين من الحزب الشيوعي¹، وأن الحكومة أعطت الأوامر لمصادرتة نظرا لطابعه الكاذب والقاذف وبشكل مهين².

أصبح من الواضح بالنسبة لشريحة عريضة من الفرنسيين أن تورط الجيش في ممارسة التعذيب في الجزائر، وتورط الشرطة و«دي.أس.تي - D.S.T» في ممارسته على التراب الفرنسي يطرح المسألة من الناحية المبدئية والأخلاقية، تضرب المبادئ التي قامت عليها الجمهورية في الصميم، خاصة مبدأ حقوق الإنسان. ومن هذا المنطلق تحركت جهات عديدة لفضحه والتنديد به بدء بالضباط والجنود، مروراً بالمتقنين وانتهاء ببعض السياسيين. وكان الأكثر حساسية لهذا الموضوع أولئك الذين عاشوا تجربة الاعتقال والمحتشدات والتعذيب أيام الحرب العالمية الثانية على يد الألمان النازيين، ولم يفكروا ولا للحظة أن بلدهم فرنسا، بلد الحرية، العدالة وحقوق الإنسان يصدر منها هذا الفعل المشين. وعن هذا الموضوع كتب المؤرخ الفرنسي (بيار فيدال ناكي - Pierre Vidal-Naquet) في كتابه «التعذيب في الجمهورية - La torture dans la république»: "هل يمكن لبلد ذو تقاليد حرة أن يرى في بضع سنوات مؤسساته، جيشه، عدالته، صحافته يتآكلون بممارسة التعذيب، بالسكوت والكذب الملاحظ حول المسائل الحيوية التي تضع محل شك التصور أن الغرب يهتم بالإنسان؟"³.

إن للجوء إلى التعذيب يعد مؤشرا على إفلاس المؤسسة العسكرية الفرنسية التي تحولت إلى آلة قمع رهيبة.

3 - عمليات 25 أوت 1958 في فرنسا

أوضحنا سابقا أن الثورة التحريرية الجزائرية تنفرد عن باقي الثورات التحريرية بأنها الوحيدة التي نقلت الحرب إلى أرض البلد المستعمر. ونبئت هذه الفكرة منذ انطلاق الثورة التحريرية عندما قرر (ديدوش مراد) و(محمد بوضياف) إنشاء هيكل سياسي إداري ل«ج.ت.و»، وهو فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا، لتأطير الجالية الجزائرية في فرنسا وتمكينها من المساهمة الفعالة في تحرير البلاد من الاستعمار، وهذا ما باشر في تنفيذه (مراد

¹ - استبعد رئيس الحكومة أن يكون للطلبة الجزائريين القدرة على تحرير شكوى وبذلك الأسلوب، متناسيا أن من بينهم طالب في العلوم السياسية، ولا يعقل أن لا يكون على دراية في كيفية تحرير شكوى لكشف العنف الذي تعرض له.

² - Le Journal Officiel de la République Française, n° 25, mercredi 22 juillet 1959, pp 548-549.

³ - Vidal-Naquet (Pierre), La torture dans la république (1954-1962), collection grands documents, Hibr Editions, Alger, 2012, p11.

طربوش) ومن جاءوا بعده. وتطورت الفكرة إلى ضرورة إنشاء جناح شبه عسكري يكون اليد الضاربة ضد الإخوة الأعداء وقوى القمع الفرنسية¹، لكن إلى غاية 1957 لم تطرح مسألة الكفاح المسلح في فرنسا².

خلال الأشهر الأولى من سنة 1957 أصبح الكفاح المسلح أكثر تجذيرا. وتطورت الأحداث إلى تكريس شرعية «ج.ت.و» في تمثيل الجزائريين في كفاحه المسلح نحو التحرر، خاصة بعد أن حُسم الصراع مع «ح.و.ج» المصالية، من أجل الإشراف على الجالية الجزائرية في فرنسا، لصالح «ج.ت.و». في المقابل واجهت فدرالية الجبهة هجوما غير مسبوق من قوات القمع الاستعمارية الفرنسية التي ضاعفت من عمليات المداهمة والاعتقال ومحاولة تضيق الخناق على نشاطات فدرالية الجبهة في فرنسا وامتد ذلك إلى البلدان الأوروبية المجاورة. في ظل هذه المعطيات الجديدة برزت حاجة ملحة إلى تشكيل منظمة شبه عسكرية تتولى تنفيذ عمليات نوعية على التراب الفرنسي للرد على عنف قوات القمع الاستعمارية لحمل الرأي العام على التحرك ضد الوحشية الاستعمارية والجرائم التي تُرتكب باسمه ضد الشعب الجزائري وكذلك دفع الحكومة الفرنسية للتفاوض مع «ج.ت.و» باعتبارها الممثل الوحيد للشعب الجزائري. من أجل ذلك قام العقيد (الصادق)، قائد الولاية الرابعة، في أوائل 1957 بتحويل (سعيد بوعزيز) إلى فرنسا لمساعدة لجنة الفدرالية بعد التوقيفات التي طالت الكثير من أعضائها ويهتم بمجموعات المواجهة، التي كانت ب مثابة منظمة شبه عسكرية جنينية، وضع لبناتها الأولى (أحمد دوم) و(عبد الكريم سويسبي)، ليجعل منها وحدات قتال. وهكذا ولدت المنظمة الخاصة³ التي خضعت لمعايير صارمة في اختيار أعضائها⁴.

بين أوائل 1957 وشهر أوت 1958، نفذت المنظمة الخاصة لفدرالية الجبهة بفرنسا عمليات عديدة استهدفت شخصيات وأماكن مدنية وعسكرية فرنسية، واستهدفت أيضا شخصيات جزائرية مؤيدة بشدة

1 - وجدت فدرالية الجبهة منذ خطواتها الأولى على التراب الفرنسي، مجبرة على مواجهة «ح.و.ج» المصالية، من جهة، ومن جهة أخرى، الشرطة الفرنسية و «دي.أس.تي-D.S.T».

2 - Djerbal (Daho), op cit p 69.

3 - هناك نقاش حاد حول تاريخ تأسيس المنظمة الخاصة. ففي الوقت الذي يرجعها بعض المناضلين إلى سنة 1957، فإن البعض الآخر يؤكد بأنها تأسست أواخر سنة 1956. وفي رده على مقال نشر في جريدة المجاهد في نوفمبر 1972، شرح (محمد أو محمد عيسى)، أن العمليات الأولى على الأراضي الفرنسية ضد أهداف مدنية وعسكرية نفذها أواخر 1956 كوموندوس مكون خصيصا لهذا الغرض، وكان على وعي بأن هذه العمليات تختلف عن تلك التي كانت فرق التدخل تقوم بها عادة.

Djerbal (Daho), op cit, pp 73- 74.

4 - Haroun (Ali), op cit, p 85.

ينظر أيضا:

Djerbal (Daho), op cit, p 70.

لفكرة الإدماج، لكن مجموعة كبيرة من تلك العمليات باءت بالفشل بسبب قلة خبرة منفذيه ونقص الوسائل. ومع ذلك نجحت في إحداث ضجة إعلامية، إذ تصدرت عناوين الصحف ونهبت الرأي العام الغافل. ففي 31 أكتوبر 1957 تعرض (هنري بورجو - Henri Borgeaud)¹، النائب عن محافظة الجزائر في البرلمان الفرنسي إلى محاولة اغتيال فاشلة، وقعت في نهج «لي سوشي - boulevard les Suchet» بباريس. وكان (بورجو - Borgeaud) ينتمي إلى التيار الراديكالي المتطرف والمتفنيين في أذية الجزائريين. ونفس الشيء حدث مع (ألان دو سريني - Alain de Sérigny)² الذي كان من المفروض تصفيته ليلة عيد الميلاد 1957 في القديس الذي سيقام في منتصف الليل في المدينة الصغيرة «بلوا - Blois»، أين يوجد قصره. لكن العملية لم تتم، رغم حرص المكلفين بتنفيذها، لأن الشخص المستهدف لم يحضر قداس أعياد الميلاد في «بلوا - Blois» وإنما ذهب في ذلك المساء لحضور القداس بكاتدرائية باريس وهكذا أفلت من الموت. ومن الشخصيات السياسية الفرنسية المستهدفة الاشتراكي (روبار لاقوست - Robert Lacoste)³ الذي نجا من ثلاث كمائن : الأول بـ«نونتيير - Nantèrre» خلال اجتماع للـ«الفرع الفرنسي للأمية العمالية - S.F.I.O»⁴، والثاني بـ«ليون - Lyon» خلال اجتماع للحزب الاشتراكي، والثالث بـ«تولوز - Toulouse». أما الشخصية الجزائرية التي استهدفت فهي (شكّال علي)⁵، الذي اغتيل يوم 26 ماي

1 - للإشارة فإن (جربال دحو) ذكر في كابه ص 75، اسم (لويس بورجو - Louis Borgeaud) بدلا من (هنري بورجو - Henri borgeaud). وهذا الأخير ينحدر من أسرة ذات أصول سويسرية استقرت بالجزائر منذ ثلاث أجيال من يوم ميلاده في 04 أوت 1895، امتلكت أراضي تابعة لدير «سطوالي» بمنطقة «المتيجة». أصبح (هنري) نائبا في البرلمان الفرنسي عن محافظة الجزائر من 08 ديسمبر 1946 إلى 31 ماي 1959. توفي في 24 ماي 1963 عن عمر 67 سنة بعد إصابته بمرض السرطان.

https://www.senat.fr/senateur-4eme-republique/borgeaud_henri0389r4.html consulté le 4-11-2016 à 20:55.

2 - (ألان دو سريني - Alain de Sérigny): هو الكونت (ألان موين دو سريني - Alain Moyne de Serigny)، نائب رئيس سابق للبرلمان الجزائري، ومدير جريدة «ليكو دالجي - L'Echo d'Alger» من 1941 إلى 1961. من المدافعين عن بقاء الجزائر فرنسية، ومن المناهضين لسياسة ديغول الرامية إلى التخلي عن الجزائر والاعتراف باستقلالها.

Schmitt Laura. **Alain de Sérigny, Homme de presse et acteur politique**, Vingtième Siècle Revue de l'histoire, 2016/2 (N° 130), pp 89-101.

3 - (روبار لاقوست - Robert Lacoste): عين في 9 فيفري 1956 واليا عاما على الجزائر من طرف صديقه الوزير الأول (غي مولي - Guy Mollet). كان من المدافعين عن بقاء الجزائر فرنسية وبذل كل ما في وسعه للوقوف ضد استقلال الجزائر. تميزت فترة ولايته بازدياد القمع، مستغلا في ذلك قانون «السلطات الخاصة» الذي صوت عليه في 1956. وفي عهده بدأت المقصلة في العمل بشكل غير مسبوق.

Cheurfi (Achour), Dictionnaire de la révolution ..., op cit, p 312.

4 - ذكرنا سابقا أن «الفرع الفرنسي للأمية العمالية - S.F.I.O» أصبح يسمى «الحزب الاشتراكي الفرنسي - P.S.F».

5 - (شكّال علي) من مواليد مدينة معسكر. أصبح محاميا، ثم نقيب المحامين بمسقط رأسه. انخرط في السياسة منذ

1957، برصاصة انطلقت من مسدس (محمد بن صدوق) في ملعب «كولومب - colombes» بباريس بعد انتهاء مباراة كأس الجمهورية في كرة القدم بين فريقي «تولوز - Toulouse» و«أنجيس - Angers»¹.

إذا وضعنا جانبا النقاش حول تاريخ تأسيس المنظمة الخاصة فإن المتفق عليه هو ذلك التحول النوعي في نشاطاتها، بعد تعيين الفدرالية الثالثة بزعامة (عمر بوداود) في 1957، الذي أجرى، برفقة الفريق الذي معه، تعديلات على التنظيم المعمول به ليطمأن به المستجندات التي طرأت بوقوع العشرات من كواد فدرالية الجبهة في كماشة أجهزة القمع الفرنسية، وكذا عدم جاهزية المنظمة الخاصة للقيام بدورها. وفي هذه النقطة ذكر (بوداود) في مذكراته: "لئن كان في وسعنا أن نثق في جدوى القاعدة النظامية التي توفرت عليها «ج.ت.و» فور نهاية 1957، فالأمر لم يكن كذلك بالنسبة للمنظمة الخاصة، المكلفة بالعمليات الهامة".² ووصل إلى هذه القناعة بعد الذي حدث في ذكرى احتفال فرنسا بالعيد الوطني للـ 14 جويلية 1957، حيث عرض عليه (سعيد بوعزيز)، قائد المنظمة الخاصة، تنفيذ عملية اغتيال الجنرال (جاك ماسو - Jacques Massu)، الذي سيشترك في الاستعراض العسكري بـ«حدائق الإليزي - Champs Élysées»، وأكد أنه لا يحتاج لذلك سوى سيارة صغيرة لنقل البضائع، مزودة بقلاع وبندقية رشاشة. ومع أنه كان يشكك في إمكانية نجاح العملية، إلا أنه وفر لـ(بوعزيز) ما طلب³. ومرت الاحتفالات دون حادث يذكر، وبقي (ماسو - Massu) حيا يرزق. وفي اجتماع لاحق طلب (بوداود) من (بوعزيز) ما الذي حدث، فأجاب: "واش تحب الله غالب"⁴.

1944، حيث أصبح المستشار العام لمدينة «مستغانم»، ثم انتخب في «الجمعية الجزائرية - Assemblée algérienne»، أين تولى منصب نائب الرئيس في 1949. مهمته الأخيرة قادت إلى «نيويورك» بالولايات المتحدة الأمريكية رفقة البعثة الفرنسية إلى الأمم ليرافع ضد «ج.ت.و» وإعلان تمسك الجزائريين بفرنسا. لذلك حكمت عليه الجبهة بالإعدام.

à 10:10. http://encyclopedie-afn.org/CHEKKAL_ALI consulté le 05-11-2016

¹ - انتهت المباراة بفوز فريق «تولوز - Toulouse» بكأس الجمهورية لأول مرة بنتيجة 6 أهداف مقابل 3، بحضور رئيس الجمهورية (روني كوتي - René Coty) الذي غادر الملعب قبل عملية إطلاق النار. وأثناء المباراة كان (شغال علي) جالسا إلى جانب رئيس الجمهورية.

Djerbel (Daho), op cit, pp 77-78.

² - بوداود (عمر)، المرجع السابق، ص 107.

³ - كان (بوداود) يتساءل عن المكان الذي يمكن أن توقف فيه السيارة، نظرا لكثافة الجموع المتراكمة على أرصفة الشارع، والرقابة الصارمة المضروبة على كافة المضممار من طرف مصالح الأمن. ونظرا لحداثة وصوله إلى باريس فقد فكر بأن المنظمة أكيد تتوفر على إمكانيات يجهلها.

Boudaoud (Omar), op cit, p 111.

Ibid. - ⁴

أصبح من المؤكد والضروري إعادة النظر في هيكلية المنظمة الخاصة وطريقة عملها: "للاطلاق من جديد على أسس متينة وبرجال مؤمنين بالقضية ومزودين بالتكوين العسكري المناسب".¹ ومن جملة الإصلاحات المطروحة: أولاً: أن تكون المنظمة الخاصة هيكلًا منفصلاً عن المنظمة السياسية لفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا، أي: "تأسيس هيكل شبه مستقل وفعال يمكنه أن يقوم بعمليات منسقة ضخمة".² وعليه تولى قيادة المنظمة الخاصة كل من (رابح بوعزيز)، المدعو (سعيد)، قائدًا، و(نصر الدين آيت مختار)، نائبًا، بدلا عن (عبد الكريم السويسي) و(موسى قبائلي). ثانياً: وضع تقطيع جغرافي جديد يستند أساساً على، من جهة، موقع الأماكن العسكرية الفرنسية المستهدفة، وعلى أهمية الوسائل اللوجستية المحلية المتوفرة للفدرالية من جهة أخرى، وذلك بهدف التحكم أكثر في العمليات المبرمجة ضد العدو، وضمان أعلى الفرص لنجاحها. وعلى هذا الأساس فإن المنظمة الخاصة كانت مقطعة جغرافياً إلى أربع جهات وهي: باريس وتضم ثلاث مناطق عسكرية³، الجنوب ويضم خمس مناطق عسكرية⁴، «نورمانديا - Normandie» وتضم منطقة عسكرية واحدة⁵، الشمال الشرقي ويضم منطقة عسكرية واحدة⁶. ثالثاً: إخضاع العضوية في المنظمة الخاصة لشروط صارمة، إذ تقتصر على المناضلين المستعدين، النشطاء، الشجعان ويمكن أن يكون وعياً سياسياً عالياً

1 - بوداود (عمر)، المصدر السابق، ص 108.

2 - جريال (دحو)، المرجع السابق، ص 80.

3 - المنطقة العسكرية الأولى في الضفة اليسارية من باريس تحت مسؤولية (حميدي العربي) ونائبه (محمد ديافي)، المنطقة العسكرية الثانية في وسط باريس تحت مسؤولية قائد فرقة كوموندوس (أوراغي المولود)، المنطقة العسكرية الثالثة في الضفة اليمينية من باريس تحت مسؤولية (سعداوي محند أورمضان) المدعو (صابر) ونائبه (سداوي عمر) المدعو (بوعلام).

Djerbel (Daho), op cit, p 85.

4 - المنطقة العسكرية الأولى وتضم «مرسيليا وسط - Marseille - Centre»، تحت مسؤولية (عبد الرحمن مزيان شريف)، المدعو (علاوة)، المنطقة العسكرية الثانية «مرسيليا شرق - Marseille-Est» تحت مسؤولية (علي بوشينة)، المنطقة العسكرية الثالثة وتضم «مرسيليا غرب - Marseille - Ouest» تحت مسؤولية (علي بلحوسين)، المنطقة العسكرية الرابعة وتضم «بورجو - لاروشال - تولوز - Bordeaux- La Rochelle- Toulouse» تحت مسؤولية (علي بطروني) المدعو (عبد العزيز)، المنطقة العسكرية الخامسة وتضم «ليون - غرونوبل - سانت إتيان - Lyon- Grenoble- Saint-Etienne» تحت إمرة (عمار غزالي).

Ibid, pp 85-86.

5 - تضم «نورمانديا - Normandie»، وهي منطقة عسكرية واحدة، «الهافر - إلبوف - روان - إفرو - بوتو وغراند كوفيبي - Le Havre- Elbeuf- Rouen- Evreux- Petit et Grand Quevilly» تحت مسؤولية (تازيبينت أعمار) المدعو (عبدو)، ونائبه (أعراب عي نور).

Ibid, p 86.

6 - يضم الشمال الشرقي «لامورث وموزيل - الألزاس واللورين - La Meurthe et Moselle- L'Alsace et la Lorraine» تحت إمرة (علي بن علي).

ويتلقون تدريباً خاصاً يتلاءم والمهمة التي انتدبوا من أجلها¹. رابعاً: إقامة شبكة استعلامات قوية قادرة على جمع المعلومات الضرورية والكافية عن المواقع والشخصيات المستهدفة من اللوبي الاستعماري لتكون العمليات على أعلى درجات من الدقة والاحترافية. وهكذا ظهرت «شبكة أبولكر» وهو الاسم المستعار الذي انتحله (عبد الرحمن فارس)، العضو السابق لمجلس النواب الجزائريين، و«شبكة صادق»، وهو الاسم الذي انتحله (حسين دالي)، عضو المنظمة الخاصة ولكنه أعفى من جميع مهامه في المنظمة ليتفرغ لمهمة الاستعلام².

لم يكن أمر نقل العمليات المسلحة إلى الأراضي الفرنسية محل إجماع داخل الفدرالية³، وهذا ما ظهر جلياً في اجتماع اللجنة الفدرالية الذي التأم في نزل «فولكن - Falken» بقرية صغيرة ضواحي مدينة «كولوني - Cologne» بألمانيا الغربية في 25 جويلية 1958 بحضور جميع قادة الولايات. وكانت مهمة اللجنة الفدرالية، ليس مناقشة إمكانية نقل العمليات العسكرية إلى فرنسا، لأن هذا الأمر قد حُسم في الجزائر من قبل «ل.ت.ت - C.E.E»، وإنما الفصل نهائياً في تاريخ انطلاقها فعلياً. وكان هذا الأمر بتوقف أساساً على

1 - فيما يتعلق بمسألة التدريب يذكر (بوداود) في مذكراته أنه توجه إلى المغرب للالتقاء بـ(عبد الحفيظ بوصوف) وشرح له حاجة المنظمة الخاصة لرجال بارعين في العمليات الفدائية في الأوساط الحضرية، وبرمجة عمليات محددة ومضبوطة. أثمر اللقاء بإبرام اتفاقية مع قائد مخيم التدريب في مدينة «العرائش» بالمغرب الإسباني (منطقة الريف شمال المغرب) بمقتضاه سيتلقى عناصر المنظمة الخاصة التكوين المناسب هناك. وكان على المعنيين بالتدريب أن يتوجهوا إلى قاعدة التدريب بمجموعات صغيرة عبر الحدود الفرنسية الإسبانية. رافق (بوداود) المجموعة الأولى إلى الحدود الفرنسية الإسبانية، تم تكفل بمهمة الغزو والرواح بين المغرب والحدود الفرنسية الإسبانية للمتدربين أحد أصدقائه وهو (ابراهيم بن ابراهيم)، المسؤول السابق للمنظمة الخاصة في «سيدي داود» بولاية «بومرداس» حالياً. وهكذا أصبح للمنظمة الخاصة تأطيراً مقبولاً.

Boudaoud (Omar), op cit, p 112.

2 - لمزيد من التفاصيل عن شبكات الاستعلام ومهامها ينظر:

Djerbel (Daho), op cit, pp 87-98.

أنظر أيضاً:

Fares (Abderrahmane), La cruelle vérité. Mémoires politiques 1945-1965, Casbah Editions, Alger. 2006, pp 80-81.

3 - يذكر (محمد حربي) في إحدى شهاداته أنه أثناء الاجتماع المذكور، وبعد قراءة مراسلة «ل.ت.ت - C.E.E» المتعلقة بنقل العمليات الحربية في فرنسا، قام رئيس اللجنة الفدرالية (عمر بوداود) بطرح مسألة الانتقال إلى العمليات، وأنه لم يجرؤ أي قائد ولاية على الكلام. ولما تناول هو الكلمة أبدى معارضته للمسألة وتساءل عن جدوى تلك العمليات في ظل الانفتاح السياسي على فرنسا، حيث عُرض عليها، منذ أيام قليلة، التفاوض في ظل شروط محددة، وتساءل أيضاً عن المنظور والإستراتيجية الحربية الذي تندرج فيها. لكنه -كما قال- لم يحصل على جواب. لذلك فإنه في نهاية الاجتماع أعلن عدم موافقته على هذه السياسة وقدم استقالته.

من شهادة (محمد حربي) لـ(جربال دحو) في Djerbel (Daho), op cit, pp 222-223.

(عمر بوداود) رئيس اللجنة الفدرالية و(سعيد بوعزيز) رئيس المنظمة الخاصة لفدرالية «ج.ت.و» ومدى جاهزيتهما لبدء المهمة.

المهم في كل ما قيل هو أن تاريخ نقل الكفاح المسلح إلى الأراضي الفرنسية حُدد رسمياً ليوم 25 أوت 1958، في ليلة الاحتفال بعيد «سانت بارتليمي - Saint Barthélémy»¹، حيث نفذت المنظمة الخاصة حوالي عشرين عملية ضربت حوالي مائتي هدفاً عسكرياً واقتصادياً، وشخصيات عسكرية ومسؤولين في الشرطة، وشخصيات جزائرية قريبة من الدوائر الفرنسية، تم تحديددها مسبقاً في مجمل التراب الفرنسي ووفق التقسيم الجغرافي الذي ذكرناه سابقاً³. ووفق تقارير الشرطة التي توالى منذ الهجوم الشامل ليلة 25 أوت، فإنها أجملت طبيعة العمليات التي نفذتها المنظمة الخاصة في التخريب، الحرق، وضع المتفجرات. وعن الأماكن المستهدفة تذكر: مخازن الوقود، معامل تكرير النفط، السكك الحديدية، مرائب الشرطة، مستودعات الناقلات العسكرية، المحطات الكهربائية، مصانع الذخيرة، ثكنات الأمن الجمهوري، الموانئ، وغيرها من الأهداف⁴. واستمرت العمليات في الأيام والأسابيع التالية في كامل التراب الفرنسي. أما عن الشخصيات المستهدفة فقد أعطيت تعليمات بتصفية المفتشين الرئيسيين للشرطة، مفتشي المقاطعات التابعين للاستعلامات العامة و«دي.أس.تي - D.S.T»، والعسكريين ذوي الرتب العسكرية العالية وجميع المضليين مهما كانت رتبهم. وتم استهداف هؤلاء لثلاثة أسباب رئيسية، على الأقل، هي: عنصريتهم الواضحة اتجاه الجزائريين، التورط المباشرة في تعذيب المناضلين الموقوفين وإثارة حالة إعلامية حول العمليات. ومن بين الأسماء الثقيلة التي تصدرت القائمة: (روجي ويوت - Roger Wybot) مدير «دي.أس.تي - D.S.T»، (موريس بابون -

1 - عيد «سانت بارتليمي - Saint Barthélémy» هو عيد ديني يُحتفل به سنوياً في الغرب في 24 أوت تخليداً واستذكاً للمجزرة التي اقترفها الكاثوليك في حق البروتستانت في 24 أوت 1572 في باريس وفي كل فرنسا، بأمر من كنيسة «سانت جارمان لوكسيروا - Saint-Germain l'Auxerrois». ويعتبر اليوم الذي حدثت فيه المجزرة من أكثر الأيام سواداً في تاريخ الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت، وراح ضحيتها 30 ألف شخص من بينهم النساء، الأطفال والشيوخ.

https://www.herodote.net/24_aout_1572-evenement-15720824.php consulté le 18-11-2016 à 10:55.

2 - العدد مائتان ذكره (محمّد أكلّي بن يونس) في مذكراته. op cit, p 89.

3 - تذكرنا هذه الحادثة بالعمليات العسكرية التي نفذتها «ج.ت.و» بمناسبة «عيد القديسين - La Toussaint» في ليلة أول نوفمبر 1954، وكان عمليات عيد «سانت بارتليمي - Saint Barthélémy» تريد أن تحاكي عمليات «عيد القديسين - La Toussaint» أملاً في أن يكون لها نفس الصدى.

4 - لمزيد من التفاصيل حول العمليات وحصيلتها ينظر:

Djerbal (Daho), op cit, pp 238-247.

ينظر أيضاً: Haroun (Ali), op cit, pp 85-109.

ينظر أيضاً: Benyounes (Mohand Akli), op cit, pp 87-95.

(Maurice Papon)، (جاك سوستال - Jacques Soustel)، الذي تعرض فعلا لمحاولات اغتيال عديدة، كان آخرها في الخامس من سبتمبر 1958، وكان آنذاك، وزيرا للإعلام¹، وغيرها من الشخصيات الأخرى. ويضاف إلى هؤلاء شخصيات جزائرية وأعضاء منتخبيين لمجلس نواب الجمهورية الخامسة ومنخرطين في مشروع «القوة الثالثة»² وعلى رأس هؤلاء (شريف بن حبيلس)³ الذي لقي حتفه في 28 أوت 1959 على يد (مدادي سليمان) الذي كُلف بمهمة تصفيته وأداها بنجاح.

مما لا شك فيه أن سلسلة العمليات لليلة 24 إلى 25 أوت 1958 تمثل نقلة نوعية في مسار الثورة التحريرية، إذ مست كامل التراب الفرنسي وتمكنت من تحقيق أهدافها ألا وهي: زرع جو من الخوف داخل المجتمع الفرنسي وإرسال رسالة إلى الرأي العام الفرنسي أن أمنه بات مرهونا بأمن الجزائريين الذين يتعرضون يوميا للقمع الوحشي من الجيش في الجزائر ومن الأجهزة القمعية المختلفة في فرنسا، استنزاف القدرات الاقتصادية لفرنسا، تخفيف الضغط العسكري على المجاهدين في الجزائر، ودفع الحكومة الفرنسية إلى الاحتفاظ بجزء من الجيش في، حمل الحكومة الفرنسية على قبول حل تفاوضي مع «ج.ت.و» على أساس الاعتراف بها كممثل وحيد للشعب الجزائري⁴. أما عنصر المفاجأة فهو أن «ج.ت.و» لم تعد تهاجم الإخوة في الدين فقط، أي المصاليين، ولكن أصبحت تعتدي كذلك على أهداف فرنسية، وهذا ما زاد من حيرة وقلق الأجهزة القمعية، و بشكل خاص، مصالح الشرطة⁵.

تعددت ردود الأفعال وتنوعت اتجاه عمليات 25 أوت 1958، فقد تبنت «ل.ت.ت - C.C.E» الهجوم المسلح على التراب الفرنسي ردا على رفض الحكومات الفرنسية الاعتراف بالأمة الجزائرية، وباستقلال الجزائر ضمن وحدتها الترابية بما فيها الصحراء. وأكدت أيضا بأن الحرب موجهة ضد الإمكانيات الاقتصادية والقوات القمعية للنظام الاستعماري وليس ضد السكان المدنيين في فرنسا. وهذا ما تضمنه نداء «ج.ت.و»

1 - المكلف باغتيال (جاك سوستال - Jacques Soustel) كان (أوراغي مولود) المدعو (الشاف - Chef).

للمزيد عن محاولة اغتيال (سوستال) ينظر شهادة (أوراغي مولود) في:

Djeral (Daho), op cit, pp 250-258.

2 - القوة الثالثة هي طبقة جديدة يُراد تكوينها داخل المجتمع الجزائري تتكون أساسا من البرجوازيين (متقنون، مقاولون، تجار....) لتكون بديلا عن الإقطاعيين الجزائريين وعن النخبة من الأشراف والعامّة.

3 - كان (بن حبيلس) من الداعين والمدافعين عن هذا الطرح الذي كان يساير النظرة الفرنسية في إيجاد طبقة جديدة ليبرالية من الجزائريين تتبنى الأطروحات الإصلاحية الفرنسية في الجزائر.

Djeral (Daho), op cit, p 272.

4 - H. A. Une date occultée : le 25 aout 1958, Le quotidien Liberté du 25 aout 2014, Algérie, p 1.

5 - Djeral (Daho), Ibid, p 236.

المؤرخ في 26 أوت 1958 والذي جاء فيه: "إن «ج.ت.و» تريد أن تؤكد بشكل رسمي أن المدنيين لن يكونوا مستهدفين، وهذا رغم المسؤولية الكاملة للشعب الفرنسي المتواطئ بسليبيته في الاستمرار البربري لحرب الجزائر... العديد من الفرنسيين قدموا يد العون بقوة لرجال القمع ولجأوا عدة مرات إلى الإعدام خارج نطاق القانون".¹ وفي نشرة إخبارية لفدرالية الجبهة بفرنسا مؤرخة في سبتمبر-أكتوبر 1958 وتحمل رقم 2 جاء فيها: "كانت أولا ضربة تحذير هزت لامبالاة الشعب الفرنسي وأخرجته من هدوئه المعتاد حيال الوضعية الجزائرية".² وفي 1 سبتمبر 1958 صرحت «ج.ت.و» في بلاغ لها من القاهرة: "في ليلة 24 إلى 25 أوت، هاجم كوموندوس جزائري في فرنسا عدد من الأهداف الإستراتيجية تقع في التراب الفرنسي وفقا لمخطط مُعد مسبقا... مثل الأول من نوفمبر 1954، فإن ليلة 24 أوت تفتح فصل جديد من كفاح الشعب الجزائري من أجل استقلاله. قوة تتكون من حوالي نصف مليون رجل كفاء تجندوا للعمل تحت إدارة «ج.ت.و». الهجوم الأول للكوموندو الجزائري حدد هدفا بترولي في الأساس، أولا ضرب مخازن الوقود الموجهة لطيران العدو، ثانيا لتوسيع على التراب الفرنسي نفسه الحرب التي يقودها، بطريقة منهجية، مقاتلونا الشجعان لجيش التحرير الوطني في الجزائر".³

أما الصحافة الفرنسية فقد ازدانت صفحاتها الأولى لعدد 26 أوت 1958 بعناوين كبيرة عن العمليات نختار منها نماذج. في جريدة «لوباريزيان لبييري - Le Parisien Libéré» نقرأ: "غارات إرهابية في المتروبول"، في جريدة «لوفيغارو - Le Figaro» نقرأ: "اعتداء قاتل وتخريب من «ج.ت.و» في باريس وضواحيها"، في جريدة «كومبا - Combat» نقرأ: "«ج.ت.و» تنفذ سلسلة من عمليات التخريب في كل فرنسا"، في جريدة «لومانيتي - L'Humanité» نقرأ: "إطلاق نار بالأمس في باريس، 4 رجال شرطة وجزائريين قتلوا. عشرات الملايين من اللترات من البنزين تشتعل في مرسيليا، تولوز، ناربون. 17 رجل إطفاء للبحرية جرحوا في موريبيات من بينهم ثلاثة في حالة خطيرة. أكثر من أي وقت مضى، السلم في الجزائر". وفي جريدة «لوموند - Le Monde» نقرأ: "كاراكسون: ستة خزانات لشركة بورفينا أصبحت فريسة للهب... تدخل كوموندوس تابع ل«ج.ت.و» لا يترك مجالا للشك بالنسبة

¹ - Bouaziz Salima Sahraoui. Le 25 août 1958, ouverture du 2^{ème} front en France. « Déclenchement historique de l'action armée en France », niarunblog.unblog.fr, 24 août 2010.

<http://niarunblog.unblog.fr/un-peu-dhistoire/larbi/ben/mhidi-et-les-principes-de-la-consulté-le-23-11-2015-à-soummam/le-25-aout-1958ouverture-du-2eme-front-en-france/> 16:40.

² - Harbi (Mohammed), Archives de la révolution..., op cit, p 228.

³ - Bouaziz Salima Sahraoui, op cit.

للمحققين".¹ وتواصلت التغطية للأحداث في الأيام الموالية وسط ذهول واندهاش كبيرين نظرا لشموليتهما، التحضير الدقيق لها وضخامة الخسائر الناجمة عنها.

في عدد 28 أوت 1958 عادت جريدة «كومبا- Combat» إلى الموضوع لكن بمزيد من التحليل، حيث ذكرت الفرنسيين بتهديدات «ج.ت.و» بنقل الحرب إلى فرنسا: "كان الاستيقاظ عنيفا. هل نسبنا تصريحات الحرب لمنافسينا؟" وتقصد تصريح (محمد خيضر)، الذي أعلن في مارس 1956: "يمكن للحرب أن تُنقل إلى التراب الفرنسي". وكذلك، وحسب الجريدة دائما، يكون (عمار أو عمران) قد أعلن في شهر ماي الموالي: "نحن مهتمين بتوسيع جزء من نشاطاتنا على تراب فرنسا. هذا هو إنذارنا الثاني". وفي أوت 1956 يكون المحامي (أحمد بومنجل) قد صرح: "إذا كان لازما، فإن الجزائريين سيلجؤون إلى العمليات الانتحارية في فرنسا". وتضيف الجريدة: "قبل سنة كانت «ج.ت.و» قد وعدت بتدمير البترول الصحراوي في فرنسا نفسها... لقد وفّت بوعدها".²

فيما يتعلق بالأجهزة القمعية الفرنسية، تشير التقارير القليلة، التي اطلعنا عليها، أن السلطات العليا في الدولة كانت على علم بالتطور السياسي والعسكري الذي وصلت إليها الجبهة، وورد في احدها: "لقد تقوى الانفصاليون بالسلاح. وها هي الجبهة التي ستحاول ما استطاعت أن تخترق مصالح الشرطة تهدد دائما بالقيام بأعمال إرهابية ضد الأوروبيين، كما أنها تعمل جاهدة من أجل تحسين أداء إداراتها".³ لكن في المقابل تؤكد ذات التقارير أن احتمال فتح جبهة ثانية بفرنسا، بالنسبة للسلطات، أمر مستبعد إن لم نقل مستحيلا.⁴ ومن هذا المنطلق وجدت الأجهزة القمعية الفرنسية نفسها أمام ظاهرة جديدة استشعرت قوتها واعتبرتها تطورا ملفتا في إستراتيجية فدرالية «ج.ت.و» على التراب الفرنسي. وكما ذكرنا سابقا فإن العمليات المسلحة لم تعد تستهدف مجموعات المواجهة التابعة لل«ح.و.ج» المصالية فقط، بل في نفس الوقت وبالتوازي الأهداف الفرنسية الحساسة ذات الطابع الاقتصادي والعسكري، حتى أن الهيئات العليا في مصالح الاستعلامات تساءلت عن قدرات «ج.ت.و» في إدارة جبهتي القتال معا وفي آن واحد.⁵

¹ - Parisien Libéré, Le Figaro, Combat, L'Humanité, Le Monde, 26 aout 1958, p 1.

² - Combat du 28 aout 1958.

³ - Arch. PP, Ha 47, dossier « SCINA (1955-1964) », P-V. de la réunion du 22-01- 1958, p.

6.

⁴ - Arch. PP, Ha 47 SCINA, P-V. de la réunion du 16-08- 1958, p2.

⁵ - Arch. PP, Ha 47 SCINA. P-V. de la réunion du 27-08-1958, pp. 13-14.

هذا المعطى الجديد يفسر الشراسة غير المسبوقة التي أظهرتها الشرطة في التعامل مع الأحداث. فبالإضافة إلى الاشتباكات العنيفة مع المجموعات التابعة للمنظمة الخاصة في كامل فرنسا، شنت الشرطة حملات اعتقال لا مثيل لها مست الجالية الجزائرية المهاجرة برمتها والتي استمرت طوال عام 1959، مع التأكد من الهويات، ونظمت مطاردات لذوي الملامح الشمال الإفريقية، وفُرض في 2 سبتمبر 1958 بالمنطقة الباريسية حضر التحوال للشمال الإفريقيين من الساعة التاسعة ونصف مساءً إلى الساعة الخامسة صباحاً ووضعت الحواجز في كل مكان. وتكشف تقارير الشرطة، أن القمع الذي أعقب يوم 25 أوت 1958 كان شديداً جداً، وأن عدد المناضلين الذين تم إيقافهم كان هائلاً، قدره (نصر الدين آيت مختار)، نائب رئيس المنظمة الخاصة، بخمسين في المائة من عدد أفراد المنظمة، الذين تم شلهم خلال المرحلة الأولى من الهجوم¹. لكن أمنية الأجهزة القمعية كانت الوصول إلى المسؤولين الكبار في المنظمة، ولجأت، في سبيل ذلك إلى استخدام التعذيب أملاً في استخراج معلومات قد تساعد «دي.أس.تي - D.S.T» في العثور عليهم².

بالنسبة للفرنسيين عامة وسكان باريس خاصة، فإنهم قبل أوت 1958 لم يكونوا يكثرثون لما كانت تقتترفه حكوماتهم وجيشهم في حق الجزائريين في الجزائر تحت مسمى «حفاظ النظام»، وحتى في فرنسا نفسها التي كانت تشهد عمليات عنف فإنهم كانوا يشعرون بأنها لا تعنيهم لأنها كانت تدور في غالبها بين الجزائريين. إلى غاية تلك الفترة كل شيء كان مجرد أحداث يسمع أو يقرأ عنها في الصحف والمجلات³. لكن الوضع انقلب بعد موجة الهجمات، حيث تفاقمت العنصرية بين الفرنسيين وتوقعوا أن يكون رد السلطات العمومية قوياً وحازماً، وذلك ما فعله (موريس بابون - Maurice Papon)، الذي ذكر في مذكراته أن الشرطة لن تقبل بلي ذراعها⁴.

على المستوى الدولي، وفي المشرق العربي، عنونت صحف القاهرة، دمشق وبغداد في صبيحة 25 أوت 1958 على طول الصفحة الأولى انجازات الفدائيين الجزائريين في قلب العاصمة الفرنسية⁵. وفي 18 سبتمبر 1958، بثت الإذاعات العربية عبر أمواجها تصريحا لـ «ج.ت.و» وضعت فيها هجمات أوت 1958 في مصاف المعارك المنتصرة على الاستعمار، وأن تلك الهجمات ستتواصل إلى غاية نيل الاستقلال ومن بين ما جاء في التصريح: "يواصل رجالنا الأحرار في فرنسا كفاحهم المقدس. [...] سنواصل تدمير ومضايقة

¹ - Djermal (Daho), OP cit, p 276.

² - Ibid, p 278.

³ - Arch. PP, Ha 47 SCINA, P-V. de la réunion du 24-09-1958, p 5.

⁴ - Papon (Maurice), op cit, p 105.

⁵ - Extrait du bulletin d'information de la fédération de France, sep. Oct. 1958 n° 2, in Harbi (Mohammed), Les archives de la révolution..., op cit, p 229.

الدروع الاستعمارية. وسواصل إن في الجزائر أو في فرنسا زعزعة الاقتصاد وتفكيك المنشآت الإستراتيجية الفرنسية.¹ ونظرا للدعم المهم الذي تقدمه الإذاعات العربية للثورة، قررت «ل.ت.إ.ش.إ- S.C.I.N.A» منع بثها في فرنسا باعتماد تقنيات التشويش². أما في عواصم العالم، فقد أكدت فدرالية الجبهة، أن الرأي العام العالمي، الذي تحاول مصالح الإعلام، التي يديرها مجرم الحرب (سوستل - Soustel) تخديره وإنزال إلى مستوى ثانوي، أو حتى نسيان تماما الصراع الفرنسي الجزائري. هذا الرأي العام العالمي، أصبح أكثر إدراكا بأن الثورة الجزائرية التي لغمت فرنسا الاستعمارية يمكن أن تنتقل عدواها إلى دول الحلف الأطلسي³.

مما سبق يظهر جليا أن 25 أوت 1958 يعد يوما مفصليا في مسيرة الثورة التحريرية برهن على أن «ج.ت.و» رقما أساسيا في معادلة الصراع مع فرنسا الاستعمارية، وندا لا يُستهان به. والحقيقة أن الجبهة أرادت أن تستبق الأحداث وتؤكد وجودها في ظل التغيرات التي شهدتها الجزائر في سنة 1958، بدء بتمرد 13 ماي 1958، مجيء (شارل ديغول - Charles De Gaulle) إلى السلطة وتعيين (موريس بابون - Maurice Papon) على رأس محافظة الشرطة. وكل هذه المعطيات كانت تنذر بأن الأيام، الأشهر والسنوات القادمة لن تكون سهلة على الجزائريين سواء في الجزائر أو في فرنسا. وبلغت معاناة الجزائريين أقصاها مع تطبيق مخطط شال في الجزائر، وقمع مظاهرات 17 أكتوبر 1961 بوحشية غير مسبوقة في باريس.

4 - مظاهرات أكتوبر 1961

في 17 أكتوبر 2012 بثت رئاسة الجمهورية الفرنسية بلاغا صحفيا للرئيس (فرانسوا هولاند - François Hollande)، يعترف فيه رسميا بالجرائم التي ارتكبتها قوات القمع الفرنسية ضد الجزائريين في 17 أكتوبر 1961 بباريس، وهذا نصه: "في 17 أكتوبر 1961، الجزائريون الذين كانوا يتظاهرون من أجل الحق في الاستقلال، قُتلوا خلال عملية قمع دموية. الجمهورية تعترف بوضوح بهذه الأعمال. واحد وخمسون سنة بعد هذه المأساة أحيي ذاكرة الضحايا".⁴ وهذا الاعتراف يبدو جاداً محتشم لأنه لا يحدد

¹ - Arch. PP, Ha 47 SCINA, P-V. de la réunion du 24-09-1958, p 5.

² - Ibid.

³ - Extrait du bulletin d'information de la fédération de France, sep. Oct. 1958 n° 2, in Harbi (Mohammed), Les archives de la révolution..., op cit, p 229.

⁴ - الموقع الرسمي لرئاسة الجمهورية الفرنسية:

<http://www.elysee.fr/communiqués-de-presse/article/17-octobre-1961> consulté le 29-11-2015 à 22:32.

المسؤوليات ولا يُجرم الجناة، ومع ذلك فقد نظر الكثيرون، جزائريون وفرنسيون، إلى هذه الخطوة بإيجابية باعتبار أنها كسرت جدار الإنكار الذي بنته الحكومات الفرنسية حول القضية.

إن فتح أرشيف محافظة شرطة باريس، الخاص بحرب الجزائر (Série H) أمام العامة، قبل الآجال القانونية في 1998، بدلا من 2021¹، مكن الباحثين من الإطلاع على أطنان من الوثائق المتعلقة بمظاهرات أكتوبر 1961، خاصة وثائق فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا والتي تم حجزها خلال مختلف المدهمات التي كانت تقوم بها «دس.أس.تي - D.S.T»، ومعظمها مكتوب بخط اليد². والمؤكد أن هناك مزيد من الوثائق التي ستفتح آفاق جديدة للبحث عن المظاهرات والأطراف الفاعلة فيها، ونخص بالذكر الأرشيف الخاص برئيس الوزراء (ميشال دوبري - Michel Debré) ووزير الداخلية (روجي فري - Roger Frey).

عادة ما يتم ربط مظاهرات الجزائريين في باريس، والتي استمرت من 17 إلى 20 أكتوبر 1961، بقرار حضر التحوال الذي أعلن عنه (موريس بابون - Maurice Papon)، قائد محافظة شرطة باريس، في بلاغ بث على الساعة السابعة مساء من يوم 5 أكتوبر 1961، في حق الجزائريين المقيمين في باريس وضواحيها من الثامنة ونصف مساء إلى الخامسة ونصف صباحا. وقرر أيضا أن تقوم الحمارات التي يملكها ويرتادها الجزائريون بإغلاق أبوابها يوميا على الساعة السابعة مساء³. وجاء هذا القرار على خلفية العمليات اليومية التي كانت تنفذها فدرالية الجبهة بفرنسا ضد رجال الشرطة وقوات الشرطة الملحقة (الحركي)، وأدت، في بضعة أشهر، إلى

¹ Guerrier Sophie, 17 octobre 1961 : les 5 chiffres incroyables de la manifestation de FLN - 1 à Paris, Le Figaro du 17 octobre 2016.

² Neil MacMaster, Jim House, « La Fédération de France du FLN et l'organisation de 17 octobre 1961 », Vingtième Siècle. Revue d'histoire 2004/3 (n° 83), pp. 147-148.

³ - جاء في البلاغ الذي وجهه (موريس لوغاي - Maurice Legay)، المدير العام للشرطة، للسلم الإداري في تعليمية إدارية تنفيذية تحمل رقم 149-61، النص التالي: "بهدف وضع حد وبدون إشعار للأعمال الإجرامية للإرهابيين، تقرر اتخاذ تدابير جديدة من محافظة الشرطة. ولتسهيل تنفيذ تلك التدابير، يُنصح وبطريقة عاجلة للعمال الجزائريين الامتناع عن التجوال ليلا في شوارع باريس وضواحيها، وبشكل خاص من 20 سا 30 إلى 5 سا 30 صباحا. والذين بحكم عملهم مضطرين للتجوال خلال هذه الساعات يمكنهم طلب من مصالح المرافقة التقنية التابعة لحيزهم أو دائرتهم شهادة تُسلم لهم بعد تقديم تبرير لطلبهم. من جهة أخرى، لوحظ بأن العمليات من فعل مجموعات تتكون من ثلاث إلى أربعة رجال. وعليه، يُنصح وبشدة للفرنسيين المسلمين التجوال فرادى، والمجموعات الصغيرة يمكن أن يشبه فيها من جولات ودوريات الشرطة. أخيرا، قرر محافظ الشرطة أن الخمارات التي يملكها أو يرتادها فرنسيو الجزائر المسلمين يجب أن تُغلق كل يوم على الساعة السابعة مساء."

Association Sortir du colonialisme, Le 17 octobre 1961 par les textes de l'époque, préface de Gille Monceron, poste face d'Henri Pouillot, édition Les petits matins, Paris, 2011, p 37.

مقتل ثلاثين شرطيا وخمسة عشر حركيا وجرح مئة وأربعين شخصا. يُضاف إلى ذلك قتلى الحرب الأهلية بين الجبهويين والمصاليين، إذ استقبلت المستشفيات خلال النصف الأول من؟ شهر أكتوبر 1961 ما يزيد عن خمسين جثة¹.

من بين ردود الأفعال الأولية على قرار حضر التجوال ما جاء في إعلان 12 أكتوبر 1961 لـ«الحركة المعادية للعنصرية، معاداة السامية ومن أجل السلم - Le Mouvement contre le Racisme, l'Antisémitisme et pour la Paix»²، التي أدانت الطابع العنصري للبلاغ الذي نشرته محافظة الشرطة في 5 أكتوبر 1961، وأثار مشاعر المناهضين للعنصرية. وذكرت الحركة بالحقوق الدستورية للمواطنين من دون تمييز بموطنهم الأصلي، بمعتقداتهم الفلسفية أو الدينية. ونهت إلى الضرر الذي يسببه مثل هذا البلاغ الرسمي في الوقت الذي ساهمت فيه حرب استقلال الجزائر في الاعتراف بالعنصرية في فرنسا. وعليه وجهت نداء إلى كل المناهضين للعنصرية، وكل الجمهوريين للمشاركة في الاحتجاج بهدف تعزيز روح الأخوة والتفاهم الإنساني والمساهمة في خلق جو ملائم للبحث عن حل سلمي بالتفاوض الذي لا يمكن أن يُؤسس إلا على احترام كرامة كل الناس بتنوعهم³.

من جهة فدرالية «ج.ت.و» المقيمة بألمانيا، كانت قد تلقت رسالة من فرنسا مؤرخة في 7 أكتوبر 1961 تتضمن عرض للإجراءات الجديدة المتخذة من (موريس بابون - Maurice Papon). وفي الرد المؤرخ في 10 أكتوبر 1961، والموقع من (قدور)، أي (عمار العدلاي) اتخذت قرار التحرك على ثلاث مراحل: الأولى: مقاطعة الجزائريين لحضر التجوال ابتداء من 14 أكتوبر 1961، وذلك بالخروج ككتلة برفقة نساءهم وأولادهم، التجوال في الشوارع الكبرى لباريس. مثل «حدائق الإليزي - Champs-Élysées»، جادات

¹ - « La manifestation du FLN à Paris le 17 octobre 1961. Le témoignage du lieutenant-colonel Montaner », Guerres mondiales et conflits contemporains 2002/2 (n° 206), p 88.

² - يُرمز لهذه الحركة اختصارا بـ(M.R.A.P)، وهي جمعية فرنسية غير حكومية. تأسست في 1949 من طرف قدماء المقاومين والمرحّلين خلال الحرب العالمية الثانية. تناضل هذه الجمعية من أجل المساواة بين جميع المواطنين. تم اعتمادها بقرار من وزارة الشباب والرياضة كجمعية وطنية للتربية الشعبية 21 أبريل 1983. تتمتع الجمعية بصفة استشارية لدى الأمم المتحدة، وهي عضو في اللجنة الوطنية الاستشارية لحقوق الإنسان (CNCDDH). شعارها: "كلنا مختلفون، كلنا متساوون". رئيسها بين 1953 - 1962 هو (ليون ليون كيان - Léon Lyon-Caen). واليوم تعني رموز (M.R.A.P): «الحركة ضد العنصرية ومن أجل الصداقة بين الشعوب - Le Mouvement contre le Racisme et pour l'Amitié entre les Peuples».

ينظر الموقع الرسمي للحركة:

/ consulté le 02-12-2015 à 16:20. <http://www.mrap.fr>

³ - Association Sortir du colonialisme, Le 17 octobre 1961 par les textes de l'époque ..., op cit, pp 46-47.

«سانت ميشال - Saint-Michel»، «سانت جرمان - Saint-Germain»، «مونتمارتر - Montmartre»، وغيرها. ثانياً: يجب على التجار الذين يملكون مؤسسات ثابتة كالمقاهي والمطاعم إغلاق محلاتهم لمدة أربع وعشرين ساعة تعبيرا عن رفضهم لقرار حضر التجوال العنصري، على أن يتم ذلك بعد يوم من مسيرة المقاطعة لحضر التجوال، أي يوم الأحد 15 أكتوبر 1961. المرحلة الثانية تتوقف على تطور التحرك الذي سيحدث في باريس في المرحلة الأولى لتعميمه على كامل فرنسا. وفي هذا الصدد تم اقتراح: عمليات مساندة في شكل مظاهرات للنساء الجزائريات أمام محافظات المراكز الكبرى للمقاطعات مع رفع شعارات تحاجم حضر التجوال، تطالب بإطلاق سراح الأزواج والأولاد، تدعو للتفاوض مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وتحتف باستقلال الجزائر. بالتوازي تقوم الفدرالية بحملة إعلام وشرح اتجاه الأحزاب السياسية، النقابات، الأوساط الجامعية، الشخصيات اليسارية، إلخ... لطلب الدعم منهم. المرحلة الثالثة: القيام بإضراب شامل لمدة أربع وعشرين ساعة، ويقوم المعتقلون في السجون بالإضراب عن الطعام، والطلبة بمقاطعة الدروس¹. وفي 17 أكتوبر 1961 بثت فدرالية الجبهة تعليمية تمنع فيه حمل أي سلاح مهما كان نوعه، عدم الرد على الاستفزازات مهما كان مصدرها، مقاطعة حضر التجوال بطريقة سلمية وبكرامة وهدوء مطلق². لكن وباقتراح من المراقب ونظرا للظروف السائدة، ولضمان نجاح المظاهرات تم تأجيلها إلى الثلاثاء 17 أكتوبر، على أن يتم احترام المرحلية المقررة في تنفيذ التعليمات، أي يوم 17 تكون المظاهرة الحاشدة، يوم 18 و 19 مظاهرة التجار النساء ويوم 20 مظاهرة النساء والأطفال³.

كان (محمد زواوي)، المدعو (مصطفى) و(مصطفى الأسود - Mustapha le noir) و (موريس - Maurice)⁴ المنفذ لمظاهرة 17 أكتوبر والمظاهرات التي تلتها، حسب التعليمات التي تلقها من اللجنة

¹ - Ibid, pp 42-45.

² - Ibid, p 48.

³ - Haroun (Ali), op cit, p 362.

⁴ - (محمد زواوي)، المدعو (مصطفى)، من مواليد 8 مارس 1920 بحي «قراية» بمدينة «سيدي بلعباس». وبعد الدراسة الابتدائية والثانوية في مسقط رأسه، واصل تكوينه في كلية الجزائر، ثم في جامعة «تولوز - Toulouse». عضو في «ح.ش.ج.» و المنظمة الخاصة (لوس). ساهم في وضع الهياكل الأولى لـ«اللجنة الثورية للوحدة والعمل - CRUA». اختار العمل السري في صفوف فدرالية الجبهة بفرنسا، وتحمل مهمة الإشراف على هيكلية الشبكات المكلفة جمع أموال الاشتراكات، والقيام بعمليات عسكرية. في 1959 عين مراقبا في منطقة «مرسيليا - Marseille»، ثم مكلف بالإعلام في باريس. في بداية 1961، وباقتراح من (عمار العدلاني)، تم إنشاء لجنة تتكون من أربعة مسؤولين مراقبين، برئاسة (محمد زواوي) بصفة مسؤول فيدرالي. يعد المنظم لمظاهرات أكتوبر 1961، وكان المطلوب رقم واحد للـ«دي.أس.تي - D.S.T.» بعد المظاهرات. وكانت له أيضا نشاطات مختلفة في ألمانيا. أُلقي عليه القبض في 10 نوفمبر 1961، وتم الكشف عن كونه قائد العمليات التي تنفذها «ج.ت.و.» في فرنسا تحت اسم (موريس - Maurice). أطلق سراحه في 1962 بعد التوقيع على وقف إطلاق النار. بعد الاستقلال عين عضو في اللجنة التأسيسية. وفي نهاية

الفدرالية في ألمانيا. وعلى هذا الأساس باشر بين عشرين وثلاثين ألف جزائري، رجال، نساء وأطفال بالتدفق، ومن كل زوايا المنطقة الباريسية بأفواج صغيرة، راجلين، في الميترو، سيارات الأجرة وفي القطارات، لبلوغ وسط باريس قبل الساعة الثامنة ونصف مساء، وهو الوقت الذي يبدأ فيه سريان حضر التحوال¹.

تمكنت شرطة باريس من الحصول على المعلومات الأولية لمسيرة 17، وإضراب 18 ومظاهرة النساء في العشرين بعد أن وقعت على نسخة من التعليمات الخاصة بالمظاهرات لدى أحد المائة واثنين وتسعين رجلا اعتقلوا بين منطقة «مادلان - Madeleine» و«أوبرا - Opéra» تظاهروا فيل الوقت المحدد. وبمجرد أن وضع (موريس بابون - Maurice Papon) يده على نسخة من مخططات الفدرالية أصبح في حالة غليان واستنفر ست فرق من الشرطة المحلية، أي أكثر من سبعين ألف شرطي، ثلاث فصائل من الدرك المختصة في مكافحة الشعب وسريتين من الوحدات الجمهورية للأمن (سي.آر.أس - C.R.S)². وقرر أيضا الاستيلاء على حافلات مؤسسة نقل باريس لاعتراض المظاهرين واعتقلهم قبل وصولهم إلى هدفهم، كما حول بعض معاهد التدريب الرياضية إلى مقرات لاحتجاز المعتقلين. وما حفزه أكثر هو معرفته بسلمية المظاهرة وأنها تضم نساء وأطفال³.

كان يوم 17 أكتوبر 1961 يوما قاسيا على الجزائريين، الشتم بأقبح الألفاظ، رمي بالرصاص، ضرب بالعصي، إغراق، اعتقال، سجن وترحيل إلى الجزائر. وهذا يتطلب طاقة تحمل غير عادية، لا يمكن تفسيرها إلا بالإيمان القوي للمهاجرين الجزائريين بعدالة القضية الوطنية وحق المجتمع الجزائري في استعادة سيادته التي سلبت منه منذ 1830. لكن ما يؤسف له هو عدم وجود إحصائيات دقيقة عن عدد ضحايا المظاهرات، خاصة في يومها الأول نظرا للتضارب في الأرقام بين ما تصرح به الشرطة وما تصرح به فدرالية «ج.ت.و». ورغم فتح أرشيف محافظة شرطة باريس الخاص بالمظاهرات، أمام الباحثين، إلا أن المشكل ظل قائما. فمحافظة الشرطة نشرت في اليوم الموالي للمظاهرات بيانا يتضمن الحصيلة الرسمية لمساء أمس من الجانبين: الشرطة والمتظاهرين⁴. ويبدو أن هذه الحصيلة لم تقنع البعض في المجلس البلدي، الذي دعي إليه (بابون - Papon) يوم 24 أكتوبر

عهدته حرج إلى التقاعد ليتفرغ لعائلته. توفي (محمد زواوي) في 3 أكتوبر 2000 بـ«سيدي بلعباس» عن عمر 84 عاما.

El-Watan du 10 Octobre 2013.

1 - House (Jim) et MacMaster (Neil), op cit, p 152.

2 - Ibid, pp 153-154.

3 - Amiri (Linda), op cit, p 134.

4 - عن الوقائع وحصيلتها، كما أوردتها بيان الشرطة، بنظر في الملاحق، الوثيقة 28، في:

Haroun (Ali), op cit, pp 496-498.

لرد عن الأسئلة الكثيرة التي طرحها عليه عضوين في المجلس البلدي، وهما (ريموند بوسو - Raymond Bossus) و(كلود بوردي - Claude Bourdet) حول الطريقة التي "سحقت" بها الشرطة المظاهرات¹. لكن (بابون - Papon) بقي صامتا ولم يجب عن أي سؤال².

أما من جهة فدرالية الجبهة فقد اعترف (علي هارون) أن الفدرالية كانت تجهل عدد القتلى والمفقودين، وكانت أيضا: "عاجزة عن تحديد العدد بدقة، لاسيما أن من بين العناصر المفقودة يمكن أن يوجد مناضلين بلا شك حولوا إلى الجزائر، سوف لن تعثر على آثارهم أبدا. وفعلا فمن بين سبعة آلاف وخمسمائة شخص جزائري أوقفوا مساء اليوم الأول، أبعد منهم إلى الجزائر ألف وخمسمائة شخص بواسطة أسطول جوي سُخر لهذا الغرض، ووضع أغلبهم في معسكرات الاعتقال. وأضاعت فدرالية «ج.ت.و» الاتصال بهم حتى نهاية الحرب»³ وهكذا فإنه من المؤكد أن الخسائر عن الجانب الجزائري كانت ثقيلة، لكن مكاسب المظاهرات كانت كبيرة.

من بين الأهداف التي سعت فدرالية الجبهة إلى تحقيقها من المظاهرات، ونجحت فيها، هو إحداث هزة قوية لدى الرأي العام الفرنسي، من المواطنين البسطاء إلى الشخصيات في أعلى هرم السلطة. وكذلك إخراج فرنسا أمام الرأي العام الدولي. وفي تحليلها لموقف المواطنين الفرنسيين البسطاء مما كان يتعرض له الجزائريون من قمع على يد الشرطة مساء السابع عشر من أكتوبر، ذكرت فدرالية الجبهة في تقاريرها أن قلة قليلة من الفرنسيين الذين عايشوا المظاهرات في حين وقوعها أظهروا مقاومة صغيرة وذلك بالصراخ ضد الشرطة التي تهاجم الجزائريين، وتلقينهم كيفية الإفلات من حواجز الشرطة، وإعطاء النقود للركوب في سيارات الأجرة، تقديم الإسعافات الطبية الأولية، وفي بعض الأحيان أخذهم إلى منازلهم ليكونوا في مأوى آمن. في المقابل هناك فئة أخرى من المواطنين الفرنسيين البسطاء ساعدوا الشرطة في مطاردة الجزائريين الذين كانوا يحاولون الهرب،

1 - أمطر (ريموند بوسو - Raymond Bossus) و(كلود بوردي - Claude Bourdet) محافظ شرطة باريس (بابون - Papon) بالأسئلة: كم عدد الموتى بين الجزائريين؟ كم من غريق؟ كم من قتل من جراء الضرب؟ هل صحيح أن خمسين ميتا انتشلوا في فناء ثكنة «لاسييتي - La Cité» مساء 17 أكتوبر؟ هل صحيح أن مئة وخمسين جثة عثر عليها في نهر (السين - La Seine) بين باريس و(روان - Rouen)؟ وكما ذكرنا لم يجب عن أي سؤال.

Ibid, p 366.

2 - يبدوا أنه بسكوته لم يعر (بابون - Papon) انتقادات المجلس البلدي أي اهتمام لأنه يعتبر نفسه أنه ليس مسؤولا أمامه ما دام أن الرئيس (ديغول - De Gaulle) ورئيس الوزراء (ميشال دوبري - Michel Debré) ووزير الداخلية (روجي فري - Roger Frey) أعطوه الضوء الأخضر في تحديد الطريقة التي يراها مناسبة في التعامل مع الجزائريين.

3 - هارون (علي)، المرجع السابق، ص 486.

وكان بعض سائقي الحافلات والقطارات يُعلمون الشرطة بأنهم يقلون ركابا جزائريين¹. واستنكر بعض أعوان الشرطة الممارسات العنصرية لزملائهم وانحرافهم عن واجبهم، وقاموا في 31 أكتوبر بإصدار بيان، حرره (إميل بورتزر - Emile Portzer)، الحامل لوسام الشرف، يحمل عنوان: "مجموعة من أعوان الشرطة الجمهوريين تصرح...". ولإفشال أي محاولة لتشكيل لجنة تحقيق برلمانية سارع رئيس الوزراء (ميشال دوبري - Michel Debré)، في الثالث من نوفمبر إلى مراسلة رئيس الجمهورية (ديغول - De Gaulle) ليطلعته عن نتائج التحقيق الداخلي بشأن ما آلت إليها المظاهرات، ويقر فيها بوحشية شرطة باريس في تعاملها مع مظاهرة الجزائريين. وأدان وزير الداخلية (روجي فري - Roger Frey) أيضا عنف الشرطة². وكان رئيس الجمهورية، في اليوم الموالي للمظاهرة قد أظهر غضبه لـ (دوبري - Debré)، لكنه امتنع أن يعلن على الملأ امتعاضه، وفضل الصمت والتغطية على الحدث³.

في الصحافة اتجهت معظم الصحف خاصة الشعبية، مثل: «لوباريزيان لبييري - Le Parisien» «Libéré»، «لورور - L'Aurore»، «باري ماتش - Paris-Match» و«باري جور - Paris-Jour» إلى ترديد الرواية الرسمية التي تبرر القمع الوحشي ضد الجزائريين، وأنه جاء ردا على العمليات التي تنفذها فدرالية الجبهة ضد الشرطة، وأنه في يوم المظاهرة اضطرت الشرطة إلى الرد لأن المكلفين بالتنظيم من جانب فدرالية الجبهة هم من بدأ بإطلاق النار. فجريدة «باري جور - Paris-Jour»، ليوم 18 أكتوبر، تحدثت عن: مظاهرات شمال إفريقية عنيفة. "مدفوعة من "زعماء" و"قتلة" اجتاحت وسط المدينة. أمر لا يصدق! طيلة ثلاث ساعات عشرون ألف جزائري مسلم كانوا الأسياد المطلقين لشوارع باريس." ونقلت جريدة «فرانس سوار - France-Soir» في صفحتها الأولى الرواية الرسمية، لكن في صفحاتها الداخلية كانت أكثر جرأة لأنها ذكرت أن شهادات عديدة تحدثت عن عنف الشرطة اتجاه المصورين، وأن عيارات نارية أطلقت على المتظاهرين. وفي طبعة 21 أكتوبر، نشرت الجريدة تحقيقا في الأحياء القصديرية لـ«نونتير - Nanterre»، أين صرح السكان بأنهم نزلوا إلى الشوارع ضد حضر التجوال. وفي عدد 19 أكتوبر، كتبت جريدة «لورور - L'Aurore» في صفحتها الأولى: "11538 شمال إفريقيين تم تقلهم إلى مراكز الفرز." وذكرت في الخبر أن 1500 متظاهر سيتم ترحيلهم إلى الجزائر. وجريدة «لوفيغارو - Le Figaro» التي أظهرت دعمها للشرطة، فإنها غيرت من خطابها في عدد 23 أكتوبر للتنديد بـ"مشاهد عنف برودة" في مراكز الاعتقال بقصر الرياضة أو في ملعب «كوبرتين - Coubertin». واحتجت على رفض

¹ - House (Jim) et MacMaster (Neil), op cit, p 274.

² - Amiri (Linda), op cit, p 187.

³ - Seelow Soren. 17 octobre 1961: «Ce massacre à été occulté de la mémoire collective», interview avec l'historien Gilles Manceron, Le Monde du 17 octobre 2011.

السماح للمتعاون معهم بزيارة الأماكن للإطلاع على الوضعية. وقدمت جريدة «لوموند - Le Monde» في عدد 29 أكتوبر حصيلة للقمع وردود الأفعال التي أثارها. لكن حملت جزء من المسؤولية إلى «ج.ت.و»: "باعتبار أن [المظاهرات] هنا [في فرنسا] أو هناك [في الجزائر] فإن الإرهاب الإسلامي هو أصل هذه المآسي".

في المقابل أشارت صحافة اليسار إلى الطابع السلمي للمظاهرات وتكون شاهدة على القمع الذي مارسه الشرطة في عدة نقاط من العاصمة والضواحي. لكن خوفا من الحجز فضلت، كعادتها، تبني خطاب حذر وأقل حدة، وهذا ما أوضحته جريدة «لومانيتي - L'Humanité» في عدد 18 أكتوبر 1961، حيث كتبت: "حول ما كان عليه يوم أمس المأساوي، لا نستطيع قول كل شيء. الرقابة الديغولية موجودة هنا. و«لومانيتي - L'Humanité» تحرص على تجنب الحجز ليكون قراءها في كل الأحوال على علم بالأهم". وبصيغة استفهامية: "هل حقا أن...؟" أو "هل كان هناك...؟" نشرت كل من «ليبيراسيون - Libération»، «تموانياج كريتيان - Témoignage Chrétien» أو «فرانس لإوبسارفاتور - France Observateur»: معلومات عديدة عن الابتزاز الممنهج لرجال الشرطة اتجاه المتظاهرين: الضرب، الرمي في نهر السين والشنق في الغابات، إضافة إلى عدد الموتى والمفقودين وهذا بفقد المصادقية للحصيلة الرسمية المعلن عنها وهي ثلاثة قتلى وخمس وخمسين جريحا¹.

أما ما يُعرف بالإعلام الصغير، ومنها مجلة «ليتون مودارن - Les Temps Modernes»، وجرائد «تموانياج إي دو كيمو - Témoignages et Documents» أو «فريتي ليبرتي - Vérité Liberté»، أو أيضا دار النشر (فرانسوا ماسبيرو - François Maspero)، فقد نشروا العديد من الوثائق التي تسمح بحوصلة أحداث 17 أكتوبر بدون تقديم تنازلات. يضاف إلى ذلك الفيلم الذي أنجزه (جاك بانيجال - Jacques Panijel) بعنوان "أكتوبر في باريس - Octobre à Paris" والذي منع من العرض، ووزع في السر. كل ذلك سيزترك بصمة في جيل بأكمله، بخلاف الصحافة الكبرى التي كانت أخبارها مؤقتة ومتقلبة. ويعود الفضل إلى (جان بول سارتر - Jean-Paul Sartre) وإلى هذه الصحافة الصغيرة المناضلة في ظهور مصطلحات «بوغروم - Pogrom»² و«راتوناد - Ratonnade»¹ في المخيلة الفرنسية².

¹ Mogniss H. Abdellah, **Le 17 octobre 1961 et les medias de la couverture de l'histoire immédiate au "travail de mémoire"**, revue Hommes & Migration, n° 1228- novembre-décembre 2000, pp 125-126.

² - «بوغروم - Pogrom» كلمة روسية وتعني التدمير والسطو. من الناحية التاريخية تستخدم هذه الكلمة لوصف ما تعرض له اليهود في روسيا القيصريّة بين 1881 و1921، من طرف المسيحيين من هجوم، سطو وسفك للدماء، دون

من أقوى ما نشر في هذا الموضوع ما كتبه (جان بول سارتر - Jean-Paul Sartre) في مجلته «لي تون مودارن - Les Temps Modernes»، والذي يعبر عن مدى تأثير أكتوبر في الرأي العام. وفي حديثه عن معنى «بوغروم - Pogrom» قال: "بوغروم: كلمة ليس لها ما يقابلها في الفرنسية، إلى أن جاء محافظ الشرطة بابون في عهد الجمهورية الخامسة، وبفضله سُد هذا الفراغ. إن معاملة البشر كالفئران هي عملية ولدت في مدينة الجزائر واستقرت الآن في باريس." ثم يشبه ما يحدث للجزائريين بما حدث لليهود في الحرب العالمية الثانية على الألمان النازيين، بل أسوأ فيقول: "إن اليهود الذين احتجزوا في ملعب فيل دهيف - Vél d'hiv أيام الاحتلال وعملوا من طرف الشرطة الألمانية بوحشية أقل من الوحشية التي عوم بها العمال الجزائريون في قصر الرياضة من طرف الشرطة الديغولية." كما دحض الحجج التي يبرر بها محافظة شرطة باريس ووزير الداخلية إجراءاتهما القمعية فيقول: "وفي مسعى لشرح على الأقل حضر التجوال برر كلاهما (محافظ الشرطة ووزير الداخلية) ذلك بالإرهاب الأعمى لـ«ج.ت.و» الذي يستهدف شرطة باريس." فيجيب بكل حزم ووضوح: "لا يوجد ولم يوجد إرهاب أعمى لـ«ج.ت.و». ذلك لأن انتشار جثث رجال الشرطة في باريس هو نتيجة لأمر سابق. وعلى عكس ما تذرعا به، فإن ما حدث هو إعدام رجال الشرطة لارتكابهم جرائم ضد الجالية الجزائرية، وهجمات عقابية ضد مراكز ودوريات الحركي الذين ارتكبوا طوال شهور أعمال التعذيب والاغتيال." ويحمل المسؤولية الكاملة لمحافظ شرطة باريس (بابون - Papon)، فيقول: "إن المسؤول الوحيد عن كل ذلك هو محافظ الشرطة الذي استورد الأساليب التي استعملها (ماسو) في «معركة الجزائر»، سعيًا منه إلى هدف لا يتحقق وهو تفكيك تنظيم «ج.ت.و» في منطقة باريس." وفي المحصلة يؤكد أن لا (ماسو - Massu) ولا (بابون -

أن تحرك السلطات ساكنًا للحيلولة دون وقوع ذلك، بل بموافقتها في بعض الأحيان. وبصفة عامة فإن «بوغروم - Pogrom» يدل على أعمال العنف والشغب الدموي المصحوب بالسطو والذي تنفذه طائفة من المجتمع ضد أقلية دينية أو عرقية أو غيرها.

à <http://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/pogrom/61975> consulté le 15-12-2015 19:05.

¹ - «راتوناد - Ratonnade» هي عنف جسدي مورس في حق أشخاص من أصول شمال إفريقية. وبشكل أشمل فإن الكلمة يمكن أن تطبق على كل أنواع العنف الممارس ضد أقلية عرقية أو فئة اجتماعية. ومن الناحية الاصطلاحية فإن كلمة راتوناد - Ratonnade مشتقة من كلمة «راتون - Raton»، وهي عبارة تحقيرية عنصرية، تستخدم لوصف الأشخاص من أصول شمال إفريقية، ومعناه باللغة الفرنسية العامية الجرذ الصغير. ومن الناحية التاريخية فإن الكلمة تستخدم للتعبير عن العنف الذي تعرض له الجزائريون في الخمسينات والستينات في إطار ما عرف بحرب الجزائر، وأدى إلى قتل وجرح عدة أشخاص، وكان أهمها ما حدث في مظاهرات أكتوبر 1961.

à <http://www.larousse.fr/dictionnaire/francais/raionnade/66665> consulté le 15-12-2015 20:30.

Mogniss H. Abdellah, op cit, p 127. - ²

(Papon) نجحاً في تفكيك «ج.ت.و» أو منع الجزائريين من دعمها، فيقول: "لكن بعد مرور ثلاث سنوات على افتخار ماسو بـ«إقرار السلم» في مدينة الجزائر بالحديد والنار والتعذيب بالماء والكهرباء، هاهم سكان القصبة ينزلون إلى الشوارع للهِتاف بـ«ج.ت.و». وبعد ستة أشهر من احتفال (بابون- Papon) بانتصار قواته من الحركي هاهم ستين ألف جزائري يردون عليه «باحتيال عاصمته»¹.

دخلت المنظمات الدينية، المنظمات المدافعة عن حقوق الإنسان، النقابات والطلبة على الخط لتعبر عن موقفها من قمع مظاهرات أكتوبر 1961. فقد عبرت «السيماد - CIMADE»² عن استيائها من جنون العنصرية الذي صار واسع الانتشار في صفوف شرطة باريس التي ارتكب بعض عناصرها تجاوزات وحشية غير مقبولة في حق المتظاهرين الجزائريين. وقام رئيسها (مارك بوغنر - Marc Boegner) بمراسلة (موريس بابون - Maurice Papon) بخصوص السماح لمنظمته بزيارة الجزائريين المعتقلين بعد المظاهرات في ملعب «كوبرتان - Coubertin»، «قصر الرياضة» و«قصر المعارض» ب«لابورت دو فرساي - La Porte de Versailles». ورغم تحويل المعتقلين كانوا قد حولوا إلى مركز «فانسان - Vincennes» لكشف الهوية، إلا أن المنظمة تمكنت من فتح مداومة لها في المركز مكنها من الاطلاع على معاناة الجزائريين من كل الأعمار. ونددت الجمعيات اليهودية، وفي مقدمتها «اتحاد اليهود من أجل المقاومة والتعاون - l'Union des Juifs pour la Résistance et Entraide»³ (UJRE)، «اتحاد يهود فرنسا - l'Union des Juifs de France» (UJF)، و«التضامن مع ضحايا العنصرية - Solidarité avec les Victimes du Racisme» (SVR)، بالقمع والاعتقال المسلط على الجزائريين والذي يذكرهم بالوضعية المماثلة التي عاشها اليهود فيما مضى، وكان آخرها على يد النازيين خلال الحرب العالمية الثانية. وأطلقت «النجدة الشعبية الفرنسية - Le Secours Populaire Français» (SPF) حملة للتبرع بالدم لفائدة الضحايا الجزائريين،

Les Temps Modernes, Décembre 1961. - ¹

2 - «السيما-د- CIMADE» هي «لجنة العمل ما بين الحركات الخاصة بحالات الإغلاء- Comité inter mouvements auprès des évacués» ، وهي منظمة مسيحية بروتستانتية. تأسست في سبتمبر 1939 برئاسة (جان بانني- Jane Pannier). هدفها، حسب قانونها العضوي، هو التضامن العملي مع المهاجرين، اللاجئين وطالبي اللجوء. شعارها "الإنسانية تمر عبر الآخر- L'Humanité passe par l'autre".

للمزيد من المعلومات عن هذه المنظمة بنظر موقعها الرسمي:

consulté le 16-12-2015 à 10:40 <http://www.lacimade.org>

3 - ولدت «إ.ي.م.ت- UJRE» في 1934 من اتحاد مختلف حركات المقاومة اليهودية للنازية. تتناضل هذه الجمعية، حسب ما جاء في قانونها العضوي، ضد كل أشكال العنصرية ومعاداة السامية والأجانب. وفي مسألة الشرق الأوسط تتناضل من أجل سلام دائم يضمن وجود دولة إسرائيل ودولة فلسطين.

للمزيد عن المعلومات عن هذه الجمعية اليهودية ينظر موقعها الرسمي:

[/http://ujre.monsite-orange.fr](http://ujre.monsite-orange.fr) Consulté le 16-12-2015 à 12:30.

كما طالبت من محافظ شرطة باريس البحث عن المفقودين¹. ونفس هذا الموقف أبدته العديد من الجمعيات الفرنسية الجبهوية².

أما النقابات العمالية فقد أجمعت على إدانة سلوك الشرطة الوحشي نحو أهالي شمال إفريقيا. وهذا ما عبرت عنه «الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين - La Confédération Française des Travailleurs Chrétiens (CFTC) و«الكونفدرالية العامة للشغل - La Confédération Générale du Travail (CGT)»، في بياناتها المناهضة للقمع والاستعمار وأكدت على الحاجة الملحة لوقف الحرب التي تدور رحاها منذ سبع سنوات والتي لا تخدم سوى أهداف المشاغبين والمدمرين والفاشييين³. وبدورهم نظم الطلبة مظاهرة ضد حضر التجوال العنصري المفروض على الجزائريين، وقمع المتظاهرين وطالبوا بالعودة السريعة إلى طاولة المفاوضات مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. وفي الكليات الباريسية قرأ بعض أساتذاتها قبل البدء في التدريس، بيانا حول العنصرية وضرورة محاربتها في فرنسا مثلما يحاربه الأساتذة والطلبة في الولايات المتحدة الأمريكية⁴.

مما سبق يظهر أن التصعيد خيم على مواقف الطرفين: الشرطة والفدرالية. لكن ثمة أسئلة كثيرة تطرح نفسها بإلحاح: لماذا لجأت الشرطة إلى قمع المظاهرات بطريقة وحشية ومبالغ فيها، في وقت كانت فيه مفاوضات إيفيان قد بدأت منذ ماي 1961 بين الحكومة الفرنسية و«ج.ت.و»، والتي لا يمكن أن تؤول إلا إلى استقلال الجزائر؟ هل كان ذلك مقصودا ومدبرا له مسبقا؟ وما الذي جعل فدرالية «ج.ت.و» تعطي تعليمات صارمة حول سلمية المظاهرات؟ ألم يكن ذلك نوع من التفريط في المتظاهرين، خاصة إذا ما علمنا بوجود النساء والأطفال ضمن المتظاهرين، ومعرفتها المسبقة بالأخطار التي يمكن أن يتعرض لها المتظاهرون، في

¹ - «ن.ش.ف - SPF» هي جمعية تعنى بمحاربة الفقر. تأسست في 1945. ترأسها عند حدوث مظاهرات أكتوبر (جوليان لوبراتر - Julien Lauprêtre). شعارها: "كل ما هو إنساني فهو لنا - tout ce qui est humain est nôtre".

للمزيد عن المعلومات عن هذه الجمعية ينظر موقعها الرسمي:

/ Consulté le 16-12-2015 à 20:50. <https://www.secouerspolaire.fr>

² - Amiri (Linda), op cit, pp 179-180.

³ - Ibid, pp 212-214.

ينظر أيضا:

House (Jim) et MacMaster (Neil), op cit, pp 278-285.

⁴ - Amiri (Linda), op cit, pp 184-185.

ظل التقارير التي تسلمتها من المسؤولين يشتكون فيها عنف الشرطة الذي بلغ في الآونة الأخيرة مستويات عالية وغير مسبوق؟ ألا يعتبر ذلك سوء تقدير منها؟¹.

إذا أردنا أن نجد إجابة لهذه التساؤلات، لا بد من الرجوع إلى السياق التاريخي لأحداث تلك الفترة. من الجانب الفرنسي، فإن الرئيس الفرنسي (شارل ديغول - Charles De Gaulle)، الذي باشر مفاوضات مباشرة مع «ج.ت.و»، كان يعلم أن استقلال الجزائر أصبح حقيقة لا مفر منها. ولإنجاح هذا المسعى قام أولاً بسحب الملف الجزائري من الوزير الأول (ميشال دوبري - Michel Debré)، الذي كان واقفاً تحت تأثير اللوبي الاستعماري، وأحاط نفسه بالشخصيات المخلصة له من أمثال (لويس جوكس - Louis Joxe)، الذي وضعه على رأس وزارة الدولة للشؤون الجزائرية، وهياً الرأي العام لفكرة التخلي عن الجزائر بأجراء انتخابات في 8 جانفي 1961 استفتت فيها الفرنسيين والجزائريين حول تقرير المصير للجزائريين وحصل على 75 بالمائة من المؤيدين لمساعده². لكن هذه السياسة الديغولية كانت محل خلاف مع بعض القوى السياسية، وأحياناً داخل السلطة نفسها، ف(ميشال دوبري - Michel Debré)، وبعد أن أعفاه (ديغول - De Gaulle) من الملف الجزائري، أصر على أن يترك له ملف المحافظة على الأمن على التراب الفرنسي. وبهذه الكيفية تمكن من ترتيب عملية تسير عكس اتجاه العملية التي خطط لها الرئيس (ديغول - De Gaulle). ولتحقيق مساعده أجرى (دوبري - Debré) تعديلات وزارية، حيث عين في ماي 1961 (روجي فري - Roger Frey) وزيرا للداخلية بدلا عن (بيار شافني - Pierre Chafenet)، وفي شهر أوت أنهى مهام (إدموند ميشلي - Edmonde Michelet)، حافظ الأختام، الذي كان من أشد المعارضين للأساليب العنيفة المعتمدة من طرف (موريس بابون - Maurice Papon)، وعوضه ب(بارنار شونو - Bernard Chenot)، المعروف بتساهله معها. وهذا ما أطلق يد (بابون - Papon) لاستخدام القمع الوحشي في 17 أكتوبر 1961³. من جهة أخرى فإن ظهور «منظمة الجبس السري - l'Organisation de l'Armée

¹ - نذكر كنموذج تقرير مؤرخ في العشرين سبتمبر 1961، يشتكي فيه أحد مسؤولي الفدرالية عدوانية الشرطة المتزايد ضد الجزائريين وبطريقة وحشية لا حدود لها. وتضمن التقرير عرض لما تعرض له أحد الجزائريين في 138 شارع «غابريال بيري - Gabriel Péri» عندما كان على الرصيف يريد التوجه إلى العمل، حيث توقفت بالقرب منه سيارة ونزل منها أعوان شرطة فأخذوه. وفي مدخل «سانت أوين - Saint-Ouen» ركلوه بقوة حتى هشموا ساقيه.

Ibid, p 124.

² - صوت البرلمان الفرنسي على مرسوم رقم 299-60 لـ 8 ديسمبر 1960 ينص على عرض مشروع قانون تقرير المصير للاستفتاء.

Le Journal Officiel de la République Française du 9 décembre 1960, p 10143.

³ - Seelow Soren. Op cit.

«Secrète»، والمعروفة اختصاراً بـ«لواس - l'O.A.S» قد نجحت في اختراق مؤسسة الشرطة وكسب متعاطفين ومؤيدين إلى صفها¹.

أما بالنسبة لإدارة فدرالية «ج.ت.و» فإن التوجه العام للأعضاء كان يسير في اتجاه تنظيم مظاهرات في شوارع باريس والضواحي. وظهر ذلك جلياً خلال الاجتماع الذي التئم بمدينة «كولوني - Cologne» الألمانية في 6 من أكتوبر 1961. ودافع أصحاب هذا التوجه عن موقفهم باعتبار أن المظاهرات ستكون رداً قوياً على الإجراءات القمعية لمحافظ الشرطة (موريس بابون - Maurice Papon)، إحداه صدى على المستوى الفرنسي والدولي، لكون المظاهرة ستقع في قلب العاصمة باريس، تقدم الدليل للرئيس (ديغول - De Gaulle) على قوة «ج.ت.و» كممثل حقيقي ووحد للجزائريين، ودعم الوفد الجزائري في المفاوضات الصعبة مع الحكومة الفرنسية². وفي تقرير سلمته لجنة الفدرالية إلى «ح.م.ج. - G.P.R.A» تشرح فيه أسباب اللجوء إلى المظاهرات، وتنبه إلى أن بدء المفاوضات لا يعني بأي حال من الأحوال التخفيف من القمع المسلط على الجزائريين، ففي الوقت الذي يمارس بعض المقربين من «الإليزي - Elysée» سياسة اليد الممدودة، فإن وزير الداخلية (روجي فري - Roger Frey) وأمثاله في فرنسا يواصلون سياسة العصا الغليظة والاعتقال بالإغراق والملاحقة ذات الطابع العنصري³.

لا نريد في حديثنا أن نتطرق لوقائع المظاهرات بتفاصيلها لأنه ليس موضوعنا، ولكن ركزنا على إبراز فضاعة القمع الوحشي الذي تعرض له الجزائريون والذي يرقى إلى درجة الإجرام. وكذلك الدفع الكبير الذي أعطته المظاهرات للقضية الجزائرية عند الرأي العام الفرنسي والدولي، وكيف وفقت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في الاستثمار في المظاهرات لتكون في مستوى الثمن الباهظ الذي دفعه الجزائريون فيها. ويكفي أن أوساطاً داخل الحكومة الفرنسية اعتبرت، وبصفة غير رسمية، 17 أكتوبر انتصاراً سياسياً حققته «ج.ت.و»، وفشلاً ذريعاً لنظام القمع الذي ضمن (بابون) بأنه سيجعل الجزائريين يسرون خلف مشروع الجزائر الفرنسية، فإذا بهم يصطفون خلف «ج.ت.و» ويساهمون إلى حد كبير في انتصارها.

4 - أحداث «ميتر وشارون» بباريس في 8 فيفري 1962

¹ - Stora (Benjamin), op cit, p 384.

² - Ibid

³ - Haroun (Ali), op cit, p 359.

وقعت أحداث «ميترو شارون - Métro Charonne» بباريس على خلفية المظاهرة التي دعا إليها «الحزب الشيوعي الفرنسي - PCF» و«الحزب الاشتراكي الموحد - PSU»، «الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين - CFTC»، «الكونفدرالية العامة للشغل - CGT»، «الاتحاد الوطني للطلبة الفرنسيين - UNEF»، «فدرالية التربية الوطنية - FEN»، «النقابة الوطنية للمدرسين - SNI»، «الحركة ضد العنصرية ومن أجل السلم - MRP»، وغيرها. ضد الأعمال الإجرامية التي تنفذها «منظمة الجيش السري - I'O.A.S» في الجزائر¹ وفي فرنسا²، بهدف المحافظة على الجزائر فرنسية، وتعطيل المفاوضات الصعبة التي تجري في «إيفيان - Evian» بين الحكومة الفرنسية و«ح.م.ج.ج - G.P.R.A»، وضد الحرب في الجزائر. ومن بين الشعارات التي رفعت خلال المظاهرة: "تسقط لو.أ.أس وتسقط الفاشية - Abas l'OAS, Abas le fascisme", "لو.أ.أس القتل - l'OAS Assassins", "السلم في الجزائر - La Paix en Algérie".

يذكر أن المظاهرات كانت محظورة في باريس منذ صدور مرسوم إعلان الطوارئ، رقم 395-61، المؤرخ في 22 أبريل 1961³. وهذا ما أكد عليه وزير الداخلية (روجي فري - Roger Frey)، الذي ذكر بأن

1 - للإطلاع على الحصيلة الإجرامية لـ«منظمة الجيش السري - l'OAS»، ينظر: تواتي (دحمان)، منظمة الجيش السري ونهاية الإرهاب الاستعماري الفرنسي في الجزائر 1961-1962، مؤسسة كوشكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، صص 327-338. ينظر أيضا:

Yousfi (M'hamed), l'O.A.S. et la fin de la guerre d'Algérie, Entreprise nationale du livre, Alger. 1985, pp 71-99.

2 - كتفت «منظمة الجيش السري - l'OAS» أعمالها الإجرامية في فرنسا، ومن بين ضحاياها: رئيس بلدية إيقيان، (كامي بلان - Camille Blanc)، الذي اغتيل في 31 مارس 1962 "لتواطئه" في المفاوضات النهائية التي أدت إلى استقلال الجزائر، وفي 7 فيفري 1962 تعرض كل من الكاتب (فلاديمير بوزنر - Vladimir Posner)، الجندي السابق في الجزائر والشاهد على التعذيب في الجزائر، إلى محاولة اغتيال بقتيلة بلاستيكية، و(روجي بنتو - Roger Pinto) و(جورج فيدال - Georges Vedel)، الأستاذين في الحقوق، و(ريموند غويو - Raymond Guyot)، عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي، (سارج برومبارجي - Serge Bromberger) وهو صحفي، و(أندري مالرو - André Malraux) وزير الثقافة. وحتى الأطفال لم يسلموا من إرهاب «لو.أ.أس - l'OAS»، مثلما هو الحال مع الطفلة (دلفين رونار - Delphine Renard)، ابنة الأربع سنوات ونصف التي أصيبت بشظايا قنبلة بلاستيكية، كان من المفروض أن تنفجر عند بيت (مالرو - Malraux)، الذي يسكن في نفس العمارة. ونفس الشيء حدث لضباط عسكريين تتهمهم «لو.أ.أس - l'OAS» بالتفريط في الجزائر.

C.N. Et pourtant la guerre à continué, le quotidien algérien Liberté du 19-03-2012.

3 - أعلنت حالة الطوارئ في فرنسا في 22 أبريل 1961 على خلفية محاولة الانقلاب الفاشلة التي تعرض لها الرئيس (شارل ديغول - Charles De Gaulle) في 21 أبريل 1961، وقادها أربع جنرالات في الجيش الفرنسي وهم:

مظاهرات الشوارع ممنوعة¹. ومع ذلك، وجه التكتل اليساري نداء للتظاهر مساء يوم 8 فيفري 1962، على الساعة الثامنة ونصف مساء في «ساحة الباستيل - La Place de la Bastille». لكن مواكب المتظاهرين الخمسة التي تحركت لم تتمكن من بلوغ «ساحة الباستيل» كما كان مخططا له، مما أدى إلى تشتت جموع المتظاهرين. وصلت مجموعة تضم آلاف المتظاهرين إلى مفترق الطرق بشارع «شارون - Charonne» ونهج «فولتير - Voltaire»، أين أُعطيت الأوامر بتفريق المظاهرة من قبل النقابات. لكن فيلق التدخل الواحد والثلاثين للشرطة تدخل مستعملا العنف ضد المتظاهرين، إذ تعرض العديد منهم للضرب المبرح وقذف المتاريس الحديدية باتجاههم. وفي خضم الفوضى العارمة لجأ حشد من المتظاهرين إلى محطة «ميترو شارون» أين وجدوا جرحى متراكمين على سلاالم المحطة، مما أدى إلى تعثر العديد من الأشخاص. وفي هذه الأجواء فقد ثمانية أشخاص حياتهم، والتحقق بهم، فيما بعد، ضحية تاسعة متأثرة بالجروح التي تعرضت لها².

أثارت أحداث «ميترو شارون - Métro Charonne» مشاعر حادة لدى الفرنسيين، وأُعلنت الإضرابات التي لقيت استجابة واسعة في اليوم الموالي، لأنها تزامنت مع جنازة الضحايا التي حضرها آلاف المشيعين. وحضيت بتغطية إعلامية واسعة من الأحزاب والنقابات اليسارية، التي غالبا ما تشير إلى ضحايا «ميترو شارون - Métro Charonne» على أنهم "شهداء" ينتمون إلى شعب باريس، وأبطال المقاومة الدائمة ضد اليمين ودولة القمع³. وتم تسليط الضوء بعناية على الضحايا فردا فردا بإعطاء تفاصيل كثيرة عن حياتهم، عائلاتهم ووظائفهم، وطُبعت مطويات ولافتات إعلانية تحمل لتخليدهم في ذاكرة الفرنسيين. من جانب آخر باشرت «النجدة الشعبية الفرنسية - Le Secours Populaire Français» (SPF)، وهي

(موريس شال - Maurice Challe)، (إدموند جوهر - Edmond Jouhoud)، (رؤول صلان - Raoul Salan) و(أندري ريلار - André Zeller). وجاءت هذه العملية الانقلابية، التي تعرف أيضا باسم «انقلاب الجنرالات - Putsch des généraux»، ردا على السياسة الجديدة للرئيس (ديغول - De Gaulle) الرامية إلى التخلي عن الجزائر.

Cherfi (Achour), Dictionnaire de la révolution..., op cit p94.

1 - في مذكراته كتب محافظ شرطة باريس (موريس بابون - Maurice Papon) أنه اقترح على وزير الداخلية (روجي فري - Roger Frey) قبول المظاهرة، وأن هذا الأخير يكون قد رجع إلى الرئيس (ديغول - De Gaulle) في هذه المسألة، ويكون قد رد عليه: "ما الذي أصاب بابون؟"

Papon (Maurice), op cit, p 140.

2 - House (Jim), MacMaster (neil), op cit, pp 304-305.

3 - Ibid, p 307.

جمعية خيرية ذات طابع إنساني، حملة إنسانية واسعة لجمع التبرعات التي وزعت على الجرحى وعائلات الضحايا، كما تم التكفل بسبعة عشرة جريحاً أرسلوا إلى ألمانيا الديمقراطية للعلاج¹.

الواقع أن مأساة «ميتر شارون» قد خدمت اليسار الفرنسي والحزب الشيوعي بشكل خاص. فمنذ أن فرضت حالة الطوارئ في 22 أبريل 1961، وجد الحزب الشيوعي نفسه مشلولاً سياسياً. فالمظاهرات الاستعراضية التي كان يملأ بها الشوارع للتأثير على الحياة السياسية في فرنسا أصبحت محظورة. وجاءت مظاهرات الجزائريين في أكتوبر 1961 لتحيي الأمل من جديد في إمكانية تحديد النشاط السياسي للحزب واكتساح الشوارع مرة أخرى. وفي هذه النقطة يقول (علي هارون): "إن صدمة أيام أكتوبر كانت مفيدة لليسار الفرنسي على الخصوص. فقد هزه الحدث الذي كان يعتقد أنه مستحيل، لكون الاستعراضات الجماهيرية محظورة منذ سنتين. فشرع في سلسلة من المظاهرات المؤيدة لإقرار السلم. وطلب المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي من الطبقة العاملة ومجموع الجمهوريين أن يتحركوا بقوة ضد الإجراءات التمييزية والعنصرية، مذكراً أن كل عامل وكل ديمقراطي فرنسي يجب أن يشعر بأنه مهدد بالإجراءات ذات الطابع العنصري المتخذة تجاه الجزائريين، وأن تلك الإجراءات بإمكانها أن تتوسع لتشملهم²."

بلا شك، فإن أحداث أكتوبر 1961 كانت أكثر دموية ومأساوية من أحداث «ميتر شارون - Métro Charonne» في 8 فيفري 1962، إلا أن هذه الأخيرة هي التي بقيت حاضرة في الذاكرة الفرنسية ولدى اليسار بشكل خاص، وحوّلها إلى رمز للقمع البوليسي، وتدرج أكتوبر 1961 إلى مراتب تالية، بل أصبح قي طي النسيان. ويكفي أن نقرأ عناوين الصحف ليوم 14 فيفري 1962 وما تلاها، والكيفية التي غطت بها الجنازة الضخمة للضحايا يوم 13 فيفري، لتدرك ازدواجية المعايير في التعاطي مع الأحداث وكأن الجزائريين الثلاث مئة الذين قتلوا -حسب الرواية الرسمية- في أكتوبر 1961، ليسوا من نفس مستوى بشرية الثمانية الذين قتلوا في أحداث «ميتر شارون - Métro Charonne». فجريدة «لومانيتي - L'Humanité» وصفت الجنازة بـ"الفخمة والتي لا تنسى"³، وفي تقدير جريدة «لوموند - Le Monde»: "أن المواجهات في أحداث «شارون - Charonne» كانت الأكثر دموية بين الشرطة والمتظاهرين منذ 6 فيفري 1934"⁴، ولم تشر إلى مظاهرات أكتوبر 1961.

¹ - Ibid , pp 306-307.

² - هارون (علي)، المرجع السابق، ص 489.

³ - L'humanité du 14 février 1962.

⁴ - Le Monde du 11 février 1962.

كان اليسار المناهض للاستعمار هو الوحيد الذي انتقد التباين الكبير في ردود الفعل بين «شارون-Charonne» و17 أكتوبر. ففي مجلة «تطوان كريتيان - Témoignage Chrétien» الصادرة في 16 فيفري 1962، كتب (أرني بورج - Hervé Bourges) مقالا بعنوان «استيقاظ شعب - Le réveil d'un peuple» تأسف فيه عن ازدواجية مواقف الفرنسيين حيال أكتوبر 1961 و «شارون-Charonne» 1962. ومما جاء في مقاله: "كان لا بد أن تفقد طفلة صغيرة [ويقصد الطفلة (دلفين رونار - Delphine Renard)] البصر حتى يخرج شعب باريس من سباته. إلى هذا الوقت، لا فضائع حرب... ولا الدماء المنتشرة على أرصفة الجزائريين المبلطة، في 20 أكتوبر جعلهم يتحركون".¹ وفي عدد فيفري-مارس 1962 نشرت مجلة «فريتي لبرتي - Vérité-Liberté» صورة للموكب الجنائزي لل13 فيفري مع هذا المفتاح: "وضحايا 17 أكتوبر؟". وفي نفس العدد طرح المؤرخ (بيار فيدال ناكي - Pierre Vidal-Naquet) السؤال: "من حضر إذن لجنازة ضحايا 17 أكتوبر؟". أما (روبير دوفيفي - Robert Duvivier) ممثل حزب «الاتحاد الجمهوري الشعبي - l'Union Républicain Populaire» (URP) و «الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين - CFTC»، كان الوحيد في جنازة 13 فيفري الذي تجرأ بوضع علاقة بين الحدثين². ومع ذلك لا يمكن أن ننكر بأن أحداث «ميتر شارون - Metro Charonne» تمثل منعطفًا حاسمًا في حرب التحرير الوطنية وسرّعت من إجراءات التوصل إلى اتفاق السلام ووقف إطلاق النار في 19 مارس 1962.

كانت عملية إقناع الرأي العام بتحمل مسؤولياته أمام ما تقوم به الحكومات الفرنسية المتتالية باسمه مهمة صعبة للغاية نظرًا لعدم اكتراثه بما يحدث من حوله وللتضليل الإعلامي الممارس عليه وبكثافة. فكان لا بد من استدراجه لينخرط أكثر في القضايا التي تهم المجتمع ويتفاعل معها بل ويؤثر في مسارها. والمسألة الجزائرية من القضايا التي كانت تشغل بال الفرنسيين وتؤثر في حياتهم.

مظاهرات 6 فيفري 1934 التي أشارت إليها «لوموند - Le Monde» وقعت أمام غرفة البرلمان الفرنسي ومن تنظيم جماعات يمينية، جمعيات قدام المحاربين ورابطات اليمين المتطرف، احتجاجًا على عزل محافظ الشرطة (جان شياپ - Jean chiappe)، على خلفية القضية المعروفة بـ«قضية ستافيسكي - l'affaire Stavisky». وتحولت المظاهرة إلى أعمال شغب أدت إلى وفاة خمسة عشر شخصًا على الأقل. وتجددت المظاهرات يوم 7، 9 و12 فيفري 1934، وأدت إلى سقوط الحكومة الثانية لـ(إدوارد دلاديي - Edward Daladier).

http://www.larousse.fr/encyclopedie/divers/journ%C3%A9e_du_6_f%C3%A9vrier_1934/

2015 à 09:30.

119428 consulté le 20-12

¹ - Bourges Hervé. **Le réveil d'un peuple**, Témoignage Chrétien du 16 février 1962, p 3, in House (Jim), MacMaster (neil), op cit, p 309.

² Ibid -

الفصل الرابع

تحول الرأي العام

1 - من القنوات الفكرية إلى الالتزام الفعلي

2 - إستيعاب واقع حركات التحرر وتطلعاتها

3 - الرأي العام وتهمة الخيانة

الفصل الرابع: تحول الرأي العام

من الصعب تحديد معلم زمني يمكن من خلاله رصد التحول الذي طرأ على الرأي العام في تعاطيه مع المشكل الجزائري ، لكن يكاد أن يكون فيه إجماع عند الدارسين بشأن الثورة التحريرية على أن الرأي العام كان غائبا غيابا شبه كلي وغير مبالي بالمسألة الجزائرية، اللهم إلا بعض الأصوات هنا وهناك وعلى مستوى فردي كانت تطلق صيحات تحذر من تفاقم الأوضاع وتطالب باحتواء الأمر قبل استفحاله. في حين في بداية الستينات حدث أيضا إجماع شبه كلي لدى الرأي العام إلى ضرورة إيجاد مخرج سريع للمعضلة الجزائرية واكتشفت شريحة واسعة من المجتمع الفرنسي أن الاستعمار لا يشكل خطرا على الجزائر وفرنسا فحسب، بل على السلم العالمي.

1 - من القناعات الفكرية إلى الالتزام العملي

مع لجوء فرنسا إلى الحل العسكري لتصفية المشكل الجزائري وتصويت البرلمان الفرنسي على قانون السلطات الخاصة في 1956 ازداد الصراع ضراوة على جميع الأصعدة العسكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية بين الاستعمار الفرنسي والمجاهدين الجزائريين. ووجد العديد من الفرنسيين، خاصة من التيار اليساري، أنفسهم في وضع يتناف تماما مع قناعاتهم الفكرية. فالجرب التي تخوضها فرنسا في الجزائر هي حرب استعمارية إمبريالية مهينة للكرامة الإنسانية، والسكوت عنها يعد تواطؤا، لذا قرر عشرات الفرنسيين، وفي مقدمتهم النخبة من أساتذة الجامعة والطلبة ورجال الدين والنقابات العمالية ورجال القانون والكتاب والصحفيين والفنانين ودور النشر، قرروا كلهم التحرك لوضع حد للنظام الاستعماري مستلهمين مواقفهم من عدة منابع لعل أكثرها تأثيرا:

أولا: مبادئ الثورة الفرنسية 1789 التي تدعوا إلى الحرية والمساواة والأخوة والمواطنة وتربوا عليها منذ نعومة أظفارهم وترت الأجيال السابقة عليها، فسكنت ضمائرهم ووجدانهم. أضف إلى ذلك أن تلك الثورة شكلت مصدر إلهام لكل الشعوب التي تتوق إلى الحرية والكرامة الإنسانية. والشعب الجزائري هو من الشعوب التي تأثرت بالثورة الفرنسية ومبادئها. فقد كتب الطالب (محمد العربي ماضي)، أحد قادة فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا، من سحنه: "قريبا ستحيون في باريس ذكرى 14 جويلية 1789. نحن معكم بفكرنا لأننا من أولئك الذين يتذكرون... بالنسبة لنا نحن المناضلون الوطنيون الجزائريون، فإن 1789 ودروس أخرى من التاريخ تحتفظ بقيمتها وسحرها. نريد العيش بشكل كامل حياة القرن العشرين والمساهمة مع الشعوب الحرة الأخرى في الانجازات الكبرى للبشرية".¹ وقال (عمر بوداود)، مسؤول فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا، أنه عندما سأل (فرانسيس جانسون) عن الأسباب التي دفعته إلى مساندة الثورة الجزائرية، وأجابه بأنه ليس معهم باعتباره مناضلا في الجبهة وإنما وفاء لفرنسا الخالدة وملتها في العدالة والحرية والديمقراطية، أدرك: "مدى الأهمية التي تمثلها بالنسبة إليه المحافظة على المثل العليا التي صنعت بلد حقوق الإنسان، المثل التي أشعت مفهوم الحرية

¹ - Stora (Benjamin), op cit, pp 264-265.

والعدالة إلى جميع أصقاع العالم، والتي احتفظت بها الشعوب الراضحة تحت السيطرة، حية في الأذهان.¹ وفي هذا الصدد سجل تقرير لشهر جويلية 1946 أن موقف الطلاب الشمال الإفريقيين من الثقافة الفرنسية يكاد يكون مشتركا، إذ أبدوا تمسكهم العميق بها، لكنهم لا يوافقون على العملية السياسية الفرنسية في شمال إفريقيا ويعادون للاستعمار.² إذن فإن استعادة رسالة 1789 تعبر عن رغبة ملحة لتحقيق الحرية والاستقلال. وفي ماي 1957 صرحت فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا: "ما يجب فعله هو ثورة 1789... كفاحنا شرعي لأنه يدخل في التقاليد الخالصة لفرنسا الثورية".³

ثانيا: تجارب تركت بصمات في الذاكرة الجماعية للفرنسيين لا يمكن أن تمحى ولعل أقربها زمنيا الحرب العالمية الثانية ومآسيها، حيث اضطر الفرنسيون إلى حمل السلاح ضد ألمانيا النازية التي احتلت بلادهم واستعبدت شعبهم. وكان من بينهم من وضعوا في السجون والمحتشدات وعذبوا على يد الجنود النازيين. فكانت التجربة جد قاسية سواء على المستوى الفردي أو الجماعي. لذلك اتخذ هؤلاء من أيام المقاومة الفرنسية ضد النازية معلما من المعالم التاريخية ومنازة يهتدون بها وسط العاصفة وجعلوها مثلا أخلاقيا وجب الاقتداء به، فاندفعوا بمقتضى ذلك إلى مناهضة حرب الجزائر بل الوقوف إلى جانب الشعب الجزائري في كفاحه في سبيل استقلال بلده، لأنهم وجدوا فيها نقاط تشابه بينها وبين مقاومة النازية وجعلتهم ينظرون إلى أنفسهم بأنهم ورثة المقاومين الفرنسيين خلال الحرب العالمية الثانية.⁴ فالكايتب (فيركور - Vercors)، شرح في كتابه «صمت البحر - Le silence de la mer» بين مقاومة النازية ومقاومة الاستعمار حيث قال: "عندما يكافح غيرنا في سبيل استقلال بلده مثلما كافحنا نحن، بالأمس، فلا مناص من تقديرهم واحترامهم كمقاومين، ولا يكفي أن نكون لهم آيات الاحترام فحسب، إنما يجب أن نقدم لهم كل ما في وسعنا من دعم ومساندة".⁵ ونفس الرأي عبر عنه (أندري مندوز - André Mandouze) أستاذ الأدب في جامعة الجزائر حين قال: "...إننا كمثقفين وأساتذة، نعتقد أن عظمة فرنسا لا تنحصر فقط في إقليم سداسي الأضلاع ولا حتى في ممتلكاتها المترامية الأطراف فيما وراء البحر المتوسط وإنما هي أمانة ينبغي تبليغها لأنها تتعلق بمبادئنا وقيمنا...".⁶

¹ - بوداود (عمر)، المصدر السابق، ص 138.

² - Stora (Benjamin), op cit, pp 261-262.

³ - Ibid, p 265.

⁴ - Ulloa (Marie-pierre), op cit, p 211.

⁵ - Péju (Marcel), le procès du réseau Jeanson, Casbah Editions, Alger, 2004, p 118.

⁶ - Ibid, p 125.

توضح شهادات بعض الداعمين للثورة الجزائرية، سواء الذين شاركوا شخصيا في الحرب العالمية الثانية أو عايشوها وهم صغار ضمن عائلاتهم، أن هذه الحرب ومعانات الفرنسيين منها ومشاركة أبناء المستعمرات عامة والجزائريين خاصة في تحرير فرنسا لم يعودوا يفهمون السبب الذي يمنع دولتهم من إعطاء حق تقرير المصير لشعوب المستعمرات. فهذا (جان لويس هورست - Jean-Louis Hurst)، أحد الفارين من الجيش الفرنسي ومؤسس «شبكة المقاومة الشابة - Le reseau des Jeunes Résistants»¹، يقول في إحدى شهاداته: "كان عمري خمس سنوات في 1940. وكان والدي يقود فوج من الجنود ولكي لا يقع في قبضة الألمان تراجع نحو الجزائر أملا في أن ينطلق في الهجوم مجددا من هناك. و الذكريات التي أحتفظ بها عن هذه الفترة هو أن أبي كان يشحن في شاحنات من نوع «جي.ام.اس - G.M.C» الجنود الرماة الجزائريين، وكان من الممكن أن يتواجد بينهم أشخاص مثل (بن بلة) و(بوضياف) والأسماء الكبيرة التي سنجدها فيما بعد في المهمة التحريرية. لكن الانطباع الذي كان لدي مع نهاية الحرب أن فرنسا قد حُررت من العرب. وما أذهلني هو أن أبي كانت له تصريحات ضد العرب وهذا ما لم أكن أفهمه وكان ذلك منشأ الخلاف بيني وبينه"².

في نفس الاتجاه كان لحرب العالمية الثانية تأثير في التزام (بول بولو - Paule Bolo) وهي واحدة من أعضاء «شبكة جانسون» حيث عاشت جزء من الحرب في منطقة تقع على بعد 30 كلم من «لاشابل أون فيركور - La Chapelle-en-Vercors» وأن الكفاح ضد النازية كان في قلب مرحلة شبابها وانتقدت لجوء الجيش الفرنسي إلى التعذيب حيث قالت: "بالنسبة لي فإن التعذيب وقتل الجرحى هو النازية وليست فرنسا" وتضيف في مكان آخر: "بالنسبة لي فإن الصراع الفرنسي ضد الجزائريين كانت خيانة لمثل بلادي. كان ذلك لا يُحتمل وتقديم المساعدة للجزائريين كان طبعي وضروري. لا يمكن أن ننسى بأن (غي مولي - Guy mollet) اشترط «السلطات الخاصة» من أجل القتال ضد أولئك الذين يريدون حريتهم. (إتيان - Etinne) [زوجي] وأنا كنا في الحزب الشيوعي لكن وبسبب عدم قبولنا لمنح هذه السلطات مزقنا بطاقات اشتراكنا"³.

أما (أدولف كمنسكي - Adolph Kaminsky) عضو شبكة جانسون والمتخصص في صناعة الأوراق

¹ - سيأتي الحديث عن هذه الشبكة في الفصل الأول من الباب الثاني.

² - Les frères des frères, un film de Richard Copans, produit par Yves Jeanneau et Richard Copans, une coproduction les Films d'Ici, la Sept, l'Ina, 1992.

³ - Charby (Jacques), op cit, p 44.

الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام

والوثائق المزورة، أثناء الحرب العالمية الثانية خاصة لليهود المطاردين والمضطهدين من النازيين فقد كان، كما قال: "دائما معادي للنظام الاستعماري ولم اتخذ موقفا ضد فرنسا ولكن ضد هذه الحرب التي لا تريد أن تفصح عن اسمها ولاختصار مدة الصراع ضد الظلم والتعذيب كان لا بد من مساعدة الجزائريين على التحرر منه بسرعة"¹.

ثالثا: القناعات الإيديولوجية التي تبحث عن فرصة لتجسد على أرض الواقع. ويتعلق الأمر بالتوجهات المبدئية للإيديولوجية الشيوعية القائمة على مناهضة الاستعمار والإمبريالية ودعم حركات التحرير الوطني ومساندة الطبقة العاملة في العالم أملا في إقامة مجتمع البروليتاريا. وكانت القوى التقدمية ترى في الحزب الشيوعي الفرنسي الوعاء الذي يمكن أن تجسد فيه كل تلك المبادئ والغايات على أساس أن توصيات الكومنتيرين في مؤتمر 1920 فرضت على الأحزاب الشيوعية دعم حركات التحرر في البلدان المستعمرة².

بالنسبة للحركة العمالية الفرنسية فإن المشكل الاستعماري لم يعد بعيدا عن اهتماماتها فقد أصبحت تطرحه في فرنسا وتقاطعت مع المهاجرين الجزائريين في طرحة. لذلك وجب عليها الابتعاد عن لغة الخشب في التعاطي مع الظاهرة الاستعمارية، وأن ما تم القيام به من النقابات العمالية في هذا الاتجاه غير كاف. ومن هذا المنطلق فإنه من الضروري التساؤل عن القانون الأساسي للعامل القادم من البلاد المستعمرة، خاصة العامل الجزائري في المجتمع الفرنسي وعن ضعف التضامن معه طيلة سبع سنوات من الحرب³. سوف نتناول هذه النقطة من خلال نموذج. ويتعلق الأمر بشركة «رونو-بيلونكور - Renault-Billancourt» لصناعة السيارات.

انتقلت نسبة العمال الجزائريين في الشركة بالنسبة لمجموع العمال من 08 % سنة 1947 إلى 12 % في بداية الخمسينات أي 3347 شخص. والتسمية التي أطلقت على العمال الجزائريين في الشركة هي "الشما الإفريقيين" وهذا ما تظهره وثيقة داخلية في 1945 تنص على أن: "[اليد العاملة الشمال إفريقية] في غالبيتها الساحقة (95 %) مكونة من جزائريين..."⁴. وقد نشأت بين العمال الجزائريين ونظرائهم الفرنسيين علاقات لا تتوقف عند

¹ - Ibid, p 99.

ينظر أيضا:

Kamisnky (Sarah), Adollfo Kaminsky, Une vie de faussaire, Casbah Editions, Alger, 2013.

² - رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 65.

³ - Claude Liauzu, **Ceux qui ont fait la guerre à la guerre**, in La guerre d'Algérie 1954- 2004 la fin de l'amnésie, sous la direction de Mohammed Harbi et Benjamin Stora, T 1, Chihab Editions, Alger, p 166.

⁴ - Pitti Laure. **Figure ouvrière et engagement dans la lute de liberation national. Les ouvriers de Renault-Billancourt pendant la guerre d'Algérie**, in L'homme et la société, N°

حدود مكان العمل بل تتعداه إلى نمط الحياة المشترك وهذا ما خلق نوع من التقارب والتضامن والشعور بالانتماء إلى نفس المجموعة. وعليه فإن المرجعية العمالية تجذرت قوتها في الادعاء بحق بالانتماء إلى نفس المحيط العمالي بغض النظر عن الاختلافات. ومثلما قال عامل جزائري عن «بيلونكور - Billancourt»: «التحدث بنفس الكلام حتى ولو في لغات مختلفة»¹. وهذا ما أسس تدريجيا لعلاقات النضال والتضامن العمالي. لكن ما يعاب على هذه العلاقة أنها محصورة ضمن محيط المصنع وفي الخارج فإنها القطيعة لأن فرص الالتقاء تكاد تكون منعدمة لأن لكل طرف مساكنه ومقاهيه وفنادقه التي يرتادها².

أما عن المواقف التي اتخذتها الأقسام النقابية فيما يتعلق بقضية كفاح الشعب الجزائري من أجل استقلاله في إطار التضامن العمالي، خاصة بعد التصويت على قانون السلطات الخاصة بمباركة «ح.ش.ف». بالنسبة للقسم العمالي 18 الفرع 70 فإن: «العمال الفرنسيون والعمال الجزائريون الذين يعملون جنبا إلى جنب في 18.70، لا يمكنهم قبول القيام بالحرب دموية ومكلفة في بشريا وماديا في الجزائر كل يوم من أجل خدمة امتيازات كمشة من الاستعماريين الذين يستغلون الشعب الجزائري بطريقة مخجلة»³. في حين كان تحليل الفرع 47 و 61 من القسم 46 قطعي وسياسي لأنه لم يعزف على وتر التكلفة المادية والبشرية برصد تناقضات السياسة المتبعة من حكومة (غي مولي - Guy Mollet) حيث في ذلك: «إعادة استدعاء الجنود وإرسالها إلى الجزائر لا يؤدي إلا إلى تعقيد الوضع لأنه من الخطأ الاعتقاد بأن الإرسال المكثف للتعزيزات يمكن أن يؤدي إلى السلم»⁴. أما نقابة «سي.جي.تي - C.G.T» التابعة لل«ح.ش.ف» فقد عبر الفرع التابع «بيلونكور - Billancourt»: «الحكومة، بزعمها عدم الاعتراف بوجود مشاكل سياسية ذات طابع وطني، بالإصرار على تورية النظام الاستعماري بترديد «ثلاث مقاطعات فرنسية» [...] وتدير ظهرها للحقيقة الجزائرية و بالأخص إرادة شعب بأكمله الذي يتطلع للعيش حرا وإدارة شؤونه بطريقة ديمقراطية. أيها العمال عند «رونو»، إن نقابة «سي.جي.تي - C.G.T» تناديكم للوقوف بقوة ضد القمع الذي يضرب الشعب الجزائري ومن أجل الوصول إلى تطلعاته ومطالبه الوطنية الشرعية»⁵.

117-118, 1995. Lutttes de classes p 116.

Ibid, p 119. - 1

Ibid. - 2

Syndicat CGT de Renault- Billancours, tract de la section syndicale du département 18, - 3
atelier 18.70 avril 1956, in Pitti Laure, ibid, p 120.

Ibid, tract de la section syndicale du département 61, avril 1956, in Pitti Laure, ibid, p 120. - 4

Syndicat CGT de Renault- Billancours, «Halte à la répression coloniale», 12 novembre - 5
1956, in Pitti Laure, ibid, p 122.

لكن رغم هذه التصريحات المؤيدة لاستقلال الجزائر إلا أن القلة القليلة من العمال من ساندوا عمليا كفاح الجزائريين لتحقيق ذلك تحولوا إلى «حملة حقائب - porteurs de valises» ضمن شبكة جانسون¹. وكان مصير هؤلاء هو الطرد من «ح.ش.ف» و«سي. جي.تي» بحجة أن ذلك لا يتماشى مع الخط الذي يتبناه الحزب فيما يخص المشكل الجزائري². بالنسبة لهؤلاء الفرنسيين وكما هو الحال بالنسبة لرفقائهم الجزائريين فإن الانتماء العمالي المشترك يتماشى حتما مع الدعم العملي للقضية الجزائرية، وهنا فقط يظهر مدي استيعاب مفهوم العامل كمصطلح الذي يحمل بعدا للكفاح وبعدا سياسيا صرفا وليس اجتماعيا فحسب. وهكذا حدثت قطيعة بين من يرى في لفظة «عامل» معنى سياسي يسير في الخط المستقيم للأمية العمالية وبين من يرى فيها مجرد فئة اجتماعية تدافع عن مصالحها. ومع تعرض العمال الجزائريين للملاحقة والقمع من طرف الشرطة الفرنسية داخل المصانع وخارجها وجد العشرات منهم أنفسهم مطرودين من العمل بسبب الغياب غير المبرر دون البحث عن سبب الغياب، مما أدى إلى تعمق الهوة بين العمال الجزائريين والعمال الفرنسيين³.

لمساندة مطلب الاستقلال قام العمال الجزائريين في جويلية 1956 وفيفري 1957 بإضراب عن العمل لكن دون مساندة من العمال الفرنسيين. هذا ما جعل «الصدقة العامة للعمال الجزائريين - l'Amicale générale des travailleurs algériens» الجناح العمالي ل«ج.ت.و» في فرنسا يشير عبر جريدته «العامل الجزائري في فرنسا - l'Ouvrier algérien en France»: «ليس بإمكاننا سوى التنديد بغياب المساعدة من طرف رفاقنا الفرنسيين. العمال الجزائريون لهم الشئ الكثير لقوله للعمال الفرنسيين، وبمرارة لاحظوا غياب التضامن الفعال و الحركي. أكيد، كنا نرغب أن نشي على تضامنهم - والتي من المفروض أن تكون شئ طبيعي بين العمال - للأسف ! الأفعال تجبرنا على قول العكس»⁴. الواقع أن السلبية التي أبدتها العمال الفرنسيين وغياب التضامن مع العمال الجزائريين حول مسألة الاستقلال الجزائري يجد مبررا له في جانب واحد وهو اقتصار التواصل بينهما في المصنع فقط وليس خارجه أيضا وهذا ما يفسر عدم ردة الفعل على القمع الذي تعرض له الجزائريون في مظاهرات 17 أكتوبر 1961.

لن ننهي الحديث قبل أن نستعرض نموذجا للتضامن والمساندة لعمال في مصنع «رونو بيلونكور» للعمال الجزائريين. يتعلق الأمر بالزوج (كلارا وهنري بنوا - Clara et Henri Benoits) مع (جان كلود فاسيلي -

¹ - سيأتي الحديث عن هذه النقطة في الفصل الأول من الباب الثائب.

² - سيتم التطرق إلى هذه النقطة في الفصل الرابع من الباب الثاني.

³ - Pitti Laure, op cit, p 124.

⁴ - Ibid

Jean-Claude Vessiller) الذين ألفوا كتابا حول تجربتهما التضامنية مع العمال الجزائريين في كفاحهم من أجل الاستقلال يحمل عنوان: «الجزائر في القلب. ثوريين ومناهضين للاستعمار برونو بيلونكور - l'Algérie au cœur. Révolutionnaires et anticolonialistes à Renault-Billancourt» عن دار النشر «سيلابس - Sylleps». تقول (كلارا بنوا - Clara Benois): "عندما كنت ممثلة العمال كان لدي العديد من الأصدقاء الجزائريين و الذين كانوا هم أيضا ممثلين للعمال الجزائريين. و انطلاقا من المحادثات المتكررة بيننا فهمت بسرعة أن مسألة استقلال الجزائر هي مسألة لا يمكن تفاديها. لذلك سعت باتجاه المنظمات العمالية بما فيها «سي.جي.تي - C.G.T» و«ح.ش.ف - P.C.F» للعمل من أجل ذلك لكن دون جدوى. وعليه تصرفت بمفردي وقمت بفعل ما يجب فعله في تلك الفترة. " . بدأت (كلارا) وزوجها (هنري) بجمع التوقيعات وكتابة العرائض وتشكيل لجنة من أجل السلم في الجزائر. لكن مع إصرار الجزائريين على الدعم العملي لم تركيف يمكن رفض ذلك خاصة إذا تعلق الأمر بنقل المناشير و الإيواء. ويذكر (هنري) أن (فرانسيس روكي - Francine Requier)، وهي الأمينة الإدارية لنقابة «سي.جي.تي - C.G.T» تم إلقاء القبض عليها وأودعت السجن لتعاونها مع الجزائريين وكلفها ذلك الطرد من النقابة والحزب¹.

2 - استيعاب واقع حركات التحرر وتطلعاتها

شهد العالم بعد الحرب العالمية الثانية تغيرات كبيرة في موازين القوة، حيث فقدت أوروبا الزعامة الدولية وتراجع اقتصادها بشكل كبير جراء الدمار الذي لحق بها بفعل الحرب. وانتقلت الزعامة الدولية إلى الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة المعسكر الغربي الرأسمالي والاتحاد السوفياتي زعيمة المعسكر الشرقي الشيوعي فيما عرف بالثنائية القطبية. وشهد العالم أيضا بروز موجه التحرر من الهيمنة الاستعمارية الأوروبية عمت قارتي إفريقيا وآسيا، ذلك لأن المطلب التحرري في المستعمرات لم يعد مطلب الأقلية بل وجد صدى لدى قطاعات شعبية واسعة، وأصبح العمل المناهض للاستعمار قضية الشعوب، في بلاد المغرب العربي ومدغشقر وسوريا ولبنان والهند الصينية خاصة. وفي الوقت الذي كان فيه العالم كله يحتفل بالانتصار على النازية في 8 ماي 1945 قمعت القوات الفرنسية مظاهرات بالجزائر، بمدن سطيف وقالة، وحولتها إلى مجزرة قضى فيها آلاف من المتظاهرين، ونفس المأساة تكررت في مدغشقر لكن بعدد ضحايا مضاعف. وفي ذات اليوم حدثت في سوريا مواجهات عنيفة بين القوات العسكرية الفرنسية وفرقة الدرك السوريين جعلت الجيش الفرنسي في يوم 29 ماي يضرب البنايات العمومية لدمشق بالمدفعية². وفي مارس 1946 قصفت البحرية الفرنسية بقوة مدينة «هايفونغ - Haiphong»

¹ - Les frères des frères, un film de Richard Copans, op cit.

² - بعد هذه الأحداث أمر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، القوات البريطانية التي كانت متواجدة بأعداد كبيرة في المنطقة، بنزع سلاح الجيش الفرنسي. وطالبت الحكومة السورية واللبنانية الأمم المتحدة بالتدخل في الأمر، فوجد الفرنسيون والإنجليز أنفسهم مجبرين على مغادرة المنطقة في 14 مارس 1946، من دون توقيع اتفاقية.

الفيتنامية. هذه الأحداث كلها لم تمر دون أن تثير المشاعر لدى الفرنسيين، الذين ذاقوا ذل الاحتلال، خاصة من رجال الإعلام والمثقفين اليساريين¹.

من هذا المنطلق فهم العديد من المفكرين والمثقفين اليساريين أن الاستعمار بدأ يفقد ساحاته تدريجياً ويتجه نحو الزوال والاندثار ورأوا أن قمع فرنسا لحركات التحرر لن يغير من المسألة في شيء ونصحوها بالتفكير جدياً في التأسيس لعلاقات جديدة مع المستعمرات وذلك بالاعتراف بحق شعوبها في تقرير المصير. وعبر سارتر عن هذا المعنى حين قال: «إن الاستعمار في حالة تدمير ذاتي، لكنه لا يزال يلوث الجو: إنه عارنا، إنه يسخر من قوانيننا أو يسفها؛ إنه يعدنا بعنصريته (...) دورنا هو مساعدته على الموت (...) الشيء الوحيد الذي يمكن ويجب فعله - وهذا هو الأساس - هو المحاربة إلى جانب الشعب الجزائري لتخليص الجزائريين والفرنسيين، في نفس الوقت، من الطغيان الاستعماري»². وكان (جان بول سارتر) وطاقم مجله «Les Temps Modernes»³ من الأوائل الذين استوعبوا هذه الحقيقة. ففي افتتاحية العدد الأول من المجلة لخص (سارتر) الهدف الأساسي الذي قامت عليه المجلة فقال: «نيتنا هي أن نساهم في إحداث بعض التغيير في المجتمع المحيط بنا»⁴. ومن أولويات هذا التغيير هو الموقف الواضح وغير الملتبس من مسألة تصفية الإرث الاستعماري لفرنسا بالضغط على الحكومة للحصول على تعديلات على السياسة الاستعمارية، والوقوف إلى جانب الشعوب المستعمرة ضد المستعمر⁵. وفاجأت المجلة الفرنسيين في عددها لشهر ديسمبر 1946 بالحديث عن الوجود الفرنسي في الهند الصينية باعتباره احتلال لا يختلف عن الاحتلال الذي تعرضت له فرنسا على يد الألمان

¹ - Biondi (Jean-Pierre), avec la collaboration de Gilles Morin, op cit, p 246-247

² - Sartre (Jean-Paul), Situations v, Paris, Gallimard, 1964, p 42.

³ - «Les Temps Modernes» مجلة سياسية، أدبية وفلسفية، ومن أكثر المجلات الفرنسية أهمية، وذات سمعة عالمية. جمعت أعداد المجلة وصدرت في كتب عند منشورات Gallimard من أكتوبر 1945 إلى ديسمبر 1948، وعند منشورات Julliard من جانفي 1949 إلى سبتمبر 1965، وعند منشورات Aux presse d'aujourd'hui من أكتوبر 1965 إلى مارس 1980، وأخيراً عند Gallimard بداية من أبريل 1985 ولا تزال تصدر إلى اليوم. وقد احتفلت في 1995 بالذكرى الخمسين لتأسيسها، ويديرها حالياً «كلود لنزمان - Claude Lanzmann» مع هيئة تحرير تتكون من «جوليت سمونت - Juliette Simont»، «أدريان بارو - Adrien Barrot»، «جوزيف كوهن - Joseph Cohen»، «ميشال دغي - Michel Deguy»، «ليليان كنديل - Liliane Kandel»، «جان خالفا - Jean Khalfa»، «باتريس منغليي - Patrice Maniglier»، «جان بويون - Jean Pouillon»، «روبير ردكير - Robert Redeker»، «مارك صانيول - Marc Sagnol»، «جيرار ورمسير - Gérard Wormser»، «رفنيل زغوري أورلي - Raphael Zagury-Orly».

⁴ - Sartre (Jean-Paul), «Présentation», Les Temps Modernes, N° 1, octobre 1945, p 7.

⁵ - Burnier (Michel-Antoine), Les existentialistes et la politique, collection Idées, Paris, Gallimard, 1966, p 39-40.

في الحرب العالمية الثانية في عام 1940، وخاطب الحكومة الفرنسية بما يجب القيام به فقال: "إذا كنا فعلا قد وصلنا إلى مرحلة من الحرب حيث التراجع أصبح غير ممكن، وإذا أصبح لدينا خيار فقط بين فرض بقائنا بالسلاح أو الانسحاب، فالأفضل هو أن ننسحب [...] إنه من غير المعقول، وبعد أربع سنوات من الاحتلال، لم يتعرف الفرنسيون على الوجه الذي هو وجههم في الهند الصينية، ولا يرون بأنه هو نفسه وجه الألمان الذي كانوا في فرنسا".¹

أما في القضية المسماة «قضية هنري مارتان - L’Affaire Henri Martin»، حيث قامت في 1953 مجموعة من المثقفين والصحفيين، من بينهم (سارتر) و(جانسون) وتحت إشراف الحزب الشيوعي الفرنسي، بتأليف كتاب بعنوان «قضية هنري مارتان - L’Affaire Henri Martin»، والذي صدر عن منشورات «غاليمار - Gallimard» في نفس السنة، من أجل التماس العفو الرئاسي للبحار (هنري مارتان - Henri Martin)، الذي أدين في سنة 1949 بتهمة توزيع منشورات تحريضية ضد الحرب في الهند الصينية وإعلانه صراحة بحق الفيتناميين في الحرية والاستقلال، وهذا ما صرح به في إحدى رسائله إلى والديه، حيث كتب يقول: "الأمر لا يتعلق بعصاة قراصنة، بل هي قضية شعب بأكمله يسعى إلى افكتاك حريته [...] كل شيء هنا يؤكد أنهم ليسوا بحاجة إلينا لكي نسوسهم. إنهم يرفضون أن يكونوا لنا خدما، بل إنهم مصرون على العيش كرجال أحرار".²

الملفت للنظر هو أن حركات التحرر ليست مجرد انتقادات أو هجومات موجهة ضد الممارسات الاستعمارية ولا دعوة للقيام بإصلاحات داخل المنظومة الاستعمارية وإنما رغبة وإصرار على تقويضها من الأساس لإزالتها بشكل نهائي. وهذا ما يظهر جليا عند الكثير من المثقفين من أبنا المستعمرات من أمثال (فرانز فانون) و(إيمي سيزار) و(باتريس لومومبا) و(أرنيسو تشيكيفارا) وغيرهم، الذين استوعبوا آليات عمل النظام الاستعماري ووصلوا إلى قناعة أنه نظام نفعي معادي لتطور الإنسانية. وأحسن من درس النفسية الاستعمارية وسبر أغوارها هو (فرانز فانون) في كتابه «معبذوا الأرض - Les Damnés de la terre» الذي هو عبارة عن تحليل للنفسية الاستعمارية، حيث استفاد (فانون) من تكوينه كطبيب للأمراض العقلية ليشرح الظاهرة الاستعمارية، لا من الناحية التاريخية فقط بل من الناحية النفسية أيضا، حيث ولج إلى أغوار النفسية الاستعمارية وجوهر التفكير الاستعماري القائم على الاستعلاء والاستغلال والقمع، وهذه الصفات أضحت جزء من شخصية الأوروبي

¹ - Sartre (Jean-Paul), «Editorial», Les Temps Modernes, N° 15, décembre, 1946.

² - Sartre (Jean-Paul) et les autres, L’Affaire Henri Martin, Gallimard, Paris, 1953, p 35.

الاستعماري ولا سبيل لعلاجها إلا بالعنف الدامي¹.

أعجب العديد من المثقفين الفرنسيين بتحليل (فانون) للظاهرة الاستعمارية وفي مقدمتهم (سارتر) و(جانسون). وقد كتب (سارتر) تقديم لكتاب (فانون) «معذبوا الأرض - Les Damnés de la terre» رغم اعتقاده بأن الكتاب كما هو لا يحتاج إلى تقديم، وشرح السبب الذي دفعته إلى فعل ذلك وهو رغبته في دعوة الأوروبيين الاستعماريين إلى اقتلاع المعمر الموجود داخل كل واحد منهم. يقول: "وهذا الكتاب لم يكن قط بحاجة إلى تقديم، ذلك لأنه لم يوجه لنا. ولكنني وضعت له تقديمًا لإيصال الجدلية إلى حدها: نحن كذلك أوروبيون، ونحن من الاستعمار، ومعنى ذلك أنه بواسطة عملية دامية يقتلع منا المعمر الموجود في داخل كل واحد منا². وهذا اعتراف صريح من (سارتر)، بأن دعوة «فانون» إلى استعمال العنف الثوري للتخلص من الاستعمار له ما يبرره وما هو إلا رد فعل طبيعي على الممارسات الاستعمارية العنيفة وسياسة الإلغاء التي ظل يمارسها في حق شعوب المستعمرات فيقول: "وسنستفيد من قراءة فانون بأنه علمنا الحقيقة التالية فيما اعتقد ونسيناها: لن يمحو آثار العنف أي لطف، إذ أن العنف وحده القادر على محوه. والمستعمر يعالج مرضه الاستعماري بإخراج المعمر بالسلاح. وعندما ينفجر غضبه يستعيد شفافيته الضائعة، ويتعرف على نفسه. ونحن من بعيد نعتبر حربه انتصارًا للهمجية، إلا أنها حرب تتسبب بدورها في التحرير التدريجي للمحارب، إنها تقضي تدريجيًا في داخله وخارجه على الظلمات الاستعمارية³."

بكثير من السخرية يرد (سارتر) على المتخوفين من الصراحة الزائدة ل(فانون) خشية أن تستفيد القوى الاستعمارية من صراحته ويؤكد أن تصرفات هذه القوى قد أكل عليها الدهر وشرب، إذ تستطيع تأخير التحرير ولكنها لن تستطيع إيقافه. ولن يضر (فانون) قراءة هؤلاء كتابه أو عدمه، إنه يفضح أمام إخوانه حيلهم القديمة، يقينا منه أنه لم يبق ما يعوضونها به. إنه يقول لهم: لقد داست أوروبا قارتنا بأقدامها، فعلينا أن نقطع هذه الأقدام حتى تزيلها. والوقت معنا إذ أنه لا يقع شيء في (بنزرت) أو (إليزابيث فيل) أو في الريف الجزائري إلا ويبلغ خبره الأرض كلها⁴.

¹ - Fanon (Frantz), Les damnés de la terre, préface de Abdelaziz Bouteflika, collection voix de l'anticolonialisme, Éditions ANEP, Alger 2006.

² - Sartre (Jean-Paul), Positions anticolonialistes, «préface aux Damnés de la terre de Frantz Fanon», préface de Fatima Beldjord, collection voix de l'anticolonialisme, Alger, Éditions ANEP, 2006, p 114.

³ - Ibid, p 110-111.

⁴ - Sartre (Jean-Paul), Positions anticolonialistes, op cit, pp 100-101.

من هذا المنطلق كتب (جان بول سارتر) مجموعة من المقالات في مجله «Les Temps Modernes» يعري فيها الظاهرة الاستعمارية تذكر على سبيل المثال المقال الذي صدر في عدد مارس وأفريل 1956 بعنوان «الاستعمار هو نظام — *Le colonialisme est un système*»، وهو إعادة لمضمون المداخل التي ألقاها بمناسبة انعقاد لقاء من أجل السلام في الجزائر بقاعة «Wagram - فغرام» بباريس في 27 جانفي 1956. وفي المقال فكك الآليات السياسية والاقتصادية للنظام الاستعمار، وناد بمحارته، و التعجيل برحيله، والاعتراف بالجزائر كدولة، والدخول في مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، والاعتراف بما ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الجزائري، وإنشاء علاقات جديدة بين فرنسا حرة وجزائر متحررة.

بدأ (سارتر) مقالته بالتحذير من تخدع الاستعمار الجديد فيقول: "أريد أن أحذركم مما يمكن أن نسميه (الاستعمار الجديد). يعتقد الاستعماريون الجدد، بأنه يوجد مستوطنين طيبين، ومستوطنين سيئين. وبسبب هؤلاء السيئين ساءت حالة المستعمرات. الخدعة تتمثل فيما يلي: يتم التجول بك في الجزائر، ويمكنوك وبلطف من مشاهدة بؤس الشعب، وهو بؤس فضيع، ويحكون لك عن الإهانات التي يتعرض لها المسلمون من المستوطنين السيئين. ثم عندما تصبح جد ناغم يضيفون: "ها هو السبب الذي جعل الجزائريين المميزين يحملون السلاح: لم يعودوا يحتملون." وإذا تم التصرف بشكل جيد يعودون وهم مقتنعون: أولا: أن المشكل الجزائري هو اقتصادي أولا. الأمر يتعلق بإصلاحات نبيهة، توفر الخبز لتسعة ملايين شخص. ثانيا: ثم أنه مشكلا اجتماعيا: يجب مضاعفة الأطباء والمدارس. ثالثا: وهو أخيرا نفسيا: (...) معاملة سيئة، تغذية سيئة وأمية، للجزائري عقدة الدونية تجاه أسياده. وبالعامل على هذه العناصر الثلاثة نستطيع تهدئته إذا أكل، إذا كان لديه عملا وإذا تعلم القراءة، لا يشعر بالعار لكونه إنسانا دونيا وبهذا تعود الأخوة القديمة الفرنسية الجزائرية.¹ وفي ذات المجلة كتب (جان كوهن - Jean Cohen) مقالا بعنوان «استعمار وعنصرية في الجزائر - *colonialisme et racisme en Algérie*» تطرف فيه إلى فكرة أساسية حاول أن يشرح فيها التراكبات التي دفعت الجزائريين إلى حمل السلاح في وجه فرنسا. ويرجعها في الأصل إلى الطبيعة التي تحكم في العلاقة بين المستوطن والأهلي والقائمة على قاعدتين: الاستغلال والعنصرية. و في حالة الجزائر يؤكد الكاتب أن الكتلة العمالية للأهالي الجزائريين، كانت تعمل في ظروف جد صعبة ومحرومة من جميع حقوقها، فلم يسمح لها بالانتظام في جمعيات تدافع عن حقوقها، وحرمت من المنح العائلية، والمساكن العمالية والمطاعم، أما الأجور فكانت تكفي فقط

¹ - Sartre, (Jean-Paul), (*Le colonialisme est un système*), Les Temps Modernes, n° 123, mars- avril 1956, p 1371.

للبقاء على قيد الحياة، واسترجاع القوة من أجل مواصلة العمل.¹ جاء في المقال: "مع المستعمر، لم يُقِم المستوطن سوى علاقة استعمارية. (...)، ولهذا السبب فإن أي علاقة من نوع آخر لا يمكن تصورها. عندما يسمع [المستوطن] إلى الحديث عن مطالب الأهلي، و المساواة والحقوق أو الانتخابات الحرة، يضمن بأنه يراد موته أو رحيله، (الحقيقية أو التابوت) «لماذا يراد طردنا ؟ نحن الذين صنعنا هذا البلد.»، أفهموه بأنه يستحيل التفكير لحظة واحدة بإمكانية طرده، كأنما يصطدم بجدار. لقد كان مستوطنا وسيضل. وإذا لم يرد أن يكون كذلك فليرحل. على كل حال، إنه يعرف ذلك، ولكن لا يقر به، وأنه بسبب الاضطهاد الاستعماري، لا يتصور أن الأهالي يتمنون شيئا آخر غير رحيل المضطهد.²

3 - الرأي العام وتهمة الخيانة

ابتداء من 1960 وجد الرأي العام الفرنسي نفسه منقسما، وبشكل حاد، حول الطريقة المناسب التي يجب تبنيها لإيجاد مخرج للمعضلة الجزائرية. فظهرت جبهتان: جبهة مواصلة الحرب في الجزائر وهم المدافعين على بقاء الجزائر فرنسية بأي صيغة، سواء ملحقه مباشرة بفرنسا أو جزءا من مستعمرات ما وراء البحار أو ضمن الاتحاد الفرنسي. وتضم هذه الجبهة الحكومة والجيش والشرطة والمتقنين ذوي التوجه اليميني والفرع الفرنسي للأمية العمالية (S.F.I.O) والتي تحولت فيما بعد إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي، الذي كان يطالب بقانون خاص يمنح الجزائر نوعا من السيادة. أما الحزب الشيوعي الفرنسي فإن موقفه الرسمي كان مع إبقاء الارتباط مع بالجزائر ضمن المجموعة الفرنسية ضمن وحدة وطنية حقيقية، تعترف بالطابع العربي والإسلامي للشخصية الجزائرية. كل هؤلاء تحالفوا في الجمعية الوطنية والحكومة الفرنسية وانضوا ضمن ما يعرف بالتحالف الجمهوري.³

أما جبهة معارضة الحرب في الجزائر فهي تشمل رجال الكنائس المثقفين والنقابات العمالية والطلائية والمجندين الذين رفضوا التورط في الحرب، حاضرة بعد لجوء الجيش إلى استخدام التعذيب والمحتشدات. فهؤلاء كانوا يطالبون بوضع حد للمأساة الجزائرية والاعتراف بحق تقرير المصير، بدأت مواقفهم محتشمة وسلبية، لكنها في السنوات الأخيرة من الثورة تمكنت من حشد شرائح واسعة من المجتمع الفرنسي لصالح أطروحاتها للخروج من المأزق الجزائري.⁴

ولكن أطرف ما في السجال الحاصل بين الجبهتين هو التراشق بتهمة خيانة الوطن.⁵ فجبهة مواصلة الحرب في

¹ - Sartre, (Jean-Paule), (*Le colonialisme est un système*)..., op cit, p 588.

² - Ibid, p 589.

³ - منغور (أحمد)، المرجع السابق، صص 189-190.

⁴ - نفسه، صص 205-206.

⁵ - كتبت (مارغريت بوقيري- Margret Boveri) في كتابها بعنوان «عن الخيانة في القرن العشرين - De la trahison

الجزائر تُتهم بالخيانة لأنها تنكرت للمبادئ الأخلاقية والمثُل العليا التي قامت عليها الأمة الفرنسية والتي تتباهى بها أمام العالم كونها مصدر إلهام لكل شعوب العالم. ففي الوقت الذي يتحدث فيه أنصار هذه الجبهة عن الحرية فإنهم يستعمرون ويستعبدون أمم وشعوب بأكملها ويستغلون بلدانها ومقدرات المادية والبشرية ويفرضون الاعتراف لها بحقوقهما في تقرير المصير. ويتحدثون عن العدل والمساواة وسياساتهم في تلك البلدان قائمة على الاستغلال والقهر والظلم. ويتحدثون عن الأخوة وأسلوبهم في التعامل مع الشعوب التي تزرع تحت هيمنتهم بالعنصرية والدونية. وفيما يتعلق بموقف هؤلاء من الحرب الاستعمارية الدائرة في الجزائر كتب (فرانسيس جانسون): "يتكلمون عن وضع حد لحرب يرونها حمقاء، لكنهم لا يقبلون بالمقابل، أن نساعد الشباب الفرنسيين على رفض ضياعهم فيها. يدينون الاستعمار، لكنهم يجرمون كل شكل للتضامن العملي مع أبناء المستعمرات".¹

أما جبهة معارضة الحرب في الجزائر التي تلح على تمكين الشعب الجزائري من تقرير مصيره. وقام المنتمين إليها بتقديم الدعم اللازم لـ «ج.ت.و» للوصول إلى الاستقلال الوطني فإنها كانت محل نقد من البعض وإعجاب من البعض الآخر. ومن المنتقدين الشرسين "للخونة" الذين اصطفوا إلى جانب الثورة شخصيات أمنية ومثقفين نذكر منها: الرائد في الشرطة (لوكيم - Lequime) الذي قال في مرافعة الاتهام لشبكة (جانسون): "مهما تكن الإيديولوجية التي يُحتج بها فإنني لن أسمح لأي شخص بأن يطعن من الخلف".² أما الفيلسوف (ريمون آرون - Raymond Aron)، ورغم مساندته لاستقلال الجزائر إلا أنه قال: "لا يجوز، بأي حال من الأحوال، أن ننصح الشباب بالفرار من صفوف الجيش، ولا يعقل أن يدفع الكهول الشباب إلى ركوب المخاطر. ذيك أن رفض الامتثال لا يصدر إلا عن قرار شخصي ويجب على الدولة أن تعاقب كل من يرتكبه مهما كانت الأسباب. ولكن فيما يخص قضية (فرانسيس جانسون) ورفاقه فإن المسألة أخطر من هذا، لأن موقفهم يكتسي صبغة جماعية وسياسية ولم يصدر عن خيار فردي ولا أخلاقي".³ واعتبر المثقف والكاتب (فرانسوا

au xxe siècle» أن ثمة مراحل تاريخية متميزة كان فيها الإنسان يعلن ولاءه للعقيدة، ثم صار ولاء الناس لأشخاص معينين ثم للسادة الإقطاعيين ثم للملوك، ومع حلول القرن الثامن عشر بدأ عصر جديد أصبح فيه الولاء للأمة. وفي الفترة المعاصرة انقلبت الأوضاع رأسا على عقب حين برزت شخصية الخائن النزيه والمترفع عن الدنيا، الخائن النبيل، الخائن القديس والشهيد، في آن واحد، وفي «القرن العشرين حصلت قناعة مفادها أن للضمير الشخصي، في ظروف معينة، واجبات أجل وأسمى من الواجب الوطني الضيق».

لمزيد من المعلومات ينظر:

Boveri (Maegret), De la trahison au xxe Siècle, collection Essais, Gallimard, Paris, 1971.
1 - Jeanson francis, Notre guerre, préface de Abdelaziz Bouteflika, collection voix de l'anticolonialisme, Edition Anep, Alger, 2006, p 24.

2 - Le Monde du 29 septembre 1960, in Ulloa (Marie- pierre), op cit, p 205.

3 - ibid, p 201.

موريالك (François Mauriac) موقف (جانسون) متناقض: "ذلك أنه يتعاطف ويدعم الروح القومية الجياشة لدى الخصم [ويقصد ج.ت.و.] بالرغم من كرهه لمثل تلك المواقف الوطنية حين تصدر من جانبنا. إن هذا في نظري، هو الجنون بعينه، ولو أن المسألة كانت تتعلق بموضوع آخر، غير الوطن والدولة، لدخلت معه في نقاش... ذلك أن أسوأ مخرج من هذه الحرب هو أن نوقفها مضطرين ومرغمين بسبب العصيان العام..."¹.

أما المعجبون فنذكر (فيركور - Vercors) الذي أجاب، عندما سُئل عن رأيه في خيانة شبكة جانسون بما يلي: "أعتقد أن شرف فرنسا، وقبل كل شيء، دجعل هذا العمل ضروريا... وأعتقد أيضا أننا إذا وصمنا هذا العمل، ونحن في جرم المحكمة، بالخيانة فأنا أعتبر نفسي، إذن، من الخائنين أيضا، غير أنني أعتقد أن العمل الذي قاموا به إنما هو، في الحقيقة، أداء لواجب اقتضته الضرورة الوطنية القصوى."². ونفس التحليل اعتمده (أندري موندوز - Mandouze)، حيث قال: "إن السبب الحقيقي الذي دفعنا إلى اتخاذ تلك المواقف هو حرصنا على التمسك بمبادئنا، و بالنسبة لرجل مثلي فإن حضور المسيح على الأرض، حسب ما ورد في المزمور 72 المنزل في التوراة، إنما جاء ليخلص أبناء الفقراء ويحارب الظلم. فهل يجوز لي الادعاء بأنني قس وبأنني، بشكل أو آخر، أتحدث باسم المسيح لو أنني تركت الشعب الجزائري المقهور يكافح الظلم والجور بمفرده؟"³.

أما (فرانسيس جانسون) نفسه فلم ينزعج أبدا من تهمة الخيانة الموجهة له لأن في تصوره أن الخيانة لها معنى إيجابي يتجسد عندما لا تجاري الظالمين في ظلمهم والامبرياليين في جشعهم واستعلاءهم وتسلطهم على البشرية. ولا يمكن إيجاد تبرير للخيانة الإيجابية كالذي وضعه (جانسون) حين قال: "لم يكن ثمة بد غير (خيانة) الفرنسيين، بوقوفنا في صف الجزائريين، و(خيانة) الجزائريين، بإصرارنا على البقاء فرنسيين. إن هذه (الخيانة المزدوجة) هي جوهر وفائنا للقضيتين، الفرنسية و الإنسانية، اللتين يفترض فيهما أن تكونا قضية واحدة".

من خلال استعراضنا للمواقف المذكورة أعلاه حول الخيانة ومفاهيمها المختلفة نستنتج أنه إلى جانب المفهوم التقليدي للخيانة برز مفهوم جديد له قلب الأوضاع رأسا على عقب حين برزت شخصية الخائن النزيه والمترفع عن الدنيا، الخائن النبيل، الخائن القديس والشهيد، في آن واحد. والمحصلة هي حصول قناعة مفادها "أن للضمير

¹ - François Mauriac. L'Express, n° 463, 28 avril 1960, in Ulloa (Marie- pierre), op cit, pp 210-211.

² - Péju (Marcel), op cit, p 116.

³ - Intervention de l'abbé Davezies dans l'émission de Frédéric Mitterrand consacrée aux porteurs de valises, Antenne 2, le 29 juin 1989, in, Ulloa (Marie- pierre), op cit, p 207.

الشخصي، في ظروف معينة، واجبات أجل وأسمى من الواجب الوطني الضيق.¹

¹ - Jeanson (francis), op cit, p 54.

الباب الثاني

شبكات الدعم

الفصل الأول

في فرنسا

1 - شبكة جانسون

2 - شبكة كوريال

3 - شبكة المقاومة الشابه

4 - الشبكة المسيحية

5 - شبكة الطريق الشيوعي

الفصل الأول: في فرنسا

تشكلت شبكات دعم الثورة الجزائرية في لحظات مختلفة ابتداء من 1957 وكانت تتعامل مباشرة مع فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا. وقبل هذا التاريخ كان الدعم يتم على مستوى فردي انطلاقا من قناعات شخصية ليتوسع تدريجيا مع تطور الأحداث.

1 - شبكة جانسون

لا نكون مبالغين إذا قلنا أن (شبكة جانسون) تعد أهم شبكة لدعم الثورة التحريرية على الإطلاق، لاعتبارات كثيرة: أولها أن مؤسسها السيد (فرانسيس جانسون - Francis Jeanson)، الفيلسوف والصحفي، كان من المفكرين القلائل الذين التزموا سياسيا في سن مبكرة¹ وفهموا حقيقة الظاهرة الاستعمارية وممارساتها المنافية للمبادئ والأخلاق والكرامة الإنسانية، وعرفوا أن الاستعمار باتت أيامه معدودة. من هذا المنطلق، فإنه لم يتوان في تعريضه ومناهضته ومحاربه بكل قوة، وهذا ما ظهر فعلا في سنة 1953 في القضية المسماة «قضية هنري مارتان - L'Affaire Henri Martin»، كما بينا سابقا. ونفس هذه المواقف سوف يُظهرها (جانسون) فيما يتعلق بثورة الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي، كما سنبين ذلك لاحقا. والاعتبار الثاني يكمن في الخدمات اللوجيستية التي وضعتها الشبكة تحت تصرف أعضاء فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، كالإيواء، التنقل، أماكن اللقاء و الاجتماع، وثائق الهوية ونقل الأموال، التي يتم جمعها من اشتراكات الجالية الجزائرية في فرنسا، إلى خارج فرنسا. والاعتبار الثالث يتمثل في الرجال والنساء المنخرطين في الشبكة، من فرنسا، بلجيكا وسويسرا والذين ينتمون إلى صفوف المجتمع في بلدانهم، فمنهم الأدباء، الكتاب، الفنانون، الصحفيون، المحامون، رجال الدين وغيرهم، والذين تحملوا مهام صعبة وخطيرة، كان ثمنها أحيانا سنوات عديدة من السجن امتدت بالنسبة

¹ - خاض (جانسون) أول تجاربه في حقل الالتزام السياسي منذ سنة 1948 وعمره 26 عاما حين انخرط في صفوف (التجمع الديمقراطي الثوري - Rassemblement Démocratique Révolutionnaire) والمعروف اختصارا (R.D.R)، وهو حركة سياسية تأسست في 27 فيفري 1948 تحت رعاية (جورج ألتمان - Georges Altmann) مدير مجلة (فرانتيرور - Franc-tireur) وعدد من قدماء التروتسكيين أمثال (دافيد روسي - David Rousset)، (جان روس - Jean Rous)، (جيرار روزنتال - Gérard Rosenthal)، إضافة إلى مثقفين وصحفيين من اليسار غير الشيوعي الذين يكتبون في مجلات (كومبا - Combat)، (فرانتيرور - Franc-tireur)، (إسبري - Esprit) وشخصيات أخرى أمثال (بول فريس - Paul Fraisse)، (إيف ديشيزال - Yves Déchézelles)، (كلود بوردي - Claude Bourdet)، (جيروم ليندن - Jérôme Lindon)، (جان بول سارتر - Jean-Paul Sartre)، وغيرهم. ولقد نشأ (التجمع الديمقراطي الثوري) في بداية الحرب الباردة ليكون بديلا عن الحزب الشيوعي والديغولي، أي طريق ثلاثة بين الماركسية والرأسمالية، لكنه لم يعمر طويلا بسبب الخلافات التي طفت حول الوجهة التي سيسلكها التجمع حيال الحرب الباردة. وبخصوص نشاطه ضمن هذه الحركة صرح (جانسون) "كان ذلك هو التزامي السياسي الوحيد خلال هذه السنوات ولم يكن في الحقيقة التزاما بآتم معنى الكلمة."

Ulloa (Marie-Pierre), Un intellectuel en dissidence, Francis Jeanson, de la résistance à la guerre d'Algérie, Casbah Edition, Alger, 2009, pp 101-102.

الباب الثاني: شبكات الدعم

لبعض الحالات إلى ما بعد استقلال الجزائر.¹ والاعتبار الثالث يتمثل في الرقعة الجغرافية التي امتد عليها نشاط الشبكة، لتشمل كل من فرنسا، إسبانيا، سويسرا، بلجيكا وألمانيا، وما يستلزم ذلك من تخطيط دقيق، تنسيق محكم وسرية تامة للإفلات من الأعين اليقظة لشرطة (الاستعلامات العامة - RG)². أما الاعتبار الرابع فيتعلق بالضجة الإعلامية التي صاحبت محاكمة أعضاء الشبكة والتي وضعت الفرنسيين أمام حقيقة التعفن التي وصلت إليها الأوضاع في فرنسا بسبب المشكل الجزائري، فارتفعت الأصوات وتكثفت التحركات لإنهاء ذلك وإنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل فوات الأوان.

الواقع أن (جانسون) اكتشف الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية، في سنة 1943 حيث انتقل إليها بعد أن أطلق سراحه من السجون الإسبانية، ومكث فيها إلى غاية التحاقه بجبهة الحرب في مقاطعة (الألزاس - l'Alsace) في ديسمبر 1944، انخرط خلالها في صفوف المقاومة السرية الفرنسية بشمال إفريقيا، وأصبح من المتحمسين للديغولية³، ولأنه جعل أولويته الكفاح ضد النازيين وحكومة فيشي الموالية لهم، فإنه لم تُنح له فرصة الاطلاع على وضعية الجزائريين. وبعد انتهاء الحرب، وعلى إثر زواجه من (كوليت جانسون - Colette Jeanson)⁴ عاد إلى الجزائر وأقام فيها هو وزوجته من سبتمبر 1948 إلى ماي 1949، وقد مكنته هذه الإقامة من الاحتكاك المباشر مع الجزائريين والتعرف على حقيقة أوضاعهم، وعانين عن كذب بؤس أوضاعهم المعيشية اليومية، كما التقى بعض الشخصيات الوطنية، وبخاصة من حزب (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري)⁵، من أمثال (فرحات عباس)، (أحمد فرانسيس) و(أحمد بومنجل) وناقش معهم الوضعية السياسية السائدة في البلاد⁶. وفي

¹ Charby (Jacques), Les porteurs d'espoir, les réseaux de soutiens au FLN pendant la guerre d'Algérie : les acteurs parlent, Chihab Edition, Alger 2004, p 7.

² - في 2011 صدر لـ(لوران شابرون - Laurent Chabrun) الصحفي في جريدة (لكسبريس - L'Express)، بالتعاون مع المؤرخ (بنيامين ستورا - Benjamin Stora)، كتاب عن دار النشر (Editions Jakob-Duvernoy) بعنوان (حرب الظل، الاستعلامات العامة ضد جبهة التحرير الوطني - La guerre de l'ombre, RG contre FLN) اعتمد في تأليفه على أرشيف وزارة الداخلية الفرنسية، حاول من خلاله إبراز مدى أهمية الملاحظات والتحليلات والاستنتاجات المليئة بمعلومات غاية في الدقة لشرطة الاستعلامات العامة حول نشاط وتحركات الوطنيين الجزائريين في فرنسا خلال سنوات 1950 و1960.

³ - خطاب (رشيد)، أصدقاء الخاوة، الدعم العالمي لثورة التحرير الوطنية الجزائرية، ترجمة مصطفى ماضي، دار خطابة للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص 141.

⁴ - مولودة (كوليت طزانك - Colette Tzanck)، وهي متخصصة في علم النفس وكاتبة، تزوجت من (فرانسيس جانسون) سنة 1948، وكان (جان بول سارتر - Jean-Paul Sartre) شاهدا على زواجهما. خطاب (رشيد)، المرجع السابق، ص 147.

⁵ - (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري - U.D.M.A) حزب سياسي جزائري أسسه فرحات عباس في أفريل 1946، عقب صدور قانون العفو العام في 16 مارس 1946، الذي يسمح بعودة النشاط السياسي في الجزائر، وهو امتداد لحركة (أحباب البيان والحرية - A.M.L)، التي تأسست أثناء الحرب العالمية الثانية في 14 مارس 1944.

⁶ - Ulloa (Marie-Pierre), op cit, p 134.

الباب الثاني: شبكات الدعم

المقابل احتك أيضا بالمستوطنين فوجدهم غارقون في الترف واستحكمت العنصرية في نفوسهم إلى درجة أنهم كانوا يفتخرون بالجرائم التي ارتكبوها في حق الجزائريين وهذا ما أثار مشاعر الاشمئزاز في نفسه ويقتنع، أن وضع كهذا لا يمكن تغييره إلا بالتمرد¹.

فور عودته إلى فرنسا في 1949 كتب في مجلة (إسبري - Esprit)، دراسة بعنوان «هذه الجزائر المحتلة التي أعيد الهدوء إلى ربوعها... - *Cette Algérie conquise et pacifiée...*» انتقد فيها وبشدة ما عُرف ب(القانون الخاص للجزائر) أو (دستور الجزائر)، والذي صدّق عليه البرلمان الفرنسي في 20 سبتمبر 1947، حيث حلل فيها مظاهر العنصرية الاستعمارية التي «استحكمت فيها هياكل القمع الفرنسية»². وقد سببت هذه الدراسة إحراجا كبيرا في أوساط المستوطنين، حتى أن المجلة ذكرت في عددها لشهر جوان أن عدد شهر أفريل قد سحب من نقاط البيع في الجزائر. وفي مجلة (الأزمة الحديثة - Les Temps Modernes) الصادرة في جوان 1952 نشر مقالا بعنوان «منطق الاستعمار - *Logique du colonialisme*» انتقد فيه قطبي المنطق الاستعماري وهما الاستغلال الرأسمالي والاستهتار العنصري اللذين تضافرت جهودهما وفق إستراتيجية مشتركة لمناهضة الشيوعية في العالم³. مع ذلك كله، وإلى غاية السداسي الأول من عام 1955، كانت أوضاع الجزائريين بالنسبة ل(جانسون) مسألة ثانوية، لأن أوليته في تلك المرحلة كانت، من جهة الدفاع عن الشيوعية ومقارعة المناهضين لها، ومن جهة أخرى الانشغال بتأليف كتاب عن (جان بول سارتر - Jean-Paul Sartre)، والذي ظهر تحت عنوان «سارتر يتحدث عن نفسه - Sartre par lui-même»، لكن لم تمنعه تلك الانشغالات من متابعة الأخبار التي كانت تأتيه من الجزائر بواسطة أصدقائه الجزائريين.

لم يتفاجأ الزوج (جانسون) من اندلاع الثورة في الأول من نوفمبر 1954، وقد عبر عن هذا المعنى في شهادته ل(جاك شاري - Jacques Charby) حول دوره في "حرب الجزائر" حيث قال: "... كنت مقتنعا أن

¹ - يذكر (جانسون) في المقابلة التي خص بها الصحفية (كريستيان فليب - Christiane Philip)، أنه بعد عودته إلى فرنسا في ماي 1949، تلقى دعوة من المركز الجهوي للفنون الدرامية بالجزائر لتنشيط سلسلة من المحاضرات حول المسرح السارترية خلال شهري أكتوبر ونوفمبر 1949، في عدد من كبريات المدن الجزائرية، فكانت دهشته عظيمة، فالمستوطنون الذين قابلهم لم يكونوا يهتمون كثيرا بأعمال (جان بول سارتر) فحسب، بل كانوا ينظرون للجزائريين نظرة دونية ويعتبرون مسألة وجود شعب جزائري مجرد مزاعم باطلة. ويذكر أيضا أنه استقبل من طرف رئيس دائرة سطيف وأن هذا الأخير اصطحبه في نزهة عبر المدينة وأوقفه عند المكان الذي وقعت فيه مجازر 08 ماي 1945 وحدثه بلهجة فيها تكبر بأن العرب أرادوا التمكن من المستوطنين، لكن هؤلاء تمكنوا منهم وقتلوا ألفا من الجزائريين مقابل قتل مستوطن واحد. Ibid.

² - Jeanson (Francis), *Cette Algérie conquise et pacifiée...*, Esprit, Avril 1950, p 2

³ - Jeanson (Francis), *Logique du colonialisme*, Les Temps Modernes, juin 1952, p 221.

كفاح الجزائريين كان، لن أقول شرعي فحسب، بل ضروري، وضروري بشكل حيوي بالنسبة لهم.¹ وعلى إثر ذلك عزم على القدوم إلى الجزائر ليتأكد بنفسه من حقيقة الأحداث التي أعلن عنها ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 ومقابلة مديريها الفعليين، غير أن مرض السل أبعده في الفراش، فكلّف زوجته (كوليت-Colette) لتقوم عنه بهذه المهمة، حيث قدمت في 1955 إلى الجزائر ثلاث مرات في شهر فيفري، ماي وسبتمبر، تمكنت خلالها من مقابلة في البداية كل من (أحمد بومنجل) و(أحمد فرنسيس)، وبعض مناضلي (حركة الانتصار للحريات الديمقراطية)، لكنها لم تجد عندهم ما كانت تبحث عنه، وفهمت من كلامهم بأنهم متحفظون وقلقون مما حدث، وبالتالي علمت بأنه لا يمكن أن يكون هؤلاء أي علاقة بالأحداث.

قررت (كوليت-Colette) الاتصال هاتفيا بالأستاذ (أندري مندوز - André Mandouze) أستاذ الأدب في جامعة الجزائر لعله يرشدها إلى الطريق الذي يوصلها إلى مفجري الثورة، وفعلا فقد أرسل لها طبيباً شاباً يدعى (بيار شولي - Pierre Chaulet) والذي قادها إلى أحد الأحياء القصديرية في ضواحي مدينة الجزائر، حيث التقت (بصالح لوانشي)، الذي كان آنذاك مختبئاً عند القس (سوكوتو - Socotto)، لأنه كان مطلوباً من الجهات الأمنية، بعد صدور قرار حضر (حركة الانتصار للحريات الديمقراطية)، فقال لها: "قد تكون هذه الانتفاضة عملية انتحارية ولكن من يدري فيما تكون أيضاً بداية مسار تحرري". وبعد عودتها إلى فرنسا قدمت (كوليت-Colette) لزوجها عرضاً مفصلاً عن مهمتها في الجزائر وأكدت أن ما حدث ليلة (عيد القديسين - La Toussaint) ليس حدث عارض².

في ماي 1955 تلقى الزوجان (جانسون) رسالة من الجزائر من مناضلين جزائريين خرجوا حديثاً من السجون الفرنسية وأبدوا رغبتهم في ملاقاتهما، وفعلاً فقد انتقلت (كوليت) إلى الجزائر والتقت مع (بن يوسف بن خدة) زعيم المركزيين الذي أكد لها وجهة النظر التي سمعتها من (صالح لوانشي)، كما زودها بمعلومات وصفقتها بالقوية، إلى جانب ذلك فقد أطلعها (بيار شولي - Pierre Chaulet)³ على فحوى التحقيق الميداني الذي

¹ Charby (Jacques), Les porteurs d'espoir, les réseaux de soutiens au FLN pendant la guerre d'Algérie : les acteurs parlent, Chihab Edition, Alger 2004, p 34.

² Hamon (Hervé), Rotman (patrick), Les porteurs de valises, la résistance française à la guerre d'Algérie, collection « H comme Histoire », Editions Albin Michel, Paris, 1979, p 31.

³ (بيار شولي)، المولود في الجزائر في 27 مارس 1930، كان أستاذاً في الطب من 1967 إلى 1994، مكلفاً بمهمة في مجال الصحة لدى رئيس بين 1992-1994، ونائب رئيس المرصد الوطني لحقوق الإنسان بين 1992-1996، كما كان خبيراً في السل لدى المنظمة العالمية للصحة ومستشاراً في الصحة العمومية لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي. توفي 05 أكتوبر 2012.

شولي (بيار وكلودين)،... اخترنا الجزائر، صوتان وذاكرة، ترجمة زينب قبي، منشورات البرزخ، الجزائر، 2013، في غلاف آخر الكتاب.

أجراه مع المجاهدين في معاقلم¹، ليتكلم كل ذلك بإجراء مقابلة مع عبان رمضان، لتعود إلى فرنسا وهي تحمل لزوجها معلومات قيمة عن الوضع في الجزائر، وتدعمت هذه المعلومات بالشهادات الكثيرة التي تم استقاءها من اللقاءات مع الجزائريين الأعضاء في جبهة التحرير الوطني الذين جاءوا إلى باريس لأداء مهام إعلامية لفائدة الثورة².

شعر الزوج (جانسون) بأن ما يملكه من معلومات وحقائق ميدانية جديدة بأن يطلع الرأي العام عليها، فصدر كتابهما عن دار (لوساي - Le Seuil) في ديسمبر 1955، والذي أثار جدلا كبيرا بسبب، عنوانه الاستفزازي «الجزائر الخارجة عن القانون - L'Algérie hors la loi»، ومضمونه الذي يعرض مسألة استعمار الجزائر ونتائجه المأساوية على الشعب الجزائري باعتباره سلسلة من مظالم وأعمال قمع، كما حاول تقديم تحليلا سياسيا عن الحركة الوطنية الجزائرية وتطورها.

تعددت ردود الأفعال في التعاطي مع ما ورد في الكتاب، فدار النشر (لوساي - Le Seuil)، التي تولت نشر الكتاب، أبدت تحفظا كبيرا بخصوص نشره، ورأى (بول فلامان - Paul Flamand)، صاحب الدار أن النبرة الصارمة والمتطرفة، التي اعتمدها الزوج (جانسون) في الكتاب، وانحيازها الواضح لجبهة التحرير الوطني، لا يتوافق مع الموقف السياسي لدار النشر³، ولم يتم نشر الكتاب إلا بعد أن هدد (جانسون) بمغادرة دار النشر، الأمر الذي جعل (فلامان) يعرض الكتاب على (بول أندري ليزورت - Paul-André Lesort)، وهو كاتب وعضو في لجنة القراءة لدى (لوساي)، والذي بعد تفكير طويل وعميق وافق على نشر الكتاب، من دون أن يحض بالترويج الذي كان يأمله الزوجان، بل أكثر من ذلك، كان القائمون على دار النشر يتجنبون الحديث عن (الجزائر الخارجة عن القانون) لتجنب التداعيات المزعجة التي يمكن أن تترتب عنه، وذلك ما جعل (جانسون) يأسف للظروف المتواضعة التي استقبل فيه الكتاب، بل إن (بول فلامان) رفض في 1959 طلب (جانسون) بإصدار طبعة ثانية للكتاب بحجة أن 950 نسخة لا تزال قابضة في المخازن⁴.

أما الصحافة فقد تجاهلت الكتاب واستقبلته ببرودة وصمت، والذي فاجأ (جانسون) أكثر ولم يتوقع حدوثه، هو عدم اكتراث الأسرة اليسارية التي ينتمي إليها «الجزائر الخارجة عن القانون»، وهي التي تدعي

1 - . Hamon (Hervé), Rotman (patrick), op cit, pp 31-32

2 - . Ulloa (Marie-Pierre), op cit , p 135.

3 - كانت دار النشر (لوسوي) تعتزم، آنذاك، التأثير في الدوائر الحاكمة، فيما يخص تصفية الاستعمار، وذلك بالترويج لأعمال أدبية معتدلة تدعو إلى التحرر والإنعتاق من ربة الاستعمار، ضمن سلسلة (حدود مفتوحة - Frontière ouverte) تحت إشراف (جان-ماري دميناك - Jean-marie Domenach)، وهي في الأصل مختارات مستمدة من مجلة (إسبري - Esprit)، وفي هذا الصدد تم نشر مؤلفات (محمد ديب)، لكنها رفضت نشر كتاب (الجزائر الخارجة عن القانون) ضمن هذه السلسلة، لأنها اعتبرت اللهجة التي استخدمها الزوج (جانسون) في مؤلفهما متطرفة.

4 - . Ulloa (Marie-Pierre), op cit , p 136.

الباب الثاني: شبكات الدعم

مناهضة الاستعمار، بل وُجد منهم من هاجم الكتاب ومؤلفه، وبشكل خاص أولئك الذين ينتمون إلى اليسار التروتسكي، مثلما فعل (دانيال غيران - Daniel Guérin)¹ و(إيف ديشيزال - Yves Déchezelle)²، و(جان دانيال - Jean Daniel)³. فالأول عاتبه، في مقاله «الجزائر الخارجة عن القانون - *L'Algérie hors la loi*» المنشور في مجلة «فرانس أوبسرفاتور - France Observateur» في عدد 26 جانفي 1956، على تسرعه لإصدار الكتاب ورأى أن الوقت غير مناسب لذلك، كما وجه له انتقادا شديدا لتهميشه الفاضح ل(مصالي الحاج) ومكانته في الحركة الوطنية الجزائرية، وانحيازه الواضح لجهة التحرير الوطني، والثاني وهو (ديشيزال)، فقد وجه رسالة مفتوحة إلى الزوج (جانسون) في (المجلة البروليتارية - Revue prolétarienne)، لشهر فيفري 1956 بعنوان: «رسالة مفتوحة إلى فرانسيس وكوليت جانسون - *Lettre ouverte à Francis et Colette Jeanson*» يحتج على أن (الجزائر الخارجة عن القانون) يحاول نسب فعل المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي لجهة التحرير الوطني بمفردها ويهمش دور الآخرين، خاصة حزب (الحركة الوطنية الجزائرية - M.N.A) ل(مصالي الحاج) الذي ارتبطت حياته بالحركة الوطنية الجزائرية منذ العشرينات من القرن العشرين، وأكد له في الختام بأن من حقه الانحياز إلى طرف وانتقاد طرف آخر، لكن ذكره بأن الانتقاد ليس معناه الافتراء⁴. أما الثالث وهو (جان دانيال - Jean Daniel)، فقد اعتبر في مقاله المنشور في مجلة (لكسبريس - l'Express)، بعنوان «بين الأسى ورفع الأكتاف - *Entre le chagrin et le*

¹ - (دانيال غيران - Daniel Guérin) كاتب ثوري فرنسي، مناهض للاستعمار. ولد في 19 ماي 1904، وتوفي في 14 أبريل 1988. ينتمي إلى تيار الشيوعية اللاسلطوية أو الشيوعية الأناركية (communisme libertaire). خلف عددا كبيرا من المؤلفات أهمها: (الفاشية ورأس المال الكبير - Fascisme et grand capital)، (الحركة العمالية في الولايات المتحدة - Le mouvement ouvrier au Etats-Unis)، (صراع الطبقات تحت حكم الجمهورية الأولى - La lutte des classes sous la première république)، وغيرها من المؤلفات.

, consulté le 08-09-2014, à 21h 25mn. <https://www.marxists.org/francais/bios/guerin.htm>

² - (إيف ديشيزال - Yves Déchezelles) مثقف فرنسي تروتسكي. ولد في 11 نوفمبر 1912، وتوفي في 09 جانفي 2007. محامي مناهض للاستعمار، ومناضل في حقوق الإنسان، تولى الدفاع عن الوطنيين الملغاش والمغاربيين، وكان محامي مصالي الحاج.

Jean-Jacques Ayme, Yves Déchézelles l'Anticolonialiste, l'hebdo Politis, n° 943, 15 mars 2007, France.

³ - (جان دانيال بن سعيد)، كاتب وصحفي فرنسي، من أسرة بربرية يهودية، من مواليد مدينة البليدة بالجزائر في 21 جويلية 1920، ومؤسس أسبوعية (نوفال أوبسرفاتور - Nouvel Observateur)، في 1964، كان فيما بعد من الداعين إلى التفاوض مع جبهة التحرير الوطني.

Barreau (Jean-Claude) et Bigo (guillaume), Toute l'histoire du monde, édition Fayard, Paris, France, 2005, p 381.

⁴ - Ulloa (Marie-Pierre), op cit, p 137.

haussement d'épaules، الصادرة في 13 جانفي 1956، أن انخياز (جانسون) إلى (جبهة التحرير الوطني)، ومهاجمته (لحزب الحركة الوطنية الجزائرية)، وشايات ومهاترات صبيانية مجانية¹.

الواقع هو أن الكثير من المثقفين الفرنسيين اليساريين كانوا منقسمين حيال مساندة حزب «الحركة الوطنية الجزائرية - M.N.A» ل(مصالي الحاج)، أم (جبهة التحرير الوطني - F.L.N)، لكن الزوج (جانسون) حسما أمرهما واصطفا إلى جانب «ج. ت. و»، بل هاجم (مصالي) وحزبه لأنه أراد إيهام الجزائريين بأنه صانع انتفاضة أول نوفمبر 1954 المسلحة، وعن هذا الموضوع يقول: "مصالي خصم الجبهة، مصالي هو رئيس حزب (ح. و. ج) وكان مناصروه، خلال الشهور الأولى من الانتفاضة المسلحة، أكثر عددا في أوساط الجالية العمالية الجزائرية المقيمة بفرنسا، ولقد كان هؤلاء يعتقدون جازمين، أن هذه الانتفاضة من صنع زعيمهم وأن المقاتلين الجزائريين مصاليون، ثم اضطروا شيئا فشيئا، إلى إقناع أنفسهم بأن ليس ثمة أي مبرر لهذا التفاؤل، فالعمال العائدون من الجزائر كانوا ينقلون إلى رفاقهم في فرنسا معلومات مغايرة تماما، في الوقت الراهن يمكن القول بأن نفوذ مصالي في الجزائر، قد انحصر في أماكن محدودة من القطاع الوهراني باستثناء، ربما، بعض البؤر المتواجدة في الجزائر العاصمة نفسها... ولكن معطيات الواقع في فرنسا مختلفة تماما، ذلك أن العديد من مدنا الكبرى ما تزال بيد المصاليين وأن لهم فيها نفوذا مماثلا لنفوذ جبهة التحرير في الجزائر، ولكن بناء على الواقع الذي تفرزه موازين القوى يجوز القول بأن الحركة المصالية آيلة إلى الانقراض..."² بل ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يعتقد الزوج (جانسون)، أن (مصالي الحاج) كان موجهها من الشرطة، إلى درجة أن الحاكم العام على الجزائر (جاك سوستال - Jacques Soustelle)³ صرح في أواخر نوفمبر 1955، بأن "مصالي هو ورقتي الأخيرة"⁴ وعلى أساس ذلك فإنه فقد

1 - من الضروري أن نشير هنا إلى أن (جان دانيال) غير من موقفه من كتاب (الخارجون عن القانون)، حيث أشاد بالدور الرائع لهذا الكتاب، خلال المقابلة التي خص بها الصحفيان (هارفي هانون - Hervé Hanon)، و(باتريك روتمان - Patrick Rotman)، في أكتوبر 1978، ومما جاء في أقواله: "... حين أنظر إلى هذا الكتاب من زاوية نضالية محضة، فإنني أجده في غاية الروعة..."

Hanon (Hervé), Rotman (Patrick), op cit, p 36.

2 - Jeanson (Colette et Francis), L'Algérie hors la loi, préface de Abdelaziz Bouteflika, collection Bibliothèque du Maghreb, Editions ANEP, Alger, 2006, pp 308-09.

3 - شغل (جاك إميل سوستال - Jacques Emile Soustelle) منصب الحاكم العام على الجزائر في الفترة الممتدة بين 26 جانفي 1955، إلى 01 فيفري 1956.

Duverger (Christian), <Soustelles Jacques> - (1912-1990), Encyclopédia Universalis, [en ligne], consulté le 10/09/2013 à 13h08mn.

URL : http://www.universalis.fr/encyclopédie/jacques_soustelle/

4 - Jeanson (Colette et Francis), ibid, p 309.

الباب الثاني: شبكات الدعم

ثقة الجزائريين في الجزائر، وهو في طريق فقدان ثقة الجزائريين في فرنسا أيضا¹. (مصالي الحاج) أيضا كان له رد فعل غاضب اتجاه ما كُتب عنه وعن حزيه في كتاب «الجزائر الخارجة عن القانون»، ففي رسالة بعث بها إلى مسيري حزب (الحركة الوطنية الجزائرية - M.N.A)، في أوت 1956، هاجم (مصالي) الزوج (جانسون)، حيث قال: "...والكاتب (جانسون) وزوجته (كوليت) وكتاب الرداءة المتعطشين للشهرة، قد نصبوا أنفسهم أبطالا في هذه المغامرة البرجوازية، ويريدون، بكل الوسائل، قبر «M.N.A»، للسماح لـ (بن بلة) ورفقائه من الانتشار برفقة الامبريالية على حساب الشعب الجزائري".² في المقابل، فقد استقبل الوطنيون الجزائريون الكتاب بالكثير من الغبطة والسرور، رغم أن الحصول عليه كان أمرا صعبا إن لم نقل مستحيلا لأنه لم يكن متوفرا في المكتبات الجزائرية، خاصة بعد صدور قرار حضره، وفي هذا الصدد، كتب (بيار شولي - Pierre Chaulet) في تقديم لكتاب «الجزائر الخارجة عن القانون» طبعة 2006: "...بالنسبة للجزائريين الذين ينتمون إلى جيلنا، وكانوا في العشرين أو الثلاثين من العمر في 1954، (الجزائر الخارجة عن القانون) لم يقيم سوى إعلان مسلمات وإعادة إنتاج تحاليل للوضع الذي كان وضعنا منذ سنوات عديدة".³

مهما يكن من تباين المواقف من كتاب (الجزائر الخارجة عن القانون)، إلا أن ما يميزه عن بقية الكتب التي تم تأليفها عن الوضع في الجزائر، أنه نظر إليه باعتبار أنه وليدة النظام الاستعماري، وأن الحرب الدائرة إنما هي حرب استعمارية، ولن تتوقف حتى يزول، بخلاف المؤلفات التي ظهرت بعد ذلك، والتي اكتفت بالتنديد بالممارسات غير المقبولة، للإدارة الاستعمارية أو القوات الفرنسية في الجزائر خاصة مسألة التعذيب. وعليه فإن الأفكار التي تضمها الكتاب كانت سابقة لزمانها، لأنه عندما صدر في سنة 1955، لم يكن الرأي العام الفرنسي مهيبا ولا مقتنعا بعد لقبول فكرة استقلال الجزائر.⁴

أحس (جانسون) أن الالتزام بالقول غير كاف لتحقيق التغيير المنشود، وإنما يجب أن تكون هناك علاقة تفاعلية بين القول والفعل، تلك هي القناعة التي استقرت في ذهنه في مطلع سنة 1956، لذلك تولدت لديه رغبة كبيرة في الانتقال من الالتزام غير المباشر اتجاه قضية الجزائريين للتحرر إلى التحرك الفعلي، وقرر أن لا يقف، كمتفرج على مجريات الحرب في الجزائر. وهكذا يكون (جانسون) قد أضاف للفلسفة الوجودية بعدا جديدا في مفهوم الالتزام، وهو وجوب اقتران القول، أي الكتابة، بالفعل، أي الممارسة، ويعتقد أن الكتابة فعل ضروري لكنها لا تستوفي بمفردها كل صور الفعل، لأنها في كثير من الأحيان تصبح عاجزة عن تحقيق ما تقدر أن تحققه الممارسة

¹ - Jeanson (Colette et Francis), op cit, p 309.

² - Harbi (Mohammed), Les archives de la révolution Algérienne, postface de Charles-Robert Agéron, Editions Dahleb, Alger, 2010, p 130

³ - Jeanson (Colette et Francis), op cit, pp 13-14.

⁴ - Ulloa (Marie-Pierre), op cit, p 144.

الباب الثاني: شبكات الدعم

الميدانية¹. وفي الحالة الجزائرية، فإن تأليف كتاب يناهض النظام الاستعماري في الجزائر هو نوع من الفعل، لأنه حين يكتب و يجاهر و يصرخ بالحقيقة هو شيء مهم ولكنه غير كاف ما لم يؤدي إلى تغير حقيقي في السياسة الاستعمارية. وعليه فإن إنتاجه الفكري، لم يعد المؤشر الموضوعي عن التزامه وإنما صار التزامه يتجسد فيما ينجزه من أعمال ملموسة. وعن هذا المفهوم صرح (جانسون) في مقابلة جمعت في 15 فيفري 1996، مع الكاتبة (أولوا ماري بيارى Ulloa Marie-Pierre): "لا أعتقد أنني وضعت التزامي الوجودي حيز الممارسة [...] لا أؤمن بأن الممارسة وليدة التنظير بل هي تسبق التنظير دائما"².

انطلاقا من مواقف (جانسون) الواضحة اتجاه الثورة واتجاه «ج. تح. و»، تشجع أصدقاءه الجزائريون ليطلبوا منه بعض الخدمات البسيطة، كما نجح (صالح لوانشي)³، عندما كان على رأس فدرالية جبهة التحرير بفرنسا، بإقناعه بمد يد المساعدة لنشطاء الجبهة في فرنسا، مستغلا في ذلك الصداقة التي نشأت بينهما بفضل الزيارات المتبادلة. وهكذا وجد (جانسون) نفسه منخرطا في نشاطات فدرالية الجبهة بفرنسا، حيث تحولت شقته الواقعة بحي «بوتي كلامار – Petit Clamart» إلى ملجأ للمناضلين الجزائريين، وسخر سيارته لنقلهم عبر أحياء وضواحي باريس. وفي وقت لاحق بدا له من الضروري تسخير أشخاص آخرين لتوسيع الخدمات المقدمة للجزائريين. إضافة إلى زوجته (كوليت)، جند بعض زملاءه في دار النشر «لوساي – Le Seuil»، منهم (إتيان بولو – Etienne Bolo) أستاذ الفلسفة في ثانوية «شابطال – Chaptal»⁴ وزوجته (بول بولو – Paule Bolo) و(مونيك كاهن – Monique Cahen) تم انضمت بعد ذلك المدرسة (هلين كوين – Hélène Cuénat)، ومن هؤلاء الأشخاص تكونت النواة لما سيعرف فيما بعد بـ «شبكة جانسون – Le réseau Jeanson» أو «حملة الحقائق – Les Porteurs de valises».

تأسست «شبكة جانسون» رسميا في 2 أكتوبر 1957 خلال الاجتماع الذي أقيم في مسكن (جانسون) في «بوتي كلامار – Petit Clamart» بحضور الأعضاء الأوائل وتم تحديد المهمة المنوطة بكل فرد. وفي ذات السنة تم تعيين (عمر بوداود) مسؤولا جديدا على رأس فيدرالية الجبهة بفرنسا، خلفا لسالفه (صالح لوانشي) الذي تم

¹ - يرى (جانسون) أن أساس الالتزام الفعلي هو أن الفكرة ليست هي الصورة الأسمى للسلوك، وأن العلاقة بين فكر المؤلف وإنتاجه الأدبي تقوم على أساس مسلمة هي أن الأقوال تتجسد في الأفعال، في حين، فإن أستاذه ورائد الفلسفة الوجودية (جان بول سارتر – Jean-Paul Sartre)، وفي كتابه «ما هو الأدب – Qu'est ce que la littérature ?» لا يرى أي فرق بين أقوال المثقف الملتزم وبين ممارسته النضالية الفعلية.

² - ibid, p 145.

³ - ذكرنا فيما سبق أن (كوليت جانسون) كانت قد تعرفت على (صالح لوانشي) في الجزائر عن طريق (بيار شولي – Pierre Chaulet).

⁴ - تقع ثانوية (شابطال – Chaptal) في الدائرة الثامنة لباريس، وسميت على اسم عالم الكيمياء الفرنسي (جان أنطوان شابطال – Jean-Antoine Chaptal).

الباب الثاني: شبكات الدعم

اعتقاله في 27 فيفري 1957 برفقة (محمد لجاوي). وفي هذه المرحلة أصبحت الشبكة مهيكلية ومنظمة بشكل أفضل، وفي نفس الوقت بدأت تعرف فدرالية الجبهة بفرنسا نوعا من الاستقرار استمر إلى غاية استقلال الجزائر.

حدث أول لقاء بين (عمر بوداود) و (فرانسييس جانسون) على متن سيارة طاكسي في ساحة «شاتلي-Châtelet» بحضور (أحمد بومنجل) و(الطيب بولحروف) وتحدث (بوداود) عن هذا اللقاء في مذكراته فقال: "قبل مغادرة بولحروف، في جويلية 1957، قدم لي صديقا له، دون أن يحدد هويته. بعد محادثة قصيرة، سألته إن كان هذا السيد [يقصد جانسون] يرغب في النضال [معنا]، ويريد أن تسند إليه مسؤولية ما. [فقال بومنجل]، ألم تتعرف عليه؟ إنه فرانسييس جانسون، ... هكذا إذن كنت أخاله جزائريا. كنت قد قرأت بالطبع «الجزائر الخارجة عن القانون» المحرر من طرف كوليت وفرانسييس جانسون غير أنني لم أتعرف على صورة هذا الأخير. اتفقنا على عقد لقاء جديد نتحدث فيه على انفراد ولمدة أطول"¹. تم هذا اللقاء الجديد فعلا في سيارة كانت متوقفة قبالة مسرح «سارة برنهارت - Sarah Bernhardt»². ورغم أن الاتصال الأول كان صعبا، لكن مع مرور الوقت أصبح الوفاق والاتفاق يطبع العلاقة بينهما. ف«جانسون» كان معجب بأمانة شريكه التي لا يمكن الشك فيها قط حتى في الأوقات الأكثر حرجا. وفي المقابل فإن تحفظات «بوداود» اتجاه «فرانسييس» قد سقطت، وكان يجب فيه فعاليتها وروح المبادرة³. وهكذا شرعت الفدرالية في تعاون مثمر مع شبكة جانسون تشمل أساسا توفير الإيواء والمبيت وأماكن الاجتماع والتنقل لبعض إدارات الفدرالية والمستهدفين بملاحقة الشرطة، وكذلك توزيع أدبيات الجبهة، وتجميع الأموال المستخلصة من تبرعات الجزائريين المقيمين بفرنسا ونقلها عبر الحدود إلى سويسرا وألمانيا في حساب خاص بجبهة التحرير الوطني⁴.

بسبب تعدد الخدمات المطلوبة من الشبكة وتنوعها، تم تقسيمها إلى فروع نشاط عديدة: فرع الإسكان، فرع الأسلاك المكلفة بالتمرير، من أجل الدخول إلى فرنسا والخروج منها عبر الحدود، والفرع المكلف بنقل الأموال⁵. ولأداء هذه الخدمات على أكمل وجه، رأى (جانسون) أنه من الضروري أن تتدعم الشبكة بأعضاء جدد، فبدأ بتجنيد العديد من الفرنسيين من مختلف الفئات ويختارهم بعناية فائقة، من بينهم الصحفية (مونيك دي زاكور - Monique Des Accords)، وزوجها، وتلاثة قساوسة وهم (روبار دفيزي - Robert Davezies)، (جان أورفواص - Jean Urvoas) و(بيار مامي - Pierre Mamet)، وصديقة منذ الحرب العالمية الثانية والجامعة

¹ - بوداود (عمر)، من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني، مذكرات مناضل، ترجمة أحمد بن محمد بكلي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 134.

² - كان المحامي (محمد بومنجل) الأخ الأكبر لـ (علي بومنجل) هو من أخذ (جانسون) إلى الموعد.

³ - Hamon (Hervé) et Rotman (Patrick), op cit, p 81 et 86.

⁴ - بوداود (عمر)، نفسه، ص 134-135.

⁵ - بوداود (عمر)، المرجع السابق، ص 135.

الباب الثاني: شبكات الدعم

(جاك فيني - Jacques Vignes)، والممثل (جاك شاربي - Jacques Charby) ورفقائه في المسرح والتلفزيون من أمثال زوجته (ألين بوفيري - Aline Bouveret)، والممثلة (سيسيل ماريون - Cécile Marion) و(جاك ريسبال - Jacques Rispal) و(بول كروش - Paul Crauchet) و(جاك تريبوتا - Jacques Trébouta)، وكذلك المعلم الشيوعي (جان لويس هورست - Jean-Louis Hurst) الفار من صفوف الجيش الفرنسي في سبتمبر 1958، وصديقه (جيرار ميير - Gérard Meier) و(جان كلود بوبير - Jean-Claude Paupert) المتمرد على الخدمة العسكرية. إضافة إلى هؤلاء نذكر (هنري كوربال - Henri Curriel) المصري اليهودي المصري، و(أدولفو كمنسكي - Adolfo Kaminsky) اليهودي من أصل بولوني، وعضو سابق في منظمة «الإرغون - Irgoun»¹ والمتخصص في تزوير الوثائق الرسمية، خاصة جوازات السفر، رخص السياقة وبطاقات الهوية، والطالبة في الطب (لورانس باطاي - Laurence Bataille)، والأستاذتين (ميشلين بوتو - Micheline Pouteau) و(جانين كاهن - Janine Cahen)، والفنانة (غلوريا دو هيريرا - Gloria De Herrera)، والمتخصصة في فن الخزفيات (فرانس بينار - France Binard)، والقائمة طويلة².

في الواقع أن كل عضو في شبكة (جانسون) له دوافعه الشخصية التي جعلته ينخرط في الشبكة، لكن يمكن حصر تلك الدوافع في المسائل التالية: أولاً: أن السياسة الاستعمارية في الجزائر، والقائمة على القمع والعنصرية، والتي تتمسك بها الحكومات الفرنسية المتعاقبة، كانت بالنسبة لهؤلاء خيانة لمبادئ الحرية والعدالة والأخوة التي يؤمن بها الفرنسيون وثار من أجلها في 1789 وتشريتها الأجيال اللاحقة التي تناضل لاستعادة حريتها. وقد عبرت (بول بولو - Paule Bolo) عن هذا المعنى حين قالت في شهادتها لـ (جاك شاربي - Jacques Charby): "بالنسبة لي كانت معركة فرنسا ضد الجزائريين خيانة للمثل العليا لبلدي. كان أمر لا يمكن تحمله. وتقديم المساعدة للجزائريين كان أمراً طبيعياً وضرورياً"³. ومن جهتها ذكرت (هلين كوين - Hélène Cuénat): "كلما يتم اتهامي بالخيانة أشعر أنني أحترم أكثر من الذي اتهمني القيم الفرنسية المعروفة: الحرية المساواة والأخوة"⁴. ثانياً: رأى الكثير من أعضاء «شبكة جانسون»، خاصة أولئك الذي شاركوا في الحرب العالمية الثانية أو عاشوها، أن ما يمارسه الجيش الفرنسي في الجزائر من اعتقالات وجمع وتعذيب لا يختلف في شيء عن المعاملات والمعانات التي عاشوها على أيدي النازيين الألمان. لذلك فإنه ليس من المعقول ولا المقبول أن يتحول الجيش الفرنسي إلى جيش نازي. وفي هذه الحالة فإن التمرد عليه وفضح ممارساته يصبح واجباً، والسكوت

¹ - «الإرغون - Irgoun» تنظيم عسكري يهودي سري تأسس بفلسطين في 1931 من طرف (أبراهام تيهومي - Abraham Tihomi) وكان يمارس نشاطات معادية للعرب والإنجليز إلى غاية الإعلان عن دولة إسرائيل في 1948. Abraham TSITRONE, «IRGOUN», *Encyclopædia Universalis* [en ligne], consulté le 20 novembre 2014. URL : <http://www.universalis.fr/encyclopedie/irgoun/>

² - Ulloa (Marie-Pierre), op cit, 151-152.

³ - Charby (Jacques), op cit, p 44-45.

⁴ - Ibid, p 225.

الباب الثاني: شبكات الدعم

يصبح توطأ ومشاركة في الجريمة. ثالثاً: خيبة أمل العديد من الأعضاء من مواقف الحزب الشيوعي، الذي ينتمون إليه، اتجاه الحرب في الجزائر، والتي لم تكن في المستوى، إذ ظل الحزب متمسكاً بموقفه المتحفظ بخصوص مساندة كفاح الشعب الجزائري، وساند في البرلمان قرار حكومة (غي مولي - Guy Mollet) اليسارية لمواصلة الحرب في الجزائر بدل الدخول في مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، وكذا منح سلطات خاصة للجيش الفرنسي في التعامل مع الوضع في الجوائر. وهذا الموقف بني على حسابات حزبية ضيقة تتمثل في تخوف الحزب من انقطاعه عن الجماهير الفرنسية¹.

لم يكن (غي مولي) يجد صعوبة في دعم الشبكة بأعضاء جدد كلما كان ذلك ضرورياً. لكنه شعر بأنه في حاجة إلى عضو ذي هبة يمكنه أن ينشر شيئاً من هيئته على الشبكة. والشخص الذي فكر فيه هو (جان بول سارتر - Jean-Paul Sarte) الذي كان قد صرح علناً بأنه ضد الحرب الاستعمارية المتبعة في الجزائر، وكان ذلك مبرراً جعل (جانسون) يطمع في التفاتة ذات دلالة منه. المشكل هو أن العلاقة بينهما، آنذاك، لم تكن على ما يرام²، ومع ذلك قرر محاولة إحياء تلك العلاقة لدعم التزامه اتجاه الجزائريين. وعن ذلك يقول " ذات صباح، كنت في حرقلة لملاقاة هذا الرجل من جديد [يقصد سارتر]، والوقوف وجهاً لوجه أمامه مجدداً، وهذه الحرقلة همست لي هذا المبرر: ليس لي "الحق" في الحيلولة بين القضية التي ندعمها [يقصد الثورة التحريرية] والشخص الذي هو الأكثر أهلية لمساندتها،...، كنا بحاجة إلى سارتر: كان علي التحدث إليه، ولا شيء عليه إذا ردني خائباً"³. من أجل ذلك لجأ إلى إحدى نساء الشبكة، وهي (مارسولين لوريدان - Marceline Loridan) وطلب منها أن تقول لـ (سارتر) أن أحدهم يريد التحدث إليه في أسرع وقت في شقة قريبة من مسرح «هبرتو - Hébertot» وانتظر ومشاعر الشك تسيطر عليه حتى رن جرس الباب وكان يتوقع أن تعود مبعوثته خائبة من مهمتها، لكن المفاجأة أن (سارتر) نفسه من دخل الغرفة، وأخبره بأنه كان يتمنى أن يكون هو ذلك الشخص الذي طلب رؤيته، ثم سأل عن أحواله ومن دون أن يترك له الوقت للإجابة أردف قائلاً: "أتعرف، أنا موافق مئة بالمائة مع العمل الذي تقوم به. استخدمني كما تريد: لدي أيضاً أصدقاء لا يطلبون إلا أن يكونوا في خدمتك و تحت تصرفك، قل لي ماذا تحتاج؟"⁴. والغريب أن (سارتر) كان مستعداً للمساهمة في أي عمل لكن كان يرى أنه من غير اللائق للفيلسوف أن يحمل هو بنفسه الحقائق، لأن كونه شخصية معروفة ومشهورة يمنعه من أن ينخرط في العمل السري. في المقابل، حث أصدقائه على الانغماس في

¹ - Charby (Jacques), op cit, p 224.

² - يذكر أن العلاقة بين (سارتر) و(جانسون) كانت قد ساءت منذ 1956 بسبب رفض هذا الأخير التوقيع على عريضة أخرجها (سارتر) من جيبه تندد بالتدخل السوفييتي في المجر. وهذا الرفض ليس بسبب العريضة نفسها ولكن ضد بعض الموقعين عليها. وافترق الاثنان ببرودة على سوء التفاهم هذا والذي تطور إلى قطيعة غير عفيفة.

³ - Hamon (Hervé) et Patrick (Rotman), op cit, p 152.

⁴ - Hamon (Hervé) et Patrick (Rotman), op cit, 151.

الباب الثاني: شبكات الدعم

العملية. (فـ)سيمون دي بوفوار (Simone De Beauvoir) وضعت شقتها وسيارتها تحت التصرف، وتم تجنيد إدارة تحرير مجلة (Les Temps Modernes): (برنار بنغو - Bernard Pingaud)، (مرسيل بيجو - Marcel Péju)، (كلود لنزمان - Claude Lanzmann) يقومون بإيواء الجزائريين، و(ميشال لييريس - Michel Leiris) يصب الأموال. إضافة إلى (أرليت الكييم - Arlette El Kaïm) ابنة (سارتر) بالتبني، التي وجد في شقتها ملجأ للراحة النفسية، ووجد (جانسون) مخبأ آمنا له. و المؤكد هو أن وجود شخصية من الوزن الثقيل كـ «سارتر» قد أعطى دفعا قويا للشبكة وزاد من دائرة المؤيدين والمساندين لها.

إذا عدنا للحديث عن فروع نشاط الشبكة في مجال الخدمات المقدمة لفدرالية الجبهة بفرنسا، فإن الفرع المكلف بنقل الأموال تولت الإشراف عليه (هلين كوين - Hélène Cuénat) بمساعدة عشرين مناضلا كانوا يحولون الأموال، التي يتم تجميعها من مساهمات الجزائريين المقيمين بفرنسا كعمال أو تجار أو أصحاب المهن المختلفة¹، في حقائب أو أكياس نحو باريس، أين تم تخصيص عشر مستودعات لتخزينها، وثلاث مستودعات أخرى لمسك دفاتر الحسابات. أما أسلوب التعامل مع هذه الأموال ترويه (كوين): "... كان دوري مع بعض الأخريات،... هو أولا تسلم المال من مسؤول جزائري في أكياس أو حقائب،... ثم يتم وضعه في مكان آمن، وبعده يتم عده ووضعه في رزم، مثلما يفعل العامل في البنك. وفي نفس الوقت نتأكد من عدم وجود شيء غير عادي، كوجود رسائل مكتوبة على الأوراق النقدية. لقد حدث لي مرة أن تلقيت ورقة نقدية مكتوب عليها بالقلم الجاف «تحيا جبهة التحرير الوطني - Vive le FLN» هذه الرسالة عبرت فرنسا كلها، لكن لا يجب تسليمها لبنكي. وكان لا بد، بعد ذلك، من عدم ما تم تسلمه، وكنت أعرف ماذا يعني ذلك: عندما يكون رقمي مختلف عن رقم المسؤول الجزائري الذي سلمني المال، فإن الأشخاص الذين جمعوا المال وارتكبوا، بطريقة أو بأخرى، الخطأ في الحساب، هم الذين عليهم دفع الفارق. كنا إذن شديدا الحرس والقلق فيما يتعلق بالحسابات. بالنسبة لي، فإن القلق كان حاضرا بشكل دائم.²

أما فيما يتعلق بمسألة نقل الأموال إلى خارج فرنسا فقد تم تكليف (هنري كوريال - Henri Curiel) لأداء هذه المهمة، لما له من علاقات مميزة مع عالم البنوك والمصارف. فكانت عملية التحويل تتم على مرحلتين: في البداية يتم وضع المال في حقائب فاخرة تحمل علامة (كريستيان ديور - Christian Dior) أو (كوكو شنال - Coco Chanel)، ثم تُسلم إلى (روزيت - Rosette) زوجة (كوريال) أو إلى مساعدته (ديدار فوزي - Didar

¹ - كان العمال البسطاء يدفعون 2000 فرنك فرنسي في كان التجار يدفعون مبلغا يتناسب طرذا مع قيمة دخلهم. يتم جمع الأموال على مستوى الأحياء، ثم المدينة، ثم على المستوى الجهوي، وكان الجزائريون هم الذين يتولون تنفيذ كل هذه المراحل، ثم يأتي دور الشبكة لتستقبل الأموال القادمة من مختلف المدن الفرنسية باتجاه باريس.

Hamon (Hervé) et Rotman (Patrick), op cit, p 85.

² - Charby (Jacques), op cit, pp 225-226.

الباب الثاني: شبكات الدعم

(Fawzi)، حيث يتم إيداعها في المكتب الباريسي التابع لأحد البنوك السويسرية بمساعدة القس الدومنيكي (كايلين - Kaelin)، وهو صديق الزوج (كوربال) والذي بدوره يقوم وفق إجراءات بنكية بنقل المال إلى الحساب الشخصي لـ (روزيت) في سويسرا. في تلك الأثناء تكون (روزيت) قد انتقلت إلى «جنيف» لسحب المال من البنك وتسليمه لمناضلي جبهة التحرير الوطني. استمر العمل بهذه الطريقة إلى غاية استقلال الجزائر بالرغم من اعتقال أعضاء (شبكة جانسون) و(هنري كوربال) نفسه¹. أما حجم المبالغ التي يتم تجميعها فقد وصلت حسب (هلين كوين - Hélène Cuénat) إلى 500 مليون فرنك فرنسي قديم شهريا، أي ما يملأ حوالي ستة أو ثمانية حقائب، وكانت هي عصب الحرب، والمورد المالي الرئيسي لجبهة التحرير الوطني خلال سنوات حرب. وتضيف بأنه "حتى إذا وُجد من يقول بأن الأمريكيين والسوفييت هم من ممول الحرب، فأني في موضع أستطيع أن أثبت العكس! بل هي أيضا ساعات الدوام للمناضلين والمساعدات لعائلات المعتقلين، إلخ..."². ومن جهته فإن (مارتان إيفانس - Martin Evans)، في كتابه «ذاكرة المقاومة. المعارضة الفرنسية لحرب الجزائر (1954-1962) - The Memory of resistance. French opposition to the Algerian war» (1954-1962) «يزعم أن الأموال المنقولة من طرف الفرنسيين كانت أهم مصدر لتغطية المجهود الحربي لجبهة التحرير الوطني وأنها تجاوزت مجموع المساعدات المالية التي قدمتها البلدان العربية مجتمعة»³. وهذا ما ذهب إليه أيضا (علي هارون) في كتابه «الولاية السابعة» حيث ذكر أن (أحمد فرانسيس) وزير المالية في الحكومة الجزائرية المؤقتة، أرسل تقريراً إلى «المجلس الوطني للثورة الجزائرية» أشار فيه أن مساهمة المهاجرين الجزائريين بفرنسا كانت تمثل 80 % من المصادر المالية للحكومة المؤقتة⁴.

هناك مسألة حساسة تثار حول وجهة الأموال وأين كانت تصرف؟ والحقيقة أن طرح هذا التساؤل كان يُراد منه توجيه تهمتان لـ(جانسون) وشبكته، الأولى: التواطؤ مع جبهة التحرير الوطني، لأنه من المؤكد أن جزء من تلك الأموال كان يوجه حتما لشراء الأسلحة التي قد تستعمل لقتل الفرنسيين. وهو ما أثاره (جانسون) نفسه حين قال: "هذا المال كان أحيانا يصرف لشراء الأسلحة التي قد تستعمل ضد عدد من الفرنسيين وكان ذلك، بدون شك، خطأً جسيماً في نظر الرأي العام الفرنسي"⁵ والتهمة الثانية هي إمكانية تورط أعضاء الشبكة في نقل الأسلحة والمشاركة في أعمال العنف. وهذا ما سُئل عنه (جانسون) من مراسل صحفي أجنبي في إحدى

1 - Ulloa (Marie-Pierre), op cit, p 150.

2 - Charby (Jacques), op cit, p 226.

3 - Ulloa (Marie-Pierre), op cit, p 149.

4 - Haroun (Ali), op cit, p 305. اعترف هارون بأن البلدان العربية لم تهمل الجزائر، حيث صوتت الجامعة العربية خلال اجتماعها في مدينة «شطورة» اللبنانية على ميزانية قدرها 12 مليار [لم يحدد نوع العملة] لتمويل الحرب في الجزائر. ووزعت الحصص بـ 22.5 % لكل من مصر، سوريا والمملكة العربية السعودية والعراق، و150 مليون لكل بلد مغربي، تونس- المغرب- ليبيا. ولكن دفع هذه المستحقات لم يتم حسب الجدول المذكور والحصص المقررة.

5 - Haroun (Ali), op cit, p 55.

الباب الثاني: شبكات الدعم

ندواته الصحفية، فأجابه بالنفي وشرح له: "أن هذا الامتناع لم يكن لدواعي مبدئية وإنما، بكل بساطة، لأن الجزائريين فضلوا أن لا يسبوا لنا أزمة ضمير وكانوا يتفهمون ذلك تماما"¹. ويفهم من هذا الكلام أن الشبكة لم تكن تعارض نقل السلاح للجهة من حيث المبدأ، والتحقيق التاريخي الذي قام به (Hervé Hamon) و(Patrick Rotman) في كتاب (حملة الحقائق - Les Porteurs de valises)، لم يشر على الإطلاق إلى أن مناضلي الشبكة كانوا ينقلون السلاح. لكن في 1997، كشف المؤرخ (مارتن إفانس - Martin Evans) في دراسته السابقة الذكر، "أن «شبكة جانسون» حملت السلاح لحساب جهة التحرير الوطني. وأن المكلف بذلك كان (جاك فيني - Jacques Vignes) و(سسيل ماريون - Cécile Marion)، وكانت هذه الأخيرة بالتحديد مكلفة بتمرير السلاح على الحدود الفرنسية الألمانية في 1959، وأدت مهمتها بنجاح لمدة تزيد عن العام."².

ابتداء من 1959 شعر الجميع، وأولهم «جانسون»، أن الشبكة الموصوفة بالسرية لم تعد كذلك، ففي شهر ماي 1959 قام رجال أمن الدولة بزيارة إلى (كوليت جانسون) في بيتها، وكانت قد خرجت للتو من المستشفى الذي قضت فيه ثلاثة أشهر بعد اصطدام رهيب بسيارتها، وطلبوا منها أخبارا عن زوجها. فمئذ عام 1958، بات أكيدا لدى رجال أمن الدولة أن (جانسون) على علاقة بجهة التحرير الوطني في فرنسا، وأصدرت الشرطة الفرنسية مذكرة بحث عنه. فتظاهرت (كوليت - Colette) بأنها زوجة هجرها زوجها، وتجهل كل شيء عنه³. ومن جهة أخرى لاحظ بعض أعضاء الشبكة، ومنهم (هلين كوينات - Hélène Cuénat)، (سسيل ماريون - Cécile Marion)، (جاك شاربي - Jacques Charby)، (حداد حمادة) منسق فيدرالية الجبهة بفرنسا و(عليان حميمي) مسؤول ولاية باريس الوسطى وكثير من المناضلين والإطارات، أنهم مراقبون، بل تم التحقيق مع البعض واقتياد البعض الآخر⁴. ومع تراكم الوقائع، خيم جو يوحي بأن الاعتقالات أصبحت وشيكة ولا يمكن تفاديها. وأمام هذه المستجدات، وتحت ضغط أصدقائه، وعلى أعتاب سنة 1960، دعا (جانسون) إلى جمعية عامة في القاعة الخلفية لمطعم (Enghien-les-Bain) بحضور الجميع تقريبا. وجدول الأعمال هو التصرفات التي يمكن اعتمادها في حالة الاعتقال. وهنا شعر البعض بالخوف والخرج وأبدوا رغبتهم في الفرار⁵، ووسط هذا المخرج والمرج أخذ (جانسون) الكلمة وأعطى توجيهات محددة. بالنسبة للبعض الذين يلاحظون أن الشرطة لا تملك

¹ - Jeanson (Francis), *Lettre à Jean-Paul Sartre*, in *Les Temps Modernes*, n° 169, mai 1960, p 1544.

² - Ulloa (Marie-pierre), op cit, pp 148-149.

³ - Hamon (Hervé) et Patrick (Rotman), op cit, p 173

⁴ - Ibid, pp 173-192.

⁵ - حدث ذلك مع (مونيك ديزاكور - Monique Des Accords)، وهي من الأوائل التي انضمت إلى الشبكة، والتي قررت التوقف حالا عن كل نشاط غير قانوني خشية أن تجد نفسها في السجن ولديها طفل يحتاج إلى رعاية.

الباب الثاني: شبكات الدعم

دلائل كافية ضدهم، فنصحهم بإنكار كل شيء، والاجتهاد للخروج من الورطة. أما الآخرون، فعليهم تحمل المسؤولية السياسية للأعمال التي تتهمهم بها العدالة. وقد احترم الجميع هذه التعليمات، ما عدا بعض الاستثناءات¹.

بدأت جلسات محاكمة (شبكة جانسون) في 5 سبتمبر 1960 واستمرت إلى 1 أكتوبر 1960. وتبع مجرياتها بالدقائق صديق (سارتر) وعضو تحرير مجلة (Les Temps Modernes) السيد (مرسيل بيجو - Marcel Péju)، ثم نشرها في أبريل 1961 لدى منشورات (فرانسوا ماسبيرو - François Maspero) تحت عنوان «محاكمة شبكة جونسون - Le procès du réseau Jeanson»، وفي الحال تم مصادرته من الشرطة. هذا الكتاب ينقل، بطريقة حية الأسابيع الأربعة، للمعركة السياسية، والقضائية والأخلاقية للمحاكمة، ويرصد معركة الإجراءات التي ميزت بداية المحاكمة، والشهادات الكثيرة التي تعاقبت على المنصة، واستجابات المتهمين ومرافعات المحامين. مثل أمام المحكمة 24 متهما، 06 جزائريين و18 فرنسيا². أما زعيم الشبكة (فرنسيس جانسون) فكان في حالة فرار مع ثلاثة من رفقائه وهم: (سيسيل ماريون - Cécile Marion) المدعوة (روغانيون - Regagnon)، و(دومنيك صابار - Dominique Sabert) المدعو (داربو - Darbois)، و(جاك فيني - Jacques vigne) المدعو (فليب فينيو - Philippe Vigneau)³.

إن حالة الفرار التي لجأ إليها (جانسون) مع بعض رفقائه كانت لدوافع متعددة، أولها أنه رفض أن يكون فريسة سهلة لل«شرطة حماية أمن الاقليم - D.S.T»، حيث أراد أن يتبت بأنه ما يزال قادر على التحرك

¹ Ibid, p 175

² - المتهمون الجزائريون هم: «حداد حمادة»، 32 سنة، (عليان حميمي)، 33 سنة، (حنون سعيد)، 40 سنة، (دقسي علاوة)، 22 سنة، (ولد يونس)، 32 سنة، (براهيمي لونيس)، 59 سنة. أما المتهمون الفرنسيون، فهم: (فرانس بنار - France Binard)، 43 سنة، والملقب (فرا هرولد - Véra Hérold)، كاتب سناريو و(هلين كوين - Hélène Cuénat)، 29 سنة، (جيرار ميبه - Gérard Meier)، 25 سنة، اختصاصي بمسح الأراضي، (جاكلين كارييه - Jacqueline Carré)، 33 سنة، عاملة في مصنع الأجهزة للإلكترونية، (جانين كاهن - Janine Cahen)، 29 سنة، أستاذة في ثانوية «مولوز - Mulhouse»، (جان كلود بوبارت - Jean-Claude Paupert)، 28 سنة، فنان (جاك شاربي - Jacques Charby)، 32 سنة، فنان (ألين شاربي - Aline Charby)، 30 سنة، فنانة (بول كوشي - Paul Crochet)، 40 سنة، فنان، (أندري طورنت - André Thorent)، 38 سنة، فنان، (جورج بيرجي - George Berger)، 27 سنة، فنان، (ميشلين بوتو - Micheline Pouteau)، 31 سنة، أستاذة إنجليزية في ثانوية «نويلي - Neuilly»، (جاك ريسبال - Jacques Rispal)، 37 سنة، فنان، (إقون ريسبال - Yvonne Bouta)، 47 سنة، أستاذة في ثانوية «بوتو - Puteaux»، (جاك تريبوتا - Jacques Trébouta)، 30 سنة، فنان، و زوجته (ليز تريبوتا - Lise Trébouta)، 27 سنة، طالبة في الطب، (أوديت أوتلييه - Audette Hutellier)، 50 سنة، ممرضة، (دونيز برات - Denis Barrat)، 37 سنة.

Péju (Marcel), Le procès du réseau Jeanson, Alger, Casbah Éditions, 2004, pp 17-18.

³ - Ulloa (Marie-pierre), op cit, p 162.

الباب الثاني: شبكات الدعم

والتأثير¹. وكتحد صارخ لهذه الشرطة فإنه نشط في شهر فيفري 1960 ندوة صحفية سرية في قلب باريس أمام حوالي 15 صحفيا أجنبيا وصحفيين فرنسيين هما: (جورج آرنو - Georges Arnaud) و(بول ماري دو لاغورس - Paul-Marie de La Gorce) شرح خلالها الدوافع التي جعلته يؤلف كتاب «الجزائر الخارجة عن القانون - l'Algérie Hors la loi» ولماذا ناصر جبهة التحرير الوطني؟ والدافع الثاني فهو طمأننة أتباعه وأنصاره بأنه لن يتخلى عنهم وأن اعتقالهم لن يغير شيئا من عدالة وصواب المسألة التي تناضل الشبكة من أجلها. وفي هذا الاتجاه حرص (جانسون) أن يعين محاميا، حيث استعان بخدمات المحامي (رولان دوماس - Roland Dumas) الذي أبدى قبوله ليكون محامي الشبكة، أما العناصر الجزائرية فقد تولى الدفاع عنهم كل من (جاك فرجيس - Jacques Vergès)، (ميشال زفريان - Michel Zavrian)، (موريس كورييجي - Maurice Courrégé)². والدافع الثالث هو الرغبة في التوجه إلى الرأي العام الفرنسي ومخاطبته مباشرة ووضعه أمام مسؤولياته التاريخية إزاء ما يقترفه حكام وجيش بلادهم في حق الجزائريين، وبعيدا عن التضليل الإعلامي، الذي كان يلهث وراء السبق الصحفي ولا يكتثر بحقائق الأحداث التي قد تجر البلاد إلى ما لا يحمد عقباه.

قد أشاد (عمر بوداود) بمجهودات (جانسون) في معركة الرأي العام، حيث قال: "إن نقل الطرود أمر مهم حقا، غير أن إقناع الرأي العام بما تتعرض له المستعمرة من مظالم، وبعدم جدوى الحرب الدائرة في الجزائر، هو أمر أساسي أكثر. لقد كانت الجهود التي بذلها (جانسون) في إطلاع الرأي العام على واقع هذه الحرب، تستحق أكثر من مجرد التقدير."³ وفي هذا الاتجاه أصدر (جانسون) نشرية «حقيقة من أجل - Vérité pour» والتي تزامن صدورها مع محاكمة الشبكة وأراد من خلالها أن يشرح للفرنسيين الجوانب التي يجهلونها منها. وفي 22 جوان 1960، نشر كتيب، وعلى عجل، عنوانه «حربنا - Notre Guerre»⁴ عن دار النشر «مينوي - Minuit» أراد أن يكون بمثابة الحملة المضادة للإدانة الواسعة التي قوبلت بها شبكته من طرف الرأي العام. ومن بين ما خاطب به الرأي العام في الكتيب قوله: "إننا نؤمن، بشكل قطعي، بعدالة نضالنا، وإننا نصبو إلى إقناع أكبر عدد ممكن من مواطنينا بصدق ما نقول. لكن لا نعتبر أنفسنا من طينة أخرى غير طينتهم. ولئن اتسمت ردودنا عليهم بالقسوة أحيانا، فذلك لا ينفي أنها، رغم كل شيء، صادرة عما نكنه إزاءهم من مشاعر أخوية. لأنه إما أن نتعاون جميعا للتحكم في الموقف وإما أن يجرفنا جميعا."

¹ - Ibid : كان (جانسون) حينذاك مختبئا في منزل (كريستيان فليب - Christiane Philip) الواقع في 1 شارع البلوط بحي «بولوني بيلانكور - Boulogne Billancourt».

² - Ibid , pp 189-190.

³ - Boudaoud (Omar), op cit, p 138.

⁴ - تمت مصادرة الكتاب في 29 جوان 1960، بتهمة «التحريض على العصيان»، وقبل ذلك كان قد صدر أمرا في 07 أفريل 1960 بإلقاء القبض على (فرانسيس جانسون) بتهمة «المساس بأمن الدولة».

Ulloa (Marie-pierre), op cit, p 175.

¹. ويضيف في مكان آخر: "... قد يكون من الضروري أن أوضح ما هو بديهي بالنسبة إلينا: إن النضال الذي بدأنا نخوضه منذ ثلاث سنوات، لا يهدف لشيء، إلا أن يصبح نضالاً لجموع شعبنا، ولحظة نجاحنا ستكون حين يتم التوقف عن الحديث عنا، لأننا نكون قد ذبنا وسط جماهير المناضلين".² ويضيف أيضاً: " شئتم أم أبيتم فليس لكم خيار آخر. إما أن تقرروا بأن هذا الشعب يقاوم الاضطهاد والجور، ذلك الاضطهاد الذي بلغ حد الإبادة الجماعية، وإما أن تلتحقوا بالجنرال (ديغول - DE Gaulle) الذي يجرأ أن يقول للجلادين: «لقد فهمتكم»»³ [...] عليكم وحدكم أن توضحوا ما إذا كنتم متواطئين مع الإبادة الجماعية وهي الجريمة التي حددت فرنسا طبيعتها بمجرد التوقيع على الاتفاقية الدولية التي تحرمها: تلك الجريمة التي يواصل حكامكم اقترافها في وضوح النهار باسمكم وبفضل موافقتكم".⁴ والدافع الرابع هو إخراج التيار اليساري الفرنسي بمختلف توجهاته وفي مقدمته الحزب الشيوعي وجعله يأخذ موقفاً واضحاً مما يحدث من تجاوزات في الجزائر ويتخلى عن موقف المنتظر المترقب، بل المتواطئ منذ انطلاقة الثورة الجزائرية. وعن ذلك يقول: "... إن قادة اليسار لم يكونوا سوى زمرة من المنظرين المتعصبين والحريصين على اختلاق الأعذار للتهرب من اتخاذ موقف صريح تجاه المعضلة الجزائرية والتستر وراء النظريات التي يتشدقون بها ولا يؤمنون بضرورة تحويلها، ذات يوم، إلى حيز التطبيق العملي. ذلك أن اليسار بشقيه الاشتراكي والمسيحي، لم تكن تعوزه المبادئ أبداً، فلقد كانت المبادئ الماركسية المتشددة ومبادئ الحب المطلق ماثلة في خطابه دوماً، غير أن تلك المبادئ، لسوء الحظ، لا تعدو عن كونها مجرد أفكار لا أكثر ولا أقل [...] والحال أن الأمر يستدعي نقل تلك الأطروحات الأساسية التي يعتز بها اليسار الفرنسي، الشيوعي وغير الشيوعي، من حيز القول إلى حيز الفعل".⁵

بالنسبة لفدرالية الجبهة، فإنها عملت على التكيف مع الوضع الذي أفرزه تفكيك «شبكة جانسون» وأيقنت أن هامش الحركة بالنسبة لـ(فرانسيس) أصبح جد محدود ولا بد من إيجاد بديلاً عنه لإتمام عملية نقل الأموال من فرنسا إلى سويسرا ثم إلى مختلف حسابات الجبهة في البنوك. لذلك قرر مسؤولوا الفدرالية أن يتولى (هنري كوريال - Henri Curiel) مواصلة الدور الذي كان يقوم به (جانسون)، الذي أعطى موافقته على ذلك. لكن هل كانت الشبكة التي أصبح يقودها (كوريال) هي ذاتها الشبكة التي كان يشرف عليها (جانسون)، أم هي شبكة موازية ومستقلة عنها؟ تحدث الأستاذ (علي هارون) في مذكراته عن هذه المسألة حيث ذكر أنه: "...خوفاً من «وضع البيض في سلة واحدة» وتحسباً للمخاطر، بدأت اللجنة الفدرالية ابتداءً من شهر أبريل 1960

¹ - Jeanson (Francis), Notre guerre, op cit, p 16.

² - Ibid, p 26.

³ - Ibid, p 51.

⁴ - Ibid, p 55.

⁵ - Ibid, pp 33-34.

في تشكيل شبكة جديدة مستقلة عن الأولى. سلمت مهام الشبكة المذكورة [أي شبكة جانسون] إلى أصدقاء المناضل (هنري كوريال) وكانت تسير وتعمل بطريقة موازية مع (شبكة جانسون) بحيث إذا واجهت الشبكة مخاطر بفعل التوقيف والتفكيك الذي تتعرض له منذ شهور عديدة، تواصل المجموعة الثانية العمل لتلبية وتغطية حاجة وتمويل الحرب دون صعوبة.¹ بينما ذكرت (ماري بيار اولووا - Marie-Pierre Ulloa) أنه بالنسبة لـ (جانسون)، فإن «شبكة كوريال» كان من المفروض أن تكون إجراء مؤقتا، من أجل ذلك أعطى موافقته عليها في بداية الأمر. لكن فيما بعد شعر (جانسون) بأن (كوريال) قد غدر به باستحواده على الشبكة وأن الجزائريين خذلوه حين ساندوه في ذلك.² وعبر عن تلك المشاعر في رسالة بعث بها إلى (جيرار ميير - Gérard Meier) والملقب بـ «جو - Jo» في 6 جانفي 1962، ومما جاء فيها: "...وانكشفت أمامي فداحة المناورات التي كنت ألمحها منذ الأشهر الماضية. لقد فهمت. [...] وأدركت كيف يتظاهر البعض بمساندة الكفاح الجزائري بينما هم يضمرون مشاعر الازدراء إزاء الشعب الجزائري وينكرون عليه أن يكون أهلا للقيام بثورة [...] ثمة أناس يبدوا عليهم على أنهم شيوعيون حتى النخاع ولكنهم يرفضون التسليم بإمكانية قيام الثورة في أي بلد متخلف إذا لم يلعب فيه الحزب الشيوعي الفرنسي، المتمركز في الوطن الأم، دورا راجحا [...] قادتي الظروف للوقوف على جزئيات وتفاصيل بعض المواقف الغادرة التي يعود منشأها إلى قبل فيفري 1960... لن تتصور فداحة الهجمات التي تعرضت لها شخصا ولن تتخيل مستوى سفالتها..."³ لكن ما ذهبت إليه (أولووا - Ulloa) يتنافى مع ما ذكره (عمر بوداود) في مذكراته: "...ظلت علاقاتنا [أي مع جانسون] سليمة لم يشبها إي كدر إلى غاية الاستقلال. وكنا نلتقي في مناسبات عديدة."⁴ من جهة أخرى فإن فدرالية جبهة التحرير كانت تعي الأخطار التي كانت تهدق بـ (جانسون) وأنه أصبح المطلوب رقم واحد لدى «دي.أس.تي - D.S.T» واستمراره في النشاط ضمن الشبكة إنما هو انتحار. وبخصوص ذلك أكد (عمر بوداود): "صحيح أن (جانسون) قد بدا لنا مستاء بعض الشيء عندما لاحظ مدى اتساع المكاسب التي حققها (كوريال) في الوقت الذي كان فيه مجبرا على الاستراحة لبعض الوقت: فبعد الندوة الصحفية السرية، كان عليه مغادرة فرنسا وقطع كل صلة بذويه. لقد اقترحت الفدرالية عليه ذلك، فوافق عليه.⁵ في المقابل كانت فدرالية الجبهة ترى أنه لا يزال قادرا على العطاء والتأثير خاصة في الفعل الثقافي. فنشرية «الحقيقة من أجل - Vérité Pour» ومقالاته على أعمدة الصحافة كان لها وقع كبير في تنوير الرأي العام. أما كتابه «حربنا - Notre guerre» فقد استقبل من طرف الجزائريين بنفس

¹ - Haroun (Ali), op cit, p 332.

² - اعترف (عمر بوداود) في مذكراته بوجود نوع من المنافسة بين شبكة (جانسون) و(كوريال).

Boudaoud (Omar), op cit, p 143.

³ - Ulloa (Marie-pierre), op cit, p 185.

⁴ - Boudaoud (Omar), op cit, p 137.

⁵ - Boudaoud (Omar), op cit, p 143.

الباب الثاني: شبكات الدعم

الحفاوة والغبطة التي استقبل به كتاب «الجزائر الخارجة عن القانون - L'Algérie hors la loi». وفي سنة 1961 فتحت الفدرالية طريقا ثالثا في شبكة تحويل الأموال تحت إشراف (عبد الرحمن فارس)¹ طبقا لنفس مبدأ الشبكات السابقة لنقل الأموال من باريس عبر سويسرا باتجاه بنوك القاهرة، تونس، المغرب، دمشق وبيروت². حولت شبكة (فارس) بين جانفي وجوان 1961 مبلغ 2.805.869000 فرنك فرنسي³. وقد خصص (عبد الرحمن فارس) جزء من الفصل الرابع من مذكراته للحديث عن الاتصالات مع فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا والمهمة التي كلف بإنجازها⁴.

إن الحديث عن (جانسون) وشبكته طويل ومتشعب، لكن إذا أردنا أن نحدد الهدف الأسمى الذي حققه خارج الدعم اللوجستي للثورة هو أنه، كما قال (عمر بوداود) في مذكراته: "لقد عملت علاقتي بـ(فرنسيس)، وبصفة أعم بكافة أعضاء الشبكة، على إحالي إلى الصورة التي كنت أتخذها عن فرنسا في صغري والتي تعود إلى 1789، وما كنا نقرأ عن ذلك في الكتب المدرسية. كنا نواجه في الجزائر استعمارا رجعيا شرسا، غير أنه وُجد فرنسيون كانوا يحاربونه إلى جانبنا، مجازفين بذلك بفقدان حريتهم. كان ذلك بالنسبة إلي أمرا هاما، إذ لم يسبق لي أن التقيت في الجزائر مع فرنسيين من تلك النوعية."⁵.

1 - (عبد الرحمن فارس) من مواليد 30 جانفي 1913 في مدينة «أقبو» بولاية «بجاية». أصبح يتيما في سن السادسة. بعد الدراسة الابتدائية والتكميلية في «بجاية» تحصل على منحة لمواصلة الدراسة الثانوية. في 1931 التحق بمعهد الحقوق بجامعة الجزائر ليصبح أول موثق مسلم في الجزائر، ومارس هذه المهنة على التوالي في «البرواقية»، «القل»، و«القليعة»، ثم أصبح في «سطيف»، وبعدها في «سبدو». خلال هذا المسار الوظيفي احتك بـ«الفرع الفرنسي للعالمية العمالية - Section Française de l'Internationale Ouvrière» والمعروفة اختصارا بـ (S.F.I.O). اشتهر بكونه أحسن متخصص مسلم في الشؤون المالية، حيث عين في «المجلس العام» لمدينة الجزائر، ثم أصبح نائبا في «الجمعية الجزائرية» في 1946. بعد إعلان الثورة في 1954، كان لا يزال يعتقد أنه "لا سعادة للجزائري إلا في الاندماج" وفي 1955 ربط اتصالات مع جبهة التحرير الوطني. وبعد حل «الجمعية الجزائرية» غادر إلى فرنسا واستقر فيها. في جانفي 1961 كلفته فدرالية الجبهة بفرنسا بنقل الأموال من فرنسا إلى سويسرا. أُلقي عليه القبض في 15 نوفمبر 1961 من السلطات الاستعمارية الفرنسية ولم يطلق سراحه إلا عشية التوقيع على «اتفاقيات إيفيان»، ثم عين على رأس «الهيئة التنفيذية المؤقتة» لتسيير المرحلة الانتقالية. توصل إلى توقيع اتفاقية مع زعيم «منظمة الجيش السري - l'O.A.S» (جان جاك سوزيني - Jean-Jacques Susini) لإنهاء أعمال العنف. بعد الاستقلال التحق بالمكتب السياسي برئاسة (أحمد بن بلة). اعتقل في جويلية 1964 ثم أطلق سراحه في السنة الموالية. انسحب من الحياة السياسية ليتفرغ للأعمال إلى غاية وفاته في الجزائر العاصمة في 13 ماي 1991.

Cheurfi (Achour), op cit, pp 152-153.

2 - في تونس والقاهرة كان مقر الحكومة المؤقتة، وفي المغرب كان مقر وزارة التسليح والاتصالات العامة (المالقي - MALG)، وفي دمشق فتحت الحكومة المؤقتة حسابات في «بنك الرافدين». أما بيروت فكانت مدينة مصرفية ذات الأهمية الكبيرة آنذاك.

3 - Haroun (Ali), op cit, p 322.

4 - Fares (Abderrahmane), La cruelle vérité : L'Algérie de 1945 à l'indépendance, Casbah Editions, Alger, 2006, pp 80-88.

5 - بوداود (عمر)، المصدر السابق، ص 138.

2 - شبكة كوريال

(هنري كوريال - Henri Curiel) أو (يونس - Yunus)، كما يلقبه المصريون، ولد في 13 سبتمبر 1914 بالقاهرة. ينحدر من أسرة يهودية «سفرديّة»¹ ذات أصول إسبانية، اضطرت إلى الهجرة هرباً من محاكم التفتيش التي نصبها الإسبان ضد المسلمين واليهود بعد سقوط غرناطة في 1492م. بعد البرتغال وإيطاليا، استقر المقام بالعائلة، في مصر في فترة الحملة الفرنسية على مصر في 1798م². كان جده (نسيم كوريال - Nessim Curiel) أحد أكبر المرابين والذي يقف وراء ثورة العائلة، حيث اشترى أسهما وأراضي، وكان يتكلم العربية في أعماله وحتى في بيته. والده (دانيال كوريال - Daniel Curiel) أصيب بالعمى في سن الثالثة، وكان شغوفاً بالموسيقى وكان صاحب أحد البنوك الرئيسية في «القاهرة»، وكان يملك عقارات في منطقة الدلتا لنهر النيل. أما والدته (زفيرة بحار - Zéphira Behar)، فهي تنتمي إلى أسرة برجوازية يهودية من «اسطنبول» أفلست جزئياً. تلقت تربية دينية صوفية على المذهب الكاثوليكي³. وأخاه الأكبر (رؤول كوريال - Raoul Curiel) فقد تم إرساله إلى فرنسا لإتمام دراسته، حيث أصبح فيما بعد عالم بالأثرية. كانت العائلة تسكن في فيلا بحي (الزمالك) تتكون من 17 غرفة وحديقة كبيرة، وفضلت الاحتفاظ بالجنسية الإيطالية للاستفادة من قانون الامتيازات الضريبية الذي يحض به الأجانب في مصر، رغم أن أفرادها لا يتحدثون كلمة واحدة من الإيطالية⁴. لكن (هنري - Henri) فضل الاحتفاظ بالجنسية المصرية منذ 1935 إلى أن سُحبت منه في 1950⁵.

أما بالنسبة لـ (هنري) فقد كان مسار حياته أكثر حيوية مقارنة بأخيه (رؤول)، رغم أن كلاهما درس في مدارس اليسوعيين التابعة للفرنسيين بمصر، والتي غرست في أنفسهم حب فرنسا وقيمها وجعلتهم يرتبطون بها روحياً، إلا أنه لم تتح له الفرصة لإتمام دراسته. وكان أبوه يعده لدراسة الحقوق ليتولى شؤون البنك فيما بعد. ف شعر بأن حياته قد دمرت. ففي الوقت الذي كان فيه أخاه (رؤول - Raoul) في باريس يشبع نهمه الثقافي⁶، وأن كل

1 - «اليهود السفردية» أو «يهود السفارديم»، وهو مصطلح يطلق على اليهود الشرقيين الذين هاجروا إلى فلسطين المحتلة من الدول الشرقية، من العراق وإيران وأفغانستان وشبه الجزيرة العربية ومصر وبلدان شمال إفريقيا ويهود القوقاز. لكن هذا المصطلح اليوم الآن أصبح يطلق على كل اليهود الذين ليسوا من أصل غربي (الأشكيناز).
السويديان (طارق)، اليهود، الموسوعة المصورة، ط 4، شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع، الكويت، 1433 هـ / 2012 م، صص 176-177.

2 - Perrault (Gilles), **Henri Curiel, un citoyen du tiers-monde**, Le Monde Diplomatique, Avril, 1998, p 4.

3 - Gallissot (René), Henri Curiel, *Le mythe mesuré à l'histoire*, Chihab Editions, Alger, 2012, p14.

4 - Perrault (Gilles), *Un homme à part*, Fayard Editions, Paris, 2006, pp 47-50.

5 - Gallissot (René), Henri Curiel, *Le mythe...*, op cit, 55.

6 - حقق رؤول مسارا دراسيا ناجحا. نحصل على الليسانس في الحقوق والفلسفة، ودرس العلوم السياسية وكان شغوفا

الباب الثاني: شبكات الدعم

الأبواب فتحت أمامه، كان هو قابعا في فيلاتهم بالزمالك نزولا عند رغبة أبيه. وهذا ما جعله في سن العشرين يغمس في حياة اللهو والترف والنساء، ولم يكن ذلك إلا تعبيراً عن التيه والفراغ الروحي الذي كان يمر به خلال هذه المرحلة الحساسة من حياته حتى أنه جرب أن يكون نباتياً¹.

شهدت حياة (هنري كوريال - Henri Curiel) تحولا جذريا عندما شجعه (رؤول - Raoul) بدراسة الماركسية، التي درسها هو أيضا واعتنقها. ويبدو أن (هنري - Henri) وجد ضالته فيها وأعطت لحياته معنى، حتى أنه اعترف بأنه كان: "بحاجة إلى مفهوم شامل للعالم... فوجدته في الماركسية". وهكذا انتقل من البرجوازية إلى البروليتارية. وفي هذه النقطة يقول عنه (جيل بيرو - Gille Perrault): "من كل الاتهامات بالخيانة التي وجهت لـ (هنري كوريال - Henri Curiel) خلال حياته، الوحيدة التي كانت مؤسسة، هي، بلا شك، تلك التهمة التي كان يرددها له والده: «أنت خائن لطبقتك». كان قد انتقل بالأسلحة والأمتعة إلى المعسكر الآخر".² في البداية اتجه نشاطه نحو العمل الاجتماعي التطوعي باتجاه الطبقة المحرومة. ورأى أن أنسب مكان لمباشرة العمل هو عزبة والده خارج القاهرة، حيث قام برفقة صديقه (روزيت - Rosette)، البلغارية الأصل والتي ستصبح زوجته فيما بعد، بتقديم خدمات طبية لمرضى «الرمم الجيبي» و«البلهاريسيا»، وكانت مصر من أكثر بلدان العالم معاناة منهما. لكنه بعد شهور من العمل اضطر للتوقف بسبب أن حجم المرض أكبر بكثير من الإمكانيات العلاجية المتوفرة³.

قرر (هنري) خوض غمار العمل السياسي فجمع حوله ابتداء من 1939 عددا من المثقفين اليساري: عناصر عمالية في سلاح الطيران، نوبيين، عدد من قادة الحزب الشيوعي السابق، الذي حله (سعد زغلول) رئيس الحكومة آنذاك وزعيم حزب الوفد في عام 1924، وبعض المثقفين السودانيين⁴، وأسس معهم في جانفي من عام 1943 منظمة سياسية سرية باسم «الحركة المصرية للتحرر الوطني»، والتي تعرف اختصارا بـ«حمتو». وقامت هذه المنظمة السياسية الجديدة بقيادة العديد من الاحتجاجات وسط العمال، الطلاب والجيش، كما مدت نفوذها إلى الريف، وكان لها إسهامات في مجال الصحافة والنشر. وفي عام 1948 تحالفت «حمتو» لـ«هنري كوريال» مع

باللسانيات، حيث سجل في معهد الحضارة الهندية، وفي جامعة «السوربون - La Sorbonne» لدراسة اللغات الهندوأوروبية.

Perrault (Gilles), Un homme à part... op cit, p 69.

Ibid, pp 69-70. - 1

Ibid, p 174. - 2

3 - صنع الله (إبراهيم)، يوميات الواحات، ط 1، دار المستقبل العربي، القاهرة، بدون سنة الطبع، ص 205.

4 - من بين المثقفين نذكر: (محمد زكي هاشم)، (فؤاد الأهواني)، (مختار العطار) و(صبحي زغلول). ومن سلاح الطيران: (محمد شطا)، (سيد سليمان رفاعي)، (إبراهيم العطار) و(فؤاد حبشي). ومن النوبيين (زكي مراد)، (مبارك عبد فضل) و(محمد خليل قاسم). ومن السودانيين: (الخالق محجوب) و(التيجاني الطيب)، وهؤلاء سيشكلون لاحقا الحزب الشيوعي السوداني «حستو». ومن قادة الحزب الشيوعي المنحل: (سعاد جلال)، (كمال الحناوي) و(عبد الفتاح الشراقوي).

نفسه، ص 200.

الباب الثاني: شبكات الدعم

حزب شيوعي آخر يدعى «إسكرا»، ويعني الشرارة، لـ(هلال شوارتز - Hillel schwartz)، وهو أيضا يهودي مصري، لتأسيس حزب شيوعي موحد وهو «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني» المعروفة اختصارا بـ«حدثو»، والتي كانت بمثابة التنظيم الأول للحركة الشيوعية في مصر بعد الحزب الشيوعي المصري، الذي تأسس أول مرة عام 1921 على يد (جوزيف روزنتال - Joseph Rosenthal)، وهو مثل (كوربال) يهودي مصري. لكن بعد إعلان قيام دولة إسرائيل في 14 ماي 1948، واعتراف الاتحاد السوفيتي الشيوعية بها، واندلاع الحرب بين العرب والدولة المعلنة، حدث انشقاق داخل «حدثو»، حيث انقسم إلى جبهتين، جبهة بقيادة (هنري كوربال) وكان مؤمناً بحل الدولتين الذي طرحته الأمم المتحدة ووافقت عليه الدول الكبرى، وجبهة (هلال شوارتز) وكان مناهضاً للصهيونية، وأسس جماعة لمعادتها تكوّنت في الأساس من شبان يهود مصريين، وتُسمّى بـ«الرابطة اليهودية ضد الصهيونية»¹.

بعد هزيمة العرب في حرب فلسطين 1948 اعتقل (كوربال) ومن معه من اليهود الشيوعيين لاتهامهم بالعمالة للصهيونية، ولم يفرج عنهم إلا في 1950 بمناسبة فوز حزب الوفد في انتخابات جانفي من نفس السنة. لكن في 26 شهر أوت رُحل (كوربال) بالقوة في السفينة الإيطالية «سوريانتو - Sorriento»، التابعة لشركة «لورو - Lauro» باتجاه إيطاليا واعتبر أجنبيا رغم أنه كان يحمل الجنسية المصرية. وفي مدينة «جنوة» الإيطالية رفض مغادرة السفينة فأنزله الشرطة منها بالقوة، حيث وجد (ريموند اسطمبولي - Raymond Stambouli) وزوجته، في انتظاره على الرصيف، وكانت (روزيت - Rosette)، زوجة (هنري) قد اتصلت بهما من قبل لاستقباله. ومنذ ذلك الوقت لم يرجع إلى مصر أبداً².

في إيطاليا أبدى رفضه بشدة بتره من مصر، ورفض أيضا اقتراح الإقامة في إسرائيل، كما رفض الجنسية الإيطالية. ومع أنه اضطر للعيش في روما إلا أنه لم يقطع الصلة مع مصر وشرع يبحث عن طريقة لمواصلة العمل السياسي، كما عكف على التفكير وتعلم اللغة الروسية. غير أن الحزب الشيوعي الإيطالي لم يرحب به ولم يترح له³. وفي ظل هذه الأجواء أصبحت الحياة مستحيلة في إيطاليا بالنسبة لـ(كوربال) وهذا ما جعله يقتنع بكلام

1 - نفسه، صص 200-201

2 - Perrault (Gilles), Un homme à part... op cit, pp 222-223.

3 - ذكر (جيل بيرو - Gilles Perrault) في كتابه، نقلا عن أسبوعية «L'Espresso» الإيطالية الصادرة في 04 جوان 1978، أن (بالميرو توغلياتي - Palmero Togliatti) زعيم الحزب الشيوعي الإيطالي كلف (ريناتو نييلي - Renato Nieli) بملاقة (هنري كوربال - Henri Curiel)، الذي رُحل من مصر لمعرفة ماذا يريد. وفي اللقاء الذي جمعهما في مقهى بساحة «كفور - Cavour»، ودون انتظار، طلب (كوربال) من الحزب الشيوعي الإيطالي المال والسلاح لتنظيم عملية مسلحة ضد (جمال عبد الناصر). وبعد هذا اللقاء أعطى (توغلياتي - Togliatti) أمرا إلى (نييلي - Nieli) بقطع كل اتصال بـ(كوربال) وقال: "بحسبي، هذا الـ(كوربال) شخص استفزازي."

Perrault (Gilles), Un homme à part... op cit, p 225.

الباب الثاني: شبكات الدعم

زوجته بضرورة إيجاد مكان ينطوون فيه على الأقل مؤقتا، وكانت فرنسا المفضلة للجميع. طلب الزوجان مساعدة بعض الأصدقاء الديغوليين، لكنهم تأسفوا ونقلوا للزوجين الموقف الذي صدر من فم (روجي ويوت - Roger Wybot) مدير «دي.أس.تي - DST»: "إذا دخل [ويقصد كوريال] إلى فرنسا فسوف احتجزه في الصحراء"، ومع ذلك تمكن الزوجان من دخول فرنسا، باستخدام جواز سفر نمساوي مزور بالنسبة ل(هنري)، وبطريقة سرية عبر الحدود السويسرية بالنسبة لزوجته (روزيت)¹.

في فرنسا بدأت مرحلة جديدة في الحياة السياسية ل(هنري كوريال - Henri Curiel)، خاصة بعد أن عانق حرب التحرير الجزائرية. وبدأت مغامرته مع الثورة الجزائرية عندما قدمته إحدى صديقاته، وهي (جويس بلو - Joyce Blau) إلى (روبار بارا - Robert Barrat)، وهو مثقف كاثوليكي وصحافي في مجلة «ليكسبريس - L'Express»، ارتبط بكل التحركات واللجان التي أخذت موقفا إلى جانب حركات الاستقلال في المغرب العربي². قام (بارا - Barrat) بتحسيس (كوريال - Curiel) بالحرب الاستعمارية الدائرة في الجزائر وعن طريقه التقى (هنري - Henri) في نوفمبر 1957 (فرانسيس جانسون - Francis Jeanson)، الذي كان قد أسس نواة شبكته لدعم فدرالية «ج.ت.و». وتساءلت (روزيت كوريال - Rosette Curiel)، لولا اللقاء مع (بارا - Barrat) هل كان من الممكن أن يتخذ (هنري - Henri)، من تلقاء نفسه، قرار الانطلاق في عملية دعم «ج.ت.و»؟³.

باشر (كوريال) العمل مباشرة، وجند أصدقاءه المقربين، خاصة مجموعة مصر حيث قامت زوجته (روزيت - Rosette) بكتابة أول منشور ل«ج.ت.و» على الآلة الراقنة، وقام (جوزيف هزان - Joseph Hazan) بطبعه، ونظم (هنري) عملية التسليم. وقالت (روزيت - Rosette): "كنا في غاية السعادة لأننا كنا نشعر من جديد بأننا مفيدون".⁴ لكن المساهمة الهامة ل(كوريال) اتجاه القضية الجزائرية كانت ذات طابع مالي، أي تحويل أموال الاشتراكات المالية للمهاجرين من فرنسا إلى البنوك الأوروبية والعربية. وبحكم ارتباط والده بعالم البنوك، فقد استغل

¹ - Ibid, pp 229-230.

² - ذكرنا فيما سبق إحدى اللجان التي أخذت موقفا إلى جانب حركات تحرر المغرب العربي هي:

«لجنة العمل ضد مواصلة الحرب في شمال إفريقيا - Le Comité d'Action Contre la Poursuite de la Guerre en Afrique de Nord»، والتي أسسها في 5 نوفمبر 1955، كل من (روبار أونتالم - Robert Antelme)، (لويس روني دي فوري - Louis-René des Forêt)، (ديوني ماسكولو - Dionys Mascolo) و(إدغار مورين - Edgar Morin).

يراجع الفصل الثاني من الباب الأول.

³ - كانت مصر الانشغال الوحيد ل(كوريال). وكان يرفض من حيث المبدأ الاهتمام بالشؤون الفرنسية. في الجرائد، مثلاً، كان لا يقرأ المقالات المخصصة للسياسة الداخلية.

Perrault (Gilles), Un homme à part... op cit, 300.

⁴ - Ibid, p 301.

الباب الثاني: شبكات الدعم

(كوريل) العلاقات البنكية الواسعة لتحويل الأموال لصالح «ج.ت.و». ومن الآليات التي تم اعتمادها في هذا المجال: فتح حساب بنكي في سويسرا باسم (روزيت كوريل) بمساعدة الأب الدومينيكي (كايلين - Kaelin)، وهو ناشط في شبكة جانسون، وصديق لمدير أحد البنوك السويسرية الكبرى الذي قبل بفتح الحساب البنكي، تحويل الأموال إلى هذا الحساب البنكي، عبور (روزيت) الحدود السويسرية لسحب الأموال وتسليمها بعد الخروج من البنك لممثل «ج.ت.و» في المكان المتفق عليه. وفي كل مرة تتم فيه العملية فإن مستلم الأموال يكون شخصا مختلفا. وإلى غاية عام 1960 كانت كل شيء يتم ضمن «شبكة جانسون»¹. لكن الوضع اختلف بعد اكتشاف الشبكة واعتقال عدد كبير من أعضائها، والخلل الذي أحدثته ذلك في عملية جمع الاشتراكات وتقلها خارج فرنسا. لذلك قررت قيادة فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا، كما ذكرنا سابقا، إسناد مهمة تحويل الأموال إلى شبكة موازية لشبكة (جانسون)، تسند قيادتها ل(هنري كوريل)، الذي وضع أتباعه في المواقع القيادية للشبكة، وهكذا ولدت (شبكة كوريل)². وبفضل الاتصالات التي أقامها في فرنسا وعلاقاته الهامة في أوروبا وفي بقية أنحاء العالم أصبح شخصا نافذا وذو تأثير كبير³.

لم تقتصر خدمات شبكة (كوريل) على تجميع الأموال و تحويلها، بل تكفلت بمهام أخرى كالاتصالات والإيواء. وشيئا فشيئا بدأت تأخذ مكان شبكة (جانسون). رأى (كوريل) أن الوقت قد حان للضغط على الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي لم يعد، في نظره، حزبا ثوريا وفيما لمبادئه الأساسية، فعمل على تأسيس تيار حركة مناهضة للاستعمار تستند في البداية على «شبكة جانسون» ثم تحتويها فيما بعد. ووصل (كوريل) إلى مبتغاه، حيث أسس في 20 جويلية 1960 بسويسرا تنظيما سماه: «الحركة الفرنسية المناهضة للاستعمار - Mouvement Anticolonialiste Français (M.A.F) بحضور أكثر من ثلاثين مناضلا، وكان (فرانسيس جانسون) من بينهم. وأصبح لهذه الحركة نشرية تدعى «حقائق ضد الاستعمار - Vérités Anticolonialistes»⁴.

استمر (كوريل) في الإشراف شخصيا على نقل الأموال إلى سويسرا، ولما أُلقي عليه القبض في أكتوبر 1960، تواصلت عمليات التحويل بكيفية عادية أثناء مقامه في السجن، حيث أسندت مهمة الإشراف على

¹ - Gallissot (René), Henri Curiel, Le mythe..., op cit, 68.

² - من بين الأتباع الذين وضعهم (كوريل) في المراكز القيادية نذكر: (جورج ماتتي - Georges Mattéi)، الذي أصبح المسؤول على مركزة أموال الاشتراكات وضبط الحسابات، (جها ن دي فانجن - Jehan de Wangen)، الذي أصبح مسؤولا عن الفرق المتخصصة في عبور الحدود، و(مارتان فيرلي - Martin verlet)، الذي وضعه على رأس حركة «المقاومة الشابة - Jeune Résistance». (سيأتي الحديث عن هذه الحركة لاحقا).

Ulloa (Marie-Pierre), op cit, p 182.

³ - Boudaoud (Omar), op cit, p 141.

⁴ - Ulloa (Marie-Pierre), op cit, p 196.

الباب الثاني: شبكات الدعم

عمليات الدعم داخل التراب الفرنسي إلى (جورج ماتيهي - Georges Mattéi) وخارج التراب الفرنسي إلى (جاك فيني - Jacques Vignes) بمساعدة (جيرارد شالياند - Gérard Chaliand)، الذي تم تكليفه بالإشراف على عمليات عبور الحدود من فرنسا إلى ألمانيا، بلجيكا، سويسرا ولوكسمبورغ¹.

ومهما يكن من أمر، فإن (شبكة كوربال) لا يمكن اعتبارها إلا امتداد طبيعي لـ(شبكة جانسون) رغم الاختلاف بين (هنري) و(كوربال) حول الدلالة التي ينبغي إضفاءها على الثورة الجزائرية، إلا أنهما متفقان على ضرورة دعم الجزائريين في كفاحهم التحرري. فالأول كان يعتبرها كفاحا في سبيل التحرر الوطني ولن يكون له أي تأثير على انبعث التيار اليساري في فرنسا، بينما كان الثاني على قناعة بأن الثورة الجزائرية قادرة على الإطاحة بالجمهورية الخامسة وتفجير النظام الرأسمالي الفرنسي².

3 - شبكة المقاومة الشابة

«المقاومة الشابة - Jeune Résistance» هي حركة تأسست بسويسرا في خريف 1958 في مدينة «إيفردون - yverdon» بسويسرا، لكن لم تبدأ نشاطها الفعلي إلا في شهر ماي 1959 خلال انعقاد «المهرجان العالمي للشباب والطلبة - Le Festival mondial de la jeunesse et des étudiants» السابع بـ«فيينا»³. أعضاء هذه الحركة هم جنود فرنسيين مناهضين للحرب في الجزائر ورافضين للتحديد في الحرب، أولم يستجيبوا لاستدعاء التحديد أو فارين من الجيش. في البداية كانت مواقف هؤلاء الجنود فردية وكثيرا ما كانوا يشعرون بالعزلة، لكن فيما بعد أخذت المسألة بعدا تضامنيا عندما التقى حوالي عشرة جنود من الفارين والرافضين للتحديد ينتمون إلى اتجاهات مختلفة في التيار اليساري⁴، وأخذوا يبحثون عن طريقة لجعل تحركهم مفيد. من بين هؤلاء نذكر: (جان لويس هورست - Jean-Louis Hurst)، (لويس أورهان - Louis Orhant)، (جيرار

¹ - Ibid, p 200.

² - Hamon (Hervé) et Rotman (Patrick), op cit, p 243.

³ - «المهرجان العالمي للشباب والطلبة - Le Festival mondial de la jeunesse et des étudiants» هو حدث عالمي تنظمه الفدرالية الدولية للشبيبة الديمقراطية، بالتعاون مع الاتحاد الدولي للطلبة منذ 1947.

⁴ - يصنف المؤرخ الفرنسي (بيار فيدال ناكي - Pierre Vidal-Naquet) المعارضين للحرب في الجزائر من التيار اليساري إلى ثلاثة "أمزجة" إيديولوجية وسياسية كبرى: «الدريفوسيين - Les Dreyfusards»، «البلشفيين - Les Bolcheviks»، «المتضامنين مع العالم الثالث - Les tiers-mondistes».

لمزيد من التفاصيل عن هذه الاتجاهات اليسارية ينظر:

Vidal-Naquet pierre. Une fidélité têtue [La résistance à la guerre d'Algérie].in: Vingtième Siecle, revue d'histoire, n° 10, avril -juin 1986, pp 10-11.

ميسير - Gérard meïer)، (جاك بارتلي - Jacques Bettelet) والقس (روبار دافزي - Robert Davezies) وكل هؤلاء كانوا ينشطون ضمن شبكة جانسون.

يروي (جان لويس هورست - Jean-Louis Hurst) في كتابه الذي يحمل عنوان «المهاجر» - Le Déserteur الصادر عن دار النشر «مينوي - Minuit» في 1960، لكن باسم مستعار وهو (موريان - Maurienne)، الكيفية التي ولدت بها حركة «المقاومة الشابة - Jeune Résistance». حدث ذلك أثناء لقاءه بـ (كوريل - Curiel) بجنيف، وكان القس (روبار دافزي - Robert Davezies) قد كلم هذا الأخير عن (هورست - Hurst) وأصدقائه من الفارين الشيوعيين، الذين كانوا يشعرون بأنهم معزولون تماما وغير قادرين على التصرف، خاصة في ظل السلبية التي يديها الحزب الشيوعي الفرنسي، باعتباره القوة المعارضة الوحيدة في فرنسا، اتجاه حركة العصيان في صفوف الجنود الفرنسيين. وهذا ما حاول (هورست - Hurst) إيصاله إلى (كوريل - Curiel). لكن هذا الأخير قال له: "إذا لم تتحمل مسؤولياتك بنفسك، بأي حق تدعي بأنك شيوعي؟" وكان وقع هذه الإجابة كبير في نفس (هورست - Hurst)، الذي فهم أن المواقف المبنية على القناعات الراسخة لا تنتظر الإذن من أحد لتجسيدها، وهذا ما جعله في لقاء اليوم الموالي مع (كوريل - Curiel) يقترح عليه تسمية حركة الفارين والمتخلفين عن الخدمة العسكرية «المقاومة الشابة - Jeune Résistance»، فاستحسن ذلك، بل وجد الفكرة رائعة، ونفس الانطباع وجده (هورست - Hurst) عند رفقائه، وهكذا ولدت حركة «المقاومة الشابة - Jeune Résistance» كإحدى أهم الحركات المناهضة لحرب الجزائر¹.

عملت حركة «المقاومة الشابة - Jeune Résistance» على تشجيع الجنود الفرنسيين على الفرار تعبيرا عن رفضهم لحرب الجزائر. وطمأنت الراغبين في الالتحاق بحركتهم بأنهم سيجدون في الخارج رفقاء يتكفلون بهم من حيث عبور الحدود، توفير المأوى والعمل. وكانت «المقاومة الشابة - Jeune Résistance»، وبالتعاون مع مختلف المنظمات الاجتماعية، الإنسانية والسياسية اليسارية في الخارج، قد وضعت هيكل لاستقبال الفارين والتكفل بهم². وقد وجدت الحركة في «المهرجان العالمي للشباب والطلبة - Le Festival mondial de la jeunesse et des étudiants» السابع المنعقد في 1959 بـ «فيينا» فرصة للتعريف بنفسها، حيث صعد (هورست - Hurst) إلى المنصة الرسمية للمهرجان وألقى مداخلة باسم الفارين جلبت اهتمام الوفود الأوروبية المشاركة فيها، وتوالت الاتصالات بـ (هورست - Hurst)، الذي كان برفقة القس (دافزي - Davezies)، من الحزب الشيوعي الإيطالي، الحزب الشيوعي البلجيكي، الشبيبة الاشتراكية الألمانية، بروتستانتيون سويسريون، أبلدوا

¹ - Djerbal (Daho), op cit, pp 167-168.

² - L'association Sortir du colonialisme, Résister à la guerre d'Algérie par les textes de l'époque, préface de Tramor Qemeneuer, poste face de Nils Andersson, Editions Les petits matins, Paris, 2002, p 84.

الباب الثاني: شبكات الدعم

كلهم موافقتهم على مساعدة حركة «المقاومة الشابة - Jeune Résistance»، التي تحولت إلى حركة أوروبية، بعد أن كانت مجرد مجموعة الصغيرة¹.

لم يسمع المجتمع الفرنسي بـ«المقاومة الشابة - Jeune Résistance» واكتشف وجودها فجأة بعد القبض على أحد مناضليها وهو (دييغو ماسون - Diego Masson) وأحد الجنود الفارين وهو (جان كريسي - Jean Crespi) في شهر فيفري 1960. وقد أثار ذلك نقاشا حادا لدى مختلف فئات المجتمع الفرنسي استغلته «المقاومة الشابة - Jeune Résistance» لنشر بيانها في مارس 1960² لعرض دوافع وأهداف حركتهم وإعطائها قيمة سياسية وإنسانية.

تضمن البيان تقييم للأوضاع بعد ست سنوات من الحرب، وأعطى حصيلة عددية لمآسيها على الفرنسيين والجزائريين على حد سواء، ووصف الحرب بأنها استعمارية وغير مبررة، من الناحية السياسية، وفظيعة من الناحية الإنسانية، وأدت إلى تراجع مكانة فرنسا على المستوى المحلي والدولي³. وأوضحت حركة «المقاومة الشابة - Jeune Résistance» في ذات البيان أنها تريد أن تكون في خدمة الشبيبة الفرنسية المقاومة للحرب في الجزائر، وذلك بتوفير منبر للتعبير الحر يوضع تحت تصرفها، تزويدها بمعلومات موضوعية عن الحرب في الجزائر والوضعية السياسية في فرنسا، التعريف بمقاومة الشباب الفرنسيين للرأي العام الفرنسي والدولي بواسطة نشر وثائق وشهادات لشباب رافضين للتجنيد، وشباب عائدين من الجزائر، وشباب فضل السجن على التورط في الحرب بالجزائر، تكثيف الاتصال بالمنظمات اليسارية، إنشاء فرق جديدة للـ«المقاومة الشابة - Jeune Résistance» في فرنسا، الجزائر وأوروبا للتكفل بالشباب الجدد المناهضين للحرب في الجزائر، الاستفادة من المساعدات المادية، القضائية والمعنوية المقدمة من طرف شخصيات أجنبية متفهمة قامت بإنشاء مكتب عالمي للتعاون المتبادل خاص بالجنود المناهضين للحرب في الجزائر، كما قامت بعض المنظمات الصديقة بتوفير عدد من المنح للشباب المقاوم المقيم بالخارج والراغبين في إتمام دراستهم⁴.

لإعطاء فعالية أكبر لتحركاتها أعطيت توجيهات لفروع «المقاومة الشابة - Résistance Jeune» في الجزائر، فرنسا والخارج. في الجزائر تم التركيز على البحث الفوري عن رفاق للتجمع وتشكيل فريق نشيط، رفض كل مساس للكرامة الإنسانية في المعارك، نشر الثقافة السياسية بين الرفاق، كتابة الشهادات لإعلام الرأي العام

¹ - 169 - Djerbal (Daho), op cit, pp

² - نشرت المجلة البلجيكية «Coexistence» في عدد خاص رقم 73-75 لشهر سبتمبر - ديسمبر 1960 عرض للمؤتمر الأول للـ«المقاومة الشابة - Jeune Résistance».

³ - 81 - 72 - L'association Sortir du colonialisme, op cit, pp

⁴ - 86 - 85 - L'association Sortir du colonialisme, op cit., pp

الباب الثاني: شبكات الدعم

وبناء علاقة أخوية مع المقاومين الجزائريين. في فرنسا كانت يجب دعوة للانتظام في فرق لبث منشورات «المقاومة الشابة» حول الحرب في الجزائر، البقاء في اتصال دائم مع فرق «المقاومة الشابة» بالخارج، الكتابة للرفاق المسجونين وزيارتهم، توعية الرأي العام ضد الحرب في الجزائر. أما في الخارج تم الاهتمام بالبحث عن الجنود الفارين والانتظام في فرق عمل، إجراء لقاءات مشتركة لبحث التحركات الآنية، الكتابة إلى فرنسا إلى الوالدين، الأصدقاء، الصحف، الأحزاب والمنظمات اليسارية والحركات الشبائية لإظهار أن الفارين من التجنيد ليسوا منقطعين عنهم وأنهم يناضلون إلى جانبهم، الاتصال بالمنظمات السياسية، النقابية، الاجتماعية والحركات الشبائية في البلد حيث يوجدون لتوعيتهم بحرب الجزائر، والالتقاء بالجزائريين لإعطائهم وجه آخر لفرنسا وإقامة علاقات أخوية والتي يجب أن تجمع فرنسا و الجزائر الغد المستقلة¹.

اهتم (جانسون - Jeanson) و(كوريال - Curiel) بحركة «المقاومة الشابة - Jeune Résistance» وقام هذا الأخير خاصة بدفع الحركة في اتجاه هيكلتها في شكل منظمة على هامش «شبكة جانسون» لأسباب أمنية، ولضمان نوع من الوصاية السياسية عليها. غير أن (جانسون - Jeanson) كان يميز بين الهروب من التجنيد وبين تقديم الدعم، كما كان يميز بين حركة «المقاومة الشابة - Jeune Résistance» و«شبكة جانسون»، فهو يرى أن التمرد ضد التجنيد لا يعني بالضرورة تقديم الدعم والمساندة لفدرالية «ج.ت.و»، وعليه فإن الجنود الفارين من الجيش والمنظمين إلى حركة «المقاومة الشابة - Jeune Résistance» ليس حتما أن يكونوا منتمين إلى «حملة الحقائق» حتى ولو كانوا من الناحية العملية يتضامنون مع الجزائريين².

تكمن أهمية حركة «المقاومة الشابة - Jeune Résistance» في أنها نجحت في استقطاب الكثير من الشباب المعارضين للحرب في الجزائر وتنظيمهم في شبكة تضم فروع في بلدان عديدة، في فرنسا، الجزائر، سويسرا وألمانيا، وتلقى الدعم من منظمات يسارية مختلفة في أوروبا. ومن أقوى المبادرات في مساندة المناهضين للحرب في الجزائر هو صدور البيان الذي يحمل عنوان «إعلان حق المجندين في العصيان ضد حرب الجزائر - Déclaration sur le droit à l'insoumission dans la guerre d'Algérie» والمعروف باسم بيان 121، في 06 سبتمبر 1960 والذي يجسد رفض الفرنسيين لحرب الجزائر، وهو تعبير عن التضامن التام مع «شبكة جانسون» وعن المساندة الكاملة للفارين من الجيش وللمتمردين ضد التجنيد. ومن بين ما ورد في البيان: "إننا نقدر ونشتم موقف أولئك الذين يرفضون حمل السلاح ضد الشعب الجزائري، كما أننا نقدر ونشتم موقف الفرنسيين الذين يعتقدون أن من حقهم توفير الدعم والحماية، باسم الشعب الفرنسي، للجزائريين المقيهورين"³.

¹ - Ibid, pp 87-90.

² - Jeanson (François), op cit, pp 61-77.

³ - «Déclaration des 121 intellectuels», reproduite in Vérité Pour, n° 18, 26 septembre 1960.

الباب الثاني: شبكات الدعم

ويكسب هذا البيان أهميته من الموقعين عليه وهم المثقفون، رجال الفن والسياسة، وينتمون إلى مشارب سياسية شتى.

مهما كان الخلاف حول عدد هؤلاء الجنود الفارين من الجيش¹ فإنه، بلا شك، كان لعملهم أثر كبير في التعريف أكثر بالمشكلة الجزائرية وإحراج فرسا أمام الرأي العام الدولي. لكن هذه الحركة، فيما بعد، وقعت تحت تأثير الصراع على السلطة الذي استفحل بين (جانسون) و(كوربال)، إذ وجدت نفسها منقسمة بين الشيوعيين الدائريين في فلك هذا أو ذاك. وكان (كوربال) يراهن على تحالفه مع (جان لويس هورست - Jean-Louis Hurst) للتحكم في مصير الحركة، ولكن الحركة اصطفت وراء (جاك بيرتولي - Jacques Berthelet) المقرب والقريب من (جانسون) وأطروحاته. بقي أن نثير إشكالية كانت تؤرق «المقاومة الشابة - Jeune Résistance» وهي إشكالية العودة إلى فرنسا بعد انتهاء الحرب. فالقائمين على الحركة كانوا يدركون أن الحرب في الجزائر تقترب من نهايتها، خاصة مع بدء المفاوضات بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. لذلك قررت بدء العمل بالاتصال بالمنظمات اليسارية الفرنسية والمنظمات العالمية الصديقة للحصول على العفو العام².

4 - الشبكة المسيحية

لم يشكل المسيحيون شبكة بالمعنى الدقيق للكلمة بسبب طبيعة المؤسسات الدينية التي تتحكم فيها مبادئ فصل الدين عن السياسة. غير أن ذلك لم يمنعهم من التعبير علنيا عن تضامنهم مع كفاح الجزائريين من أجل التحرر. وكانت مواقف العديد من المسيحيين متعارضة مع الموقف الرسمي للكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية³.

تنوعت مواقف المسيحيين من الثورة التحريرية بين الفردية والجماعية والمنطلقة من مبادئ أخلاقية مسيحية تدعو إلى: " احترام الإنسان، واستقامته الجسدية و الخلقية وكرامته الإنسانية"⁴. وسنركز على التحركات

¹ - قدرت النشيرة السرية «الحقيقة من أجل - Vérités Pour» في العدد 15 الصادر في 24 مارس 1960 عدد الشباب المتمردين ضد التجنيد بثلاثة آلاف متمرّد. أما وزير القوات المسلحة الفرنسي فقدرهم رسميا بمأتي فار، بينما تحدث (هيرفي هامون - Hervé Hamon) و(باتريك روتمان - Patrick Rotman) في كتابهما «حملة الحقايب - Les Porteurs de Valises» بين ثلاثمائة وأربعمائة هارب من صفوف الجيش.

Ulloa (Marie-Pierre), op cit, pp 181-182.

² - L'association Sortir du colonialisme, op cit, p 86.

³ - Khettab (Rachid), op cit, p 301.

⁴ - Malika El Korso. **Témoignage chrétien et la dossier Jean Muller**, intervention à la journée d'étude organisée par le Centre d'études diocésain Les Glycines, Paris, le 25 mai

ذات الطابع الجماعي، ويتعلق الأمر بـ«إرسالية فرنسا - La Mission de France» ومجلة «تموانياج كريتيان - Témoignage Chrétien».

تأسست «إرسالية فرنسا - La Mission de France» في ظل الاحتلال الألماني النازي لفرنسا، خلال الجمعية السادسة والعشرين لكاردينالات ومطارنة فرنسا المنعقدة في 24 جويلية 1941 بباريس ومبادرة من رئيس الكاردينالات (إيمامويل سوهارد - Emmanuel Suhard). وتقرر إنشاء مدرسة إكليريكية بمدينة «ليزيو - Lisieux» بمحافظة «الكلفادوس - Calvados» شمال فرنسا لتكوين قساوسة متفرغين للعمل التبشيري. وفي 18 جانفي 1954 أغلقت «إرسالية فرنسا - La Mission de France» ليتحول مقرها إلى مدرسة لرسكلة المبشرين قبل إرسالهم كمطارنة للتبشير. وفي 24 أكتوبر 1954 أعيد فتحها مرة ثانية في مدينة «بونتيني - Pontigny» بمحافظة «يون - Yonne» شمال فرنسا، ولا تزال تنشط إلى يومنا هذا¹.

ظهرت الخطوات الأولى لـ«إرسالية فرنسا - La Mission de France» لدعم فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا على مستوى فردي وسري، وذكر القس (جان فيناتيني - Jean vinatier) أن: "في «إرسالية فرنسا - La Mission de France» كان العديد منا يقومون بأعمال صغيرة متنوعة لصالح «ج.ت.و» بدون أن يعلم أحد"². لكن فضل آخرون أن يضعوا أنفسهم بشكل كامل تحت تصرف الجزائريين ويقبلون القيام بمهام أكثر خطورة. ومن الشخصيات البارزة في هذا الاتجاه نذكر (جان أورفواس - Jean Orvoas) الذي انخرط منذ ربيع 1955 في المساندة المباشرة لفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا، وقام بإقناع العديد من رفقاءه من «إرسالية فرنسا - La Mission de France» القيام بالمثل، وكان القس (بيار مامي - Pierre Mamet)، الذي طرد من مدينة «سوق أهراس» بالجزائر، أول المنظمين إليه.

كان للانتماء إلى أصول بروليتارية أثر كبير في صياغة شخصية (جان أورفواس - Jean Orvoas). كان والده عامل في النحاسية في ميناء «بريست - Brest» ومناضل سياسي، وأمه خادمة تعرف كل الأعمال، وعاملة في مصنع المواد الكيماوية وعملت أيضا كخياطة. وكان (أورفواس - Orvoas) دائما يقول: "حيي في بريست كان حي عمالي وكنت منذ صغري أتنفس أجواء العمل والنضال العمالي". واعتنق الكهنوتية عن طريق رفاق

2013.

¹ - Nathalie Viet-Depaule et Bernard Boudouresques, **Histoire de la mission de France**. Site de la mission de France. <http://missiondefrance.fr/histoire/> consulté le 24-01-2015 à 08:45.

² - Chapeu (Sybille), **Des chrétiens dans la guerre d'Algérie. L'action de la Mission de France**, Dahleb Editions, Alger, 2010, p 68.

الباب الثاني: شبكات الدعم

منخرطين في حركة «الشبيبة العمالية المسيحية - Jeunesse Ouvrière Chrétienne» (JOC) وقرر أن يقضي حياته في خدمة المسيح، ورفض أن يلعب دور القس التقليدي، فعمل كأستاذ للأدب في مدرسة متوسطة بمدينة «بريست - Brest» من أكتوبر 1946 إلى جويلية 1950. لكن روحه بقيت متعلقة بالطبقة العاملة وأراد أن يكون قسا عاملا يمارس مهمته الدينية بين الطبقة البروليتارية التي نشأ فيها وتقاسم معها الحياة اليومية الصعبة، لغتها الخاصة وثقافتها. في الجزائر عمل في مصنع للأجر من ديسمبر 1953 إلى فيفري 1954. وبعد أن حلت حركة «الشبيبة العمالية المسيحية - Jeunesse Ouvrière Chrétienne» بقرار من بابا الفاتكان (بي الثاني عشر - Pie XII) التحق بـ«إرسالية فرنسا - La Mission de France» التي كانت تمثل طموحاته¹.

عندما انفجرت الثورة في الجزائر في نوفمبر 1954 كان العديد من القساوسة التابعين لـ«إرسالية فرنسا - La Mission de France» يعرفون الوضع في الجزائر لأنهم احتكوا به مباشرة، ف(أورفواس - Orvoas) كان، كما ذكرنا سابقا، ولمدة ثلاثة أشهر قس عامل في «ميزون كاري - Maison-Carrée»، «الحراش» حاليا، وأجرى القس (برنار بودوراسك - Bernard Boudouresques) الخدمة العسكرية في «شرشال»، وعاش القس «بيار مامي - Pierre Mamet» مدة طويلة في مدينة «سوق أهراس» قبل أن يتم ترحيله مع رفقائه القساوسة العمال في أبريل 1956. أما بقية أعضاء المجموعة فلم يكونوا يعرفون عن الجزائر سوى الصورة التي تُقدم لهم عبر البطاقات البريدية، أو عبر المهمة الحضارية التي تؤديها فرنسا، بلد الحرية وحقوق الإنسان في الجزائر. هؤلاء كانوا يجهلون تماما حقيقة المجتمع الاستعماري، وهذا ما يفسر اندهاشهم عندما اطلعوا على أولى الشهادات على العنف الذي يمارسه الجيش الفرنسي ضد الجزائريين². وكان القس (أورفواس - Orvoas) قد تلقى أولى الرسائل من أصدقائه في المدرسة الإكليريكية وقساوسة مثله تم استدعائهم أو أعيد استدعائهم للخدمة العسكرية في الجزائر ينددون فيها استخدام بعض أعضاء الجيش الفرنسي التعذيب على الجزائريين³.

قام (أورفواس - Orvoas) بإطلاع أصدقائه في «إرسالية فرنسا - La Mission de France» أولا، ثم المسيحيين القريبين من الإرسالية، بفحوى الشهادات، ثم وضعها بين أيدي (روبير بارا - Robert Barrat) الصحفي في مجلة «ليكسبراس - L'Express»⁴، الذي اقترح على رفقائه الرهبان في الإرسالية أواخر صيف 1956 إنشاء «لجنة المقاومة الروحية - Comité de Résistance Spirituelle» ونشر الوثائق التي بحوزتهم

¹ - Chapeu (Sybille), op cit, pp 69-70.

² - Ibid, pp 59-60.

³ - Chapeu (Sybille), op cit, p 71.

⁴ - اكتشف (روبير بارا - Robert Barrat) الجزائر في 1952 بمناسبة التحضير لكتابة مقال حول حياة إخوة وأخوات المسيح وحول حياة الراهب (دو فوكو - de Foucault) الذي ينشط في منطقة الجنوب الوهراني. وهناك اطلع على حجم المأساة.

Ibid, p 60.

ليصبحوا هم من يدير الحركة. وتقرر نشر مطوية بعنوان: "جنود يشهدون - Des Rappelés témoignent" لعرض بعض الشهادات التي تلقوها. وطلب أيضا من أصدقائه بالاجتماع بشكل منتظم والتفكير معا في تطور الحرب في الجزائر. وسخر بيته في «دامبيار - Dampierre» لاحتضان الاجتماعات، وفي باريس عند القس (برنار بودوراسك - Bernard Boudouresques)، وعند (روجي ومادلان كولاس - Roger et Madeleine Collas). وأعلم شخصيات مسيحية بذلك للمساهمة في النقاش، في مقدمتهم: (مادلان كولاس - Madeleine Collas) و(إيليا بيروي - Élia perroy) وتنشطان فوج التعاون «كوؤبيراسيون - Coopération»، والذي يجتمع في الدائرة الثالثة عشر بباريس، (جان ماري دوميناك - Jean-Marie Domenach)، مدير مجلة «إسبري - Esprit»، (هنري مارو - Henri Marrou) أستاذ في تاريخ المسيحية بجامعة السربون، ومتخصص في (سانت أوغستين - saint-Augustin)، (لويس ماسينيون - Louis Massignon)، أستاذ جامعي ومستشرق، (فرانسوا مورياك - François Mauriac) كاتب، (أندري فليب - André Philip)، وزير سابق وأستاذ بكلية الحقوق في باريس، (روني ريموند - René Rémond) مؤرخ، (بول ريكور - Paul Ricœur) أستاذ الفلسفة في جامعة السربون، و(روبار رولمان - Robert Ruhlmann) المتخصص في الحضارة الصينية¹.

كثفت «إرسالية فرنسا - La Mission de France» نشاطها من خلال «لجنة المقاومة الروحية - Comité de Résistance Spirituelle»، إذ لم يتوقف عند التنديد بالتعذيب، بل تعدته إلى مبادرات أخرى نذكر من بينها: التمرد على الأوامر المنافية للأخلاق الإنسانية، مثلما فعل الجنرال (باريس دو بولارديار - Pâris de Bollardièr)، الذي رفض تطبيق تعليمات الجنرال (ماسو - Massu) بتكثيف القمع على الجزائريين، وطلب في 28 مارس 1957 من إعفائه من مهامه في الجزائر. وفي نفس الشهر نشر الجنرال (بيار هنري سيمون - Pierre-Henri Simon) عن دار النشر «لوسوي - Le Seuil» كتاب: «ضد التعذيب - Contre la torture». وبمبادرة من أساتذة ثانويين تم تأسيس «لجنة الدفاع عن الحريات ومن أجل السلم في الجزائر - Un Comité de Défense des Libertés et pour Paix en Algérie». وهذه الحملة الموجهة للرأي العام، ضد التعذيب، دفع، في 5 أبريل 1957، رئيس الوزراء الفرنسي آنذاك (غي مولي - Guy Mollet) إلى تشكيل «بعثة الانقاذ - Commission de sauvgarde»² للتحقيق في المسألة. ومع تزايد

¹ - Ibid, p 60.

² - شكل (غي مولي - Guy Mollet)، «بعثة الانقاذ - Commission de sauvgarde» في 5 أبريل 1957، تتكون من اثني عشر فضاء، للتحقيق في القمع الذي يمارسه الجيش في الجزائر، تحت ضغط الرأي العام. وحدث ذلك في عز «معركة الجزائر - La Bataille d'Alger». لكن هذه البعثة لم تتمكن من أداء مهمتها لقلّة الوسائل الموضوعّة تحت تصرفها وعم جدية الجيش في التعاطي مع البعثة.

لمزيد من التفاصيل حول «بعثة الانقاذ - Commission de sauvgarde» ومهمتها بنظر:

Raphaël Branche. La commission de sauvgarde pendant la guerre d'Algérie :

الباب الثاني: شبكات الدعم

الوعي لدى رهبان «إرسالية فرنسا - La Mission de France» بجدوى ما يقومون به، والاعتقاد بأن ذلك يدخل في صلب مهمتهم الدينية، وهذا ما شجع (برنار بودوراسك - Bernard Boudouresques)، (جان أورفواس - Jean Orvoas)، (بيار مامي - Pierre Mamet) و(روبار دافيزي - Robert Davezies)، وكلهم أعضاء في «لجنة المقاومة الروحية - Comité de Résistance Spirituelle»، على الانتقال إلى المساندة العملية بالمشاركة المباشرة في شبكات دعم فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا، وبشكل خاص «شبكة جانسون» و«شبكة كوربال»¹.

إضافة إلى المنشورات المختلفة التي تدعو إلى وقف الحرب في الجزائر وتندد بالتعذيب، وكذلك لجان المساندة لحق الشعب الجزائري في الاستقلال، فإن رهبان «إرسالية فرنسا - La Mission de France» سخرُوا أنفسهم للدعم العملي للجزائريين من خلال عديد الخدمات التي وفروها لفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا ومناضليها، كالإيواء، وثائق الهوية، والنقل لعبور الحدود إلى بلدان الجوار. ووظفوا من أجل ذلك مساكنهم الخاصة، أو قاموا بكراء شقق، وسخروا أيضا سياراتهم الخاصة، وأشخاص مقربين إليهم كالزوجات، الإخوة والأصدقاء. وعلى سبيل المثال، لا الحصر، نذكر القس (بودوراسك - Boudouresques)، الذي حول شقته الواقعة في 176 شارع «سانت جاك - Saint Jacques» بباريس إلى مكان للاجتماع والإيواء لإطارات وعناصر لفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا. واستمر في تقديم دعمه إلى أن اعتقلته «دي.أس.تي - DST» في 14 أكتوبر 1958 من «دي.أس.تي - DST» من مقر عمله في أحد مخابر الطاقة النووية بمحافظة شرطة «ساكلاي - Saclay»، بعد أن وشى به، تحت التعذيب، (مولود أوراعي) منفذ محاولة اغتيال (جاك سوستيل - Jacques Soustelle)، وسجن بسجن «فران - Fresnes»، حيث التقى بالمناضلين الجزائريين المسجونين بذات السجن. كما قامت «دي.أس.تي - DST» باستدعاء المطران (جان أورفواس - Jean Urvoas) والتحقيق معه².

أما القس «روبار دافيزي - Robert Davezies»، المدعو (مارتان - Martin) فكان هو وإخوته (جان - Jean) و(جونيفاف - Geneviève)³ من الداعمين لفدرالية الجبهة بفرنسا. وتكفل (روبار - Robert) منذ نوفمبر 1957 بعبور مناضلي فدرالية «ج.ت.و» بين الحدود الفرنسية الإسبانية. وفي شهر ماي

chronique d'un échec annoncé, Vingtième Siecle, revue d'histoire, année 1999, volume 61, n° 1, pp 14-29.

¹ - Ibid, p 95.

² - Raphaël Branche, op cit, pp 143-144.

³ - كان (جان دافيزي - Jean Davezies) وأخته (جونيفاف دافيزي - Geneviève Davezies) يعملان ضمن فريق القس «بودوراسك - Boudouresques»، وألقي عليهما القبض من طرف «دي.أس.تي» وأودع (جان - Jean) سجن «لاسونتي - La Santé»، و(جونيفاف - Geneviève) سجن «لابوتيت روكات - La Petite Roquette».

Ibid, p 144.

1958 أصبح مسؤولاً على جمع وتحويل الأموال، لذلك شكل شبكته الخاصة، وتتكون أساساً من نساء من أمثال (بول بولو - Paule Bolo)، (أنطوانيت أورهان - Antoinette Orhant)، (آن لودوك - Anne Leduc)، (مونيك لومي - Monique Lemée) واللاهوتي السابق (جاك بارتلي - Jacques Barthelet)¹.

كما حدث لغيره من الرهبان على إثر محاولة اغتيال (سوستال - Soustelle) صدرت مذكرة اعتقال ضد (دافيزي - Davezies)، ومع ذلك لم يتوقف عن العمل واختار العمل السري والمنفى، والتحق بمسؤولي فدرالية الجبهة بـ «كولوني - Cologne»، ومنها ذهب إلى لزيارة مخيمات اللاجئين الجزائريين في تونس. ولدى عودته إلى ألمانيا ألف كتاب بعنوان «الجبهة - Le Front» الصادر عن دار «مينوي - Minuit» في 2 أكتوبر 1959، أين يوضح بأن الشعب الجزائري بأكمله يقف خلف «ج.ت.و». وقد أحدث هذا الكتاب ضجة، حتى أنه ترجم إلى عدة لغات. لكن مساره النضالي توقف في 29 جانفي 1961 عندما القي عليه القبض في مدينة (ليون - Lyon) برفقة (نيل أندرسون - Nils Anderson) صاحب دار النشر «لاسي - La cité» بـ «لوزان» السويسرية، وأُلحق بسجناء سجن «فران - Fresnes». تمت محاكمته من 9 إلى 12 جانفي 1962 في باريس، في جو تضاعفت فيه عمليات منظمة الجيش السري (l'OAS)، وتضاعفت فيه تحركات معسكر المعارضين للحرب في الجزائر، حيث دافع عنه ستة محامين واستفاد من عدة شهادات، كشهادة (حان بول سارتر - Jean-Paul Sartre) و(لويس أراغون - Louis Aragon). حُكم على (دافيزي - Davezies) بثلاث سنوات سجن. ومن أجل ما قاله وهو يعبر عن اقتناعه بما قام به: "فهمت، هذا اليوم، أن الرجال ليسوا لعبة لأي مصير، وأن الرجال لديهم القدرة على صناعة تاريخهم، وأنها هنا حاضرة بين أيديهم"².

أما جريدة «تموانياج كريتيان - Témoignage Chrétien» فدورها لم يكن أقل أهمية من «إرسالية فرنسا - La mission de France». فهي لا ترى نفسها مجرد جريدة، بل حركة تغذي الفكر النضالي الذي يشيد بمناهضة الاستعمار، العدالة الاجتماعية ومشاركة اللائكيين في حياة الكنيسة.

تأسست جريدة «تموانياج كريتيان - Témoignage Chrétien»، وهي جريدة أسبوعية، في 16 نوفمبر 1941 بمدينة «ليون - Lyon» من طرف القس (بيار شايي - Pierre Chaillet)، في أجواء الاحتلال الألماني النازي لفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، ونذرت نفسها لمقاومة الاحتلال و«نظام فيشي» الموالي له، وتحرير فرنسا. وبعد انتهاء الحرب وضعت لنفسها مهمة وهي أن لا يتوقف نشاطها باندحار النازية و«حكومة فيشي»،

¹ - Djerbal (Daho), op cit, p 153.

² - Chapeu (Sybille), op cit, pp 150-166.

بل أن تكون في طليعة المدافعين عن الإنسان. فكتبت عن كفاح الفيتناميين ضد الاحتلال الفرنسي، ثم عن الثورة في تونس والمغرب، ثم بطبيعة الحال، عن حرب التحرير الوطنية¹.

اكتسبت جريدة «تطوان كريتيان - Témoignage Chrétien» مكانتها وقدرتها على التأثير، ليس في الرأي العام فقط، بل على السياسيين وأصحاب القرار، من طاقم التحرير المشرف عليها والصحفيين ذوي الكفاءة والخبرة، المؤمنين بمهمتهم، والتي يؤدونها بقناعة تامة بمعية مديرها (جورج مونتارون - Georges Montaron). ومن أنبغ الصحفيين الذين كتبوا فيها نذكر: (أندري مندوز - André Mandouze)، (روبار بارا - Robert Barrat)، (جورج سوفار - Georges Suffert)، (جوزيف فولبي - Joseph Folliet)، وفيما بعد (هارفي بورج - Hervé Bourges)، وغيرهم من الصحفيين الموهوبين. يضاف إلى هؤلاء مفكرين وأدباء ومؤرخين ازدانت بهم صفحات الجريدة من أمثال: المؤرخ (شارل أندري جوليان - Charles André Julien)، الأديب المستشرقين (لويس ماسينيون - Louis Massignon) و(جاك بارك - Jacques Berque)، الأديب الجزائري (كاتب ياسين) وغيرهم من المثقفين ذوي المكانة العلمية في المجتمع الفرنسي. وقليلة هي الجرائد التي حضت بهذا العدد من الأعلام المغمورة والتي جندت نفسها لمناهضة الاستعمار والمساهمة في تصفيته. وعشية 1954 بلغ عدد النسخ المسحوبة من الجريدة مئة ألف نسخة².

مع اندلاع الكفاح المسلح في الجزائر في نوفمبر 1954، والقمع الوحشي الذي واجهته به الحكومات الفرنسية المجتمع الجزائري، خاصة المدنيين، وجد طاقم جريدة «تطوان كريتيان - Témoignage Chrétien» نفسه يعيش، مرة أخرى، في أجواء الاحتلال النازي لباريس، والذي ميزه إعلان حالة الطوارئ، إقامة المحتشدات، التعذيب، القصف بالقنابل وغيرها. وقد لاحظ الطاقم وجود تشابها واضحا بين تصرفات جهاز الاستخبارات الألماني النازي «la Gestapo - الغيستابو» اتجاه المقاومين وتصرفات الشرطة الفرنسية والجيش الفرنسي اتجاه المجاهدين الجزائريين، وهذا ما جعل (روبار بارا - Robert Barrat)، الصحفي في الجريدة لا يتردد في الحديث عن «غيستابو فرنسية - Gestapo française» و«المحتشد»³.

انفردت جريدة «تطوان كريتيان - Témoignage Chrétien» بخطها الإعلامي ومقاربتها وتحليلها لحرب التحرير الوطنية، وأعلنت الحرب على الحرب التي تقودها فرنسا في الجزائر. وتتميز أسلوبها في العمل على

¹ - Malika El Korso. **Témoignage Chrétien et le dossier Jean Muller**, Intervention à la journée d'étude organisée par le centre d'études diocésain Les Glycines sur le thème de « Des chrétiens dans la guerre d'Algérie 1954-1962 », le samedi 25 mai 2013.

² - Ibid

³ - Malika El Korso, op cit.

الباب الثاني: شبكات الدعم

التحقيقات الميدانية بواسطة شبكة من المخبرين، التشهير بالحرب وتحسيس الرأي العام الفرنسي، على الأقل قراءها الأوفياء، بفضاعة الحرب وتجاوزاتها. هذا التوجه جعلها تنفصل عن المشهد الإعلامي الفرنسي عامة وتنزل عن عائلتها الإعلامية التي تنتمي إليها، وتصبح مراقبة من الكنيسة ومُحاربة من الجيش ومختلف الحكومات في الجمهورية الرابعة والخامسة¹. وخلال السنوات السبع للثورة فإن موضوع التعذيب هو الذي أثار النقاشات الحادة. وفتحت الجريدة أعمدتها لفضح الطرق المستخدمة من الحكومة الفرنسية في إدارة الحرب أو في التعامل مع السجناء والسكان الجزائريين. وفي 15 فيفري 1957 صنعت الحدث بنشر الرسائل التي كتبها (جان مولار - Jean Muller)² قبل وفاته في الكمين الذي وقع في 27 أكتوبر 1956 بـ«تابلاط»، والتي قام أخوه وأقاربه وأصدقاؤه بجمعها وأعطت في الأخير ما عرف بـ«ملف جان مولار - Dossier Jean Muller». في تلك الرسائل يحكي فيها عن صورة الجزائر الأخرى التي شاهدها بنفسه، صورة الجزائريين المهمشين، المستغلين، المهانين وبلا حقوق، وليست الصورة الجميلة التي تقدمها وسائل الإعلام الفرنسية لأغراض سياحية. وما يميز رسائل (مولار - Muller) أنها ليست مجرد سرد عادي للتعذيب، ولكن تجعل القارئ يغمس، دون أن يشعر، في عالم لا نهاية له للاستجواب الرهيب للمصالح العسكرية المختلفة، مع وصف منهجي لأماكن التعذيب، الوسائل والطرق القذرة التي يلجأ إليها الجيش الفرنسي «لإحلال السلم» في الجزائر. في إحدى رسائله إلى صديق كتب يقول: "نحن بعيدون عن السلم التي من أجلها أُعيد استدعاءنا. نحن محبطين لرؤية إلى أي حد يمكن للطبيعة الإنسانية أن تنحط، ورؤية فرنسيين يلجأون إلى تصرفات بربرية نازية"³.

مما سبق يظهر أن عشرات الرهبان، القساوسة، المطارنة والكردينالات كانوا أوفياء للمبادئ الدينية التي يؤمنون بها، والتي تدعو إلى احترام الإنسان والكرامة الإنسانية. كما رفضوا الاكتفاء بالدور التقليدي لرجال الدين وفضلوا الاختلاط بالناس ومشاركتهم آلامهم وآمالهم. هؤلاء الرجال والنساء المسيحيين أرادوا أن يكونوا قريبين جدا من الجزائريين، وعبروا بقوة وبصوت مرتفع عن رفضهم القاطع لممارسة التعذيب على الجزائريين ومساندتهم لتطوراتهم في الاستقلال. لكن طرق المساندة لم تكن محل إجماع. فإذا كانت المسألة الجزائرية مركزة بالنسبة لـ«إرسالية

¹ - Ibid.

² - (جان مولار - Jean Muller) من مواليد مدينة «ماتز - Metz» شرق فرنسا من عائلة كاثوليكية تنتمي إلى البرجوازية الصغيرة. انخرط في الكشافة الفرنسية منذ سن الثالثة عشرة، ثم أصبح في أكتوبر 1955 عضو في الفريق الوطني الكشفي الفرنسي «روت دو سكوت دو فرانس - Route de Scouts de France». وفي 14 جوان 1956 أعيد استدعاءه للخدمة العسكرية في الجزائر ضمن كتيبة المشاة رقم 146. وكان شاهد عيان على التجاوزات الخطيرة للجيش الفرنسي في حق الجزائريين. وكان في رسائله لعائلته وأصدقائه يحدثهم عن الممارسات اللا إنسانية للجيش الفرنسي، والعنصرية للمستوطنين اتجاه السكان الجزائريين. قتل (مولار - Muller) في «تابلاط» (تابعة حاليا لولاية المدية) في كمين نصبه جيش التحرير الوطني في 27 أكتوبر 1956.

à <https://www.latoilescoute.net/Jean-Muller-un-rappele-temoigne-a> consulté le 04-02-2016 09:00.

³ - Malika El Korso, op cit.

الباب الثاني: شبكات الدعم

فرنسا- Mission de France» فإن القساوسة لم يتفاعلوا بنفس الطريقة والدرجة مع كفاح الجزائريين ضد الاستعمار من أجل الاستقلال. فالمسؤولين في الكنيسة، وإن كانوا يساندون الرهبان الموقوفين، المحاكمين والمدانين لوقوفهم إلى جانب فدرالية الجبهة بفرنسا فإنهم لم يقبلوا بعض التحركات، التي رأوا بأنها تسيء إلى الكنيسة باعتبارها مؤسسة دينية، خاصة الإيواء وتحويل الأموال. هذا الموقف من المسؤولين اعتبره القساوسة النشاط، انحرافا عن الرسالة الإنسانية للكنيسة، في حين لم يخف مسؤولي الكنيسة امتعاضهم من تسييس هؤلاء القساوسة، مما جعل العلاقة تتوتر بين الطرفين¹. وفيما يتعلق بجريدة «تموانياج كريتيان - Témoignage Chrétien» فقد اتهمها المناوون لها بالخيانة. وأعلن (جاك سوستال - Jacques Soustelle) في فيفري 1957 أمام البرلمان الفرنسي: "كانت «تموانياج كريتيان - Témoignage Chrétien» واحدة من الجرائد الأربع الكبرى المضادة للدعاية الفرنسية إلى جانب «لوموند - Le Monde»، «فرانس أويسارفاتور - France Observateur» و«ليكسبريس - l'Express»². وهذا يدل على خصوصية المواقف التي اتخذتها الأسبوعية طيلة حرب التحرير الوطنية، من خلال الافتتاحيات، المقالات، التحقيقات، التعليقات، التحليلات والمواقف التي ملأت أعمدة الصحيفة.

مهما يكن الحكم على مساندة الرهبان لحرب التحرير الوطنية فإن انشغال هؤلاء كان بالدرجة الأولى تشجيع الكنيسة على الانخراط الفعلي في حياة الناس بما يخدم الإنسان باعتباره إنسان، مناهضة الاستعمار وفضح ممارساته، المساهمة في تقبل الرأي العام الفرنسي فكرة استقلال الجزائر، المحافظة على الصورة الجميلة لفرنسا باعتبارها بلد الحريات وحقوق الإنسان وإنقاذ ما تبقى من علاقة بين الشعبين الفرنسي والجزائري.

5 - شبكة الطريق الشيوعي

حركة «الطريق الشيوعي - Voie Communiste» هي واحدة من الحركات التي أسسها منشقين عن الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي لم يعد، في رأي هؤلاء، وفيا للمبادئ الشيوعية وغياب الديمقراطية داخل مؤسسات الحزب وتغليب المصلحة الحزبية على المبادئ الشيوعية، مما جعل الحزب يعيش حالة من الجمود وعدم وضوح الرؤية في التعاطي مع المستجدات ومنها الحرب في الجزائر³. وكان لتصويت الحزب في البرلمان على قانون «السلطات الخاصة - Les Pouvoirs Spéciaux» التي منحتها حكومة (غي مولي - Guy Mollet) في

¹ - Chapeu (Sybille), op cit, p 221.

² - Malika El Korso, op cit.

³ - Michel Dreyfus. 1956: L'année terrible, in COMMUNISME, revue d'études pluridisciplinaires publier avec le concours du CNRS et de l'université de Paris X, n° 29-31 consacré au thème: Les crises internes du PC ouest-européens 1944-1956, Editions L'AGE D'HOMME, Paris, 1992, p 244.

1956 للجيش في مواجهة الثورة في الجزائر أثر كبير في استقالة عشرات المناضلين من الحزب ليتمكنوا من النضال خارج وصايته بما يستجيب لقناعاتهم.

ينتمي أعضاء حركة «الطريق الشيوعي - Voie Communiste» إلى تيارات يسارية مختلفة. من تيار «المتحررين - Les Libertaires» من أمثال (دانيال غيرين - Daniel Guérin) و(جورج فونتونيس - Georges Fontenis)، الشيوعيين المنشقين من أمثال (سيمون بلومونتال - Simon Blumental) والروتوسكيين من أمثال (دونيس بارجي - Denis Berger). وصل عدد الأعضاء الذين ينشطون في العلن إلى مئة، والعدد يصبح مضاعفا إذا حسبنا الأعضاء الذين يعملون في السر مشكلين نواة صغيرة متكونة من: (جيرار سبيتزر - Gérard Spitzer)، (روجي راي - Roger Rey)، (جيرار لورن - Gérard Lorne)، (آن جيانيني - Anne Giannini)، أو (دوني بارجي - Denis Berger) الذي تحول إلى العمل السري بعد استدعائه في ديسمبر 1958 من ال«دي.أس.تي - D.S.T»¹.

تشكلت حركة «الطريق الشيوعي - Voie Communiste» عندما قام (روجي راي - Roger Rey) ورفقائه الشيوعيين الناقمين على الحزب الشيوعي الفرنسي ومواقفه، بشن داخل الحزب ونقابة «سي.جي.تي - C.G.T» حركة احتجاج، تصل إلى حد التمرد، ضد البيروقراطية والنظرة الحزبية الضيقة والانتهازية ونقص التوجه الأممي للقيادة، وإحداث ضجة حول حركتهم الاحتجاجية أعلنوا عن تشكيل جماعة أطلقوا عليها اسم جماعة «الطريق الشيوعي - La Voie Communiste» وأصدروا مجلة تحمل نفس اسم الحركة بهدف تشجيع المناضلين الشيوعيين على التضامن الأممي، وبخاصة مع المناضلين الجزائريين. وقامت الجماعة الصغيرة، سنة 1958 بتكليف (روجي راي - Roger Rey) بالاتصال رسميا بفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا، عن طريق كل من (مولود كابر) و(سعيد سليمي)، وهما نقابيان ومناضلان سابقان ب«حزب ح.ش.ج - P.P.A»، حيث قام الاثنان بربط الاتصال بين (راي - Rey) و(موسى قبائلي) قائد ولاية باريس والمناطق التابعة لها².

طلب (موسى قبائلي) من (راي - Rey) تنظيم أنفسهم ومساعدة الفدرالية في إيجاد مأوى للمناضلين، مستودعات وسيارات مستأجرة لنقل المناضلين المطلوبين من قبل الشرطة. وقد سمحت الظروف ل(راي - Rey) بلقاء أعضاء اللجنة الفدرالية، حيث حدث له أن آوى كل من (عمر بوداود)، (قدور العدلاي) و (سعيد بوعزيز). ومع ذلك لم يدعي بأنه يعرفهم، واعترف بأن العلاقة بينهم كانت تتسم بالتحفظ، ولم تتعد مستوى التحالف والقيام ببعض الأعمال معا. وهكذا فإن (راي - Rey) كُلفوا من فدرالية الجبهة بمهام حساسة تنم، في أغلب الأحيان، على مخاطر حقيقية، وفي مقدمتها أوراق الهوية المزورة³، نقل الحقائق المعبئة بالمال والسلاح،

¹ - Pattieu (Sylvain), Les camarades des freres..., op cit, p 122.

² - Djerbal (Daho), op cit, p 148.

³ - ذكرنا سابقا أن أوراق الهوية المزورة كان يقوم بها (أدولف كامينسكي)، وهو يهودي من أصل بولوني، ومقاوم سابق

الباب الثاني: شبكات الدعم

المشاركة في عملي تهريب المعتقلين الجزائريين من السجون الفرنسية، مثلما حدث في عملية التهريب من سجن «لابوتيت روكات - La Petite Roquette» وعبور الحدود مع بلجيكا، للوكسمبورغ وألمانيا، أين يتم اللقاء مع اللجنة الفدرالية¹.

لم يتأثر دعم مجموعة «الطريق الشيوعي - La Voie Communiste» بالعمليات العسكرية للمنظمة الخاصة لشهر أوت 1958، إذ استمرت في إيواء الإطارات القيادية لفدرالية الجبهة بفرنسا والمنظمة الخاصة ونقل الحقائق، سواء كانت معبأة بالأموال أو بالأسلحة، بل تدعمت المجموعة بمناضلين شبان جدد من بينهم: (جون جاك بورشيز - Jean-Jacques Porchez)، (توركيون - Torquiand) و(روبار بونو - Robert Bonnaud). كان (راي - Rey) يرى بأن قرار «ج.ت.و» نقل الحرب إلى الأراضي الفرنسية يتماشى مع منطق الأحداث، خاصة بعد انقلاب الجزائر العاصمة، الذي نفذته جنرالات يوم 13 ماي 1958، وأدى إلى الإطاحة بالجمهورية الرابعة، والتوجهات الجديدة التي جاءت بها الجمهورية الخامسة وهدفها هو استمرار معاناة الجزائريين من السياسة الاستعمارية القمعية، والإصرار على تجاهل حقه في الاستقلال².

في 28 سبتمبر 1959 أُلقي القبض على واحد من المناضلين الأساسيين والمحركين لـ«الطريق الشيوعي - La Voie Communiste»، وهو (جيرار سبيتزر - Gérard Spitzer)، الذي وُجهت له تهمة التخابر لصالح «ج.ت.و». في حين تمكن (جيرار لورن - Gérard Lorne)، وهو أيضا عضو ناشط في حركة «الطريق الشيوعي - La Voie Communiste»، من الفرار والإفلات من شرك «دي.أس.تي - D.S.T». وفي الحين تم إطلاق حركة تضامن واسعة لصالح (سبيتزر - Spitzer)، الذي دخل في إضراب عن الطعام للمطالبة بصفة المعتقل السياسي. وفي نوفمبر 1959 تشكلت «لجنة الدفاع عن جيرار سبيتزر - Comité de défense de Gérard Spitzer»، الذي استفاد من مساندة العديد من المحامين من أمثال (إيف ديشيزال - Yves dechezelle). وقد سمحت محاكمة (سبيتزر - Spitzer) ومن بعدها محاكمة أعضاء «شبكة جانسون» بالترويج لـ«حملة الحقائق» بين الجماهير³.

ضد الاحتلال الألماني خلال الحرب العالمية الثانية.

لمزيد من التفاصيل حول هذه الشخصية، سواء دورها خلال الحرب العالمية الثانية أو طبيعة الدعم المقدم للثورة الجزائرية، بنظر:

Kaminsky (Sarah), op cit, pp 13-95.

Haroun (Ali), op cit, pp 221-229.

¹ - Djerbal (Daho), op cit, p 149.

² - Djerbal (Daho), op cit, p 150.

³ - Pattieu (Sylvain), Les camarades des freres..., op cit, p 123.

الباب الثاني: شبكات الدعم

إن المغزى الذي يمكن استخلاصه من شبكات الدعم الفرنسية والتي تنتمي إلى اليسار بمختلف تياراته، أنه رغم التباينات الموجودة فيما بينها إلا أن جميعها اتفقت على تقديم المساعدة للشعب الجزائري في كفاحه من أجل الاستقلال. وما يحدوهم إلى ذلك هو الرغبة في إيضاح أن هناك فرنسا أخرى وفيه لمبادئها الإنسانية وصديقة وداعمة للجزائريين وممتنعة عن التواطؤ مع فرنسا الأخرى التي تمارس أعمال القمع الأعمى والتعذيب.

الفصل الثاني

في بلدان الجوار لفرنسا

1 - جمهورية ألمانيا الفدرالية

2 - بلجيكا

3 - سويسرا

4 - إيطاليا

5 - إسبانيا

5 - النمسا

الفصل الثاني: في بلدان الجوار لفرنسا

لم يقتصر نشاط دعم الثورة التحريرية الجزائرية على فرنسا بل امتد إلى بلدان الجوار لفرنسا، في كل من جمهورية ألمانيا الفدرالية، بلجيكا، لوكسمبورغ، سويسرا، إسبانيا وإيطاليا.

1 - جمهورية ألمانيا الفدرالية

في أكتوبر 1958 قدر (جيرهارد شرودر - Gerhard Schröder)، الوزير الفدرالي للداخلية عدد الجزائريين المقيمين في ألمانيا الفدرالية بين ألفين وثلاثة آلاف شخص، من ضمنهم العديد من المتعاطفين مع «ج.ت.و». وكان هؤلاء يفضلون الاستقرار في المناطق الصناعية بمنطقة «الروهر - Ruhr» و«دوسلدورف - Düsseldorf»، التي تضم النشاطات المنجمية والفولاذية، وكان الكثير من الوافدين الجزائريين قد عملوا في هذه القطاعات بفرنسا، أو في المناطق التي تتوفر على هياكل الاستقبال للمهاجرين مثل «هامبورغ - Hambourg»، «كولوني - Cologne» و«شتوتجارت - Stuttgart». أما منطقة السار فكانت المكان المفضل للمناضلين الجزائريين الذين يكافحون من أجل القضية الوطنية نظرا لطابعها الجغرافي والسياسي والاقتصادي الخاص ولوجود جالية فرانكوفونية¹. وحسب المعلومات الواردة في التقرير رقم 60 لمصلحة الإعلام لل«بعثة العامة للحكومة بالجزائر - La Délégation Générale du Gouvernement en Algérie» (D.G.G.A) الفرنسية في الفترة من 11 إلى 20 أكتوبر 1960، استنادا إلى الصحافة الألمانية، فإن عدد الجزائريين في ألمانيا الفدرالية وصل إلى ثلاثة آلاف شخص موزعين بشكل خاص في «الروهر - Ruhr»، «السار - La Sarre»، «الراين - Rhin»: 150 شخص في «هامبورغ - Hambourg»، 75 في «نورمبرغ - Nuremberg»، 60 في «بون - Bonn» و«إسن - ESSEN»، 200 في «شتوتجارت - Stuttgart» و 80 في «منهايم - Menheim». أما توزيعهم حسب الوظيفة فنجد أن 60 % منهم يد عاملة بسيطة، 30 % عمال متخصصين، لكن معظمهم لا يستطيعون أداء وظيفتهم بسبب الصعوبات اللغوية. وعدد التقرير أيضا 1 % فقط طلبة يزاولون دراستهم في المدارس التقنية العليا².

ازدادت أهمية ألمانيا الفدرالية بالنسبة للثورة منذ أن نقلت اللجنة الفدرالية لفدرالية «ج.ت.و» نشاطها إليها في 1958. وفي مقابلة لها مع (علي هارون)، طرحت الكاتبة (نسيمة بوغراة) سؤال تستفسر عن سبب مغادرة

¹ - Cahn (Jaen-Pauk) et Müller (Klaus Jürgen), La république fédérale d'Allemagne et la guerre d'Algérie 1954-1962, Editions el Maarifa, Alger, 2010, p 197.

² - Archives de l'Armée de terre, service historique de la défense, château de Vincennes, boîte n° 1H 1753, Dossier 2, bulletins du S.D.E.C.E relatifs aux relations du front de libération nationale avec l'Allemagne (1958-1962), fiche n° B 54, pays européens occidentaux et aide direct ou indirect à la rébellion, p 14.

الباب الثاني: شبكات الدعم

فدرالية «ج.ت.و» فرنسا لتستقر في جمهورية ألمانيا الفدرالية ابتداء من 1958. فأجاب بأن الفدرالية لم تغادر فرنسا تماما لأنه كان يوجد دائما عضوين أو ثلاث من أعضاء اللجنة الفدرالية في باريس. كل ما في الأمر أنه تقرر عدم بقاء أعضاء اللجنة الفدرالية معا حتى لا تُعطى الفرصة للشرطة الفرنسية من إلقاء القبض على جميع أفرادها ومن ثم تعطيل عمل الفدرالية، مثلما حدث للفدراليات السابقة، كما جاءت أوامر من «ل.ت.ت - C.C.E»، من (عبان رمضان) بالتفرق وعدم البقاء بمجموعين في نفس الوقت وفي نفس مكان. وبهذه الكيفية استمر نضال الفدرالية في فرنسا وفي أوروبا حتى الاستقلال ولم يتعرض احد من أعضائها للتوقيف أو الاعتقال¹.

في بطاقة معلومات تحمل رقم (A.6)، تحدثت المعلومة رقم 4، مؤرخة في 21 جانفي 1959، استنادا إلى مصادر الاستخبارات الألمانية (SSDN/FAG)، عن تشكيل بعثة «ج.ت.و» في ألمانيا، وتضم: في المكتب السياسي (كرمان)، المدعو (مالك)، ونائبه (نواري). في مكتب التنظيم المالي والعبور (محبوبي أوصديق)، المدعو (عمر عربي). المحاضر (نايت قاسيم)². وتضيف المعلومات الواردة في ذات البطاقة أن (نواري) كانت مهمته الاهتمام بالصحافة، لكن (محبوبي) غادر «بون - Bonn» إلى مصر وتم تعويضه بالمدعو (حسين)، كان يعمل سابقا كمضيف في الخطوط الجوية الفرنسية³.

تمت أولى الاتصالات بين فدرالية «ج.ت.و» والألمان عن طريق اليسار الفرنسي المتطرف، التروتسكيين وبعض الشيوعيين الذين كانوا على قطيعة مع الحزب الشيوعي وقاموا بإرجاع بطاقاتهم بعد أن استوعبوا معنى حرب الاستقلال. يذكر (علي هارون) أن أول اتصال مثمر لفدرالية «ج.ت.و» مع الألمان كان خلال المؤتمر الذي عقده «الحزب الاشتراكي الديمقراطي - Le Parti Social-Démocrate (S.P.D)» في قاعة المؤتمرات لمركز «لييدر هال - Liederhalle» ب«شتوتجارد - Stuttgart» من 16 إلى 23 ماي 1958 برئاسة (إريك أولنهاور - Eric Ollenhauer)، حيث تمت دعوتهم كملاحظين من طرف البرلمان الشاب (هانس يورغن فيشنوسكي - Hans-Jürgen Wischnewsky)، وكان الوفد الجزائري يضم: (بلقاسم بن يحيى)، (عزيز بن ميلود)، (عبد الكريم شيتور)، (علي هارون)، (محمد حربي)، (حاج شرشالي) و(قدور العدلاني). في المؤتمر أخذ

¹ - Bougherara (Nassima), Les rapports franco-Allemands à l'épreuve de la question algérienne (1955-1963), Volume 7 de Travaux interdisciplinaires et plurilingues en langues étrangères appliquées, ISSN 1660-9964, Editions Peter Lang, Berne, Suisse, 2006, p 220.

² - كتبنا الأسماء المذكورة في بطاقة المعلومات كما وردت باللغة الفرنسية فمثلا (محبوبي) ورد (Mahaboubi)، و(مولود قاسم نايت بلقاسم) ورد (N'Ait Kacim).

³ - Archives de l'Armée de terre, service historique de la défense, château de Vincennes, la sous-série 1H, boîte n° 1H 1753, Dossier 2, bulletins du S.D.E.C.E relatifs aux relations du front de libération nationale avec l'Allemagne (1958-1962), fiche n° A. 6, pays européens occidentaux et aide direct ou indirect à la rébellion, p 1.

الباب الثاني: شبكات الدعم

(فيشنويسكي - Wischnewski) الكلمة وتحدث عن السياسة العامة والعلاقات الفرنسية الألمانية. وفي آخر الكلمة قام بتحيةة ممثلي المقاومة الجزائرية و«ج.ت.و» الموجودين في القاعة. احتج أعضاء «الحزب الاشتراكي الفرنسي - SFIO» وطلبوا من (فيشنويسكي - Wischnewski) سحب تصريحاته لكنه رفض فقام الوفد الفرنسي بمغادرة القاعة. وفي كواليس المؤتمر التقى برلمانيون ألمان تابعين لل«الحزب الاشتراكي الديمقراطي - SPD» بالوفد الجزائري، حيث تلقوا شروحات حول الحرب في الجزائر والهدف من المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي. وكان لهذا اللقاء صدى إيجابي إذ تلقى الوفد الجزائري اقتراحات للدعم العملي من «الحزب الاشتراكي الديمقراطي - SPD»¹.

فتح مؤتمر «الحزب الاشتراكي الديمقراطي - SPD» لفدرالية «ج.ت.و» أفاق واسعة للنشاط في جمهورية ألمانيا الفدرالية والتقرب أكثر من الرأي العام في ألمانيا وشرح حقيقة الحرب الاستعمارية التي تفرضها الحكومات الفرنسية على الشعب الجزائري، ونجحت تلك المساعي، وأعطى لممثلي الفدرالية فرصة شرح توجهاتهم ومواقفهم في أماكن كثيرة بألمانيا، وحتى في برلين، وجلبت اهتمام شخصيات، مجموعات ومنظمات ألمانية أبدت استعدادها لتقديم الدعم اللازم لكفاح الجزائريين من أجل الاستقلال².

على المستوى الفردي نجد مثالا الصحفي (فرنير بلوم - Werner Plum)، الذي أجرى اتصالات مع «ج.ت.و» بواسطة «الرهبان العمال - Prêtres Ouvriers» الفرنسيين. من بين النشاطات المختلفة، التي مارسها (بلوم - Plum) لصالح فدرالية «ج.ت.و»، التعريف بالقضية الجزائرية والكفاح الجزائري خارج منطقة الراين من خلال نشاط صحفي مكثف، بالخصوص في وسائل الإعلام القريبة من «الحزب الاشتراكي الديمقراطي - SPD»، حيث ألف مسرحيات إذاعية درامية وضع لها عناوين جذابة وذات محتوى يتناغم مع الحجج التي تسوقها «ج.ت.و» لتبرير رفع السلاح ضد فرنسا. أما النائب، عن «الحزب الاشتراكي الديمقراطي - SPD»، (هانس يورقن فيشنويسكي - Hans-Jürgen Wischnewski)، والمدعو (بن ويش - Ben Wisch)، فكان يفضل النشاط بشكل فردي بعيدا عن أنصاره ليضمن لنفسه هامش حرية أكبر للتحرك دون ضغوط منهم. وانطلاقا من قناعته بضرورة مد العون لحركة التحرر في العالم الثالث بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة، فإنه فهم بأن الجزائر ستصبح، إن عاجلا أو آجلا، شريك دبلوماسي ل«بون - Bonn»، وأن مستوى العلاقات المستقبلية يتوقف على موقف العواصم من كفاحها التحرري³.

¹ - Ibid, pp 221-222.

ينظر أيضا: Haroun (Ali), op cit p 132.

ينظر أيضا: Cahn (Jaen-Pauk) et Müller (Klaus Gürgen), op cit, 216-225.

² - Haroun (Ali), op cit, p 132.

³ - Cahn (Jaen-Pauk) et Müller (Klaus Gürgen), op cit, p 207.

تعددت مظاهر دعم (فيشنويسكي - Wischnewski) للثورة الجزائرية نذكر من بينها استئجار شقق ومكاتب باسمه لفائدة الجزائريين للتخلص ولو جزئيا من مضايقات الشرطة، كما لعب دور الوسيط بين الجزائريين في بون والجزائريين في تونس أين يتواجد مقر (ح.م.ج.ج - G.P.R.A). وفي غياب الرحلات الجوية المباشرة بين العاصمتين كان يوفر لمسؤولي «ج.ت.و» عناء السفر والمضايقات التي قد يتعرضون لها أثناء تنقلاتهم. وقد سمحت الرحلات لـ (فيشنويسكي - Wischnewski) بالاحتكاك مباشرة مع مسؤولين تونسيين وجزائريين للاطلاع على حقيقة الأوضاع عن قرب، وتزويد الرأي العام الألماني بصورة أخرى عن الوضعية الجزائرية، غير الصورة التي تروجها فرنسا والصحافة الألمانية المتعاطفة معها. ومن هذا المنطلق ضاعف في كتابة المقالات وأجرى حوارا مع (كريم بلقاسم)، نائب رئيس (ح.م.ج.ج - G.P.R.A) ووزير الدفاع و(محمود شريف) وزير التسليح حول أهداف الحكومة المؤقتة التي كانت قد نشأت حديثا. ونفس العمل الصحفي كان يقوم به أفراد ألمان آخرين لنصرة كفاح الجزائريين، نذكر من بينهم: (جوكل فيش - Jockel Fushs)، وهو نائب في جمعية مدينه «مينتر - Mains» الألمانية، الواقعة في الضفة الغربية من نهر الراين، (هينز نستلير - Heinz Nestler)، عضو جمعية «المواطنة - Bürgerschaft» لمدينة «لوبيك - Lübeck» شمال ألمانيا، (هورست سيفيلد - Horst Seefeld)، أمين «الحزب الاشتراكي الديمقراطي - SPD» في مقاطعة «كارلسروي - karlsruhe» جنوب غرب ألمانيا¹.

أما على المستوى الجماعي تأسست لجان عديدة لدعم الجزائريين في مناطق مختلفة من ألمانيا. ففي مدينة «شتوتجارت - Stuttgart» تأسست لجنة لمساعدة العمال الجزائريين في 1958 بمبادرة من (لويس بيلز - Louis Pilz) رئيس نقابة «دي.جي.بي - D.G.B»² بذات المدينة بمشاركة (فريتز هينكر - Fritz Henker) و(كارل شواب - Karl Schwab)، وهما عضوان في مكتب النقابة. أما مجموعة «كولوني - Cologne» فقد قامت بتقديم دعم إعلامي للثورة فريد من نوعه وهو إصدار جريدة دورية لتكون منبرا إعلاميا لتعريف القارئ باللغة الألمانية بوجهة النظر الجزائرية عن حقيقة الأوضاع الجزائرية، ودحض الرواية الفرنسية الرسمية، والأكاذيب التي

¹ - Ibid, pp 208-209.

² - «D.G.B»، باللغة الألمانية «Deutscher Gewerkschafts Bund»، أي «الكونفدرالية الألمانية للنقابات - La confédération Allemande des Syndicats»، وهي أكبر الكونفدراليات النقابية في ألمانيا، وتضم ثمان نقابات وستة ملايين منخرط. تأسس «D.G.B» في 12 أكتوبر 1949، ومقره في برلين، وهو عضو في «الكونفدرالية الأوروبية للنقابات - La Confédération Européenne des Syndicats»، و«الكونفدرالية النقابية العالمية - La Confédération Syndicale Internationale». ومن حيث التوجهات السياسية والأيدولوجية فهو قريب من «الحزب الاشتراكي الديمقراطي - parti social-démocrate» (S.P.D). خلال الثورة التحريرية ترأسه كل من «والتار فريتاج - Walter Freitag» بين 1951-1956، و«ويلي ريختار - Willi Richter» بين 1956-1962.

in *lemonde.fr*, 13 mai Reiner Hoffmann, **un syndicaliste allemand résolument européen** 2014, consulté le 8 janvier 2015 à 11:05.

الباب الثاني: شبكات الدعم

تشوه صورة كفاح الشعب الجزائري ضد الاستعمار. ففي سبتمبر 1958 قام «نادي العمل لأصدقاء الجزائر- Freies Algerien»، أي «الجزائر الحرة» بتمويل من فدرالية «ج.ت.و»، حيث كلفت الأعداد الأولى من الجريدة مبلغ ألفين مارك ألماني، أي ما يعادل ألفين فرنك فرنسي جديد لكل عدد، لكن فيما بعد وبفضل المبيعات والاشتراكات أصبحت الجريدة تصدر بمواردها الذاتية. في البداية انطلقت جريدة «فريز ألبيرين- Freies Algerien»، بحمسة آلاف نسخة، ثم تطور العدد تدريجيا. وبين سبتمبر 1958 وماي 1962 صدر أربع وعشرون عددا من الجريدة. تعاقب على إدارة عملية الإشراف على صدور الجريدة، على التوالي، كل من النائب: (هنس يورجن ويشينوسكي- Hans Jürgen Wischnewski)، بالنسبة للأعداد الأربعة الأولى، وعوضه (ويلي جلومب- Willi Glomb)، مسؤول «الشبيبة الاشتراكية- Jeunesses Socialistes» لـ«كولوني- Cologne»، ثم (ويلي بيرتز- Willi Pertz)، عضو في الاشتراكية الديمقراطية¹.

تابعت «مصلحة التوثيق الخارجي ومحاربة الجوسسة- S.D.E.C.E» الفرنسية مسألة صدور نشرية «فريز ألبيرين- Freies Algerien» باهتمام بالغ. ففي تقريرها رقم (23920/A)، المؤرخ في 15 أكتوبر 1959 أكدت أنه ابتداء من شهر أكتوبر ستظهر النشرة في شكل جديد، إذ ستتحول إلى نشرية خاصة بـ«ج.م.ج.ج- G.P.R.A» في ألمانيا. وأردفت مع هذا التقرير ملاحظة تقول فيها بأن النشرة تصدر في ألمانيا عن «دائرة العمل لأصدقاء الجزائر- Arbeitskreis Der Freunde Algeriens»، التي اتخذت كغطاء من «ج.ت.و»، وأن النائب (ويخناوسلي- Wichnewsli)، الذي كان يرعاها، تنازل عن مكانه للألماني (كلومب ويلي- Clomb Willi)، المولود حوالي 1931، ويسكن في «كولوني-بيكندورف- Cologne-Bickendorf»، «إرلنوي- Erlenwey»، رقم 8، وهو موظف في منظمة الشباب «أس.بي.دي- SPD»، «دي فالكن- Die Falken»، أي الصقور، وفي نفس الوقت يعمل في السر لصالح «ج.ت.و»².

اهتمت جريدة «فريز ألبيرين- Freies Algerien» في مقالاتها بإعادة نشر مقاطع من جريدة المجاهد وتصريحات «ج.م.ج.ج- G.P.R.A»³. وذكر (علي هارون) في كتابه «الولاية السابعة- La 7^e Wlaja» أن أم جندي شاب في اللفياف الأجنبي كتبت إلى الجريدة تطلب المساعدة لإعادة ابنها القاصر إلى البيت بعد أن أوهموه بأنه ذاهب إلى مدينة «سيدي بلعباس»، غرب الجزائر، لمواصلة الدراسة، لكن في حقيقة الأمر أخذ

¹ - Haroun (Ali), op cit, p 133.

ينظر أيضا: Cahn (Jaen-Pauk) et Müller (Klaus Gürgen), op cit, p 212.

² - Archives de l'Armée de terre, service historique de la défense, château de Vincennes, la sous-série 1H, boîte n° 1H 1753, Dossier 2, bulletins du S.D.E.C.E relatifs aux relations du front de libération nationale avec l'Allemagne (1958-1962), fiche n° A. 6, pays européens occidentaux et aide direct ou indirect à la rébellion, p 10.

³ - Ibid.

الباب الثاني: شبكات الدعم

للتجنيد. كما تلقت الجريدة رسالة بتاريخ 18 نوفمبر 1958 رسالة تشجيع من (ويلي كونين - Willy Cönen)، النائب في البرلمان الألماني الـ«بُندستاغ - Bundestag» عن منطقة «دوسلدورف - Düsseldorf»¹.

أما التضامن، الدعم والمساندة للجزائريين من المنظمات الألمانية ذات البعد الوطني، فإننا نجد على مستوى مجموعات الشباب الاشتراكية، الشيوعية والتروتسكية ثلاث منظمات نشطة وهي: «الدائرة الشمال إفريقية - Le Cercle nord-africain»، في مدينة «هامبورغ - Hambourg»، «دائرة العمل لأصدقاء الجزائر - Le Cercle de travail des amis de l'Algerie»، الذي أسسه (هنس يورجن ويشينوسكي - Hans Jürgen Wischnewski) و«اتحاد أصدقاء الجزائر - l'Union des amis de l'Algérie»، في مدينة «نورمبرغ - Nuremberg». ولم يقصر الدعم على هذه المنظمات، بل امتدت إلى حركات أخرى نقابية، طلابية ومسيحية، مثل: «المجموعة الطلابية البروتستانتية في ألمانيا - La Communauté des Etudiants Protestants en Allemagne»، حركة «باكس كريستي - Pax Christi»، وهي حركة كاثوليكية عالمية من أجل السلام، «اتحاد الطلبة الألمان الكاثوليكين - l'Union des Etudiants Allemands Catholiques»، لجنة «كاريتاس - Caritas»، وهي منظمة كاثوليكية، «برلمان الطلبة - Le Parlement des Etudiants»، نقابة العمال التابعة لشركة جديد «إي جي ميتال - IG Metall»، وغيرها من التنظيمات الأخرى².

تنوع الدعم الذي قدمته هذه التنظيمات للجزائريين، خاصة للعمال والطلبة، كتوفير المأوى والوجبات الغذائية، اللبسة، المنح للطلبة لمواصلة دراستهم، المشاركة في التجمعات والمعارض التي نُظمت في العديد من المدن الألمانية كـ«جوتينجن - Göttingen»، «هيدلبرغ - Heidelberg»، «فرانكفورت - Frankfort»، «كييل - Kiel»، «ميونيخ - Munich»، «فيلينجن - uberck» و«برلين الغربية - Berlin-Ouest»، والتي كانت تستقطب أكثر من خمسة آلاف شخص. وحتى الأسفار ذات الطابع الثقافي التي تنظم إلى فرنسا كانت تُستغل لنقل كميات كبيرة من المعدات الإخبارية لصالح فدرالية «ج.ت.و» على متن الحافلات التي كانت تقلهم إلى فرنسا³. وفي هذا الاتجاه عمل «الاتحاد الألماني لنقابات العمال - D.G.B» و لجنة «كاريتاس - Caritas» بدعم المنظمات المحلية التي تشتغل في مساعدة الجزائريين بتوفير المال، الغذاء، الألبسة والمأوى. وأبدت شركة الحديد «إي جي ميتال - IG Metall» استعدادها لتوظيف العديد من العمال الجزائريين الذين يملكون

¹ - Haroun (Ali), op cit, p 134.

² - Benamara (Kader) et Keller (Fritz), Solidarité en action. Soutien européen à la résistance algérienne 1954-1953, Editions Barakat, Alger, 2013, pp 74-75.

³ - Benamara (Kader) et Keller (Fritz), op cit, p 74.

الباب الثاني: شبكات الدعم

استعدادات للعمل في ميدان صناعة الحديد والصلب بعد استفادتهم من تريض تكويني. كما استفادت إدارات نقابية من دورات تكوينية بفضل التنسيق الذي جرى بين نقابة «إ.ع.ع.ج - U.G.T.A» والنقابات الألمانية. أما المنح الدراسية فقد استفاد منها العديد من الطلبة الجزائريين، رغم قلة عددهم، بإشراف «إ.ع.ط.م.ج - U.G.E.M.A»، الذي نجح في 1960 بافتكاك سبعين منحة من الخارجية الألمانية، تضاف إلى المنح التي تبرعت بها النقابات الألمانية¹.

كانت المخابرات الفرنسية تراقب عن كثب نشاطات فدرالية «ج.ت.و» في جمهورية ألمانيا الفدرالية، وهذا ما تبينه التقارير التي كانت تحررها «مصلحة التوجيه والتنفيذ ومحاربة الجوسسة - S.D.E.C.E» للسلطات الفرنسية، واطلعنا على الكثير منها في الأرشيف المتواجد بـ«قصر فانسان - Château de Vincennes». ففي تقرير يحمل رقم (40.376)، ومؤرخ في 27 جانفي 1961، وبالعنوان: "طلب رخصة إقامة في جمهورية ألمانيا الفدرالية لعمال مناجم جزائريين" ورد فيه أنه في بداية أكتوبر 1960 تقدم (أحمد طربوش)، وهو موظف نقابي لدى «إ.ع.ع.ج - U.G.T.A»، إلى مقر «دي.جي.بي - D.G.B» لمنطقة السار بطلب السماح لمثلي عامل منجمين جزائريين بالاستقرار في جمهورية ألمانيا الفدرالية. هؤلاء العمال جاؤا من «هويير - Houillères» الحوض المنجمي لمنطقة «اللورين - La Loraine»، وتم توجيههم إلى حوض «الروهر - Ruhr»². وفي تقرير يحمل رقم (40.758)، ومؤرخ في 8 فيفري 1961، وبالعنوان: "تأسيس «لجنة الجزائر الحرة في السار»" جاء فيها أن «لجنة الجزائر الحرة» قد تم تأسيسها في «ساربروكن - Saarbrücken». أعضاءها ينتمون إلى اليسار الساروي. وتم تقديم إعلان إلى الصحافة لشرح الهدف الذي حددته اللجنة لنفسها، وهو مساعدة الجزائريين من أجل الاستقلال الوطني، ومساعدة الجزائريين، الذين بسبب أفكارهم السياسية فروا من فرنسا للمجيء إلى السار لإيجاد الأمن والعمل³. وأسندت إدارة هذه اللجنة إلى (فريدريش ريجيتز - Friedrich Regitz)، النائب عن «الحزب الاشتراكي الديمقراطي - SPD»، و(أوسكار ديتمبل - Oscar Detemle) ممثل «دي.جي.بي - D.G.B» في منطقة «السار - La Sarre»⁴.

أما فيما يخص الطلبة الجزائريين فإن العديد من التقارير تحدثت عن أعدادهم، وضعيتهم وحتى التخصصات التي يزاولونها. ففي تقرير رقم (D 1908) مؤرخ في 19 أكتوبر 1961، يكشف استنادا إلى مصادر من

¹ - Cahn (Jaen-Pauk) et Müller (Klaus Gürge), op cit, pp 214-215.

² - Archives de l'Armée de terre, service historique de la défense, château de Vincennes, la sous-série 1H, boîte n° 1H 1753, Dossier 2, bulletins du S.D.E.C.E relatifs aux relations du front de libération nationale avec l'Allemagne (1958-1962), fiche n° A 53, pays européens occidentaux et aide direct ou indirect à la rébellion.

³ - Ibid, fiche n° B 54, p 2.

⁴ - Ibid, نقلا عن وكالة الأنباء «Deutsche Presse-Agentur» (dpa) في ألمانيا في 26 سبتمبر 1960.

الباب الثاني: شبكات الدعم

«إ.ع.ط.م.ج - UGEMA»، أنه يوجد 84 طالبا جزائريا في جمهورية ألمانيا الفدرالية منهم: أربعة عشر طالبا في الآداب، ستة عشر في العلوم القضائية، الاقتصادية والسياسية، ثلاثة في العلوم، خمسة عشر في الطب، تسع وعشرين تلميذا تقنيا، إثنتين متفرقة وواحد دراسات ثانوية. ويضيف التقرير أنه حسب عضو في اللجنة التنفيذية لل«إ.ع.ط.م.ج - UGEMA»، لم يرد اسمه، أن صناعيين في جمهورية ألمانيا الفدرالية يكونون قد عرضوا أربعين منحة لطلبة جزائريين، لكن وبدخل من فرنسا تم سحب العرض¹. وفي تقرير يحمل رقم (6.132) مؤرخ في 16 ديسمبر 1961 ويوضح أن الطلبة الجزائريين الآتية أسماءهم كانوا بزاولون دراستهم في جمهورية ألمانيا الفدرالية، ويتهيئون العودة إلى الدراسة في أكتوبر 1961، وهم: (جلول بن سالم)، (صالح جلول)، (شطور محمد) و(بوعكة كمال)².

حضيت النشاطات ذات الطابع العسكري للألمانيين المساندين لكفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال باهتمام أجهزة المخابرات الفرنسية. وورد في بطاقة معلومات (A 59)، مؤرخة في 06 ماي 1960، أنه في 30 أبريل 1960، واستنادا إلى معلومات استخباراتية من «مصلحة الوثائق الخارجي ومحاربة الجوسسة - S.D.E.C.E»، الفرع الغربي، ألقت الشرطة المغربية القبض على ستة رعايا ألمان، جاءوا إلى المغرب حديثا، وبحوزتهم أسلحة نارية وأسلحة بيضاء. وحسب بعض المعلومات غير القطعية فإن هؤلاء الألمان يحتمل أنهم جاءوا إلى المغرب بهدف الانخراط في المفزة العالمية لجيش التحرير الجزائري. وهؤلاء الرعايا هم: (نوفورت تيبو - Neufurth Théo)، (كوبلين هربرت - Kopplin Herbert)، (ريني جورج - Rainer Georges)، (توبلاس فرانك - Toblas Frank)، (هورفت سارج - Horft Serge)، (مولار رولفت - Muller Rolft)³. وهناك تقارير أخرى تشير إلى ضلوع شخصيات ألمانية في تقديم المساعدة التقنية العسكرية لمصنع الأسلحة التابع ل«ج.ت.و» بالمغرب.

2 - بلجيكا

يعود تواجد الجزائريين في بلجيكا إلى بداية القرن العشرين، منذ 1922-1923، بغرض العمل خاصة في قطاع المناجم، ويتمركزون بشكل خاص في منطقة «لياج - Liège»، «مونس - Mons»، «شارلوروا - Charleroi»⁴. ومنذ نهاية الأربعينات أصبحوا جالية جد منظمة ومسيسة في كنف فدرالية فرنسا التابعة ل«ج.إ.ح.د - M.T.L.D». لكن ابتداء من 1954 دخلت هذه الجالية الجزائرية في مرحلة عصيبة جراء

¹ - Ibid, fiche n° B 54, p 11.

² - Ibid, fiche de renseignements n° B 54, p I2.

³ - Ibid, fiche de renseignements A 59.

⁴ - Stora (Benjamin), op cit, p 148.

الباب الثاني: شبكات الدعم

الانقسام الذي ضرب الحركة الوطنية منذ 1953 بين المصاليين والمركزيين، ليتطور الأمر إلى فصول دموية ومأساوية مع ظهور «ج.ت.و» و«ح.و.ج». ويجب أن لا ننسى العملية الواسعة التي قامت بها الشرطة البلجيكية باتجاه (مصالي الحاج) ومئات الإطارات الموالية له أثناء انعقاد مؤتمرهم في مدينة «هورنو - Hornu» في جويلية 1954 ليجد المهاجرون أنفسهم مقحمون في صراع حزبي يهدد لقمة العيش ويرهن استقرارهم في ديار الغربة¹.

إذا أردنا تتبع موقف الرأي العام في بلجيكا من الثورة الجزائرية، نجده لا يختلف كثيرا، في تطوره، عن موقف الرأي العام في أوروبا الغربية. وارتبط هذا التطور بدرجة تأثير الحرب الفرنسية الجزائرية على الأمن الداخلي، العلاقة مع فرنسا والمصالح الاقتصادية المستقبلية مع الدولة الجزائرية المستقلة، والذي ربطتها «ح.م.ج.ج - G.P.R.A» بمواقف الحكومات الغربية من كفاح الشعب الجزائري من أجل استقلاله، خاصة إذا علمنا أن الاستقلال أصبح مسألة وقت منذ قبول فرنسا التفاوض مع «ج.ت.و» ابتداء من 1960. في غياب عمليات سير الآراء حول موقف الرأي العام البلجيكي من حرب تحرير الجزائر، فإن الصحافة تصبح الملاذ الأساسي للباحثين لمعرفة درجة اهتمام البلجيكيين بالحرب ومدى تأثيرهم بها.

في السنتين الأولى من حرب التحرير الوطني كانت الصحافة البلجيكية قليلة الاهتمام بالموضوع، ولم تطرح وجهة نظر لصالح أو ضد استقلال جزائر، لكن النقاش انصب حول بعض المواضيع، مثل «إحلال السلم - La pacification» و«الاندماج - L'intégration». ومن الأسباب التي أدرجتها الصحف البلجيكية لتفسير انتفاضة الجزائريين ضد فرنسا، الفوارق الاجتماعية التي أقامتها فرنسا، عدم موافقة الإسلام مع النموذج الجمهوري، تصاعد المد الوطني الجزائري، فشل مؤسسات الجمهورية الرابعة في التعاطي مع الملف الجزائري، ورغبة الشعوب في إدارة نفسها بنفسها². وأورد بعض المؤرخين سبب آخر لعدم انشغال البلجيكيين بالحرب في الجزائر، في بدايتها، وهو الخوف من انتقال العدوى إلى «الكونغو»، المملوكة القديمة للملك البلجيكي (ليوبولد - Leopold) في إفريقيا³. ومع ذلك فإنه من غير المعقول، لدى غالبية البلجيكيين، أن تتخلى فرنسا عن الجزائر. لكن، فيما بعد، ومع تعمق الصراع، وتفاقم الأزمة السياسية الفرنسية، ورغبة (ديغول - De Gaulle) في المضي

¹ - Amand Lefebvre, *L'immigration algérienne des années 1950 vue au travers des rapports de la Sûreté d'État*, www.carhima.be/IMG/pdf/rapports_du_ceges consulté le 24-02-2016 à 21:45.

² - Amand Lefebvre, *Regard de l'opinion belge sur la guerre d'Algérie*, www.carhima.be/IMG/regard_de_l_opinion_belge_sur_la_guerre_d_algerie. consulté le 24-02-2016 à 21:45.

³ - Charby (Jacques), op cit, p 254.

الباب الثاني: شبكات الدعم

قدما في سياسة تصفية الاستعمار ولجوء «منظمة الجيش السري - I'O.A.S» إلى العنف المسلح، كل ذلك دفع أعداد متزايدة من البلجيكيين، على غرار الرأي العام الفرنسي، إلى قبول فكرة استقلال الجزائر¹.

من الناحية العملية فإن الجهات التي دعمت الجزائريين في كفاحهم من أجل الاستقلال في بلجيكا، نجد «اللجنة من أجل السلام في الجزائر - Le Comité pour la paix en Algérie»² و«مجمع المحامين البلجيكيين - Le collectif des avocats belges»³، وكلاهما كان مرتبطا بشبكة الدعم الفرنسية. وتعددت أوجه الدعم، كتوفير المأوى للملاحقين، الدفاع عن المعتقلين والمُسجونين في المحاكم البلجيكية وحتى الفرنسية، تنظيم عمليات عبور الحدود، استخراج أوراق الهوية المزورة أو الحقيقية، نقل الأموال والسلاح، تنظيم اللقاءات، الندوات والمعارض، لتحسيس الرأي العام البلجيكي بالمشكل الجزائري.

في الأصل يعود الفضل في توعية الرأي العام البلجيكي، القريب من فرنسا، بالمشكل الجزائري إلى الأوساط المسيحية في شخص (إيمانويل مونيه - Emmanuel Mounier) ومجلته «إسبري - Esprit» ومجلة «تموانياج كريتيان - Témoignage Chrétien»، التي كانت، بمقالاتها وتحقيقاتها، السبابة في فضح الممارسات غير الإنسانية للجيش الفرنسي في حق الجزائريين وفي مقدمتها التعذيب. وقد تشكلت حول مجلة «إسبري - Esprit»، بعد الحرب العالمية الثانية، مجموعات مسيحية قريية منها في بلجيكا ومناهضة للاستعمار، وبشكل خاص في «لياج - Liège» و«بروكسل - Bruxelles». ودائما مع الأوساط المسيحية اليسارية، فإن قراء «تموانياج كريتيان - Témoignage Chrétien» استفادوا من طبعة بلجيكية للمجلة مما سمح لهم بلعب دور هام في تطور الرأي العام في بلجيكا حيال القضية الجزائرية⁴. وفي تقرير سري ل«م.ت.خ.م.ج - S.D.E.C.E» مؤرخ في 3 أكتوبر 1961، ويحمل عنوان: «الاهتمام الذي تبديه النقابات المسيحية للعمال الجزائريين» تم عرض النشاطات التي تقوم بها النقابات المسيحية اتجاه العمال الجزائريين في بلجيكا، بشكل خاص، تعليم اللغة الفرنسية، تنظيم اجتماعات نقابية أو لقاءات خاصة لدراسة مشاكل الجزائريين بهدف مساعدتهم. وكان هذا

¹ - Amand Lefebvre, *Regard de l'opinion belge...*, ibid.

² - تأسست «اللجنة من أجل السلام في الجزائر - Le Comité pour la paix en Algérie» في جانفي 1958 من طرف (بيار لوجراف - Pierre Le Grève) وهو من الوجوه البارزة للثروتسكيين في بلجيكا. نظم العديد من اللقاءات وقدم مساعدة للمناضلين الجزائريين لعبور الحدود.

Benamara (Kader) et Keller (Fritz), op cit, p 47.

³ - تشكل «مجمع المحامين البلجيكيين - Le collectif des avocats belges» في 1957، للدفاع عن مناضلي فدالية «ج.ت.و». ويضم المحامين (سارج مورو - Moureaux)، (مارك دوكوك - Marc De Cock)، (سيسيل درا - Cécile Draps)، (أندري مارشي - André Merchie).

Ibid, p 46.

⁴ - Charby (Jacques), op cit, p 254.

الباب الثاني: شبكات الدعم

النشاط جد قوي في مدن «بوريناج - Borinage»، «مونس - Mons» و«شارلوروا - Charleroi». وأشار التقرير أيضا إلى أنه على المستوى النقابي فإن تلك النشاطات أدت إلى ابتعاد العمال الجزائريين عن «الفدرالية العامة للعمل لبلجيكا - Fédération générale de travail de Belgique (F.G.T.B) لصالح النقابات المسيحية. وفي آخر التقرير نجد أسماء الأشخاص المهتمين بهذه النشاطات وهم: (أحمد بوسروال)، طالب جزائري، (هنري لوبران - Henri Lebrun)، أمين النقابات المسيحية في «مونس - Mons» و«بوريناج - Borinage»، (جيوسي سانسون - Giudeppe Sanson)، موظف نقابي مسيحي، (جان دوريان - Jean Doeraene)، مسؤول نقابي للنقابات المسيحية البلجيكية ويتولى الشؤون المالية، (هايني - Haini)، مسؤول نقابي لمدينة «شارلوروا - Charleroi»، (القس دوكير - Abbé Dedecker)، (الراهب كارتورون - Père Carteron) من مدينة «ليون - Lyon» و القس (بيار ديشيمايكر - Pierre Descheemaeker)، من مدينة «ليل - Lille» الفرنسية¹.

من جهتهم اتبع الشيوعيون البلجيكيون، فيما يتعلق بالمسألة الاستعمارية، خط قريب من نظرائهم الفرنسيين. ومع تواتر أخبار القمع، التعذيب والإعدام، الذي يقوم به الجيش الفرنسي في الجزائر، رأى العديد من البلجيكيين، خاصة التروتسكيين، أن الإدانة اللفظية لم تعد كافية ولا مجدية، لذا قرروا الانتقال إلى المساندة العملية للجزائريين في كفاحهم من أجل الاستقلال. ومن بين هؤلاء نذكر (أرناست موندال - Ernest Mandel)، وهو عالم اقتصاد وقائد الفرع البلجيكي للأمية الرابعة، الذي قام برفقة صديقه (بيار لوجريف - Pierre Le Grève) بإخراج الطبعة الأولى من جريدة «المقاومة الجزائرية - Résistance Algérienne» في 1956، والزوج (لويس وإريني جاكمن - Louis et Irénée Jacmain)، وهما من قدماء المقاومين، والذين فتحا مسكنهما، الكائن في مدينة «أوكل - Uccle» البلجيكية، لاستقبال الطلبة المناضلين في صفوف «إ.ع.ط.م.ج - U.G.E.M.A»، في طريقهم لعبور الحدود. وخلال ست سنوات تم استقبال أكثر من مئة مسؤول ومناضل جزائري، بالإضافة إلى أعضاء من شبكة الدعم الفرنسية ل«ج.ت.و». وكان الأديب الجزائري (كاتب ياسين) أحدهم. ونفس العمل شارك فيه أشخاص آخرون بحماسة وقناعة نذكر (لوك سومارهومس - Luc Somerhausen)، المدعو (أليكس - Alex)، (جاك ناجلز - Jacques Nagels)، (ماججي رايب - Maggy Rayet)، (جان دونو - Jean Doneux)، (جان فان لييرد - Jean Van Lierde)، (لوسيان باري - Lucien Pary)، (هونريات مورو - Henriette)، زوجة المحامي، عضو مجمع المحامين البلجيكيين، (سارج مورو - Serge moureaux) وأخاه (فليب مورو - Philippe Moureaux)².

¹ - Archives de l'Armée de terre, service historique de la défense, château de Vincennes, la sous-série 1H, boîte n° 1H 1753, Dossier 4, rapport du S.D.E.C.E, ref (D1615/IV), intérêt porté par les syndicats chrétiens aux travailleurs algériens, la 3 octobre 1961.

² - Charby (Jacques), op cit, p 255.

في إرسالية سرية لـ«مصلحة التوثيق الخارجي ومحاربة الجوسسة - S.D.E.C.E» مؤرخة في 04 أكتوبر 1961 وبعتوان "الشبكة البلجيكية لمساندة «ج.ت.و»" تتضمن ثلاثة ملاحق: الأول عبارة عن مذكرة حول الشبكة البلجيكية لدعم «ج.ت.و»، جاء فيها: "الشبكة البلجيكية لدعم «ج.ت.و» نشيطة ويتجلى ذلك في: الدعاية لصالح أطروحات «ج.ت.و»، ربط اتصالات بين «ج.ت.و» بألمانيا و«ج.ت.و» بفرنسا، توفير وثائق الهوية لأعضاء «ج.ت.و»، أو أعضاء «شبكة جانسون» (عند طرده من سويسرا كان جانسون يستعمل بطاقة هوية بلجيكية، وسيارة مرقمة في بلجيكا باسم مستعار)، توفير مأوى للأشخاص الفارين من السجون الفرنسية". الملحق الثاني يعرض برنامج العمل الذي بثته «اللجنة البلجيكية من أجل السلم في الجزائر - Le comité belge pour la paix en Algérie» لأعضائها في 10 سبتمبر 1961 تدعو فيه إلى تحقيق، وبشكل ملموس، النقاط التالية: "يجب على بلجيكا، في حدود إمكانياتها، استخدام نفوذها لحمل فرنسا على الاعتراف، بالاستقلال دون شروط مسبقة، واحترام الوحدة الترابية للجزائر. ومهما كانت الأسباب، يجب على بلجيكا الامتناع عن مساندة فرنسا في سياستها الرامية إلى تقطيع التراب الجزائري، والحد من حرية الشعب الجزائري في اختيار نظامه السياسي والاقتصادي. يجب على بلجيكا، بالنظر إلى العلاقات المستقبلية مع الدولة الجزائرية، أن تسمح للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أو جبهة التحرير الوطني من تنصيب بعثة في بروكسل، مثلما هو الحال في لندن، بون، جنيف وروما. ويجب الحصول على موقف من محافظة الشؤون الخارجية، والتي هي حتى الآن، المحافظة الوزارية الوحيدة التي تعارض تطبيق سياسة عادلة اتجاه الجزائريين، والتي تحت الضغط الفرنسي تبحث عن التراجع عن القرارات السابقة. يجب فضح التدخل المستمر لسفارة فرنسا في الشؤون العامة لبلادنا، لاسيما، منع الإعلام الحر من المشكل الجزائري. علينا في الأسابيع القادمة بث تداء جديد في البلاد. وعلينا أيضا تنظيم حصص لعرض أفلام، وهذا في كل المناطق وفي كل الأوساط". أما الملحق الثالث فهو عبارة عن قائمة كاملة للأعضاء الجدد بالشبكة، ومكملة لقائمة سابقة تم إرسالها في مراسلة سابقة تحمل رقم (40998/A)، ومؤرخة في 13 فيفري 1961¹.

كانت نشاطات «اللجنة البلجيكية من أجل السلم في الجزائر - Le comité belge pour la paix en Algérie» لمساندة الشعب الجزائري محل اهتمام خاص من «م.ت.خ.م.ج - S.D.E.C.E»، ونجد في عشرات التقارير وبطاقات المعلومات جرد ووصف لمختلف نشاطات اللجنة وأماكن حدوثها، وفي بعض التقارير

¹ - Archives de l'Armée de terre, service historique de la défense, château de Vincennes, la sous-série 1H, boîte n° 1H 1753, Dossier 4, rapport du S.D.E.C.E, destinataire n° 541, ref (D 1595/A), réseau belge de soutien au FLN, le 4 octobre 1961, pp 1-15.

الباب الثاني: شبكات الدعم

إشارة إلى تأثيرها على الرأي العام البلجيكي وحتى على الحكومة البلجيكية في بناء مواقفها حيال الحرب الفرنسية الجزائرية. ففي بطاقة معلومات مؤرخة في 4 سبتمبر 1954، تبين أن فدرالية «ج.ت.و» تلقت، من القاهرة، رسالة بالبريد المضمون تشير إلى أن «اللجنة البلجيكية من أجل السلم في الجزائر - Le comité belge pour la paix en Algérie» ترغب في الحصول على أسماء وعدد الجنود البلجيكيين الموجودين حاليا في جيش التحرير الوطني، والذين ستفيد أسمائهم، بعد تحريرهم، في تكثيف الحملة لصالح الجزائر. ومن جهة أخرى، ترغب اللجنة البلجيكية في إرسال ثلاث صحفيين إلى مخيمات اللاجئين الجزائريين¹.

في تقرير آخر مؤرخ في 2 أكتوبر 1961، وتحت عنوان: "نشاطات موابية لـ«ج.ت.و» - Activités pro-FLN" تطرق إلى محتوى نشرية داخلية مؤرخة في سبتمبر 1961، وتتضمن في جزئها الأول المعنون: "نشاطنا" ويحتوي على ثلاثة فصول: الأول معنون بـ«الأمس - Hier»، وفيه ثناء على نشاط «ح.م.ج.ج.ج. - G.P.R.A»، الثاني «اليوم - Aujourd'hui» وفيه تطور الرأي العام اتجاه المشكل الجزائري، والوضعية السياسية في فرنسا، الثالث «غدا - Demain» وفيه حث الحكومة البلجيكية على فتح مكتب لبعثة «ح.م.ج.ج.ج. - G.P.R.A» في «بروكسل - Bruxelles» والتنديد بتدخل السفارة الفرنسية ببلجيكا في الشؤون الداخلية للبلاد. أما الجزء الثاني من النشرة فهو معنون بـ«نهاية التسليم - La fin des extraditions» يعرض فيه حالات بعض الجزائريين المطلوب تسليمهم إلى فرنسا، ويتعلق الأمر بـ(عرباوي محمد)، (زاوش الطاهر)، (عبدى أرزقي) و(أكلي رابح) ونجاح اللجنة و«ح.م.ج.ج.ج. - G.P.R.A» في إقناع الحكومة البلجيكية بعدم تسليمهم. وفي الفقرة الأخيرة يوجد مقتطف من رسالة شكر أرسلها (عرباوي محمد) إلى «اللجنة البلجيكية من أجل السلم في الجزائر - Le comité belge pour la paix en Algérie»².

بيرو (بيار لوبارجي - Pierre Le Grève)، مؤسس «اللجنة البلجيكية من أجل السلم في الجزائر - Le comité belge pour la paix en Algérie»، حدث يعتبره مهم في مسيرة الدعم البلجيكي للثورة الجزائرية، وفي الترويج لكفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال، ألا وهو دعوة (جان بول سارتر - Jean-Paul Sartre) إلى «بروكسل - Bruxelles» لإلقاء محاضرة في الجامعة. اللقاء حدث في 12 مارس 1962، أيام قبل التوقيع على «اتفاقية إيفيان»، بين الحكومة الفرنسية و«ح.م.ج.ج.ج. - G.P.R.A». كانت القاعة التي سيحاضر فيها (سارتر - Sartre)، الذي كان برفقة (سيمون دي بوفوار - Simone De Beauvoir)، مكتظة بالحاضرين، حتى أن عدد الواقفين كان أكبر من عدد الجلوس، وكان عليهم دفع خمس وعشرين فرنك

¹ - Ibid, fiche de renseignements n° A .6 (7), dossier "E", le renseignement n° 44, le 4 September 1959.

² - Ibid, , rapport du S.D.E.C.E, destinataire n° 508, ref (D 1541), activités pro-F.L.N, le 2 octobre 1961, pp 1-2.

الباب الثاني: شبكات الدعم

بلجيكي للحضور، ومع ذلك بقي الجميع إلى النهاية. وكان موضوع المحاضرة حول الجزائر وصعود الفاشية، وترك ذلك انطبعا حسنا للقضية الجزائرية¹.

إذا رجعنا للحديث عن مجمع المحامين البلجكيين وهم (سارج مورو - Serge Moureaux)، (مارك دوكوك - Marc De Cock)، (سيسيل درا - Cécile Draps) و(أندري مارشي - André Merchie)، فإنه كان يعمل إلى جانب مجمع المحامين الفرنسيين وهم: (أوسديق بن عبد الله)، (جاك فارجيس - Jacques vergès)، (ميشال زافريان - Michel Zavrian) أو (بني مراد)، للدفاع عن المقاومين الجزائريين. ومن المهام التي أداها مجمع المحامين البلجكيين بنجاح، بالتعاون مع «اللجنة البلجيكية من أجل السلم في الجزائر - Le comité belge pour la paix en Algérie»، هو إنفاذ كل من (عرباوي محمد)، (زاوش الطاهر)، (عبدي أرزقي) و(أكلي رابح) من الإعدام بالمقصلة، عندما صدر حكما بعدم تسليمهم إلى فرنسا التي كانت تضغط على الحكومة البلجيكية في هذا الاتجاه، باعتبار أن هؤلاء المطلوبين متورطين في "أعمال إرهابية" بفرنسا. يضاف إلى هؤلاء مناضلين أعضاء في المنظمة الخاصة التابعة لفدرالية «ج.ت.و»².

في خطاب له بمناسبة الذكرى الخمسين لاستقلال الجزائر، ذكر (سارج مورو - Serge Moureaux) بالدور الرائع الذي لعبه البلجيكيون إلى جانب الجزائريين في مسيرة الكفاح نحو التحرر، و"بدون هؤلاء الناس، الذين، بالنسبة لي، هم شرف الديمقراطية البلجيكية بشجاعتهم، تضحياتهم، ونصرتهم للعدالة ما كان للعمل الذي قمنا به أن يتم". ودفع البعض حياتهم ثمنا في سبيل ذلك مثلما حدث (جورج لابيرش - George Laperches). وأضاف في مكان آخر من الخطاب: "تحت رعاية (عبد المجيد طيطوش)، المدعو (مارك دوجاردين - Marc dujardin)، مسؤول فدرالية الجبهة في بلجيكا كان مجمع المحامين الفرنسي

¹ - A.M. Des Belges solidaires d'une Algérie indépendante, le quotidien Algérien Liberté du 3 mars 2012.

<http://www.liberte-algerie.com/evenement/des-belges-solidaires-dune-algerie-independante-104253> consulté le 02-03-2016 à 11:15.

² - لمزيد من المعلومات عن مجمع المحامين ومساندته لجزائر مستقلة ينظر:

Haroun (Ali), op cit, pp 167-181.

ينظر أيضا:

Moureaux (serge), Avocats sans frontière. Le collectif belge et la guerre d'Algérie, préface de Ali Haroun, Casbah Editions, Alger, 2000.

ينظر أيضا:

Radziewsky (Marie-Claude), Le théâtre de la vie, mémoire d'une avocate engagée, préface de Ali Haroun, Robert El Baz, postface de Jacques Vergès, Casbah Editions, 2013.

والبليجيكي يجتمعون سرا بـ(ألان - Alain) وهو (علي هارون)، (بيدرو - Pedro)، وهو (قدور العدلاني) و(عمر بوداود) لتحليل الأوضاع وتحديد الأهداف¹.

3 - سويسرا

تختلف سويسرا عن بقية بلدان أوروبا الغربية بأنها دولة محايدة، أي أنها ترفض، ومنذ قرون، التدخل في الصراعات الأوروبية والدولية، باستثناء العمليات الإنسانية². هذا يدفعنا للتساؤل عن مدى التزام السويسريين بذلك الحياد في التعامل مع حرب استقلال الجزائر؟

منذ نشأتها، كدولة فدرالية في 1848، كانت سويسرا وفرنسا شريكين على أعلى مستوى، خاصة على المستوى الاقتصادي والمالي، ورغم أن هذه الشراكة تعرضت لانتكاسات في فترات مختلفة، إلا أنها بقيت قوية³. ولا يفوتنا أن نذكر أن التواجد السويسري في الجزائر يعود إلى 1872 تاريخ تأسيس أول شركة سويسرية وهي «الشركة الخيرية السويسرية - La société helvétique de bienfaisance» بمدينة الجزائر⁴. كما فتحت

1 - من خطاب (سارج مورو - Serge Moureaux) في 10 نوفمبر 2004، بمناسبة الذكرى الخمسين لاستقلال الجزائر. <http://justesdalgerie.forumactif.org/t88-collectif-des-avocats-belges-du-fln> consulté le 26-12-2016 à 22:30 .

2 - لم تكن سياسة الحياد السويسرية اختيارية بل فرضت على السويسريين. وتعود أصولها إلى نهاية القرون الوسطى، حيث كانت سويسرا تمتلك أحسن الجنود في أوروبا، وكان ملوك أوروبا يوظفونهم كمرتزقة في جيوشهم، لكن في 1515م انهزم السويسريون أمام فرنسا في معركة «مارينيان - Marignane» جنوب فرنسا، ووقعوا على معاهدة «فريبورغ - Fribourg» في 29 نوفمبر 1516، في عهد الملك (فرانسوا الأول - François I)، التي تفرض على السويسريين التوقف نهائيا عن محاربة فرنسا أو تزويد أعدائها بالجنود المرتزقة. وفي مؤتمر فيينا 1815 تم تثبيت هذا القرار، ومنذ هذا التاريخ لم تتخرب سويسرا في أي صراع.

Stéphane Bern, **Pourquoi la Suisse est-elle un pays neutre?** RTL Matin, chronique: Les pourquoi de l'histoire, PUBLIÉ LE 20/07/2015 À 09:35.

<http://www.rtl.fr/actu/international/pourquoi-la-suisse-est-elle-un-pays-neutre-7779152929> consulté le 04-03-2016 à 09:00.

3 - بين 1848 و 1871 كانت فرنسا الشريك المفضل لسويسرا، سواء على المستوى الاقتصادي أو المالي. لكن تغيرت الأمور منذ 1871 على إثر هزيمة فرنسا أمام بروسيا، وتوحيد ألمانيا واتباع فرنسا لسياسة جمركية حمائية دفعت سويسرا إلى التحول نحو ألمانيا لتصبح الشريك الاقتصادي الأول. ومع ذلك حافظت فرنسا على مرتبة الصدارة في الجانب المالي، ويعود لها الفضل في تحول سويسرا إلى أحد المراكز المالية المسيطرة على المستوى العالمي.

Carron (Damien), *La Suisse et la guerre d'indépendance algérienne (1954-1962)*, Editions Dahleb, Alger, 2013, pp 70-71.

4 - يذكر أن شركات سويسرية مماثلة تأسست في وهران في 1905، سيدي بلعباس 1943، قسنطينة 1947، وبون (عنابة) فتحت «الشركة الخيرية السويسرية» فرعا لها هناك في 1951.

Ibid, pp 43-44.

الباب الثاني: شبكات الدعم

أول مركز فني لدراسة مصالح الرعايا السويسريين في مدينة الجزائر في 2 أوت 1842. وحسب الإحصاء الرسمي الذي أجري في 30 أكتوبر 1954، بلغ عدد الرعايا السويسريين في الجزائر 850 رعية، بنسبة 0,63 % من مجموع السكان، في حين أحصت المصالح القنصلية السويسرية 1141 رعية¹. إضافة إلى هذا كله، وإستنادا إلى بعض التقديرات، فإن عدد الجنود السويسريين في اللغيف الأجنبي للجيش الفرنسي بلغ في أواسط الخمسينات 2000 جندي. ومن هذا المنطلق يتبين مدى ترابط وتداخل العلاقات والمصالح الفرنسية السويسرية².

كانت الحكومة السويسرية حريصة على تجنب كل ما يمكن أن يتسبب في تعكير علاقاتها مع فرنسا، وهذا ما يفسر الصرامة التي تعاملت بها مع الشخصيات الوطنية الشمال إفريقية التي تقيم على أراضيها، أو التي تأتي بحجة السياحة. فعادة ما تكون محل مراقبة عن قرب، بل ويتم التحقيق مع بعضهم لمعرفة سبب تواجدهم على التراب السويسري. نذكر من هذه الشخصيات: (صالح بن يوسف) أحد قادة «الحزب الدستوري» بتونس، (أحمد بلفرج) الأمين العام لـ«حزب الاستقلال» و(حسان الوزاني) الأمين العام لـ«الحزب الديمقراطي للاستقلال» بالمغرب. أما الشخصيات الجزائرية فنجد (حسين لحول)، (أحمد مزغنة) و(أحمد بن بلة)، وهؤلاء كانوا يلتقون في سويسرا أيام الأزمة التي عصفت بـ«ح.إ.ح.د - M.T.L.D» لمحاولة إيجاد أرضية تفاهم بين الأطراف السياسية المتخاصمة، المصاليين والمركزيين³.

في شهر أبريل 1957 أقامت «ج.ت.و» مكتبا لها في «بيرن Berne»، وكان (فرحات عباس) ناطقها الرسمي، حتى سبتمبر 1958 تاريخ توليه رئاسة «ح.م.ج.ج - G.P.R.A»، وأصبحت مكاتب «ج.ت.و»، منذ ذاك، مرتبطة بوزارة الشؤون الخارجية التي كان على رأسها الدكتور (لمين دباغين). وخلال تلك المدة استغل (عباس) السمعة التي يحظى بها للدفاع عن «ج.ت.و»، جيش التحرير الوطني والثورة. وفي 06 نوفمبر 1959، وبقرار وزاري، تم تعيين (عمر خوجة) على رأس مكتب فدرالية الجبهة في «بيرن Berne» خلفا لـ(فرحات عباس). والمهمة الأساسية التي كُلف بها (خوجة) هي الإشراف على ربط الاتصال بين فدرالية الجبهة والجزائريين اللاجئين والمنقولين عبر الحدود. احتفظ (خوجة) بمهامه إلى ماي 1961، ثم حول إلى وزارة الدفاع والعلاقات العامة «المالِق - M.A.L.G» بتونس، وعُيّن (موسى بوضياف) على رأس مكتب الجبهة في «بيرن Berne». أما الدكتور (جيلالي بن تامي) فهو ممثل الهلال الأحمر الجزائري بـ«جنيف» منذ 1957، مكلف بالاتصالات الرسمية مع السفراء العرب، وعليه أيضا أن يحرر تقريرا شهريا على نشاطاته وتقريراً مالياً لرئيس البعثة الخارجية

¹ - Ibid, p 30 et 45.

² - Benamara (Kader) et Keller (fritz), op cit, p 79.

³ - لمزيد من التفاصيل حول هذه النقطة ينظر:

Carron (Damien), op cit, pp 57-70.

الباب الثاني: شبكات الدعم

بالقاهرة¹. وابتداء من أفريل 1958 اضطرت اللجنة التنفيذية لـ«إ.ع.ط.م.ج - U.G.E.M.A» إلى نقل نشاطاتها إلى مدينة «لوزان - Lausanne»، ولعبت دورا هاما في التكفل ماليا بالطلبة الجزائريين، وقامت بحملة باتجاه المنظمات الطلابية لشرح أسباب وأهداف الكفاح الذي تقوده «ج.ت.و»².

أثناء الثورة التحريرية كانت الحكومة السويسرية تحضّر على الجزائريين كل نشاط سياسي، واتخذت إجراءات لمنع دخولهم أو إقامتهم على أراضيها. وكان الرأي العام السويسري واقع تحت تأثير الرواية الفرنسية لأحداث الجزائر، والتي يطلعون عليها عبر الصحافة الفرنسية. وعليه، وبمنظرة أولية وسطحية كل شيء كان يوحي بأن هذا البلد لا يوجد فيه، على الإطلاق، من يدعم الجزائريين في قضيتهم التحريرية. لكن الواقع غير ذلك، فقد تجنّد عشرات السويسريين، خاصة من التيار اليساري، إلى جانب قضية الجزائريين. وقد ساعدت بعض الظروف والأحداث من إطلاع السويسريين على حقيقة المسألة الجزائرية، نذكر من بينها قضية الجنود الفارين من الخدمة العسكرية، قضية الجنود السويسريين المجنّدين في الليف الأجنبي وقضية (روني دوبوا - René Dubois) الوكيل العام لدى المحكمة في «بارن - Berne». وكل هذه القضايا وردت في الفيلم الوثائقي، وهو من جزأين، ومن إنتاج التلفزيون السويسري، بعنوان «الحامل والديبلوماسي: سويسرا والثورة الجزائرية - Le porteur et le diplomate: La Suisse et la guerre d'Algérie»³.

عن الجنود الفرنسيين الفارين من الخدمة العسكرية تحدثنا في نقطة سابقة عن سبب الفرار والتمرد وهو احتجاجا على ممارسات الجيش الفرنسي في الجزائر وكيف أنهم شجعوا بقية الجنود الآخرين على الفرار والتمرد على الجيش، وأسسوا من أجل ذلك مظمة «المقاومة الشابة - Jeune résistance» بسويسرا لاستقبال الجنود الفارين والتكفل بهم. وكان لهذه المنظمة نشاطات مكثفة في سويسرا بالتنسيق مع شبكة (جانسون - Jeanson) وشبكة (كوريال - Curiel) مما سمح للسويسريين بالاطلاع أكثر على المشكل الجزائري⁴.

بالنسبة للجنود السويسريين المرتزقة المجنّدين في الليف الأجنبي، أصبحت تثير الكثير من الاحتجاجات ضد الحكومة السويسرية، وفي هذا الاتجاه تأسست اللجنة ضد تجنيد الشباب السويسري في الليف الأجنبي في 18 أكتوبر 1955 في «زيوريخ - Zurich» يرأسها (أرنست رايبير - Ernst Reiber) قائد معهد التحقيق العمومي

¹ - Amiri Linda, Les espaces de voisinage dans les conflits de décolonisation : Le cas de la suisse pendant la guerre d'indépendance algérienne, Matériaux pour l'histoire de notre temps 2010/1 (N° 97-98), pp 51-52.

² - Ibid, pp 54-55.

³ - Radio et Television Suisse (RTS), Jacques Singer et Frank Richard, émission intitulée Le porteur et le diplomate: La Suisse et la guerre d'Algérie, Suisse, 1988.

⁴ - ينظر الفصل الأول من الباب الثاني.

الباب الثاني: شبكات الدعم

في إقليم «ثورجوفي - Thurgovie» شمال غرب سويسرا. ومن بين الأعضاء النافذين في هذه اللجنة نجد (روني كيلار - René Keller)، مسؤول تدقيق الحسابات بالجيش، (هانس رودولف كورز - Hans Rudolf Kurz)، المسؤول عن فرع الإعلام في المعهد العسكري الفدرالي، يضاف إلى هؤلاء أعضاء ينتمون إلى الداخلية، التربية، العدالة، الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية، المنظمات النسائية والمتخصصين في اللغيف الأجنبي¹. لكن أكثر أعضاء اللجنة الذين ناضلوا بحماس وإصرار من أجل وضع حد لمسألة التواجد السويسري في اللغيف الأجنبي وخصص له معظم وقته منذ 1956، هو (فرانز ريسبي - Franz Rispy)².

لم يكتف (ريسبي - Rispy) بالتنديد اللفظي ضد تجنيد السويسريين في اللغيف الأجنبي، بل دعمها بخطوات عملية أولها تأليف كتابين باللغة الألمانية، الأول في 1956 يصف فيه بعثاته إلى إفريقية الشمالية لتهريب الجنود السويسريين، والثاني في 1958 يشيد فيه بالمساعدة التي تقدمها «ج.ت.و» للجنود الفارين وأدان الفظائع التي يرتكبها الجيش الفرنسي في الجزائر، ودعم موقفه بشهادة ستين جندي سويسري من اللغيف الأجنبي³، إضافة إلى العديد من المقالات التي نشرها في الصحف السويسرية الناطق باللغة الألمانية⁴.

أما قضية الوكيل العام (روني دوبوا - René Dubois)، والتي جعلت سويسرا في حالة صدمة، فتتعلق بعملية جوسسة تورط فيها هذا المسؤول لحساب مصالح الاستخبارات الفرنسية بالسفارة الفرنسية في «بارن - Berne»، وانتهت به في آخر المطاف إلى الانتحار في بيته في 23 مارس 1957. وملخص الفضيحة هو أن (دوبوا - Dubois) قام بالتصنت على المكالمات الهاتفية للسفارة المصرية في «بارن - Berne» وقدم نسخ عنها للفرنسيين. وبطل هذه المأساة هو العقيد (مارسال مارسبي - Marcel Mercier) مخبر في جهاز «مصلحة التوثيق الخارجي ومحاربة الجوسسة - S.D.E.C.E»، والذي عين رسميا بصفة ملحق تجاري بالسفارة الفرنسية في «بارن - Berne». وكان (مارسبي - Mercier) جد منتهب لنشاطات مسؤولي «ج.ت.و» في أوروبا الغربية، ويتهم بأنه وراء العديد من عمليات الاغتيال في ألمانيا، بلجيكا، سويسرا وإيطاليا، والتي كانت دائما تنسب إلى

¹ - Carron (Damien), op cit, p 112.

² - (فرانز ريسبي - Franz Rispy) من مواليد 6 فيفري 1903 بـ«فريبور أون بريسجو - Fribourg-en-Brisgau» من عائلة ذات أصول ألزاسية. ويبدو أن (ريسبي - Rispy) يكن مشاعر كره حقيقية ضد فرنسا منذ أن حوكم في 1939 كهارب من الجندية، وفيما بعد حصل على الجنسية السويسرية وتخلّى عن الجنسية الفرنسية.

Ibid, p 113.

³ - الكتاب الأول عنوانه بالألمانية: "Fremdenlegionär 000/518: Entführung aus der Fremdenlegionär" والكتاب الثاني عنوانه: "Sie klagen an!: Erschütternde Tatsachenberichte geflüchteter Fremdenlegionäre über die Tragödie von Algerien".

ترجمة عنوان الكتاب الأول بالفرنسية: "الفيلق 000/518: اختطاف الفيلق الأجنبي" والكتاب الثاني: "إنهم يتهمون: قصص صادمة لحقيقة فيلق اللاجئين حول مأساة الجزائر".

Ibid, p 114 et 117.

⁴ - Ibid, pp 113-119.

الباب الثاني: شبكات الدعم

منظمة «اليد الحمراء». وفي وقت مبكر أفهم (مارسيي - Mercier) رئيس الحكومة (غي مولي - Guy Mollet) بأن (دوبوا - Duboit) اشتراكي متقد وقريب من الأهمية الاشتراكية. وعلى خلفية فشل العدوان الثلاثي على مصر، قام (مولي - Mollet) بدعوته إلى باريس، وأثناء اللقاء الذي جمع بينهما أحبره بقناعته بأن "جمال عبد الناصر) هو هتلر الجديد الذي يأتي منه الشر في العالم العربي والمتوسط". وهذه الحجة اهتز لها (دوبوا - Duboit) ودفعته إلى التعاون مع (مارسيي - Mercier)، وكلف محافظ الشرطة (ماكس أولتريش - Max Ultrich) بالقيام بالمهمة نيابة عنه¹.

في بطاقة معلومات (6) A.6 مؤرخة في 8 جويلية 1959 ورد أن مسؤولي «ج.ت.و» أعطوا تعليمات للجزائريين في سويسرا ولوزان بشكل خاص في استغلال الأجواء الجديدة التي أثارها القضايا سابقة الذكر وإظهار انضباط مثالي وكثير من العقلانية في المناقشات التي تدور مع السويسريين حول القضية الجزائرية².

تركز الدعم السويسري للجزائريين على توفير المأوى، الإطعام، النقل، الطبع، النشر و الإعلام. ورغم أن هؤلاء يمثلون قلة في المجتمع، إلا أنها قلة فاعلة ونشطة، تعمل بالتنسيق مع الشبكات الفرنسية. يروي (أندري بويزجر - André Boesiger)، وهو نقابي، أنه مرر بين سبع وثمان مئة شخص عبر الحدود الفرنسية السويسرية من منطقة «إيفردون - Yverdon» من 1956 إلى 1962. ويؤكد في نفس الوقت أنه لم يمرر الأموال أبدا³. ونفس العمل كان يقوم به (جيرالد مرادان - Gerald Maradan)، وهو أحد أعضاء شبكة (جانسون - Jeanson)، والقس (كايلين - Abbé Kaelin)، وهو قائد التراتيل في كنيسة «فريبورغ - Fribourg» وكلاهما ورد اسمهما في إرسالية رقم 508 مصنفة سرية ل«مصلحة التوثيق الخارجي ومحاربة الجوية - S.D.E.C.E» ومؤرخة في 26 نوفمبر 1960، وتصفهما بأحكما مناصرين ل«ج.ت.و»⁴. (هنري كورناز -

1 - لتفاصيل أوفى عن قضية (روني دوبوا - René Dubois) ينظر:

Ibid, pp152-197.

2 - 1 H 1740, dossier 3: Activités du FLN à l'étranger, Service de sécurité, service de défense nationale et des armées, n° 1057/SSDNA, A.F.N, fiche de renseignement n° (A.6.), renseignement n° 37, p 6.

3 - (RTS), **Le porteur et le diplomate: La Suisse et la guerre d'Algérie**, op cit. ³

بنظر أيضا:

Charby (Jacques), op cit, pp 281-282.

4 - ورد في الوثيقة أن (جيرالد مارادان - Gerald Maradan) مكلف بكل ما يهم عبور الحدود الفرنسية السويسرية (معدات الدعاية والأشخاص)، ويستخدم سيارة من نوع «فولزفاغن - Volkswagen» مرقمة في فرنسا تحت رقم 20699، اشترتها له «ج.ت.و» ليتمكن من إجراء اتصالاته مع فرنسا. لكن بعد انتباه الشرطة الفرنسية إلى السيارة بدأ يستأجر سيارات ودرجات نارية من نوع «فيسبا - Vispa» رقم 6075. أما القس (كايلين) فكان يأوي، ولمدة أسابيع شخص يدعى (مارك - Marc) وعضو في شبكة (جانسون - Jeanson).

الباب الثاني: شبكات الدعم

(Henri Cornaz)، وهو صاحب مطبعة، لجأت إليه «ج.ت.و» في نهاية 1956 لطباعة نصوصها الرسمية، الممنوعة في فرنسا. ووقع هذا الاتصال عبر صحفي قدم نفسه لـ(كورناز - Cornaz) باسم (دكتور كزافيي - Docteur Xavier)¹. وافق (كورناز - Cornaz) من حيث المبدأ، شريطة أن لا تدعوا المطبوعات إلى العنف. وبهذه الكيفية تم طبع خمسة آلاف نسخة من نص يتكون من أربع صفحات بعنوان «La révolution Algérienne»، ثم نص أرضية الصومام وجريدة «المقاومة الجزائرية - Résistance Algérienne»²، التي ستتحول إلى جريدة «المجاهد - El Moudjahid»، حيث تولى طباعة أعدادها الأولى في مطبعة (جاك لاهمان - Jacques Lehman) بـ«جنيف»، ثم أصبحت تُطبع من طرف الجبهة في تونس. في 1960 طُلب من (جان مايرا - Jean Mayerat)، وهو رئيس المجلس البلدي لـ«إفرتون - Yverton» بنقل نسخ من جريدة «المجاهد - El Moudjahid» إلى فرنسا، فقبل ووجد في هذه الخدمة فرصة لتجسيد القنوات على أرض الواقع، علما أنه كان يؤمن بأن الجزائريين كانوا يحاربون من أجل قضية عادلة. لكن تم توقيفه من الشرطة الفرنسية برفقة زوجته وبجوزتهم مئات من نسخ الجريدة. أودع (مايرا - Mayerat) وزوجته سجن «بوزونسون - Besançon»، وحكم عليه بسنة سجن وأطلق سراح زوجته. في السجن احتك بالجزائريين وقال عنهم: «هؤلاء الجزائريين الذين نتقاطع معهم خلصة من أجل هذه المهمة أو تلك، لا نعرفهم في الحياة اليومية. ويبدو أن هؤلاء الناس لديهم ثقافتهم الخاصة، جذورهم العميقة ويعرفون لماذا يقاتلون». كما اكتشف في السجن حالة استعمارية مأساوية، إذ من مجموع تسعين سجين جزائري، تمانون لا يعرفون القراءة والكتابة لا بالفرنسية ولا بالعربية، وهذا بعد قرن وثلاثين عاما من التواجد الفرنسي³.

في مدينة «لوزان - Lausanne» استقبلت (ماري مادلان بروماج - Marie Madeleine Brumage) في منزلها فرنسيين وجزائريين هاربين من الشرطة الفرنسية، وقامت برفقة أصدقاء بتحرير نشرة إخبارية مناهضة للاستعمار موجهة في الأساس للصحافيين السويسريين، تتناول واقع الحرب في الجزائر بطريقة جديدة غير التي

1H 1753, dossier 4, au sujet du réseau Jeanson, destinataire n° 508, référence n° 37973/A, 26 novembre 1960, pp 1-3 .

¹ - (دكتور كزافيي - Docteur Xavier) هو (لوسيان دوشي - Lucien Douchet)، وهو صحفي فرنسي، ورئيس تحرير جريدة «ألجي سو سوار - Alger-ce Soir» ومعروف أكثر باسمه الثاني (سارج ميشال - serge Michel). توفي في 1997.

للتعرف أكثر على (سارج ميشال - serge Michel) ينظر:

Rupp (Marie-Joëlle), Serge Michel, un libertaire dans la décolonisation, Ibis Press. Paris, 2007.

² - (RTS), *Le porteur et le diplomate: La Suisse et la guerre d'Algérie*, op cit.

بنظر أيضا:

Charby (Jacques), op cit, pp 271-272.

³ - Charby (Jacques), op cit, pp 273-274.

الباب الثاني: شبكات الدعم

اعتاد عليها الرأي العام السويسري. تتناول النشريات مواضيع مثل التعذيب، الاختفاء، الإعدام بلا محاكمة، المواقف في الأمم المتحدة، كل ما كانت الصحافة ترفض أن يطلع عليه القراء. ومن الأنشطة القوية التي بادرت بها هو الحصول على قائمة الجنود السويسريين بالجزائر وأرسلت إلى كل واحد منهم نشرية تدعوهم للفرار من الجيش مع ضمان التكفل بهم: "فروا مستقبلكم مضمون"¹.

في مجال الصحافة والنشر تبني بعض الصحفيين والناشرين موقفا مغايرا للموقف السويسري العام في هذا المجال. وكانت الصحافة، الإذاعة والتلفزيون في صف "الجزائر فرنسية"، وتصف المجاهدين بـ"قطاع الطرق". وفي مقدمة الصحف السويسرية التي سارت خلف الأطروحات الفرنسية جريدة «لالبياردي دو فريبور - La liberté de Fribourg»، التي تحاملت كثيرا على «ج.ت.و» وكررت نفس الأوصاف التي تطلقها عليها الصحف الفرنسية. لكن صحفيين مثل (بن يمين روميو - Benjamin Romieux) الذي أراد أن يقنع الرأي العام في سويسرا، منذ 1956، بأن ما يحدث في الجزائر هي حرب وليست عمليات إعادة السلم، ولا حظ أن السويسريين لم تتطور مواقفهم رغم توجه (ديغول - De Gaulle) لحل المشكل الجزائري، وكأنهم يريدون أن يكونوا "ديغوليين أكثر من (ديغول)". وبسبب هذه المواقف تلقى تهديدات من «لو.أ.س - L'O.A.S»². صحفي آخر وهو (جان بيار مولين - Jean-Pierre Moulin)، الذي كان يكتب في جريدة ذات أهمية كبيرة وهي جريدة «لا تريبون دو لوزان - La tribune de Lausanne»، التي قدمت عن الحرب في الجزائر أخبارا مختلفة عن تلك التي تقدمها الحكومة الفرنسية. وكان (مولين - Moulin) يؤمن بأن استقلال الجزائر الحتمي يدخل ضمن صيرورة التاريخ، ورغم القليل الذي قدمه لقضية الجزائريين، إلا أنه يعتقد بأنه تصرف بشكل جيد³. أما (إزابال فيشنيك - Ysabelle Vichniac)، وهي مراسلة جريدة «لو موند - Le Monde» بجنيف لمدة خمسين سنة، كتبت العديد من المقالات لصالح استقلال الجزائر، وفي تقديرها فإن فرنسا كانت تقود حربا قذرة في الجزائر، لذلك قررت ألا تكتفي بالكتابة. وكان لتعرفها على (جانسون - Jeanson)، (كوريال - Curiel)، القس (دافيزي - Davezie)، (نيلز أندرسون - Nils Anderson) و(ماري مادلان بروماج - Marie Madeleine Brumage) أثر كبير في انخراطها في الدعم العملي للثورة. آوت (فيشنيك - Vichniac) العديد من الجنود الفارين من الجيش أو الرافضين الاستجابة لنداء التجنيد، وأعضاء من شبكة الدعم الفرنسية، كما آوت المجاهدة (جميلة بوخيرد). وفيما بعد غطت مفاوضات إيفيان لحساب جريدة «لو موند - Le Monde» ونجحت في ربط اتصالات مع (رضا مالك) و(محمد يزيد) عضوا الوفد المفاوض. وتروي أن جزائري أعطاها حقيبة لتسلمها ل(رضا

¹ - Ibid, p 283.

² - Ibid, pp279-280.

³ - Charby (Jacques), op cit, p 280.

الباب الثاني: شبكات الدعم

مالك)، وأنها كانت تجهل محتواها، ولشدة قلقها من وجود مال أو سلاح بداخلها، فتحت الحقيبة فلم تجد سوى بذلة نوم¹.

في مجال النشر نذكر (نيلز أندرسون - Nils Anderson)، صاحب درا النسر «لا سيتي - La cité»، وعضو نشيط في شبكة (جانسون)، ثم شبكة (كوريال). بدأ التزام (أندرسون - Anderson) الفعلي إلى جانب الثورة الجزائرية عندما طلب منه (جيروم ليندون - Jérôme Lindon)، صاحب دار النشر الفرنسية «مينوي - Minuit»، في فيفري 1958، بإعادة نشر كتاب «الاستجواب - La question» لـ (هنري ألاق - Henri Alleg) ويروي فيه التعذيب الذي تعرض له في الجزائر على يد الجنود المضليين للـ (الجنرال ماسو - Massu)، حيث قامت الحكومة الفرنسية بمصادرة الكتاب. وأراد (ليندون - Lindon) بهذا العمل إرسال رسالة مفادها أنه من غير الممكن إسكات الحقيقة وعزل الفرنسيين الذين يشجبون التعذيب. نفس الشيء حدث مع كتاب (الغرغرينا - La gangrène) ويضم شهادات لحالات تعذيب في فرنسا². أما كتاب «باسيفيكاسيون - Pacification» لـ (حفيظ كرمان)، أحد مسؤولي فدرالية الجبهة في ألمانيا تناول ما يتعرض له الجزائريون على يد الجيش والشرطة الفرنسية في الجزائر وفرنسا من تعذيب، سخرة في الغابات، إبادة، قنبلة العمياء وظروف الاعتقال في السجون والمحتشدات، وفي هذا الكتاب أيضا اتهم (جان ماري لوبان - Jean-Marie Le Pen)، رئيس حزب «الجبهة الوطنية - Le Front National» بممارسة التعذيب. وقد استخدم هذا الكتاب من طرف أجهزة الأمن الفرنسية، حيث تم تحويل نسخ من هذا الكتاب إلى طرود مفخخة وأرسلت إلى ثلاث أشخاص بلجيكيين مناهضين للاستعمار، انفجر احداها على أستاذ التاريخ (جورج لابرش - George Laperche)، ونجا الآخران من الموت بسبب تعطل نظام الانفجار³.

4 - إيطاليا

على إثر هجومات الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955، ومنذ صدور قانون السلطات الخاصة في 1956 وتصاعد القمع الاستعماري الفرنسي، بدأ الرأي العام الإيطالي يتابع أحداث الجزائر ويعترف بشرعية المطلب الوطني. فإذا كانت بعض الحكومات الإيطالية تدعم الأطروحات الفرنسية حول الطبيعة الداخلية للمشكلة الجزائرية، لكن هذا التوجه لم يقنع أحزاب المعارضة والصحافة بكل توجهاتها. والحقيقة أن الأوساط السياسية: الحكومة، وزارة الشؤون الخارجية ورئيس الجمهورية، لا يؤمنون بالطابع الداخلي للمشكلة الجزائرية وهذا منذ أحداث الشمال القسنطيني. وفي مناسبات عديدة لم تتوقف إيطاليا عن إقناع فرنسا بضرورة بدء مفاوضات مع

¹ - Ibid, pp 283-285.

² - ينظر النقطة الثانية في الفصل الثالث من الباب الأول.

³ - Ibid, pp 274-278.

الباب الثاني: شبكات الدعم

«ج.ت.و» كمفاوض وحيد وشرعي وإعداد مشاريع إصلاح مقبولة، وتوضيح استحالة كسب حرب الجزائر باستخدام القوة¹.

في 1956 قام الناشر المعروف في «ميلان - Milan»، (جيانجياكومو فيلفريتيلي - Giangiacomo Feltrinelli) بنشر كتاب «الجزائر الخارجة عن القانون - l'Algérie hors la loi» لـ (كوليت وفرانيس جانسون - Collete et Francis Jeanson)، وفي نهاية السنة تحدثت جريدة «البوبولو - Il popolo» التابعة للديمقراطية المسيحية، وبشكل مفتوح عن المقاومة الجزائرية ووصفت المقاومين بـ «الوطنيين الجزائريين»، وهذا ما لم يعجب السفير الفرنسي في روما. وفي 30 أوت 1957 نشرت اليومية المستقلة «ألتامبو - Il Tempo» مقابلة مع (فرحات عباس) وشبهت الثورة الجزائرية بالثورات التي خاضها الإيطاليون من أجل وحدتهم الوطنية والمعروفة عندهم بـ «ريزورجيمانتو - Risogimento»². وأثناء «معركة الجزائر» شبهت الصحافة الإيطالية في تقاريرها عمليات القمع التي يقودها الفرنسيون بعمليات التمشيط أيام الحكم الفاشي في إيطاليا. وفي 1958 جاءت «أحداث ساقية سيدي يوسف»³ لتوسيع الهوة، إلى أقصاها، بين فرنسا والرأي العام الإيطالي، الذي اعتبر أن لجوء فرنسا إلى العنف لا يساعد على حل المشكل الجزائري لأن المسألة في هذه الحالة تحولت إلى قضية

¹ - Bruna Bagnato, *L'Italie et la guerre d'Algérie: le gouvernement, les partis, les forces sociales et l'Eni de Mattei*, intervention au colloque organisé sur le thème de: **Enrico Mattei et l'Algérie pendant la guerre de libération nationale**, par l'Ambassade d'Italie et l'institut Culturel Italien d'Alger en collaboration avec la Direction Générale des Archives Nationales d'Algérie, et O.N.C.I, Alger le 7 décembre 2010, p 32.

² - «ريزورجيمانتو - Risogimento» هي كلمة إيطالية وتعني «توحيد إيطاليا»، وهي حركة اجتماعية سياسية ثورية، انتشرت في إيطاليا خلال القرن التاسع عشر منادية بتوحيد الممالك الإيطالية وإنهاء الحكم النمساوي والفرنسي النابليوني في إيطاليا. وخلال فترة الكفاح من أجل توحيد إيطاليا والممتدة من مؤتمر فيينا 1815 إلى الحرب الفرنسية البروسية في 1870، ظهرت جماعات تطالب بالوحدة بتأجيج المشاعر القومية في مناطق إيطاليا ضد الاحتلال النمساوي والفرنسي. وبعد تخلص الإيطاليين من الحكم الفرنسي، أصبحت الإمبراطورية النمساوية عدوهم الوحيد. دعم العديد من العلماء والمفكرين الإيطاليين في كافة أنحاء أوروبا الوحدة الإيطالية، ولكن النمسا استعملت كافة أنواع القمع لمنع تلك الوحدة. اتضح ذلك في كلمة المستشار النمساوي (مترنيخ) في مؤتمر فيينا الذي أنكر وجود إيطاليا بقوله «إن كلمة إيطاليا ما هي إلا مصطلح يعبر عن مكان جغرافي فقط». لكن في الأخير، وفي عام 1871 تمكن الإيطاليون من توحيد بلادهم، وأعلنت روما عاصمة لها.

Claude Margueron et Gianfranco Folena, *Larousse dictionnaire italien-français*, Larousse, 1998, p 335.

³ - للتذكير فإن «ساقية سيدي يوسف» تقع على الحدود الجزائرية التونسية على الطريق المؤدي من مدينة «سوق أهراس» بالجزائر إلى مدينة «الكاف» بتونس، وهي قريبة جدًا من مدينة «لحدادة» الجزائرية التابعة إداريا لولاية «سوق أهراس»، وبذلك شكلت منطقة إستراتيجية لوحدات جيش التحرير الوطني المتواجد على الحدود الشرقية في استخدامهما كقاعدة خلفية للعلاج واستقبال المعطوبين. وفي يوم السبت 8 فبراير 1958، وهو يوم سوق أسبوعية، داهمت القرية حوالي الساعة الحادية عشرة أسراب من الطائرات القاذفة والمطاردة مخلفة 68 قتيلًا، منهم 12 طفلاً أغلبهم من تلامذة المدرسة الابتدائية و87 جريحاً.

الباب الثاني: شبكات الدعم

أخلاقية بالنظر إلى عدد الضحايا من المدنيين الأبرياء. ولم يغير مجيء الجنرال (ديغول - De Gaulle) إلى السلطة الشيء الكثير بالنسبة للرأي العام وأحزاب اليسار. وظلت جرائد مثل جريدة «لافانتي - L'Avanti» الاشتراكية، «لونيتا - L'Unita» و«بايز - Paese» الشيوعية متمسكة بانتقاداتها للسياسة المتبعة من فرنسا في الجزائر¹.

تحرك الشيوعيون لإعطاء دفعا قويا للقضية الجزائرية، خاصة وأنهم يمثلون ربع الهيئة الناجبة، وتحمس هذا التحرك في التعريف بالمأساة الجزائرية وتقديم الدعم المادي ل«ج.ت.و». واستخدم الحزب لأجل ذلك الدعاية عبر الصحافة، بواسطة مداخلات النواب في البرلمان أو مبادرات من المناضلين كالتظاهر أمام السفارة الفرنسية في روما في جوان 1958، تنظيم حملة جمع التبرعات لفائدة اللاجئين الجزائريين في 1959، بالتعاون مع الفرع الإيطالي ل«المؤتمر العالمي من أجل السلام - Le congrès Mondial pour la paix»، تنظيم «أسبوع الجزائر» من 2 إلى 8 ديسمبر 1960، تنظيم مظاهرات في المدن الإيطالية، دعوة بعثة جزائرية إلى إيطاليا في جوان 1960 للمشاركة في عدة تظاهرات ولقاءات. وفي نهاية السنة تم توزيع أسطوانة لأغاني الثورة الجزائرية في كل البلاد، وفي 11 ديسمبر 1961 عُقدت ندوة نقاش في مسرح «ديي ساتيري - Dei Satiri» بروما مع (طيب بولحروف) ممثل «ح.م.ج.ج. - G.P.R.A». وفي اليوم الموالي ألقى (جان بول سارتر - Jean-Paul Sartre) محاضرة هاجم فيها السياسة الفرنسية في الجزائر، والتي أعطت دفعا قويا لمعسكر مناهضة الحرب في الجزائر. إضافة إلى ذلك سارع الفرنسيون إلى اتهام الحزب الشيوعي الإيطالي بتقديم مساعدة مالية ل«ج.ت.و» عن طريق النائب من أصل تونسي (موريزيو فالنزي - Maurizio Valenzi)².

لم يقتصر دعم الثورة الجزائرية على اليسار الإيطالي، ففي ديسمبر 1960 وجهت مجموعة من السياسيين والمثقفين رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة (داغ همرشولد - Dag Hammarskjöld) ليطلبوا منه بعدم ادخار أي جهد لإحلال السلام في الجزائر³. هذه المبادرة تبعته تأسيس «اللجنة الإيطالية من أجل السلم في الجزائر - Le comité Italien pour la Paix en Algérie» وتناول إرسالييتين ل«مصلحة التوثيق الخارجي ومحاربة الجوسسة - S.D.E.C.E»، اطلعنا عليهما، الأولى تحمل رقم (42812/IV) المؤرخة في 28 مارس 1961 والثانية تحمل رقم (43944/IV) ومؤرخة في 29 أبريل 1961 مسألة تأسيس اللجنة، أهدافها، الأحزاب السياسية التي تدعمها وقائمة كاملة بأعضائها، يُضاف إلى ذلك الجريدة التي أصدرتها اللجنة بعنوان «الجزيرة - Algeria». ومما جاء في الإرسالييتين: "مجموعة من البرلمانيين تضم المسيحية الديمقراطية، اشتراكيين، اشتراكيين ديمقراطيين، جمهوريين، ليبراليين وراдикаليين، قررت تشكيل لجنة إيطالية من أجل السلم في الجزائر، مقرها في روما." وعن الأعضاء المؤسسين تشير الإرسالية: "الأعضاء المؤسسون، الذين

¹ - Bruna Bagnato, op cit, pp 34-35.

² - Ibid, p 35-36.

³ - Ibid, 35.

ستجدون أسماءهم في الملحق، ينتمون إلى الاتجاه اليساري الذي يمثل الأغلبية في الحكومة الحالية، من بينهم نجد: (فيروكيو باري - Ferruccio Parri)، عضو المجلس الفدرالي للمقاومة (منظمة شيوعية)، (جيانكارلو فيجوري - Giancarlo Vigorelli)، عضو المجموعة الأوروبية للمؤلفين (منظمة شيوعية)، (بيير لويجي ساجونا - Pier Luigi Sagona)، لـ«أجوزيا ديبلوماسيكا - Agenzia Diplomatica»، التي تنشط لصالح «ج.ت.و»، وهو معروف، (فينسانزو بالزامو - Vincenzo Balzamo)، مسؤول الشبيبة الاشتراكية ومنافس للحزب الشيوعي الإيطالي (PCI) والحزب الاشتراكي (PSI) المنقسمين.¹

في مكان آخر من المراسلة نجد بعض المواد المقتبسة من القانون العضوي للجنة، والتي تعبر عن نواياها: "المادة الأولى: ... الدفاع وانتصار حق الشعب الجزائري في تقرير المصير والاستقلال. "المادة الخامسة: ... جمع الأموال ونشر بيان موجه للإعلام ونشاط اللجنة. "المادة السادسة: ... تشكيل لجنة الدعاية، ولجنة للاتصالات الدولية، ولجنة للمتابعة"². ومن النشاطات الأخرى للجنة هو: "نشر مجلة في فيفري 1961 بعنوان «ألمجيريا - Algeria»، هذا العدد، من المفروض أن يكون الوحيد، تم طبعه من S.A.I.G، الواقعة في شارع «جروتينو - Grottino» بروما³. ومع صدور العدد الثاني من الجريدة كتبت «أس.دي.أو. سي. أو - S.D.E.C.E» في المراسلة الثانية: "قررت اللجنة الإيطالية من أجل السلم في الجزائر بمواصلة إصدار مجلة «ألمجيريا - Algeria». العدد الثاني مؤرخ في شهر أبريل 1962، تم طبعه من S.A.I.G، ووُزِعَ كملحق للعدد 74 ل5 أبريل 1961 من نشرة «أجوزيا ديبلوماسيكا - Agenzia Diplomatica» الواقعة في 85 شارع «رابوينو - Rabuino» بروما، ويديرها (فيتوريو كلاف - Vittorio Calef)⁴.

هناك مبادرات أخرى لصالح كفاح الجزائريين من أجل الاستقلال قام بها الإيطاليون بالتعاون والتنسيق مع اليسار الفرنسي المناهض للاستعمار، نذكر منها المبادرة التي تحدثت عنها مراسلة «أس.دي.أو. سي. أو - S.D.E.C.E»، التي تحمل رقم (40677/A)، المؤرخة في 2 فيفري 1961، والمتمثلة في الاجتماع الذي نظّمته المجلة الكاثوليكية اليسارية «كواست إيطاليا - Quest Italia» حول موضوع "مشاكل الضمير وحرب الجزائر"، حيث بدأت في روما محادثات بين مدراء هذه المجلة ونظرائها من المنشورات الثقافية اليسارية من أمثال

¹ - 1 H 1753, dossier 4, S.D.E.C.E, destinataire n° 541, référence 42812/IV, Création du comité italien pour la paix en Algérie, p 1.

² - Ibid, PP 1-2.

³ - Ibid, p 1.

⁴ - Ibid, n° 541, Ref 43944/IV, 29 avril 1961, p 1.

الباب الثاني: شبكات الدعم

مجلة «بساتو إي برينتي - Passato e Presente»، أي «الماضي والحاضر»، والتي يديرها النائب الاشتراكي (أنطونيو جيوليتي - Antonio Giolitti)، مجلة «نيوفي أرجوماني - Nuovi Argomenti»، أي «الحجج الجديدة» التي يديرها المحامي (ألبارتو كاروتسي - Alberto Karrocci) والكاتب (ألبارتو مورافيا - Alberto Moravia)، والمجلة الفلورانسية «البونتي - Il Ponte»، أي «الجسر». والهدف من هذه المحادثات هو تشكيل لجنة إيطالية دائمة لشؤون حرب الجزائر. إلى جانب ذلك وقعت لقاءات أولية في روما بين مدراء هذه المجلات ومدير مجلة «إسبري - Esprit» الفرنسية (جان ماري دوميناك - Jean-Marie Domenach) لربط هذه المبادرة الإيطالية بمبادرات مماثلة لها موجودة في فرنسا. وفي هذا الاتجاه اقترح (دوميناك - Domenach) تنظيم مكتب إعلام يقوم، بطريقة منتظمة، بتزويد الصحافة الإيطالية بالأخبار عن موقف مختلف المجموعات المثقفة الفرنسية الكاثوليكية وغير الكاثوليكية من الحرب في الجزائر و الوضع السياسي الداخلي لفرنسا¹.

مبادرة أخرى تتعلق باللقاء الذي جمع بين بعثة من حركة الشباب الإيطالي بقيادة (إراسمو بوياردي - Erasmo Boiardi) وبعثة من الشباب التابع لـ «الحزب الاشتراكي الموحد - P.S.U» الفرنسي والمكونة من (ريموند لولوش - Raymond Le Loch)، (رومان دوي - Romain Denis) و(جورج شابال - Georges Chapelle)، أيام 10-11-12 ديسمبر 1960 في مدينة «تورين - Turin» الإيطالية. انصبت المحادثات بين البعثتين حول الحرب في الجزائر وتداعياتها على أوروبا. والتزم الطرفان بوضع في الحسبان مسألة تدويل المشكل الجزائري، باعتبار أنه لم يعد مشكل داخلي فرنسي، بل أخذ طابع الكفاح الحقيقي، الذي تخوضه الحركة العمالية العالمية ضد الاستعمار وتعاييره الفاشية. برجة لقاءات على المستوى الوطني والأوروبي لمنظمات الشباب الديمقراطي لتوفير مساندة ملموسة من أجل وقف الحرب في الجزائر والدفاع عن الديمقراطية في فرنسا لصالح الشباب الجزائري الذي يكافح من أجل الاستقلال².

من الشخصيات البارزة التي ارتبط اسمها بالدعم الإيطالي للثورة الجزائرية (أنريكو ماتيني - Enrico Mattei)، وهو شخصية سياسية ينتمي إلى «الحزب الديمقراطي المسيحي»، ورجل أعمال متخصص في مجال المحروقات، أسس «الهيئة الوطنية للمحروقات - Ente Nazionale Idrocarburi» (l'ENI)³، وكان من أشد المعارضين للكارتل البترولي العالمي «الأخوات السبع» الذي يحتكر سوق المحروقات في العالم، خاصة في منطقة الشرق الأوسط. وهذا ما دفعه إلى توجيه أنظاره نحو شمال إفريقيا، التي بدأت تتجلى فيها أهمية المناطق

¹ - Ibid, destinataire n° 541, Ref 41170/A, le 15 février 1961, pp 1-2.

² - Ibid, destinataire n° 541, Ref 41170/A, le 15 février 1961, pp 1-2.

³ - (l'ENI): «الهيئة الوطنية للمحروقات - Ente Nazionale Idrocarburi»، وهي شركة وطنية إيطالية في مجال المحروقات. أسسها (أنريكو ماتيني - Enrico Mattei) في 1953 وأصبح رئيسها إلى وفاته عام 1962 في حادث طائرة مشبوه.

الباب الثاني: شبكات الدعم

الصحراوية الغنية بالذهب الأسود وتجلى ذلك في إقامة المنشآت المتتالية بالمغرب وتونس، لكنه في الجزائر اصطدم بالمصالح الفرنسية، واعتبر أن شروط الوصول إلى الموارد الصحراوية المفروضة من فرنسا جد مُقيدة. لذلك راهن على استقلال الجزائر، ليتمكن من التعامل مباشرة مع القيادة الجزائرية المستقبلية لتطوير نشاطات (l'ENI) في الصحراء¹.

توزع تحرك (ماتيني Mattei) باتجاه الوطنيين الجزائريين على عدة مستويات: المستوى الإعلامي والمستوى السياسي. إعلاميا استخدم الجريدة اليومية «إل جيومو - Il Giomo» التي تصدر في «ميلان - Milan»، والمملوكة من (l'ENI) لكسب تعاطف الرأي العام الإيطالي لصالح القضية الجزائرية، وتوجيه انتقادات لاذعة للسياسة الفرنسية في الجزائر. وفي نهاية 1985 أقام علاقات مباشرة وشخصية مع بعض مسؤولي «ج.ت.و»². حدث أول لقاء بين (ماتيني Mattei) ومسؤولين جزائريين، كما رواه (علي شريف درووا)، ضابط في جيش التحرير الوطني و«المالغ - MALG»، صدفة في 17 ديسمبر 1958 في طائرة قادمة من الصين اضطرتها الأحوال السيئة إلى الهبوط في مطار «أومسك - Omsk» بمنطقة «سبيريا»، أين مكثوا ثلاثة أيام. كانت البعثتين الجزائرية والإيطالية متواجدة في نفس الطائرة. الجانب الجزائري كان يضم: (بن يوسف بن خدة)، وزير الشؤون الاجتماعية في «ح.م.ج.ج. - G.P.R.A»، ورئيس البعثة، (محمود الشريق) وزير التسليح والتموين العام، (سعد دحلب) مدير الأخبار³.

كان (سعد دحلب) أول من اتصل بـ(ماتيني Mattei) وقدم له الأعضاء الآخرين في البعثة الجزائرية. وطيلة اليومين الأخيرين من الوجود القصري في «أومسك - Omsk» لم يتفارق الرجلان. ولدى عودة البعثة إلى القاهرة، حيث مقر «ح.م.ج.ج. - G.P.R.A»، حررت تقريرا عن اللقاء، وتقرر تعيين (عبد الحفيظ بوصوف) كمحاور لـ(ماتيني Mattei). أشهر بعد ذلك جاء (ماتيني Mattei) باعتباره الرئيس المدير العام (l'ENI) إلى مصر للقاء الرئيس (جمال عبد الناصر)، وفي نفس الوقت زيارة حقل بترولي في «سيناء» ومصفاة في السويس أسندت إلى الشركة. وخلال إقامته في القاهرة التقى يوم 5 مارس 1959 بـ(سعد دحلب) و(علي الشريف ديرووا) بحضور (سيزار جافوتي - Cesare Gavotti) المسؤول عن القسم الخارجي، و(إيجيديو إيجيدي - Egidio Egidi)، مستشار في «قصر عابدين» الإقامة القديمة للملك (فاروق) والذي تحول حاليا إلى متحف. وكان اللقاء جد حار أثمر باستقبال البعثة الإيطالية من طرف (عبد الحميد بوصوف) وزير العلاقات العامة والاتصال، في 8 مارس 1959 في فندق «نيل هيلتون - Nil Hilton»، الذي افتتح منذ ثلاث أشهر فقط. وخلال الاجتماع عرض

¹ Stéphane Mourlane. *La guerre d'Algérie dans les relations franco-italiennes (1958- 1962)*, Guerres mondiales et conflits contemporains 2005/1 (n° 217), p 85.

² Ibid.

³ Ali Chérif Dérouta. *Enrico Mattei et la révolution Algérienne*, intervention au colloque organisé par l'Ambassade d'Italie et l'institut Culturel Italien d'Alger, op cit, p 54.

الباب الثاني: شبكات الدعم

(ماتيني Mattei) خدماته للثورة الجزائرية ووضع جدولاً لتطور حملته، والصعوبات التي يواجهها من الكارتل البترول العالمي «الأخوات السبع». وفي 17 فيفري 1960 حدث لقاء آخر في القاهرة بمطعم «جروبي سليمان باشا»، بين (ماتيني Mattei) و(بوصوف) بحضور (إجيديو إيجيدي - Egidio Egidi) و(علي الشريف ديرووا). وخلال اللقاء تحدث المسؤولون على إمكانية التعاون بعد الاستقلال في مجال إنشاء وكالة عالمية للأنباء لكسر احتكار وكالات «رويترز - Reuters»، «أسوشيتد بريس - Associated Press» و«أجانس فرانس بريس - Agence France Press»، بحيث يكون التمويل إيطالي والمنفذين جزائريين. وكان (عبد الرحمن لغواطي) و(عبد الرحمن برووان)، عضوان في «المالغ - M.A.L.G» على علم بهذه المبادرة¹.

أثارت تحركات (ماتيني - Mattei) مخاوف الفرنسيين مما دفع «أس.دي.أو.سي.أو - S.D.E.C.E» إلى وضعه تحت المراقبة. وحسب مصالح الاستعلامات الأمريكية فإنه يملك في الجزائر مراسل غير رسمي في شخص (إيطالو بيترا - Italo Pietra)، أمين سابق لـ«الحزب الاشتراكي الديمقراطي» ومراسل جريدة «كوريي دلا سيرا - Corriere della Sera». فيما بعد تم تعيين (ماريو بيراتي - Mario Piratto)، وهو صحفي ومراسل سابق لجريدة «لونيتا - L'Unità»، كممثل شخصي والدائم لدى «ح.م.ج.ج. - G.P.R.A» في تونس. وترى «أس.دي.أو.سي.أو - S.D.E.C.E» أن (ماتيني Mattei) لم يكتف بربط اتصالات مباشرة وغير مباشرة مع الجزائريين لتحضير الاستقلال وإنما وفر لهم دعم مادي يتمثل أساساً في التكفل بتكوين الإطارات الجزائرية المستقبلية في مجال المحروقات في مدارس (l'ENI)، عرض كميات من الوقود لصالح جيش التحرير الوطني الرابط في الحدود التونسية والمغربية، الحصول على عقد موقع مع (فرحات عباس) يلتزم فيه بتزويد المجاهدين بالسلاح. ورغم أن «أس.دي.أو.سي.أو - S.D.E.C.E» تؤكد أن طبيعة الدعم الذي يقدمه (ماتيني Mattei) للثورة الجزائرية يحتاج إلى إثبات دقيق، لكن رسالة الشكر التي بعثها له (كريم بلقاسم) وزير الشؤون الخارجية في «ح.م.ج.ج. - G.P.R.A» يشكره فيها على الدعم المعنوي والمادي قد تبرر الشكوك. وتذكر بعض المصادر الفرنسية أن تدخل (ماتيني Mattei) لدى بعثة «ح.م.ج.ج. - G.P.R.A» إلى إيفيان بهدف التحضير لوضع مشروع اتفاق مع فرنسا حول استغلال موارد الصحراء، جعله هدفاً للانتقادات الفرنسية. وقد دفع (ماتيني - Mattei) حياته ثمناً لدعمه الثورة الجزائرية ودفاعه عن المصالح الاقتصادية لبلاده في مجال المحروقات، إذ قتل في حادث طائرة في أكتوبر 1962. وبطبيعة الحال فإن جهتين أساسيتين تحوم حولهم تهمة التورط في تخريب الطائرة التي كانت تقله: المصالح السرية الفرنسية و«الأخوات السبع»².

5 - إسبانيا

¹ - Ibid, pp 55-56.

² - Stéphane Mourlane, op cit p 86.

الباب الثاني: شبكات الدعم

كانت إسبانيا بالنسبة لـ«ج.ت.و» منطقة عبور أساسية للمناضلين الجزائريين الملاحقين من الأجهزة الفرنسية باتجاه المغرب. لذلك حرصت على إيجاد قدم لها على هذه الأرض باستغلال توجهات الحكومة الإسبانية، في ظل نظام (فرانيسكو فرانكو - Francisco Franco) الذي أراد أن يلعب دور الوسيط في التقارب بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي، واستغلاله كيوابة لكسر العزلة السياسية التي فرضت على النظام الفرنكاوي الموصوف بالديكتاتوري المتعارض مع أوروبا الديمقراطية منذ 1945¹.

في أواخر 1956 فتحت «ج.ت.و» أولى مكاتبها في الخارج في مدريد وأظهرت السلطات الإسبانية في هذه المرحلة انفتاحا على الوطنيين الجزائريين. وهذا ما أثار قلق الحكومة الفرنسية، التي وصفت في تعليمة داخلية مؤرخة في أوت 1957، تصرف الحكومة الإسبانية بـ«الموقف المعارض والمفتوح»، والمقصود أنه مضر بالمصالح الفرنسية².

لم تتوان أجهزة الاستخبارات الفرنسية والإسبانية عن مراقبة أنشطة «ج.ت.و»، ففي بطاقة معلومات رقم (A 5)، تتحدث المعلومة رقم 5 والمرقمة (3068) والمؤرخة في 20 فيفري 1958، أن (رشيد النذير) ممثل الجبهة في مدريد يعتزم تشكيل تنظيم يتكفل بعبور الجزائريين الراغبين في الذهاب إلى الجزائر عن طريق المغرب عبر إسبانيا. وبلغ عدد الجزائريين المعنيين بالعملية ثلاثمائة شخص سيمرون من منطقة «دانشارينيا - Dancharinéa» بجبال الألب تدريجيا في أفواج من ثلاثة إلى أربعة أشخاص يحملون تصاريح بالعبور، صادرة عن السفارة المغربية بإسبانيا، وتمنحهم الجنسية المغربية، وأن السلطات الإسبانية سيؤشرون على هذه الوثائق التي ستسمح للمعنيين بالتحويل في إسبانيا والخروج منها من الحدود الجنوبية³. وفي نفس البطاقة تذكر المعلومة 23 وتحمل رقم (11. 593)، مؤرخة في 6 أكتوبر 1958، مصدرها «أس.دي.أو.سي.إو - S.D.E.C.E» أن «ج.ت.و» فتحت بإسبانيا مركزين لاستقبال الشمال الإفريقيين الذين يعبرون الحدود الفرنسية الإسبانية أحدهما في «ليريدا - Lerida» والآخر في «بامبلونا - Pamplona». وأضافت المعلومة أن تكاليف المحافظة على

1 - يطلق اسم «ديكتاتورية فرانكو» أو «نظام حكم فرانكو» على الفترة الزمنية من تاريخ إسبانيا، والتي تعود إلى حكم الجنرال (فرانيسكو فرانكو - Francisco Franco) وامتدت من الحرب الأهلية (1936-1939) إلى وفاته في 1975. وخلال هذه الفترة عاشت إسبانيا عزلة في محيطها الأوروبي وحتى الدولي على مستوى الأمم المتحدة. لمزيد من التفاصيل حول الموضوع ينظر:

Fernández Soriano Víctor, « La CEE face à l'Espagne franquiste. De la mémoire de la guerre civile à la construction politique de l'Europe », Vingtième Siècle. Revue d'histoire, 4/2010 (n° 108), pp. 85-98.

2 - Anne Dulphy. La guerre d'Algérie dans les relations fanco-espagnoles, guerres mondiales et conflits contemporains 2009/3 (n°235), p 119.

3 - 1 H 1596, dossier 2, pays européens occidentaux (en particulier en Espagne): aide aux rebelles algériens, relations avec les rebelles algériens (1956-1961), fichier n° (A 5), Rens 5, (n° 3068): transit d'algériens par l'Espagne, 20 février 1958, p 1.

الباب الثاني: شبكات الدعم

المركزين تصل إلى خمسين ألف «بيسيتاس - Pesetas» إسباني شهريا¹. لكن عمليات العبور الحدودية من فرنسا إلى إسبانيا لم تكن بالأمر الهين ومحفوفة بالمخاطر، رغم التسهيلات التي كانت تقدمها شبكات الدعم الفرنسية للعاشرين. وتوضح المعلومة 4 لـ«أس.دي.أو.سي.إو - S.D.E.C.E»، وتحمل رقم (245) ومؤرخة في 21 جانفي 1958، أن مكتب «ج.ت.و» يعتقد أن حوالي عشرة جزائريين قادمين من فرنسا ومتوجهين إلى «تيطوان» المغربية، يكونوا قد أوقفوا وسجنوا في إسبانيا. وطلبت الجبهة من الحكومة المغربية التدخل لدى الإسبانين لإطلاق سراحهم. وتضيف المعلومة أنه من المحتمل أن يكون هؤلاء الجزائريين مقيمين في فرنسا ويريدون الالتحاق بصفوف المجاهدين².

مارست فرنسا ضغوطات كبيرة على الحكومة الإسبانية لوضع حد لنشاطات «ج.ت.و» على أراضيها مستغلة حاجة إسبانيا «الفرانكاوية - Franquiste»، المعزولة أوروبا ودوليا، إلى الاندماج في أوروبا وفي الحلف الأطلسي لتطالب بالتعاون الكامل فيما يتعلق بالمسألة الجزائرية. ويبدو أن فرنسا نجحت في جعل الطرف الإسباني يتبنى الأطروحات الفرنسية، خاصة بعد مساهمتها في قبول إسبانيا كعضو شريك في «المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي - Organisation Européenne de Coopération Economique (l'O.E.C.O)» في جانفي 1958. ومنذ ذلك الحين توالى اللقاءات الرسمية بين الطرفين، وصرح الجنرال (أنطونيو باروزو - Antonio Barroso)، وزير الجيوش، والنقيب العام ومقدم قائد (مونوز جرانداس - Muñoz Grandes) دعمهم غير المشروط لفرنسا في حربها ضد «ج.ت.و»، واعتبر (فرناندو ماريا كاستيلا - Fernando María Castiella)، وزير الشؤون الخارجية، ذلك اختيارا لا رجعة فيه. أما (فرانكو - Franco) فقد حول نفسه إلى مدافع شرس للأطروحات الفرنسية لدى الأمريكيين الذين يفضلون إتباع سياسة متوازنة في المسائل الاستعمارية. وفي بداية 1960 أعرب (رولاند كارجوري - Roland Margerie)، سفير فرنسا في مدريد، بوضوح عن رغبته في إعطاء معنى سياسي للمشاورات التقنية والعسكرية بين البلدين: "بين مصالحنا في الجزائر وفي باقي إفريقيا ومصالح إسبانيا، فإن التضامن يصبح أمرا بديهيا. ربما لم نفعل ما يجب فعله لتسهيل على إسبانيا فهم ذلك، وهذا ما جعلها تحارب ضدنا في المغرب. لكنها الآن توصلت من خلال خطواتها الخاصة إلى نفس استنتاجاتنا. لا يمكن إلا أن نأمل رؤية العلاقات الفرنسية الإسبانية في أشكال ومستويات متنوعة، أحيانا علنية وأحيانا سرية"³. وهكذا تراجعت إسبانيا عن دورها الريادي كوسيط في التقارب بين العالم الإسلامي والعالم الغربي على أساس أن دعمها اللامشروط للاستعمار الفرنسي في الجزائر سوف يثير العالم العربي والإسلامي ضدها.

¹ - Ibid, rend 23, (n° 11.593): centre d'accueil F.L.N en Espagne, le 6 Octobre 1958, p 3.

² - Ibid, rend 4, (n° 254): Arrivée à Tetouan de N.A venant de France, le 21 janvier 1958, p 1.

³ - Anne Dulphy, op cit, p 125.

كانت سنة 1958 وما بعدها، على الأقل حتى سنة 1960، جد صعبة على «ج.ت.و» في الجبهة الاسبانية نظرا للصرامة غير المسبوقة التي أظهرتها الحكومة الاسبانية، والتي تدرج ضمن التوافق الفرنسي الاسباني الذي برز في هذه الفترة. وعمدت السلطات الاسبانية إلى غلق مكاتب الجبهة والتضييق على نشاطاتها، وهذا ما توضحه العديد من مراسلات «أس.دي.أو.سي.إو - S.D.E.C.E» إلى الجهات الأمنية الفرنسية، تمكنا من الاطلاع عليها، منها ما ورد في بطاقة المعلومات (A.5)، في المعلومة رقم 1، 11 و 16. ورد في المعلومة رقم 1 المؤرخة في 2 فيفري 1958 تحت عنوان: "إجراءات ضد «ج.ت.و» في إسبانيا" جاء فيها: "أغلقت محلات تركيب الأدوية التابعة لـ«ج.ت.و» في «مدريد» و«برشالونة» أبوابها، وحزم وكلاءها أمتعتهم. وطُلب من الصحافة المدريدية بعدم تزويد هذه المعلومة لقرائها. في الحقيقة، فإن الشرطة هي التي وضعت حد لنشاطات "الفلاقة" في شبه الجزيرة [أي شبه الجزيرة الإيبيرية]¹. وفي المعلومة 11، وتحمل رقم (8899) والمؤرخة في 1 جويلية 1958 بعنوان: "غلق بعثة «ج.ت.و» بمدريد" ورد فيها: "مقر «ج.ت.و» بمدريد، 21 شارع «رويز دي ألكون - Ruiz de Alarcon»، قد تم غلقه نهائيا"². أما المعلومة 16 وتحمل رقم (10241)، ومؤرخة في 13 أوت 1958، بعنوان: "حول غلق مكتب «ج.ت.و» بمدريد" جاء فيها: "بعض الأوساط الوطنية الجزائرية بالخارج، تصرح بأن (بشير نذير)، ممثل سابق لـ«ج.ت.و» في إسبانيا قد غادر مدريد دون أن يترك عنوان [أي عنوان آخر يمكن الاتصال به من خلاله]. الشقة في 21، شارع «رويز دي ألكون - Ruiz de Alarcon»، التي كان يستخدمها في العاصمة الإسبانية معروضة للإيجار منذ 1 أوت 1958. ومنذ مغادرة ممثل الجبهة لم يأت أي زائر إلى مكتبه. من جهة أخرى أوقفت السلطات الإسبانية اثنين من الشمال الإفريقيين كانا يسكنان مع (بشير نذير)³.

وعيا منها بأهمية إسبانيا كمنطقة عبور للأشخاص والأسلحة، ورغبة منها في تجاوز إجراءات التضييق على النشاط التي اعتمدتها الحكومة الاسبانية، بضغط من الحكومة الفرنسية، عملت «ج.ت.و» على ربط اتصالات مع السلطات الإسبانية بوساطة مغربية أو عن طريق الرسميين الإسبان بالسفارة الإسبانية في الرباط. وتظهر تقارير «أس.دي.أو.سي.إو - S.D.E.C.E»، التي اطلعنا عليها، جوانب كثيرة من نشاطات الجبهة في إسبانيا. ففي

¹ - H 1596, dossier 2, pays européens occidentaux (en particulier en Espagne), op cit, fichier n° (A 5), Rens 1, (n° 1): **Mesures contre le FLN en Espagne**, le 2 janvier 1958, p 1.

² - Ibid, fichier (A. 5), rens 11, (n°8899): **fermeture de la délégation du FLN à Madrid**, le 7 juillet 1958, p 2.

³ - Ibid, fichier (A. 5), rens 16, (n° 10241): **fermeture de la délégation du FLN à Madrid**, le 13 juillet 1958, p 2-3.

الباب الثاني: شبكات الدعم

البطاقة رقم (A.5) مؤرخة في 1957، وفي المعلومة 2 و3 نقرأ أن «ج.ت.و» أقامت في مدريد مكتبا بشارع «كال مارتان دي لوس هيروس - Calle Martin De Los Heros» رقم 5 و16. وفي «ملقا - Malaga» أقامت مركزا في الطابق الثالث ب17 شارع «بوز دولوس - Poze Dulos» يديره (محمد بن قدور دريدي) بمساعدة المغربي (عمار بن طاهر فيلاي)، إضافة إلى جزائريين يتولون ربط الاتصال بين «ملقا - Malaga»، «فالانس - Valence» و«مدريد»². على مستوى ممثلي الجبهة في مدريد تتحدث المعلومة 12 و13 المؤرخة في 1958 عن اقتراح عرضه مسؤول «ج.ت.و» في الرباط ل«ل.ت.ت - C.E.E»، بتعيين (الدكتور بن سماعين)، نائب رئيس المجلس الثوري الجزائري بالمغرب، الذي يحتفي بعلاقات جيدة مع الإسبان، على رأس مكتب مدريد في حالة بقاء المنصب الذي كان يشغله (نذير بشير) شاغرا³. ويرر جدوى هذا الاقتراح بالعلاقات التي يقيمها (بن سماعين) مع قادة مدنيين وعسكريين في إدارة الرئيس الاسباني (فرانكو - Franco)⁴.

تنوعت اتصالات «ج.ت.و» مع المسؤولين الإسبان بين الرسمية وغير الرسمية، وشملت شخصيات مدنية وعسكرية. وفي هذا السياق نقرأ في المعلومة 10 المؤرخة في 14 و15 جوان 1958 أن وزارة الشؤون الخارجية الإسبانية أقامت مع ممثل «ج.ت.و» في مدريد علاقات وصفها المدعو (شنقريجا)، أحد أعضاء الجبهة في إسبانيا، بأنها رسمية⁵. ونقرأ أيضا في المعلومة 26 و27 المؤرخة في 1958، أن (عبد الحفيظ بوصوف)، وزير العلاقات والاتصال في «ح.م.ج.ج - G.P.R.A»، أشار إلى (فرحات عباس)، رئيس «ح.م.ج.ج - G.P.R.A»، بأنه يجد نفسه أمام عروض متنوعة مقدمة من إسبانيين. ويتعلق الأمر بالعقيد (زيا - Zea)، قائد مصلحة الاستعلامات، وناسبه الملازم الثاني (كازاس - Kazas)، الجنرال (غارا أفالينو - Garra Avalino) والكونت (مارشال - Marshall). ويطلب منه توضيحات حول مضمون الاقتراحات التي عُرضت عليه لدى مروره من مدريد، حتى يتم تجنب أي تضارب. لكن (عباس) وضح أنه لم يتلق، خلال سفره إلى المغرب أواخر نوفمبر، أي عرض ملزم ل«ج.ت.و» وأكد ل(بوصوف) أن الساحة لا زالت بكر، ويمكنه اتخاذ أي مبادرة تسمح بمساعدة «ج.ت.و»⁶.

¹ - Ibid, fichier (A. 5), rens 2, (n° 441): **Implantation du FLN en Espagne**, le 6 aout 1957, p 1.

² - Ibid, rens 3, (n° 480), le 23 aout 1957, p 1.

³ - Ibid, rens 12, dossier "E": **Affectation à Madrid du docteur Ben Smain**, Fiche du 2 - 3 aout 1958, p 2.

⁴ - Ibid, rens 13, dossier "E": **Du docteur Ben Smain**, fiche du 4 aout 1958, p 2.

⁵ - Ibid, rens 10, dossier "E": **Relations hispano-rebelles**, fiche du 14 et 15 juin 1958, p 2.

⁶ - Ibid, rens 26 et 27 dossier "E": **offres de contacts présentées au FLN**, fiche du septembre 1958, p 3.

الباب الثاني: شبكات الدعم

أما باتجاه الصحافة الإسبانية، فقد فرضت عليها الحكومة رقابة صارمة في تعاطيها مع المسألة الجزائرية. لكن التحولات التي طرأت على أسلوب تعاطي الجمهورية الخامسة في فرنسا مع المشكل الجزائري، خاصة بعد خطاب (ديغول - De Gaulle) حول تقرير المصير في 1 سبتمبر 1959، وبدء المفاوضات في 1960، جعلت الحكومة الإسبانية تسلك سياسة متوازنة اتجاه أطراف المشكل الجزائري حتى لا تكون الخاسر الأكبر في المسألة. ويظهر هذا التوجه جليا في التعليق التي أعطيت للصحافة. ففي المعلومة 19، والتي تحمل رقم (24981/B) ومؤرخة في 17 نوفمبر 1959، بعنوان: "تعليمات للصحافة الإسبانية في موضوع الشؤون الجزائرية" كتبت «أس.دي.أو.سي.أو. - S.D.E.C.E.» : "أعطت السلطات الإسبانية لجرائدها التعليمات التالية فيما يتعلق بالشؤون الجزائرية: - تحركات قادة التمرد الجزائريين يجب التكتف عليها كليا، - يجب على الصحافة تجنب الإشارة أو الحديث عن أي حادث يكون المتسبب فيه جزائريين مسلمين في إسبانيا (سرقه، تهريب، عبور الحدود، بث مقالات التحريض... إلخ). - حول الموقف الفرنسي من المشكل الجزائري، المعبر عنه من طرف الجنرال (ديغول - De Gaulle)، فإن الصحافة يجب أن يكون لها موقف مؤيد، لكن قابل للتطور. ورغم هذا الموقف إلا أن توجيه الانتقادات إلى الأمم العربية يبقى، حتى هذه اللحظة ممنوعا كليا".¹

يبدو أن توجهات الحكومة الإسبانية الفرنكاوية الداعمة لفرنسا أثارت سخط قسم الرأي العام الإسباني، والمتشكل من أحزاب المعارضة والمنظمات والشخصيات والصحافيين. أدانت كل هذه الأطراف التعاون اللا محدود لبلادهم مع فرنسا في مواجهة الثورة الجزائرية، وتغلغل الدعاية الفرنسية داخل المجتمع الفرنسي، إلى درجة تحوله إلى مرتع ومحضن للمنظمات الإرهابية الفرنسية كـ«لو.أ.أس. - l'O.A.S» و«اليد الحمراء - Main Rouge»². ومن الصحف الإسبانية التي وقفت إلى جانب تصفية الاستعمار ودعمت سياسة (ديغول - De Gaulle) في هذا التوجه نذكر: الجريدة الكاثوليكية الليبرالية «يا - Ya»، الجريدة الملكية الليبرالية، الأولى من حيث السحب، «لافنغارديا - La Vanguardia» والجريدة المدريدية الصباحية «إنفورماسيونس - Informaciones». وفي مجال الدعاية لقضية تحرير الجزائر استأجرت «ج.ت.و» مطبعة سرية في مدريد، من المدعو (هانس بورخولز - Hans Burkholz)، لسحب المنشائر الدعائية. وتذكر المعلومة 18، والتي تحمل رقم (22963/A) والمؤرخة في 16 سبتمبر 1959، أن المنشائر تُطبع تحت مراقبة جزائريين يعتنون شخصيا بإتلاف الصور السلبية والمسودات بعد انتهاء عملية الطبع. بعدها يتم نقلها برا في حقائب إلى «برشلونة - Barcelone». ويعتقد «أس.دي.أو.سي.أو. - S.D.E.C.E.» أن (Burkholz) كان يقبض أجرته بالدولار، وأنه، كما يبدو، كان يجهل مضمون النصوص المطبوعة.³

¹ - Ibid, fichier (A. 5), rens 19, (n° 24981): consignes données à la presse espagnoles au sujet des affaires algériens, le 17 novembre 1959, p3-4.

² - صغير (مريم)، المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954-1962، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012، ص 448.

³ - 1 H 1596, fiche (A. 5), rens 18, (n° 22963/A): Activités du FLN en Espagne, le 16

إن الرأي العام الإسباني، الذي كان يعيش تحت نظام (فرنكو - Franco) الديكتاتوري، كان متذمرا من انسياق الحكومة وراء الأطروحات الفرنسية، والجرأة التي أبدتها فرنسا في التدخل في الشؤون الفرنسية السياسية والاقتصادية على حساب المصالح الوطنية. وامتد التذمر إلى المغرب، إذ تذكر المعلومة 3 والمؤرخة في 14 جانفي 1959، أن خمسين موظفا في الشرطة بـ«تيطوان» المغربية وثمانين جمركيا تم فصلهم من العمل بسبب احتجاجهم على تزايد التأثير الفرنسي في المدينة على حساب الوجود الإسباني¹. وهذا التوجه المناهض للنفوذ الفرنسي في إسبانيا سيتزايد مع تطور القضية الجزائرية.

6 - النمسا

شكلت النمسا منطقة انطواء لمناضلي «ج.ت.و» المهتدين بالقمع، وكان لا بد من الحفاظ عليها بأي ثمن. من هذا المنطلق وجب إذن تجنب كل خلاف محتمل مع الحكومة النمساوية². ومع ذلك وجب التساؤل عن علاقة النمسا بالثورة الجزائرية؟

يعود الفضل في وعي النمساويين بالقضية الجزائرية إلى مسألة «اللفيف الأجنبي» - La légion étrangère، وهم في الواقع جنود مرتزقة مؤجرين، قاموا بإبرام عقود الالتحاق بصفوف الجيش الفرنسي ضمن كتائب خاصة بهم. وتستخدمهم فرنسا عادة في تنفيذ المهمات الاستعمارية القذرة، التي قد يرفض الجنود الفرنسيون القيام بها. وينحدر جنود اللفيف الأجنبي من جنسيات مختلفة: سويسرية، ألمانية، نمساوية، مجرية... إلخ. يضاف إلى هؤلاء اللفيف المشكل من أبناء المستعمرات الفرنسية في إفريقيا. ومع بداية حرب التحرير الوطنية وتوسعها ولجوء الجيش الفرنسي إلى العمليات الوحشية في حق المدنيين العزل وإقامة المحتشدات التي حولت حياة الجزائريين إلى جحيم، واكتشاف المجندين أنفسهم حجم المأساة الجزائرية، التي كان يقال عنها أنها مجرد عمليات إعادة النظام. وبداية من 1956 بدأ أفراد من الجيش الفرنسي من الفرار من الخدمة العسكرية، وقاموا بتأسيس «جون ريزيستونس - Jeune Résistance» وهي شبكة تحت الجنود على الفرار³. ومن الشخصيات البارزة التي لعبت دورا هاما في حث وتشجيع الجنود على الفرار، على مستوى اللفيف الأجنبي (ونفريد ميلر - Winfried Müller)⁴، الذي سمي بعد التحاقه بـ«ج.ت.و» (سي مصطفى مولر - Si Mustapha Müller)¹.

septembre 1959, p 3.

¹ - Ibid, rend 3, dossier "E": Licenciement de fonctionnaires espagnols au Maroc septentrional, fiche du 14 janvier 1959.

² - Benamara (Fader) et Fritz (Keller), op cit, p 39.

³ - تحدثنا عن شبكة «جون ريزيستونس - Jeune Résistance» في الفصل الأول من الباب الثاني.

⁴ - (ونفريد مولر - Winfried Müller) من مواليد 1926 بـ«دورتموند - Dortmund» في ألمانيا من أسرة يهودية. ونظرا لمناهضته للنازية اعتقل من طرف المخابرات الألمانية النازية «الغيستابو - La Gestapo» وجند في سلاح

خلال 1955 باشر (ميلر - Müller)، في مختلف المناطق التي يتواجد بها أفراد الليفيف الأجنبي، عمليات إقناع الجنود بالفرار. ولاحظ أن ثلاثة أرباع الليفيف الأجنبي ألمان ونمساويين. وبمناسبة وقوع عدد من الجنود الألمان من قوات الليفيف الأجنبي أسرى لدى جيش التحرير الوطني في الجبال الغربية المحيطة بمدينة تلمسان، أطلعه الموقوفون على الوضعية المأساوية لليفيف الأجنبي، وكان ذلك مبرر كافٍ له لبدء حملة توعية باتجاه ثلاثين إلى أربعين ألف جندي من الليفيف الأجنبي في الجزائر ليقنعهم بالعصيان والفرار، ونجح أيضا في إقناع قادة الولاية الخامسة ببرنامج عمله في هذا الشأن².

الحقيقة أن جيش التحرير الوطني كان قد أسس ضمن هياكله مصلحة خاصة بإعادة الليفيف الأجنبي للوطن مقرها في بـ«الأبرتادو» 243 بمدينة «تيطوان»، والتي كانت في السابق مقرا لسلطة الحماية الإسبانية. وكذلك تمكنت «ج.ت.و» من الوصول إلى اتفاق مع الشرطة الحدودية بقضي بتسليمها الجنود الأجانب الفارين من الجيش الفرنسي. لكن هذا الإجراء كان بمس فقط الجنود الأجانب الذين ينتمون إلى دول ليس لديها سفارة في إسبانيا أو في المغرب. وفي بعض الأحيان يجد الجنود الفارين أنفسهم موقوفين لعدة أشهر، وفي آخر المطاف يتم إعادة تسليمهم إلى السلطات الفرنسية. وكان أكثر المتضررين من هذه الوضعية الجنود القادمين من بلجيكا، النمسا وبلدان أوروبا الشرقية³.

من بوابة الجنود النمساويين الفارين من الليفيف الأجنبي تمكن (ميلر - Müller) من تحسيس الرأي العام النمساوي بالقضية الجزائرية. وتعود هذه المسألة إلى سنة 1955 عندما التقى بأحد أبرز الشخصيات السياسية

البحرية في الجبهة الشرقية، أين انضم إلى «اللجنة الوطنية الألمانية الحرة» المعارضة للنازية. وساهم في حملة إقناع الجنود الألمان المتواجدون في جبهة القتال الفرار من الجيش، وذلك بواسطة استخدام المناشير وكذلك عملية البث الإذاعي. استفاد في 1947 من منحة دراسية في علم الاجتماع بالمدرسة العليا (كارل ماركس - Karl Marx) ببرلين. لكن بعد تخرجه جُرد من كافة الامتيازات الدراسية التي كان يتمتع بها من قبل بسبب اتهامه بالولاء للرئيس اليوغسلافي (جوزيب بروز تيتو - Josep Broz Tito)، وكلفه ذلك الطرد إلى ألمانيا الغربية. وهناك حاول أن يجد له مكانا ضمن التنظيمات الشيوعية، إلى أن قرر في 1954 التوجه إلى باريس لمتابعة الدراسة في مجال الصحافة. وفي باريس اطلع على أخبار الثورة التحريرية، واعتنق الإسلام والتحق بالثورة تحت اسم (مصطفى)

كيلر (فريتز)، تضامن الأممية. اليسار النمساوي والثورة الجزائرية 1958-1962، الترجمة من الألمانية يوسف أعراب، دار خطاب، الجزائر، 2010، ص 44-48.

¹ - لمزيد من التفاصيل عن (سي مصطفى ملر) ينظر الفيلم الوثائقي الرائع الذي أنتجته القناة الفرانكو ألمانية «أ.أ.تي.أو- ARTE» في 2016، بعنوان: **Si Mustapha Muller le déserteur**، ضمن سلسلة «Les oubliés de l'Histoire»، أي «المنسيون من التاريخ»، سلسلة من إبداع وتسيير (جاك مالاتار - Jacques Malaterre)، بمساعدة (جان إيف لونووار - Jacques-Yves Le Nouar) وإخراج (ألكسندر كورنو - Alexandre Cornu).

² - كيلر (فريتز)، المرجع السابق، صص 46-47.

³ - نفسه، ص 47-48.

الباب الثاني: شبكات الدعم

النمساوية وهو (ريمر هولزينغر - Reimer Holzinger)، عضو في «حركة الشبيبة الاشتراكية النمساوية»، في ملتقى سياسي في مدينة «أنسبروك - Innsbruck» النمساوية، وأطلعته على وضعية الجنود النمساويين الفارين من اللقيف الأجنبي وحثه على التكفل السريع بهم حتى لا يتم إعادة تسليمهم إلى السلطات الفرنسية. وبهذه الكيفية انخرط اليسار النمساوي، مثلاً أساساً في «حركة الشبيبة الاشتراكية النمساوية» و«الحزب الاشتراكي النمساوي»، في دعم الثورة الجزائرية¹.

إضافة إلى (هولزينغر - Holzinger) نجد شخصيات نمساوية أخرى من التيار اليساري، وفي مجالات مختلفة تضافرت جهودها لمساعدة الجزائريين على افتتاح استقلال بلادهم من الاستعمار الفرنسي، من أمثال (كارل بليشا - Karl Blecha)، عضو «الحزب الاشتراكي النمساوي - S.P.Ö»، (رودولف كيرششلاغر - Rudolf Kirchschräger)، الذي كان قاضياً في تلك الفترة، وعضو «الحزب الاشتراكي النمساوي - S.P.Ö»، (بيتر كرايسكي - Peter Kreisky)، عضو «الحزب الاشتراكي الديمقراطي - Le Partis Social Démocrate»، (إسماعيل بليشا - Ismail Balić)، وهو مؤرخ بوسني نمساوي وعضو في «جمعية الكتاب النمساويين»، (أوتو رودولف شاتز - Otto Rudolf Schatz)، وهو رسام وفنان تشكيلي، والقائمة لا زالت طويلة. وتراوح الدعم النمساوي للثورة الجزائرية بين السياسي، النقابي، الإعلامي، الفني والإنساني.

تم تنظيم أول مظاهرة مخصصة للقضية الجزائرية في النمسا، في 6 نوفمبر 1958، بمناسبة الاحتفال بمرور أربع سنوات عن انطلاق الثورة التحريرية. وكانت هذه المظاهرة بمبادرة من (كارل بليشا - Karl Blecha) وشارك فيها وفد من الطلبة العرب². وعلى هامش ملتقى نظم بتاريخ 2 أوت 1959 تحت شعار "الحروب في إفريقيا وفي آسيا هي حروب ضد الاضطهاد الاستعماري" أقيم تجمعاً من أجل التضامن مع «ج.ت.و» حضره الممثل غير الرسمي للجهة (خميس دخلاوي)، المدعو (مالك)، تم خلاله رفع العالم الجزائري. وبالتزامن مع مؤتمر «الحزب الاشتراكي النمساوي» المنعقد في 8 جوان 1961، أشرفت منظمة الشباب، التابعة للحزب، على مظاهرة جمعت ألف وخمسة مئة متظاهر، أين تم رفع لافتات كتب عليها عبارات نطالب بـ"الحرية للجزائر". ويضاف إلى هذه التظاهرات المسيرات التقليدية التي كان الحزب ينظمها بمناسبة اليوم العالمي للشغل في الأول من ماي، والتي تجوب الشارع الكبير للعاصمة «فيينا». وكان (ريمر هولزينغر - Reimer Holzinger) شخصياً يرفع مع رفقاءه علم جزائري كبير الحجم³.

1 - كيلر (فريتز)، المرجع السابق، ص 52 و 55.

2 - كيلر (فريتز)، المرجع السابق، ص 96.

3 - نفسه، صص 97-99.

الباب الثاني: شبكات الدعم

رافع «الحزب الاشتراكي النمساوي - SPO» من أجل فتح مكتب لـ«ج.ت.و» في فيينا، حيث ورد في بطاقة المعلومات (B. 53) في المعلومة 33 وتحمل رقم (D 1401/A) المؤرخة في 28 سبتمبر 1961 أن الحزب الاشتراكي النمساوي (SPO) يرى أنه من غير الممكن الاستمرار لمدة أطول في معارضة فتح ممثلية جزائرية في فيينا. هذه المسألة تمت إثارتها مؤخرا للجنة الإدارية للحزب، التي أرادت قبل ذلك معرفة موقف الحزب الاشتراكي الفرنسي (S.F.I.O) في القضية. خلال مناقشة هذه المسألة تم التنبيه بشكل واضح بأن إقامة تمثيلية جزائرية في فيينا يمنع عليها باتا أي نشاط يهدف إلى الحصول على الأسلحة لـ«ج.ت.و»¹.

إلى جانب المظاهرات والتجمعات انتظمت حملات جمع التبرعات لصالح آلاف اللاجئين الجزائريين القابعين في تونس والمغرب. فعلى هامش مظاهرة 6 نوفمبر 1958، بمناسبة الاحتفال بمرور أربع سنوات عن انطلاق الثورة التحريرية أطلق (كارل بليشا - Karl Blecha) عملية جمع التبرعات المالية. وقد تطرقت جريدة المجاهد في عدد ديسمبر 1958 إلى مسألة المساعدة الدولية للاجئين الجزائريين في مقال بعنوان "المساعدة الدولية" مما جاء فيه: "...وبهذه الكيفية أكل لاجئون القمح الأمريكي، الدقيق السوري والأرز المجري، الحليب النمساوي أو الإيرلندي، المعلبات الإيطالية... ملابستهم، بطانياتهم جاءت من مونتريال وكولومبو، القاهرة، من واشنطن، من روما، من أوسلو و لوازم الرضع الكندية، هبات نقدية وطرود من كل مكان. يعالجون بأدوية مرسلة من ألبانيا أو البان، ينقلون في سيارة إسعاف مهداة من الشبيبة الألمانية الحرة. كل بلد ساهم حسب إمكانياته و يستحيل تعداد كل المرسلات..."². وقامت منظمة «الشبيبة النمساوية الاشتراكية» بتوزيع حوالي ثلاثة آلاف نسخة من مجلة «ريفولوشن إن أليغيين - Revolution in Algerien»، أي «الثورة في الجزائر» بسعر أربعة «شيلينغ - Chilling» نمساوي للنسخة الواحدة، وتم التبرع بمجمل العائدات لصالح مركز لإيواء يتأوى حرب التحرير. وفي حملة جمع التبرعات المشتركة التي نظمتها منظمات الشباب الاشتراكية سنة 1960 قدر المبلغ الإجمالي للتبرعات بأكثر من 25 ألف «شيلينغ - Chilling» أي ما يعادل حاليا أكثر من 14.5 مليون «أورو - Euro». وبمناسبة إحياء اليوم العالمي للاجئين في 20 جوان 1959 تبرعت «اتحادية النقابة النمساوية» لوحدها بمبلغ 50 ألف دولار أمريكي. وهذه النماذج لانخراط الرأي العام النمساوي إلى جانب كفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال³.

من الجانب الإعلامي اهتمت العديد من الصحف النمساوية بالمسألة الجزائرية. فقد اهتمت جريدة «نويز أوستريش - Neues Österreich»، أي «التمسا الجديدة» بنشر ما كان يأتي من بيانات وتصريحات

¹ - 1 H 1753, D 3, Fiche (n° B .53), rens 33, (n° D 1401/A): **Instalation à Vienne (Autriche) d'une représentation algérienne**, le 28 septembre 1961, p 8.

² - L'aide internationale, in El Moudjahid, V 2, Nr 33 du 8 décembre 1958, pp 88-89.

³ - كيلر (فريتز)، المرجع السابق، صص 101-103.

لـ«ج.ت.و» فيما يتعلق بالمسائل والمظاهر الثقافية المتعددة في الجزائر والمتضمنة في برنامجها السياسي. وفي عدد 8 فيفري 1960 نشر الصحفي (جورج شووار - Georg Scheuer) تصريحات فرحات عباس يطمئن فيها المستوطنين بأن الجزائر تتسع للجميع وأراد أن يبدد مخاوفهم فيما يتعلق بمستقبلهم في الجزائر المستقلة. وقام (بليشا كارل - Karl Blecha) وبمساهمة أحد مساعديه بنشر مقالات في مواضيع حساسة حول الحرب القائمة في الجزائر، خاصة يتناول الصحراء، حيث كتب مقال بعنوان: "بترول الصحراء - Das sahara Öl" والتجارب النووية لفرنسية في الجنوب الجزائري، وكتب عنه مقال بعنوان: "قنبلة في الجنوب - Eine Bombe in der wüste"¹. وهناك جرائد ومجلات أخرى تابعة لمنظمة «الشباب النمساوي الاشتراكي» قامت بتدعيم عمليات التضامن والمساندة للجزائر، وذلك بنشر الأخبار والتصريحات الموثقة حول القضية الجزائرية، نذكر من بينها مجلة «العامل الشاب - Der Junge Arbeiter» و«الراية الحمراء - Rote fahne»، وجريدة «تروتزدم - Trotzdem»، ومعناها «على الرغم من ذلك». وفوق كل ذلك قام (ريمر هولزينغر - Reimer Holzinger) بتنظيم ندوة صحفية مع (خميس دخلاوي) الممثل غير الرسمي لـ«ج.ت.و» لحساب جريدة «كونكورديا - concordia»، والتي مكنت صحفي يعمل في التلفزيون النمساوي من استقاء الأخبار والتصريحات الصادرة عن «ج.ت.و» مباشرة من مكاتبها في تونس. أما من الناحية الفنية تمكن الفنان التشكيلي النمساوي (أوتو رودولف شاتز - Otto Rudolf Schatz) من القيام بحملة تحسيسية ناجحة لصالح الثورة التحريرية بلوحاته التي تبرز وحشية الجنود الفرنسيين التي تذكر بوحشية الجنود النازيين².

¹ - نفسه، صص 117-118.

² - كيلر (فريتز)، المرجع السابق، ص 121.

الفصل الثالث

في البلدان الشمالية (Nordiques)

1 - الأراضي المنخفضة (هولندا)

2- إنجلترا

3 - الدانمارك

4 - السويد

5 - النرويج وفنلندا

الفصل الثالث: في البلدان الشمالية

يقصد بالبلدان الشمالية الدول التي تقع شمال أوروبا الغربية (Pays nordiques) ونخص بالذكر البلدان التي شهدت نشاطات ذات صلة بالثورة التحريرية الوطنية سواء من جانب «ج.ت.و» أو جانب الداعمين لكفاح الجزائريين من أجل استقلال بلادهم في تلك البلدان. وفي هذا الصدد نخص بالذكر كل من الأراضي المنخفضة، إنجلترا، الدول الإسكندنافية (الدانمارك، السويد، وبدرجة أقل فنلندا والنرويج).

1 - الأراضي المنخفضة (هولندا)

ارتبط الدعم الهولندي للثورة الجزائرية بشبكتين رئيسيتين إحداهما علنية والأخرى سرية. الشبكة العلنية تقودها «لجنة الإعلام والعمل للجزائر - Actie-Utrecht-Algerije»، والعمل السري وتقوده الأمانة الرابعة ممثلة في (ميشال رابتييس - Michel Raptis)، المدعو (بابلو - Pablo).

طيلة فترة الثورة التحريرية التزمت الحكومة الهولندية الصمت إزاء الحرب الدائرة بين فرنسا و«ج.ت.و». وظهرت بمظهر الحليف الدائم والوفى لفرنسا، ولم يفوت وزير الخارجية الهولندي (جوزيف لونس - Joseph Luns) فرصة ولا مناسبة إلا وأشاد فيها بالعلاقات الممتازة، والاحترام المتبادل بين البلدين. ونفس الموقف نسجله على مستوى الصحافة والرأي العام، باستثناء قسم من الصحافة الهولندية التي تابعت الصراع من قريب منذ نوفمبر 1954. والجريدة الليبرالية «نيوف روتردامش كورنت - Nieuwe Rotterdamshe Courant»، التي تصدر في مدينة «روتردام - Rotterdam» تمثل هذا الاستثناء. فقد أنتقل مراسل هذه الجريدة (يعقوب هويزينغا - Jakob Huizinga) عدة مرات إلى الجزائر وانجز تحقيقات صحفية دقيقة. وفي 18 نوفمبر 1954 نشر مقالا بعنوان: "الظلام يسقط على الجزائر - L'ombre tombe sur l'Algérie"، حلل فيها جغرافية الأرض في الجزائر لبتنبأ في الأخير بأن حرب العصابات التي انطلقت في الجزائر يمكن أن تدوم طويلا. وفي شهر فيفري 1955 كتب سلسلة من ست مقالات حلل فيها الخلفية الاقتصادية والاجتماعية للنزاع الجزائري الفرنسي، مما جعله من بين الصحفيين الهولنديين الأكثر اطلاعا على حقيقة الأوضاع في الجزائر¹.

يجب انتظار سنة 1957 لرؤية المحاولات الأولى لإيقاظ الرأي العام. ففي شهر سبتمبر من هذه السنة قامت «اللجنة المستقلة للاتصال من أجل العمل للسلم - commission indépendante de contact pour le travail de la paix» (O.C.V)²، وهي تنسيقية تجمع حوالي عشر منظمات يسارية، بتوزيع نشرية

¹ - Nicolas pas, La guerre d'Algérie vue des Pays-Bas (1954-1962), Vingtième Siècle. Revue d'histoire 2005/2 (n° 86), p 47.

² - Omafhankelijke Contactcommissie voor Vredeswerk. 275

الباب الثاني: شبكات الدعم

بعنوان: "رعب على الجزائر - Terreur over Algerië" سُحب منها 15 ألف نسخة. وكتب مقدمتها (جان هاندريك فان ويجك - Jan Hendrik van Wijk)، رئيس منظمة «العمل الهولندي من أجل السلم - Algémente Nedrlandse Vredesactie» (ANVA)، وهو مقاوم سابق وأحد معتقلي محتشد «داخاو - Dachau»¹، حيث وجه انتقادا حادا للصحافة الهولندية، واتهمها بضعف مستواها في تغطية أحداث الجزائر، وكتب يقول: "في صحافتنا لا نجد أخبارا كافية عن هذه الحرب الفظيعة. معظم المقالات قصيرة [...] اختصرت الأحداث المعروضة في أرقام، وهذا ما يجعل الواقع اليي تتحدث عنه يختفي ضمن إحصائيات فارغة. إضافة إلى ذلك فإن صحافتنا تستخدم المزدوجتين لتجريد الفظائع المرتكبة من أي معنى. [...] لجان التحرير التي تستخدم المزدوجتين، يفعلون ذلك لإسكات ضمائرهم". ويضيف في مكان آخر: "هذه الحرب هي أسوأ مشهد للبشرية في تدمير، وبلا حرج، الناس وحقوق الإنسان. هذه الطرق للإبادة أدخلها الألمان ضد اليهود. ومارسها الهولنديون في أندونيسيا، والفرنسيين في الهند الصينية، لكن في الجزائر بلغ الإزدراء حده الأقصى". والهدف من هذه المنشورات هو كشف ما يحدث فعلا في الجزائر، وإيقاظ الرأي العام، خاصة وأن الكلمات المستخدمة كان لها وقع، لأنها مستوحات من مرجعيات الحرب العالمية الثانية والحرب التحريرية الأندونيسية².

زاد اهتمام الرأي العام الهولندي بكفاح الشعب الجزائري، وبلغ مستويات عالية ابتداء من سنة 1959، بعد قيام الجمهورية الخامسة في فرنسا ومجيء (ديغول - De Gaulle) إلى السلطة، ثم ارتفاع وتيرة العنف وتفنن الآلة الحربية الفرنسية في مضاعفة معاناة الجزائريين، خاصة المدنيين العزل الذين وجد الآلاف منهم أنفسهم لاجئين في تونس والمغرب. وبمناسبة إعلان الأمم المتحدة سنة 1959 "السنة العالمية للاجئين" اهتمت القناة التلفزيونية البروتستانتية «VPRO»، التي يرأسها القس (نيوفنهويش - Nieuwenhuis) بالمشكل الجزائري وقامت في شهر نوفمبر بعرض تحقيق بعنوان "أنقذوا طفل - Redt een kind" عن مخيمات اللاجئين الجزائريين في المغرب. هذا التحقيق أنجز في عين المكان بالتعاون مع (سيمون فينكينووغ - Simon Vinkenoog)، مساعد سابق لمنظمة «اليونيسكو - l'UNESCO» في باريس. وفي شهر ديسمبر بثت الإذاعة والتلفزة الهولندية على المباشر من قاعة الحفلات بـ«أمستردام» مهرجانا فنيا خيريا لفائدة اللاجئين الجزائريين، شارك فيه العديد من الفنانين الهولنديين، وتم جمع أكثر من 100 ألف «فلورين - Florins» هولندي، أي ما يعادل حوالي 45 ألف

¹ - محتشد «داخاو - Dachau» هو أول محتشد أنشأه النظام النازي في ألمانيا. أُقيم على أرضية مصنع قديم للخبرة، يقع على بعد 17 كلم شمال غرب مدينة «ميونيخ». افتتح في 20 مارس 1933، وبقي في الخدمة إلى مجيء الأمريكيين في أبريل 1945.

Filhol (Emmanuel) et Hubert (Marie-Christine), Les Tsiganes en France, un sort à part. 1939-1946. Perrin, Paris, 2009, Note 104, p. 375.

² - Nicolas pas, op cit, p 48.

الباب الثاني: شبكات الدعم

أورو حاليا. وهكذا شهدت سنة 1959 ميلاد العديد من لجان إغاثة اللاجئين الجزائريين في هولندا تهتم بشكل خاص بجمع الملابس، لعب الأطفال والمواد الغذائية، نذكر على سبيل المثال: «لجنة مساعدة اللاجئين الهولنديين - Comité Hulp Algerijnse Vluchtelingen» بـ«أمستردام»، «لجنة غرونيغنغو من أجل مساعدة اللاجئين الجزائريين - Groningen Comité voor Algerijnse Vluchtelingen» بـ«غوراراك» - Hoogerkerk في مقاطعة «غرونيغنغو - Groningen»، «لجنة العمل للجزائر - Comité Actie Algerije» بـ«أوترخت - Utrecht»¹.

لم يشذ الطلبة الهولنديون عن تيار المساعدة للقضية الجزائرية، ففي جامعة أمستردام فتحت المجلة الطلابية الأكثر شهرة «برويريا كورس - Propria Cures»، أي «علاجك الخاص» أعمدتها للمقالات التي تتناول الشأن الجزائري، وقامت بنشر في أكتوبر 1960 البيان المعروف بـ«بيان 121». وقامت الجمعية الطلابية «أولوفسبورت - Olofspoort» بإرسال رسالة احتجاج إلى السفير الفرنسي في هولندا ضد السياسة الفرنسية في الجزائر، كما نظمت في نوفمبر 1959 بالتعاون مع مجلة «بوليتيا - Politeia» معرضا حول حرب الجزائر تحت عنوان: "السنة السادسة للحرب - Het Zesde Oorlogsjaar" تم فيه عرض صور ووثائق وأفلام. وفي إطار هذا المعرض تم تنظيم مائدة مستديرة بمشاركة الطبيب (أوين نوردينوس - Oene Noordenbos)، أحد المؤسسين لـ«حزب السلام الاشتراكي - P.S.P»، المحامي (ماكس فان دير ستول - Max van der Stoel)، الأمين العالمي لـ«الحزب العمالي - PVDA» والتروتسكي (ووت تيلمان - Wout Tieleman). وبطريقة غير مباشرة أدى المعرض إلى تأسيس أول لجنة للأخبار والعمل حول الجزائر: «أكتي أنفورتني أليريج - Actie Informatie Algerije»، أي لجنة «الإعلام والعمل للجزائر» (I'A.I.A.)².

ال«أ.إ.أ. - I'AIA» إذن هي لجنة تضم أشخاص من كل التيارات والاتجاهات، مهمتها الإعلام والتعريف بالثورة الجزائرية عن طريق الصور، الوثائق والأفلام الوثائقية، إضافة إلى تقديم مساعدات للاجئين الجزائريين في المغرب وتونس. رأت اللجنة النور على إثر لقاء شخصين في معرض «بوليتيا - Politeia» وهما: (بييت فان دير زيجدن - Piet van der Zeijden)³ و(سييتسي بوزغرا - Sietse Bosgra)¹. التزم (زييجدن -

¹ - Nicolas pas, op cit, pp 49-50.

بنظر تفاصيل أكثر حول إغاثة اللاجئين في:

Pas (Niek), Les Pays-Bas et la guerre d'Algérie, traduit du néerlandais par Annette Eskenazi, Editions barzakh, Alger, 2013, pp 101-126.

² - لمزيد من التفاصيل عن النشاط الجامعي ينظر:

Pas (Niek), op cit, pp 151-163.

³ - ينحدر (بييت فان دير زيجدن - Piet van der Zeijden) من عائلة مسيحية كاثوليكية. تابع لبعض الوقت مهنته كراهب وكان ينوي أن يتابع دراسته في المدرسة الإكليريكية في فرنسا، إلا أن حالته الصحية الضعيفة، وفترات النقاهة

الباب الثاني: شبكات الدعم

(Zeijden) إلى جانب المقاومة الجزائرية لأسباب أخلاقية بحتة ولم يكن قط مناضلا سياسيا، إذ ينحدر من عائلة كاثوليكية ملتزمة، وكانت له الفرصة أن التقى في 1956 بطلبة جزائريين بمصححة الطلبة لـ«بوفيمونت-Bouffemont» شمال فرنسا، أين كان يعالج بسبب وعكة صحية، وكان آنذاك يقوم بدراسات معمقة، لمدة سنة، في جامعة «ران-Renne»، وبهذه الكيفية تم تحسيسه بالمشكل الجزائري. أما (بوزغرا-Bosgra) فكان مناضلا سياسيا يساريا ينشط ضمن «حزب السلام الاشتراكي - P.S.P» وكانت له الفرصة أن أنجز في المغرب تحقيقا حول الحياة اليومية للجزائريين في مخيمات اللاجئين، ونشر مقالات في عدد من الصحف الحزبية كجريدة «التحرير-Bevrijding»، التابعة لـ«حزب السلام الاشتراكي - P.S.P»، جريدة «الشعب الحر-Het Vrije Volk»، التابعة لـ«الحزب الاشتراكي»². إلى جانب هاتين الشخصيتين نجد أيضا عضوين آخرين هما (فونس هيرمان-Fons Hermans)³ و(ووت تيليمان-Woot Tieleman)⁴.

لم تكن الـ«أ.إي.أ - I.A.I.A» مجرد منظمة، بل كانت شبكة. ينتمي أعضاؤها إلى حساسيات إيديولوجية متعددة، كالاشتراكية المسالمة، الاشتراكية الثورية والاشتراكية المسيحية. وكان هدف هذه الشبكة مزدوج: إعلامي وعلمي.

الكثيرة التي كان يقضيها في المصحات لم تسمح له بمواصلة تكوينه في هذا المجال. اتجه منذ 1950 لدراسة اللغة الفرنسية في جامعة أمستردام، ثم سافر إلى فرنسا لمزاولة دراسات معمقة في اللغة الفرنسية في جامعة «ران-Renne»، ليصبح في 1959 أستاذا للغة الفرنسية في «ثانوية نيكولا-Lycée Nicolas» بـ«أمستردام».

Nicolas Pas, op cit, p 52.

¹ - ولد (سييتسي بوزغرا-Sietse Bosgra) في مدينة «غرونينغ-Groning» شمال هولندا. استقر بعد الحرب العالمية الثانية في أمستردام لمتابعة دراسات في الفيزياء، ثم سلك مسارا سياسيا ضمن «حزب السلام الاشتراكي-P.S.P».

Ibid p 52.

² - Ibid, p 52.

³ - (فونس هيرمان-Fons Hermans) كاثوليكي، عضو «الحزب العمالي-PVDA». في 1937 استقر في باريس بهدف دراسة الفلسفة بالمعهد الكاثوليكي. بعد الحرب العالمية الثانية اتبع مسار مهني كصحفي للصحافة الكاثوليكية والاشتراكية. تأثر كثيرا بمختلف التيارات الكاثوليكية اليسارية الفرنسية من بينها الشبكة التي التأمّت حول «تموانياج كريتيان-Témoignage Chrétien» و«إرسالية فرنسا-Missin de France». عمل كمحرر في أسبوعية «الأراضي المنخفضة الحرة-Vrij Nederland».

Ibid, pp 52-53.

⁴ - (ووت تيليمان-Woot Tieleman) مناضل تروتسكي، عمل كمحاسب عند الناشر (سويتس زيتلانجار-Swets Zeilinger). انضم إلى «الحزب العمالي-PVDA»، وبفضل زواجه من فرنسية ربط علاقات وثيقة مع مناضلين من أقصى اليسار. كان عضوا في هيئة تحرير مجلة «أفاق اشتراكية-Sosialistisch Perspectief»، التي تهتم بإعطاء تفسيرات جديدة للإيديولوجية الماركسية على مستوى «الحزب الاشتراكي الديمقراطي».

Ibid, p 53.

إعلاميا كانت تسعى للتأثير على الرأي العام عبر وسائل الإعلام عامة والصحافة الاشتراكية الديمقراطية خاصة. ومن المصادر الهامة التي تستقي منها المعلومات، الصحافة الفرنسية وبشكل خاص «لوموند- Le Monde»، «تموانباج كريتيان- Témoignage Chrétien»، «فرانس أوبسارفاتور- France-Obdervateur»، «ليتون مودارن- Les Temps Modernes»، لكن أيضا منشورات «ج.ت.و» وفي مقدمتها جريدة «المجاهد». كانت ال«أ.إ.أ. - l'A.I.A.» تريد أن توضح للرأي العام الهولندي أن الحرب في الجزائر لا يمكن أن تُختصر في عمليات ينفذها متمردون جزائريون، لكن الأمر يتعلق بحرب استعمارية يلجأ فيها الجيش الفرنسي إلى التعذيب الممنهج. وترى أيضا أن المعلومات الواردة في وسائل الإعلام غير كافية وغير كاملة، ومعروضة بطريقة سطحية تفتقر إلى الموضوعية وقائمة على أحكام جزئية، مخادعة وكاذبة. ولم تسلم الحكومة الهولندية من انتقادات ال«أ.إ.أ. - l'A.I.A.»، حيث اتهمتها صراحة بالتواطؤ والمسؤولية في الحرب المفروضة على الشعب الجزائري، وأن هذه الحرب تهدد السلم والحرية، ليس في فرنسا فقط ولكن في أوروبا أيضا¹.

من الناحية العملية قامت ال«أ.إ.أ. - l'A.I.A.» ببث مطبوعات، أولها في فيفري 1960، كملحق للمجلة الشهرية «فريديزاكتي- Vredesactie» التابعة ل«حزب السلام الديمقراطي»، وكان ترجمة لمقال نشر في مجلة «تموانباج كريتيان- Témoignage Chrétien» بعنوان: «أربعة ضباط يتكلمون- Quatre officiers parlent» باللغة الألمانية "Vier Franse officieren spreken". وفي شهر أفريل- ماي نُشرت مطبوعة ثانية تتضمن مقاطع مأخوذة من كتاب: «المفقودين: الكتاب الأخضر- Les disparus: Le cahier vert» والذي نشر فيه المحامون (جاك فرجيس- Jacques Vergés)، (ميشال زافريان- Michel Zavrian) و(موريس كوراج- Maurice Courège)، قائمة 175 حالة اختفاء جزائريين. وتم إرسال ألفين مطبوعة مجانا إلى شخصيات هولندية. من هذا المنطلق ولدت لدى ال«أ.إ.أ. - l'A.I.A.» فكرة تنظيم النصوص المتعلقة بحرب الجزائر وإخراجها في كتاب عن تاريخ الجزائر والصراع الجزائري الفرنسي، وفي نفس الوقت باشرت في تجميع الصور والوثائق بهدف تنظيم معارض. وفي الشهور الأولى من 1960 تم توزيع مطبوعة تتضمن قائمة عريضة لكتب عن تاريخ الجزائر، خاصة الكتب الممنوعة والمصادرة في فرنسا². وفي شهر جوان 1960 أرسلت ال«أ.إ.أ. - l'A.I.A.» رسائل وبرقيات احتجاج للرئيس الفرنسي (ديغول- De Gaulle)، على خلفية قضية المجاهدة الجزائرية (جميلة بوباشة) التي تعرضت للتعذيب على يد مضليي الجنرال (جاك ماسو- Jacques

¹ - Nicolas Pas, op cit, p 53.

² - أشهر الكتب الممنوعة والمصادرة في تلك الفترة. «Histoire de l'Algérie» لـ(Gabriel Esquer)، «L'Algérie Hors la loi» لـ(Colette et Francis Jeanson)، «La V^e république et l'Algérie» لـ(Bertand Schneider)، «Nationalisme Algérien et grandeur française» لـ(Alain Savary)، «La question» لـ(Hanri Alleg)، «La Gangrène» لـ(بشير بومعزة) وآخرون.

Ibid, p 54.

الباب الثاني: شبكات الدعم

(Massu). هذه النماذج من الدعم الإعلامي والعملي للثورة الجزائرية نجحت في تحسيس أكثر الرأي العام الهولندي، ويظهر ذلك في التجاوب مع حملات التبرع والاهتمام بالتظاهرات التي كانت تنظم لهذا الغرض¹.

بخلاف الـ«أ.إي.أ. - l'A.I.A»، فإن «شبكة رابتييس» التي يقودها (ميخاليس رابتييس - Mikhalis Raptis)، المدعو (بابلو - Pablo) و(ميشال - Michel)، كانت تنشط لصالح «ج.ت.و». و(بابلو - Pablo) هو مناضل يساري ينتمي إلى التيار التروتسكي، نسبة إلى الزعيم الشيوعي (ليف دافيدوفيتش برونستين - Lev Davidovitch Bronstein)، والمعرو باسم (ليون تروتسكي - Leon Trotesky)، أحد المنظرين وقادة الثورة البلشفية 1917 التي قامت في روسيا القيصرية في عهد القيصر (نكولا الثاني - Nicolas II)، إلى جانب (فلاديمير إيليتش أوليانوف - Vladimir Ilitch Oulianov)، المدعو (لنين - Lénine)، و(جوزيف فيساريونوفيتش دجوغاشفيلي - Joseph Vissarionovitch Djougachvili)، والمعروف باسم (جوزيف ستالين - Joseph Staline). ولد (بابلو - Pablo) في مدينة «الإسكندرية» بمصر عام 1911، وينتمي إلى عائلة يونانية ذات أصول يهودية. في 1916 عادت العائلة للاستقرار في اليونان، والتحق (بابلو - Pablo) بالمدرسة المتعددة التقنيات بأثينا أين تحصل على شهادة مهندس معماري. في 1934 انخرط في «المنظمة الشيوعية الأممية لليونان - Organisation Communiste Internationaliste de Grèce»، وكان قريبا جدا من (بونتيليس بوليوبولوس - Pantelis Pouliopoulos)، القائد التاريخي للتروتسكية اليونانية. وعلى إثر الانقلاب الذي فاده (إيوانيس متاكساس - Ioánnis Metaxás) باليونان في 04 أوت 1936 اعتقل (بابلو - Pablo) في إحدى الجزر، ثم أطلق سراحه في 1937 وطرده من اليونان ليستقر في باريس².

بمجرد أن اتخذت «الأممية الرابعة - La IV^e internationale»³ قرار دعم «ج.ت.و»، باشرت الاتصالات بفدرالية الجبهة بفرنسا. ففي نهاية 1954 وبداية 1955 حدثت أولى الاتصالات بين فدرالية

¹ Ibid, p 54-55.

لتفاصيل أكثر لنشاطات الـ«أ.إي.أ. - l'A.I.A» ينظر:

Pas (Niek), op cit, pp 128-148.

² Sylvain Pattieu, «Le «camarade» Pablo, la IV^e Internationale, et la guerre d'Algérie», Revue historique 2001/3 (n° 619), p 697.

³ - نشأت الأممية الرابعة من قبل تيار يساري معارض ظهر عام 1923 في الحزب الشيوعي الروسي. هذا التيار هو «التيار التروتسكي». فعندما صفى الحزب الشيوعي الروسي التيار التروتسكي نهائيا عام 1928، وعندما طرد أعضاء هذا التيار من الأممية الشيوعية، راح هؤلاء يفكرون في إنشاء أممية رابعة. ولأسباب عديدة تأخر تأسيس هذه الأممية الرابعة حتى عام 1938 بباريس، والمؤسسون هم عشرة أعضاء ينتمون إلى تيارات يسارية هامشية. غير أن هذه الأممية لم تتمكن من الانتظام والانتشار بسبب الانشقاقات التي حصلت بداخلها، خاصة بين سنوات 1950 و1952. لذلك لم يكن للأممية الرابعة أي تأثير فعلي.

موسوعة السياسة، ج 1، المرجع السابق، صص 328-329.

الباب الثاني: شبكات الدعم

«ج.ت.و.» بفرنسا و«الحزب الشيوعي الأممي - Le Parti Communiste Internationaliste (P.C.I.)¹، ومن هذا المنطلق فإن التروتسكيين يصرون على أنهم السباقون والأوائل الذين شكلوا شبكات لدعم الثورة التحريرية منذ انطلاقتها². من الضروري الإشارة إلى أن التيار التروتسكي، منذ نشأته شهد انقسامات متكررة، إحداها ذات صلة بالوضع في الجزائر بعد 1954، حيث اصطف «اللومبارتستيين - Lambertistes»³ إلى جانب (مصالي الحاج) الذي أسس حزب «ح.و.ج - M.N.A»، باعتباره القائد التاريخي للحركة الوطنية الجزائرية، بينما اصطف (بابلو - Pablo) والأمية الرابعة إلى جانب الكفاح المسلح الذي أعلنت عنه «ج.ت.و.». وفي تقرير داخلي لل«ح.ش.أ - PCI» بأن فصلا جديدا قد فُتح في الكفاح التحرري، والذي لا يمكن إيقافه⁴.

عرض (ميشال بابلو - Michel Pablo) و(سيمون مانجي - Simonne Minguet)، وهي من النساء القلائل التي وصلن إلى مراكز قيادية في حزب تروتسكي، المساعدة على «ج.ت.و.» في فرنسا وأوروبا. وكانت الجبهة آنذاك تبحث عن قدم لها ضمن الجالية الجزائرية في فرنسا، والتي كانت تحت سيطرة «ح.و.ج» المصالية. تنوعت خدمات التروتسكيين للجبهة، فقد أسند لهم طبع وتوزيع المنشير والجريدة الأولى لل«ج.ت.و.»، وهي جريدة «المقاومة الجزائرية - Résistances algériennes». تولى عملية الطبع (بيار أفو - Pierre Avot)، وهو عامل وعضو في «الحزب الشيوعي الأممي - PCI» ورفيق (سيمون مانجي - Simonne Minguet). في البداية كان لا بد من إيجاد أصحاب مطابع مستعدون لغض الطرف عن الأعمال التي يطلب منهم إنجازها، وفيما

1 - «الحزب الشيوعي الأممي - Le Parti Communiste Internationaliste (P.C.I.)»: كان منظمة تروتسكية. ويمثل الفرع الفرنسي للأمية الرابعة. تأسس في مارس 1944 من اندماج العديد من المجموعات التروتسكية أهمها: «الحزب العمالي الأممي - le Parti ouvrier internationaliste» ل(يفان كريبو - Yvan Craipeau)، «اللجنة الشيوعية الأممية - le Comité communiste internationaliste» ل(ردولف براجي - Rodolphe Prager)، «مجموعة أكتوبر - Le Groupe Octobre» ل(ريموند موليني - Raymond Molinier). والمفاوضات بين هذه المجموعات التروتسكية أشرف عليها (ميشال رابتي - Michel Raptis) المعروف ب(بابلو - Pablo). لكن هذا الجذب حل في 12 جوان 1968.

Nick (Christophe), Les Trotskistes, Editions Fayard, Paris, 2002, p 337 sq.

2 - حول هذه المسألة يمكن مشاهدة الفيلم الوثائقي:

Une résistance obliée (1954-1957), des libertaires dans la guerre d'Algerie, un film de Daniel Goude et Guillaume Lenormant, Automne 2001.

رابط الفيلم على اليوتيوب هو:

consulté le 05-01-2015 à 20:40. <https://www.youtube.com/watch?v=5Lft2t3zTm8>

3 - «اللومبارتستيين - Lambertistes» هو تيار تروتسكي منشق عن الأممية الرابعة بقيادة (بيار بوسال - Pierre Bousset)، المدعو (لومبار - Lambert) احتجاجا على رغبة الأممية الرابعة في الانضمام إلى الحزب الشيوعي باعتباره قوة سياسية كبيرة، واعتبر ذلك ردة عن المبادئ الأممية الرابعة وارتداء في أحضان الستالينية.

Sylvain Pattieu, «Le «camarade» Pablo, la IVe Internationale...», op cit, pp 697-698.

Sylvain Pattieu, op cit, p 700. 4 -

الباب الثاني: شبكات الدعم

بعد أشرف على مطبعة متنقلة يتم تحويلها بشكل متواصل إلى أماكن سرية مختلفة. ويقوم مناضلون تروتسكيين بالتوزيع، وذلك بوضع علب المناشير والجرائد عند تجار أو حانات تسرف عليها «ج.ت.و»، وكأنهم جاءوا لتسليم طلبية. أما (هنري بنوا- Henri Benoîts)، وهو عامل في شركة «رونو بيلونكور- Renault-Billancourt» وعضو المكتب السياسي للـ«الحزب الشيوعي الأممي- PCI»، فقد كلف بربط اتصالات مع الجزائريين لتوفير المعدات، وفي نفس الوقت، وعلى مستوى آخر، كان (بابلو- Pablo) يجري اتصالات مع (محمد حري) عضو فدرالية الجبهة بفرنسا مكلف بالإعلام. وبشكل سريع تطورت الأمور، إذ لم تعد خدمات التروتسكيين تقتصر على منشورات فدرالية الجبهة بفرنسا، لكن أضيف لها استخراج وثائق هوية مزورة أو نقل الوثائق من منطقة حدودية إلى أخرى. وفي هذا الجانب كان (يعقوب مونيتا- Jacob Monetta)، وهو عضو في الأممية الرابعة، ومناضل في «الكونفدرالية الألمانية للنقابات» (DGB) وموظف في سفارة جمهورية ألمانيا الفدرالية في باريس يستخدم حقيقته الدبلوماسية لهذا الغرض¹.

بدأت الأممية الرابعة تنخرط أكثر إلى جانب كفاح الجزائريين من أجل التحرر، وتطور أساليب الدعم والمساندة له عندما تولى (بابلو- Pablo) زمام الأمور في المنظمة، وبعد نقل مقر نشاطه إلى الأراضي المنخفضة (هولندا) ابتداء من 1958. وأكد في نص داخلي: "إن دعمنا للثورة الحالية لا يمكن أن يكون في أوقات معينة فقط ولا بالكلام فقط ولا عمل ملحق، لكن، على العكس، يجب أن يكون دائم، عملي وأحد محاور التحرك الأساسية".² وفي هذا الاتجاه اقترح (بابلو- Pablo) على اللجنة الفدرالية لفدرالية الجبهة إقامة مصنع لإنتاج الأسلحة في المغرب وتمت الموافقة على المقترح، خاصة إذا علمنا أن «ج.ت.و» كانت تواجه صعوبات حقيقية في التزود بالسلح لازم لاستمرار الثورة، في ظل عمليات الاغتيال والتفجير التي نفذتها «اليد الحمراء» ضد تجار السلاح وسفنهم المحملة بالسلح، كما ذكرنا سابقا. وهكذا فإن إنتاج «ج.ت.و» لسلحها الخاص أصبح أمرا ممكنا³. وتجسد المشروع فعلا، إذ أصبح المصنع ينتج الأسلحة في بداية 1960، خاصة مدافع الهاون، الرشاشات وقنابل يدوية. صحيح أن هذه الأسلحة لم تكن ذات جودة عالية، لكن الثورة أصبحت قادرة على إنتاج سلاحها، وهذه لوحدها أصبحت سابقة في مسار الثورة التحريرية. وقام (عبد الحفيظ بوصوف)، وزير الحرية في الـ«ج.م.ج.ج. - G.P.R.A»، بزيارة المصنع. وعند إنتاج القطعة خمسة آلاف من الرشاشات تنقل (بابلو- Pablo) إلى المصنع وألقى كلمة بالمناسبة⁴.

¹ - Ibid, PP 701-702.

² - Ibid, P 704.

³ - قامت «ج.ت.و» بشراء قطعة أرض فلاحية كبيرة في مدينة «القنيطرة»، التي تطل على ساحل المحيط الأطلسي وتبعد عن العاصمة الرباط بأربعين كلم، وكانت هذه مغروسة بصفوف من أشجار البرتقال التي استخدمت كغطاء للنشاطات السرية لمصنع السلاح. ومن الخارج كل شيء يدفع إلى الاعتقاد بأن الأمر يتعلق بمصنع مربى البرتقال.

Ibid, p 706.

⁴ - Ibid, p 707.

كانت علاقة الأمانة الرابعة، ممثلة في شبكة (رابتييس-Raptis) بفدرالية «ج.ت.و» قائمة على التعاون الوثيق والثقة المطلقة بين الطرفين دون حدوث أية مشاكل. لكن تعكر صفو ذلك التعاون وتلك الثقة في الشبكة بسبب قضية النقود المزورة التي وقعت في مدينة «أوسنابر وك-Osnabrück» الواقعة شمال غرب ألمانيا، والتي تورط فيها (رابتييس-Raptis) شخصيا.

تعود حيثيات هذه القضية عندما فكر كل من (عمر بوداود) و(علي هارون)، بإحداث اضطراب في الاقتصاد الفرنسي بواسطة طبع أوراق نقدية مزورة من فئة مئة فرنك جديد وتوزيعها في ظرف بضعة أيام عبر التراب الفرنسي ل يتم إدخالها ضمن النسق الاقتصادي الفرنسي¹. وعملية كهذه، في تقدير (علي هارون)، إن تمت، كانت ستوفر أربعة ملايين وأربعين مليون فرنك فرنسي جديد: "فعلا إنه أمر لا يصدق، لأنه مع كل الجهود التنظيمية، الكفاح الشرس من أجل الحفاظ على المنظمة واقعة وجمع الاشتراكات، فإن المداخل المالية للفدرالية لم تصل إلى ذلك المبلغ منذ إنشاء «ج.ت.و» في فرنسا".² في المقابل طُرحت المسألة من الناحية الأخلاقية: "فهل تعتبر مثل تلك العملية أمرا يتوافق مع الخيار السياسي لجبهة التحرير الوطني، ومع مثلها الثورية؟ كيف سيكون رد فعل اليسار الفرنسي؟³ كيف ستكون صورتنا لديهم؟ كيف ينظرون فيما بعد إلى مسؤولي جبهة التحرير؟ ألا يعتبرونهم مزورون نقود وسوقيين يشوهون سمعة الجبهة؟ وبعد ذلك كيف يعاملنا الأصدقاء القلائل من اليسار، الذين يساندوننا في فرنسا وكيف يؤوّلون العملية؟"⁴ كان من الضروري الإجابة عن هذه التساؤلات للاستفادة من هذا الظرف بما لا يضر الجبهة ومبادئها⁵.

1 - اهتدى (عمر بوداود) و(علي هارون) إلى فكرة الأوراق النقدية المزورة في نفس الفترة التي قررت فيها فرنسا سحب جميع الأوراق النقدية التي تبلغ قيمتها عشرة آلاف فرنك من السوق واستبدالها بأوراق نقدية من نفس القيمة، لكن من فئة مئة فرنك جديد.

Boudaoud (Omar), op cit, réf 87, p 180.

2 - هارون (علي)، المصدر السابق، ص 438.

3 - بوادود (عمر)، المصدر السابق، ص 176.

4 - هارون (علي)، المصدر السابق، ص 438.

5 - في محاولتهما لتحليل مسألة طبع الأوراق النقدية المزورة، أثار (بوداود) و(هارون) الجوانب المشروعة التي تبيح مثل هذا العمل. ففي الحرب العالمية الثانية قام الألمان بطبع أوراق نقدية من الجنيه الإسترليني لتوزيعها في إنجلترا لخلخلة الاقتصاد الإنجليزي واعتبر ذلك وسيلة حرب مشروعة. وكذلك الهجوم على وكالة البريد بوهان الذي نفذته «المنظمة الخاصة-L'OS» التابعة لـ«ج.ش.ج-PPA» / «ج.إ.د-MTLD» في 30 أبريل 1949 والاستحواذ على مبلغ يفوق ثلاثة ملايين فرنك فرنسي قديم. ولا يوجد عاقل اعتبر ذلك عمل لصوص أو قطاع طرق، لأن أي حركة ثورية تعتبر نفسها محقة في الحصول على الأموال بكل الطرق وفي كل مكان وبخاصة لدى العدو، سيما إذا كان الهدف واضحا ونيلا من أجل قضية وطنية. ومن جهة أخرى فإن هذه العملية لم تكن موجهة لإثراء أي شخص، وإنما لتمويل الحرب التحريرية.

Haroun (Ali), op cit, note de reference 1, p 330.

ينظر أيضا:

المحصلة أن الاقتراح تم قبوله من اللجنة الفدرالية، وهذا ما جعل (بوداود) يلجأ مرة أخرى إلى خدمات (بابلو - Pablo)، وهذا بلا شك دليل على الثقة التي يحض بها التروتسكيين في مثل هذه المهمات. لم يُظهر (بابلو - Pablo) أي انطباع حول المشروع، لكنه تمسك بتنفيذه¹. وحسب المؤرخة الفرنسية (سيلفان باتيو - Sylvain Pattieu)، التي أجرت مقابلة مع (محمد حربي) في 25 أبريل 2000، فإن هذا الأخير ذكر أن (بابلو - Pablo) أخذ رأيه في المسألة ونصحه بعدم المغامرة في هذا الطريق بحجة أن فدرالية الجبهة لا تمتلك الوسائل اللوجيستية الآمنة، وأن إيطاراتها جد مراقبين من الشرطة والمصالح الأمنية الفرنسية، وأن حظوظ تجسيد المشروع جد ضئيلة. كما حذره، في حال اكتشاف الورشة، من طرده إلى اليونان وخطورة ما قد يحدث له هناك². لكن فيما بعد تأكد أن الخلل لم يأت من جانب فدرالية «ج.ت.و» وإنما من تهاون التروتسكيين وعلى رأسهم (بابلو - Pablo)، الذي كان أقل احترازا مما كان عليه في مسألة مصنع الأسلحة بالمغرب، مما مكن الشرطة السرية الهولندية «B.V.D» من دس مخبر يدعى (هوبارتوس هومب - Hubertus Hompe) ضمن المجموعة المكلفة بعملية طبع الأوراق النقدية³.

روى (علي هارون) في كتابه «الولاية السابعة»⁴ و(عمر بوداود) في مذكراته⁵ تفاصيل هذه القضية، وملخصها هو أنه عندما وقع الإجماع، في مارس 1959، على مستوى اللجنة الفدرالية بطبع الأوراق النقدية المزورة ولجوء (عمر بوداود) إلى خدمات (رابتيس - Raptis)، قام هذا الأخير، وبمساعدة (سلومون سانتن - Salomon Senten)، قائد الفرع الهولندي للأمنية الرابعة، بطلب خدمات صاحب مطبعة بـ«أمستردام» ينتمي إلى التيار الفوضوي يدعى (ألبارتوس أولدريش - Albertus Oeldrich)، والذي سبق له أن أنجز لهما بطاقات هوية مزورة، وترتبطهما به علاقات جيدة ولم يخيب لهما الضن أبدا. وفي نوفمبر 1959 قام الثلاثة بشراء المعدات، عالية الجودة، اللازمة لعملية الطبع. بقي فقط مشكل الورق الذي لم يكن ممكنا الحصول عليه إلا في جانفي 1960 بعد أن وافقت شركة «كورفي - Corvey» بـ«أمستردام» بتزويدهم بألف كيلوغرام من الورق. وعن مكان الطبع فقد وفره (هلموت شناويش - Helmut Schneeweiss)، مناضل سابق وعامل ألماني كان مطاردا من

Boudaoud (omar), op cit, pp 180-181 et note de reference 86, p 180.

¹ - Haroun (Ali), op cit, p 330.

² - Sylvain Pattieu, « Le « camarade » Pablo, la IVe Internationale... », op cit, pp 708-709.

³ - كان (هوبارتوس هومب - Hubertus Hompe) في الأصل موظفا تقنيا في المطبعة الوطنية الهولندية وطرده من العمل بسبب ارتكابه خطأ مهنيا فادحا. وعلى إثر ذلك وجد نفسه دون عمل. وفي هذه الظروف تم توظيفه من (جوب سوارت - Joop swart)، وهو شخصية مريبة معروفة في «أمستردام» بأنه مخبر شرطة، وبواسطته تم دس (هومب - Hompe) ضمن مجموعة «أوسنابروك - Osnabrück» وبهذه الكيفية أصبح على اطلاع بكل مراحل قضية النقود المزورة.

Haroun (Ali), op cit, p 336.

⁴ - Ibid, chapitre XIX, pp 329-342.

⁵ - Boudaoud (Omar), op cit, pp 180-183.

الباب الثاني: شبكات الدعم

النازيين خلال الحرب العالمية الثانية، واستفاد من حماية التروتسكيين له. وردا للجميل وضع تحت تصرفهم مقرا متواضع، لكنه جد مناسب ولا يلفت الأنظار، بالمدينة التي ينحدر منها وهي مدينة «أوسنابروك-Osnabrück» بألمانيا. أما نماذج الأوراق النقدية الجديدة ذات المئة فرنك الجديد فقد تكفل بها (بيار أفو-Pierre Avot)، الذي لم يتم إبلاغه بقضية الأموال المزورة، لكنه كان يشك بطبيعة العملية التي من أجلها طُلب منه توفير الأوراق النقدية. إذن كان كل شيء جاهز لبدء العمل. وقام (بوداود) بتعيين (أحمد عباس)، وهو ملحق بمصلحة العتاد في ألمانيا الاتحادية، ومقيم بمدينة «كولوني-Cologne» كممثل عن فدرالية «ج.ت.و» لمتابعة المشروع¹.

كان كل شيء يبدو على ما يرام، واعتقد الجميع أن عملية الوصول إلى طبع الأوراق النقدية تسير بخطة ثابتة نحو الهدف. لكن ما هي اللحظة التي اختل فيها كل شيء وجعل العملية برمتها تنهار؟ إنها اللحظة التي شعر فيها (ألبارتوس أولدريش-Albertus Oeldrich) بأنه غير قادر على العمل لوحده وأنه بحاجة إلى مساعدة، فاستعان بـ(هلموت شناويس-Helmut Schneeweiss) و (هوبارتوس هومب-Hubertus Hompe). وبطبيعة الحال فإن (هومب-Hompe) لم يكن سوى مخبرا لدى الشرطة السرية الهولندية. وهذه الخطوة تمت من دون الرجوع إلى (رابتيس-Raptis)².

لم يعد للتدابير الأمنية التي ألزمت مجموعة «أوسنابروك-Osnabrück» نفسها بها أي معنى بوجود (هومب-Hompe)، لأنها ستقع كلها في شراك الشرطة الألمانية 10 جوان 1960، وفي نفس اليوم يتم استجواب (رابتيس-Raptis) و(سانتان-Sentan) في مقر سكنهم بـ«أمستردام»، وفي المساء وعلى الساعة العاشرة تلقي الشرطة الألمانية القبض على (أحمد عباس) في (كولوني-Cologne)، حيث كان يقيم. ويبدو أن القضية لم تتوقف عند هذا الحد، بل حملت مفاجآت لم يكن أحد يتوقعها، أخطرها الاعترافات المتتالية لـ(ألبارتوس أولدريش-Albertus Oeldrich) و(هلموت شناويس-Helmut Schneeweiss) اللذين في كل استجواب كانا يقدمان للشرطة أسماء جديدة لأشخاص وأماكن غاية في الدقة رغم أنهما لم يتعرضا لأي عنف من قبل الشرطة³، حتى أن (أحمد عباس) لم يفهم كيف يمكن أن يصدر مثل هذا التصرف من أشخاص

¹ - Ibid, op cit, pp 330-331.

² - أرسل (هومب-Hompe) إلى (ألبارتوس أولدريش-Albertus Oeldrich) كمساعد وتقني متخصص في الطباعة إلى «أوسنابروك-Osnabrück» من طرف (جوب سوارت-Joop swart)، وكان (هومب-Hompe) موظفا عنده في مطبعته بـ«أمستردام»، وسبق لـ(سوارت-swart) أن أنجز وثائق مزورة لفدرالية «ج.ت.و» بطلب من (أولدريش-Oeldrich) بحضور (هومب-Hompe). وبهذه الكيفية نجح (سوارت-swart) في دس (هومب-Hompe) ضمن مجموعة «أوسنابروك-Osnabrück».

Ibid, pp 336-337.

³ - يذكر (أحمد عباس) في تقرير له للجنة الفدرالية لفدرالية «ج.ت.و» أن الشرطة تركت (أولدريش-Oeldrich) يعتقد بأنه لا يهمهم باعتبار أنه لم يكن سوى موظف بسيط، وأنه إذا قبل أن يقول كل ما يعرفه، المؤكد أنه سيتم إطلاق سراحه.

الباب الثاني: شبكات الدعم

يصرحون بأنهم عملوا ضد النازية في الحرب العالمية الثانية، كما تساءل كيف أمكن لـ(رابتييس - Raptis) و(سانتان - Sentan)، وهما رجلان ذوي خبرة وعلى رأس منظمة عالمية إسناد مهمة خطيرة لأشخاص مائعين، بل يتم اختراقهم من شخص مثل (هومب - Hompe)¹. وبدوره عاتب (رابتييس - Raptis) بشدة (أولدريش - Oeldrich) لعدم حسن اختياره للأشخاص الذين يعمل معهم².

جرت محاكمة (أحمد عباس) ومجموعة «أوسنابروك - Osnabrück» في ألمانيا في الفترة الممتدة من 1 إلى 22 إبريل 1961، بينما تمت محاكمة (رابتييس - Raptis) و(سانتان - Sentan) في «أمستردام» في الفترة من 21 إلى 28 جوان 1961. كانت قضية الأموال المزورة تمثل أكبر محاكمة تشهدها ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تورط فيها ألمان، هولنديين، يونانيين وجزائريين، والأدلة ضد المتهمين كانت دامغة، والجميع كان يتوقع أحكاما قاسية. لكن وسط دهشة عارمة جاءت العقوبات مخففة، فقد حكم على (عباس) و(شنيويس - Schneeweiss) بسنتين سجن فقط وعلى (أولدريش - Oeldrich) بسنتين ونصف. أما (هومب - Hompe) فقد سلم إلى الشرطة الهولندية التي أطلقت سراحه ولم يتعرض إلى أي محاكمة. وجاءت العقوبات مخففة لأن رئيس المحكمة كان واثقا بأن المتهمين تحركوا بدوافع مثالية، وليس من أجل الثراء الشخصي. وهدفهم كان مساندة الوطنيين الجزائريين. علاوة على ذلك فإنه رأى بأن تلك الأحداث لم تخل بالنظام العام في ألمانيا³.

أخذت محاكمة (رابتييس - Raptis) و(سانتان - Sentan) في «أمستردام» منحى آخر. فبالرغم من الانتقادات الموجهة لهما من الأمية الرابعة التي اعتبرت تورط (رابتييس - Raptis) و(سانتان - Sentan) في قضية الأموال المزورة أمرا يضر ويسيء إلى منظمتهن. لكن الوقت الآن ليس لتصفية الحسابات ولكن للمساندة ورص الصفوف، لأن المسألة لا تتعلق فقط بمحاكمة قياديين، وإنما إثارة تضامن واسع مع الأممية الرابعة. كان على (بابلو - Pablo) إعلان مساندته السياسية للثورة الجزائرية ونفي إي علاقة له بقضية الأموال المزورة واعتبارها مجرد مناورة بوليسية. وما سهل المهمة هو أن الأوراق النقدية لم تكن قد طبعت بعد⁴.

وذكر (عباس) أيضا أن الشرطة الألمانية اعتقلته في (كولوني - Cologne) بفضل الاعترافات الدقيقة لـ(أولدريش - Oeldrich)، التي بواسطتها تمكنت من التعرف على سيارته في «كولوني - Cologne» ثم اعتقاله.

Ibid, p 335.

Ibid, p 336. - ¹

Sylvain Pattieu, « Le « camarade » Pablo, la IVe Internationale..., op cit, p 711. - ²

Haroun (Ali), op cit, p 339. - ³

Sylvain Pattieu, « Le « camarade » Pablo, la IVe Internationale..., op cit, pp 711- 712. - ⁴

الباب الثاني: شبكات الدعم

تبنت الأمية الرابعة إستراتيجية قائمة على تحويل قضية الأموال المزورة من قضية جنائية إلى مرافعة سياسية ضد الاستعمار، على غرار ما حدث في أثناء محاكمات «شبكة جانسون». وفي هذا الاتجاه قام (بيار فرانك- Pierre Frank)، وهو أحد القيايين في الأمية الرابعة، بالكتابة إلى العديد من الشخصيات الفرنسية ليطلب منهم مساندة (رابتيس- Raptis) و(سانتان- Sentan) أثناء المحاكمة¹. ومن بين أقوى التحركات التي انتظمت لهذا الغرض، الرسائل التي بعثتها بعض الشخصيات السياسية والثقافية الفرنسية إلى وزير العدل الهولندي يرافعون فيها لصالح (رابتيس- Raptis) و(سانتان- Sentan)، من أبرزهم (جان بول سارتر- Jean-Paul Sartre)، (ميشال ليريس- Michel Leiris)، (جان جاك مايو- Jean-Jacques Mayoux)، (كلود بوردي- Claude Bourdet)، (موريس نادو- Maurice Nadeau) و(لوران شوارتز- Laurent Schwartz)². وبهذه الكيفية بدأت دائرة المساندة تتوسع، ونجحت الأمية الرابعة من تجنيد التروتسكيين عبر العالم، وتوالت ردود الفعل من هولندا نفسها، بريطانيا، فرنسا، الشيلي، البيرو، الأرجنتين، البرازيل، بوليفيا، الأوروغواي وحتى من نيورلندا³.

ما حدث في قضية الأموال المزورة لـ«أوسنابروك- Osnabrück» ينطبق عليها مقولة: "رب ضارة نافعة". صحيح أن العملية فشلت فشلا ذريعا "وتبخرت كل الآمال التي علقها فدرالية «ج.ت.و» عليها، وذابت كما يذوب الثلج تحت وهج الشمس"⁴، إلا أنها من الناحية السياسية حققت نجاحا لا نظير له، لم تكن فدرالية «ج.ت.و» تتوقعة ولا في الأحلام. فقد تم ربط القضية بالكفاح التحرري الذي يخوضه الجزائريون من أجل استقلالهم، وكسبت الثورة مزيدا من المؤيدين والمدافعين عن حق الجزائريين في التحرر، خاصة في أمريكا الجنوبية⁵.

في المحصلة لا يمكن الانتهاء من هذه النقطة دون تحديد المسؤوليات فيما ألت إليه قضية الأموال المزورة لـ«أوسنابروك- Osnabrück». ألا تتحمل اللجنة الفدرالية لفدرالية «ج.ت.و» جزء من المسؤولية، خاصة إذا

1 - ظهرت المساندة الفرنسية بين قدماء التروتسكيين، وبين الموقعين على «بيان 121- 121 Le Manifeste des 121»، وبين الأعضاء البارزين في «الحزب الاشتراكي الموحد- PSU». نذكر من بينهم (أندري بروتون- Adré Breton)، (بيار نافيل- Pierre Naville)، (لوران شوارتز- Laurent Schwartz)، (جان بول سارتر- Jean-Paul Sartre)، (كلود بوردي- Claude Bourdet) وغيرهم.

Haroun (Ali), op cit, pp 341-342.

Ibid - 2

Ibid, pp 340-341. - 3

ينظر أيضا:

Boudaoud (Omar) op cit, pp 182-183.

Boudaoud (Omar), Ibid, p 183. - 4

5 - ينظر نقطة «قضية سانتان- رابتيس- L'affaiee Santen-Raptis» في:

Pas (Neik), op cit, pp 163-169.

الباب الثاني: شبكات الدعم

علمنا أن الفدرالية سبق وأن عاشت تجربة مع «شبكة رابيتيس» والأممية الرابعة والمتعلقة بشخص من أصل فرنسي يدعى (أوليفييه - Olivier) ادعى بأنه صحافي ملاحق من طرف الشرطة الفرنسية بسبب علاقاته بـ«ج.ت.و»، واتضح فيما بعد بأنه كان عوناً في المصالح الفرنسية، يسعى للتسرب في صفوف فدرالية «ج.ت.و»¹. وهذا الحادث، كما قال (عمر بوداود) في مذكراته، دفع اللجنة الفدرالية إلى: «أن نزل دوماً يقظين عند الاستعانة بشبكة الأممية الرابعة»². إذا كان الأمر كذلك فلماذا لجأت مرة أخرى إلى التروتسكيين في قضية النقود المزورة، وهي قضية أخطر بكثير من موضوع (أوليفييه - Olivier)؟ ألم تكن تحذيرات (محمد حربي) في محلها؟

2 - إنجلترا

سارت إنجلترا خلف الأطروحات التي كانت تروجها فرنسا عن المشكل الجزائري لكونها، مثل فرنسا قوة استعمارية، وارتباطها بمصالح مشتركة مع فرنسا، ثم إن الموقف الانجليزي كان ظل للموقف الأمريكي الداعم في البداية، وبشكل مطلق لفرنسا. لكن المنظمات الإنسانية، أحزاب المعارضة، الشخصيات اليسارية والصحافة كان لها حكم آخر لا يتناغم مع توجهات حكومة بلادهم. ومنذ انطلاق الثورة في نوفمبر 1954 عبرت الصحافة الإنجليزية عن موقفها في طريقة تعاطي فرنسا مع المشكل الجزائري. فمجلة «ذي إكونوميست» - The Economist رأت بأن منطق القوة الذي تنتهجه فرنسا لمعالجة المشكل الجزائري يبرهن على أنها تجربتها القاسية في الهند الصينية قد ذهبت عبثاً³. وحذرت جريدة «الدائلي تيلغراف» - The Daily Telegraph، القريبة من المحافظين، رئيس الحكومة آنذاك (منداس فرانس - Mandes France)، من تكرار ما حدث في 8 ماي 1945. وتتساءل باستعراب كيف تعتمد فرنسا سياسة المصالحة في تونس والمغرب وسياسة القمع في الجزائر⁴. وتنبأت جريدة «مانشيستر غارديان» - Manchester Gardian الليبرالية أن يكون الوضع على فرنسا في الجزائر أصعب مما هو في تونس والمغرب، رغم اعترافها بالإنجازات الكثيرة لفرنسا في الجزائر في المجال

¹ - لاخترق صفوف «ج.ت.و» قام (أوليفييه - Olivier) بالاتصال بأحد المسؤولين في الشبكة البلجيكية لمساندة «ج.ت.و» من أجل الحصول على أوراق هوية مزورة. وليثبت صدق ادعاءاته عرض على المسؤول البلجيكي صوراً فوتوغرافية تم أخذها بالمغرب تظهره برفقة مناضلين معروفين في «ج.ت.و» مما يجعل المسؤول البلجيكي يثق فيه ويرافقه إلى «أمستردام» حيث صنع له أعضاء الأممية الرابعة أوراق هوية. ومن حسن الحظ أن المسؤول البلجيكي أرسل تقريراً عن الموضوع إلى اللجنة الفدرالية لـ «ج.ت.و» مرفوقاً بصورة لـ (أوليفييه - Olivier). كانت المفاجأة كبيرة بالنسبة لـ (عمر بوداود) لأنه تعرف على المزعم (أوليفييه - Olivier)، لأنه كان قد التقى به في المغرب وادعى آنذاك بأنه مطرود من الجزائر، وكان مسجوناً في وهران بسبب مواقفه المؤيدة لـ «ج.ت.و»، وأنه كان شاهداً على عمليات إعدام لمساجين جزائريين دون محاكمة. استعلمت اللجنة الفدرالية عن هذه الاعترافات لدى مناضلين ومحامين من وهران، لكن لم يكن أحد منهم على اطلاع لها.

Boudaoud (Omar), op cit, pp 145-146.

² - Ibid, p147.

³ - نايت بلقاسم (مولود قاسم)، ردود الفعل الأولية داخلاً وخارجاً على غرة نوفمبر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر 1983، ص 183.

⁴ - نفسه، ص 184.

الباب الثاني: شبكات الدعم

الاقتصادي وكون الجزائريين أكثر المغاربة تأثرا بالغرب¹. ونصحت الأسبوعية التقدمية «ذي أوبزافر - The Observer» الحكومة البريطانية باستهمال ما لديها من نفوذ للوصول إلى اتفاق حول المشكل الجزائري. أما جريدة «التايمز - The Times» فقد أبدت استغرابها من قيام رئيس الحكومة الفرنسي (إدغار فور - Edgar Faure) بعدم تعيين وزير لشؤون الجزائر في حكومته، في حين عين وزيرا لشؤون المغرب وتونس، وهذا رغم أهمية الجزائر لفرنسا².

من الناحية الحزبية انتقد «حزب العمال» البريطاني المعارض موقف الحكومة البريطانية المتطابق تماما مع الموقف الفرنسي. وللوقوف على حقيقة الوضع الجزائري قامت مجموعة من البرلمانيين من «حزب العمال» في 1958 بدعو (بن يوسف بن خدة) و(محمد الصديق بن يحيى) إلى عرفة البلديات بمهدف عرض وجهة نظرهما عن الوضعية في الجزائر. وأفضى هذا اللقاء إلى إرسال في 1959 ثلاث برلمانيين من «حزب العمال» إلى تونس، وهم: (جون بايرد - John Baird)، (أونطوني نيل وادغوود بان - Anthony Neil Wedgwood Benn) و(ستان أوبري - Stan Awbery). ولدى عودتهم إلى لندن شكل (بان - Benn) «اللجنة البريطانية من أجل الجزائر - The British Committee for Algeria» على مستوى غرفة البلديات لحث الحكومة على استخدام نفودها لوضع حد للحرب³. ونقلت وكالة الأنباء «الصين الجديدة» من لندن: "أن لجنة بريطانية من أجل الجزائر قد تم تشكيلها. والهدف الأساسي من تشكيل اللجنة هو توضيح للشعب البريطاني أهمية المشكل الجزائري. وتهدف أيضا إلى دعم القضية الجزائرية وإحلال السلام في الجزائر بالاعتراف باستقلال الشعب الجزائري"⁴ وفي نفس الموضوع تشير المعلومة 31 أن (وادغوود بان - Wedgwood Benn) هو الذي يتأخر هذه اللجنة⁵. ومن ناحية أخرى، تذكر المعلومة 19 المؤرخة في 9 و10 ماي 1959، أن «حزب العمال» وجه دعوة لل«ح.م.ج.ج. - G.P.R.A» لإرسال بعثة رسمية لحضور فعاليات مؤتمر الحزب. وأن (محمد يزيد) وزير الإعلام سيتوجه إلى «لندن» في خلال الأسبوع لتمثيل «ح.م.ج.ج. - G.P.R.A» في المؤتمر⁶. وفي ذات الموضوع تشير المعلومة 21 المؤرخة في 14 ماي 1959 إلى أن مجموعة من البرلمانيين البريطانيين اقترحوا دعوة وزير جزائري إلى اجتماعين في «لندن» و«أكسفورد» في الفترة ما بين 15 إلى 20 ماي⁷. ولهذا

1 - نفسه.

2 - جريدة المجاهد، العدد 14، بتاريخ 15 ديسمبر 1957، ص 10.

3 - Benamar (Kader) et Keller (Fritz), op cit, pp 60-61.

4 - 1 H 1753, D 3, Fiche n° (A .6), rens 30, dossier "E": création d'un comité britannique pour l'Algérie, le 29 juin 1959, p 7.

5 - Ibid, rens 31, le 1 janvier 1959, p 7.

6 - Ibid, Rens 19, dossier "E" : Délégation du G.P.R.A au congrès du parti travailliste, le 9 et 10 mai 1959, p 5.

7 - Ibid, rens 21, dossier "E", réunion parti travailliste Anglais, le 14 mai 1959, p 5.

الباب الثاني: شبكات الدعم

الكلمة إلى (جون بايرد - John Baird)، الذي تحدث عن الفظائع التي ترتكبها فرنسا في الجزائر، وأعلن أنه سينتقل إلى المغرب خلال أعياد الميلاد، وأنه يعتزم لقاء قادة «ج.ت.و». ثم تعاقب على منصة الخطابة كل من: السيد (سومري)، رئيس التجمع، السيد (فومي - Fumi)، ممثل «اتحاد طلبة إفريقيا الغربية - West African students Union» والسيد (نيكتاف - Nictaf) ممثل «مجتمع طلبة إيران - Iran Students Society». وكان من المفترض أن يشارك كل من (فينر بروكوي - Fenner Brockway) و(ويل غريفيتس - Will Griffiths) في التجمع، وتم انتظارهما لكن دون جدوى. وفي الأخير ختم (جون بايرد - John Baird) الملتقى باقتراح وضع مذكرة لدى سفارة فرنسا في لندن تطالب بتطبيق مفاهيم "الحرية، العدالة، الأخوة" على الجزائر. وتم تبني المذكرة بالإجماع من الأشخاص الحاضرين. وبالمناسبة عُرضت مجلة «الجزائر الحرة - Free Algeria» للبيع، كما وُزعت قصاصة ورق تدعو إلى مظاهرة حاشدة يوم 26 نوفمبر¹.

لم تدخر الحكومة الفرنسية، عبر سفرائها في لندن²، جهدا لعرقلة تحركات «ج.ت.و» في إنجلترا. وهذا ما بينته المعلومة 43 استنادا إلى جريدة «باري بريس - Paris-press» بتاريخ 31 أوت 1959 ذكرت فيها أن الحكومة الإنجليزية قامت بالحد من نشاط لجنة «ج.ت.و» بلندن والتي تحمل إسم «Algerian Office». وكانت مهمة هذه اللجنة جمع الأرصدة المالية والقيام بالدعاية الإعلامية المعادية لفرنسا. يديرها جزائريان سجلا كطالبين في الجامعات الإنجليزية³. وقد وجهت السلطات الإنجليزية تحذيرا للطلاب ونصحتهم بالالتفات إلى دراستهم. وتضيف الوثيقة أن الحكومة الإنجليزية اتخذت هذه الإجراءات بعد المساعي الطويلة والسرية التي باشرتها الحكومة الفرنسية لهذا الغرض. وبررت فرنسا ذلك بضرورة إعطاء الرئيس (ديغول - De Gaulle) الثقة والوقت الكافي لتنفيذ "مخططة الإصلاح" في الجزائر⁴.

لا شك أن المعارضة الإنجليزية والرأي العام، إلى جانب مساعي «ج.ت.و» للإقناع بقضيتها لعب دورا هاما في دفع الحكومة الإنجليزية في نهاية المطاف إلى التخلي عن الدعم المطلق لباريس. وهذا ما دفع فرنسا إلى التوجه إلى إيجاد حل سلمي للقضية الجزائرية.

3 - الدانمارك

¹ - 1 H 1753, S.D.E.C.E, destinataire n° (541), ref : D 4360/A, **Manifestation pro-FLN à Londres**, le 24 novembre 1961, p 1et 2.

² - خلال حرب التحرير الوطنية تعاقب على السفارة الفرنسية في لندن سفيرين هما: (روني ماسيجلي - René Massigli) بين 1944 و 1956 و(جان شوفيل - Jean Chauvel) بين 1956-1962.

³ - لم تذكر الوثيقة أسماء هذين الطالبين، لكن من المحتمل ان يتعلف الأمر بـ(محمد كلو) و(حسان عزيز).

⁴ - 1 H 1753, fichier n° (A. 5), p7, rens 43: **Mise en veilleuse du comité FLN de Londres**, - Paris-press du 31 aout 1959.

الباب الثاني: شبكات الدعم

تمكنت «ج.ت.و» أن تجد لها قدما في الدول الاسكندنافية في إطار إستراتيجيتها في تشكيل وصياغة رأي عام دولي يؤمن بحق الشعب الجزائري في الاستقلال. وهذا ما اعترفت به التقارير الفرنسية، كتقرير مكتب الدراسات رقم 1518 المؤرخ في 2 جويلية 1960 الذي ذكر أن «ج.ت.و» تقوم في البلدان الاسكندنافية بنشاط متواصل عبر بعثة دائمة تتكون من أربعة أعضاء يقيمون في «ستوكهولم - Stockholm» العاصمة السويدية. مسؤول البعثة هو (محمد شريف ساحلي)، الذي سيتم عن قريب تعويضه بـ(أوسديق بوعلام). تتجلى نشاطات البعثة في الدعاية المكتوبة والشفوية، جمع الأموال وتمثيل «ح.م.ج.ج - G.P.R.A» في مختلف المؤتمرات الدولية¹.

عن (محمد شريف ساحلي) ذكرت وثيقة لـ«أس.دي.أو.سي.أو»، مؤرخة في 18 سبتمبر 1961، ومصنفة سرية، أنه كان من المؤيدين لمواصلة المفاوضات مع فرنسا لكن من دون وقف العمليات الحربية، كما تطالب به الحكومة الفرنسية. وذكرت أيضا أنه يستعد لمغادرة «ستوكهولم - Stockholm» باتجاه تونس في حدود 20 سبتمبر وسيتم تعويضه، كما ذكرت وثيقة سابقة، بشاب جزائري هو (أوسديق بوعلام). وهذا يدل على أن (ساحلي) كان تحت المراقبة الدقيقة من مصالح الاستخبارات الفرنسية. وتزودنا الوثيقة بمعلومات حول إجراء تعترم «ج.ت.و» اتخاذه، ويتمثل في تعويض معظم ممثلي الجبهة في الخارج بممثلين شباب زاولوا دراستهم بالاتحاد السوفييتي والصين. ووصفت أيضا توجهات (ساحلي) بالصارمة والموالية للصين، وهذا ما مكنه، حسب الوثيقة، من تقلد مسؤوليات جديدة جعلته قريب من فريق «ح.م.ج.ج - G.P.R.A» الجديد². والهدف من هذا التحليل هو إعطاء الانطباع بأن العلاقة بين المسؤولين الجزائريين قائمة على الولاءات، وأن الخلافات التي كانت خفية بدأت تطفوا مع اقتراب الاستقلال³.

مقارنة بموقف الحكومات الغربية الأخرى من الثورة الجزائرية، فإن الحكومة الدانماركية لم تنخرط بشكل كامل إلى جانب الموقف الفرنسي، رغم الدعاية المكثفة. فقد سمحت الحكومة التي كان يقودها «الحزب الديمقراطي الاجتماعي»، الذي كان يفضل حصر المساعدات الانسانية للاجئين الجزائريين في تونس والمغرب في هبات تمر عبر «المفوضية العليا للاجئين - I'UNHCR» التابعة للأمم المتحدة. لكن العديد من أعضاء الجمعيات الطلابية الاشتراكية الديمقراطية كانت تطالب من أعضاء الحكومة، خاصة (ألسينغ أندرسن - Alsing Andersen)

¹ - H 1740, dossier 2: representations du front de liberation à l'étranger, les delegations extérieures, rends 10, bureau n° 1518: **Relations F.L.N pays scandinaves**, le 2 juillet 1960, p 4.

² - في سبتمبر 1961 تأسست «ح.م.ج.ج - G.P.R.A» الثالثة برئاسة (بن يوسف بن خدة).

³ - Ibid, S.D.E.C.E, destinataire n° (541), ref D 1012/A: **Au sujet Sahli**, le 18 septembre 1961.

الباب الثاني: شبكات الدعم

رئيس الفرع الدانماركي للأمية الاشتراكية، باتخاذ موقف سياسي ضد قمع الحقوق الديمقراطية في الجزائر. وفي مقدمة هذه الجمعيات الطلابية نذكر: «المنتدى الحر - Frit Forum» و«الشباب الاشتراكي الديمقراطي الدانماركي - Danmarks Socialdemokratike Ungdom»¹.

تطلعنا تقارير الـ«أس.دي.أو.سي.أو - S.D.E.C.E»، عن معلومات مهمة حول النشاطات الداعمة لـ«ج.ت.و» في الدانمارك. فالتقرير المؤرخ في 11 مارس 1961، ويحمل رقم (42142/A) يتحدث عن «اللجنة الدانماركية من أجل الجزائر - Danske Algier Komite»، وعينت لجنة تنفيذية من ثمانية أعضاء وهم: (راج ماثيوسن - Raj Matthiessen) رئيسا، (أولف كريستيانسن - Ulf Christiansen) أميناً والأعضاء: (بيبا ديام - Pia Dam)، (نام هانينغسن - Nam Henningsen)، (جون لورانزن - John Lorenzen)، (كلاوس ريبجيرغ - Klaus Ripbjerg)، (فرنار زفندن - Verner Svenden) و(أندرياس جرجنسن - Andréas Jrgensen) كمتعاون سياسي. وتطلعنا الوثيقة أيضا أنه في 18 ديسمبر 1961 وجهت اللجنة التنفيذية نداء واحتجاجا للحكومة الدانماركية بسبب موقفها في الأمم المتحدة خلال التصويت الذي جرى في نهاية النقاش حول الجزائر. الاحتجاج كان مرفوقا بـ238 توقيع. لكن في 21 من نفس الشهر، وبعد أن نعتت جريدة «أكتويال - Aktuel» الحكومة المحتجين بالجهلة وغير المطلعين على الأحداث، ظهر أن العديد من الأعضاء لم يوقعوا الاحتجاج بأنفسهم وشعروا أن اللجنة استغلت ثقتهم. موهذا ما جعل بعض الأعضاء يستقيلون من اللجنة، لكنهم كانوا أقلية. وعلى إثر عملية التشهير الإعلامي لما حدث، قدمت اللجنة التنفيذية اعتذارات لكل فرد من اللجنة².

في تقرير آخر مؤرخ في 17 مارس 1961 ويحمل رقم (42378/A) تعرضت الوثيقة إلى النشاطات المؤيدة لـ«ج.ت.و» في الدانمارك. وأول من تصدر لهذا العمل هم جماعة من التروتسكيين الدانماركيين. ويتعلق الأمر بـ(إيرلاند فريتز - Erland Fritze)، (كارل جانسن - Karl Jensen)، (ليو كاري - Léo Kari)، (برين كينش - Priben Kinch) و(جوهانس مولافد - Johanne Molaved). ومن الأعمال التي قامت به هذه الجماعة هو إصدار جريدة دورية تحت إسم «ألجير فريت - Algeir Frit» إي «الجزائر الحرة». وصدر العدد الأول منها في 1 نوفمبر 1960، وتمت طباعتها في ورشة الطباعة الحجرية التي يملكها (إيرلاند فريتز - Erland Fritze). وفيما بعد صدر عددان آخران من الجريدة، لكن يصفة غير منتظمة. وورد في الوثيقة أيضا أن (ليو كاري - Léo Kari) صرح بأن الجريدة لا تتلقى الدعم المالي سواء من «ج.ت.و» أو الأمية الرابعة، وأنه هو

¹ - Benamar (Kader) et Keller (Fritz), op cit, p, 49.

² - 1 H 1753, D 3, S.D.E.C.E, destinataire n° (541), refer (42142/A): **Au sujet du comité danois pour l'Algérie**, le 11 mars 1961, p 1 à 6.

الباب الثاني: شبكات الدعم

شخصيا المسؤول المالي عليها، ولا تملك الجريدة سوى 150 مشترك، في حين تحتاج إلى 500 مشترك للإستمرار في الصدور. وفي حالة لم تصل الاشتراكات إلى العدد الكافي، فإن الجريدة ستتوقف عن الصدور¹.

فيما يتعلق بتأسيس «اللجنة الدانماركية من أجل الجزائر»، تذكر الوثيقة أن (كاري - Kari) وجد في هذا الشأن معارضة قوية من (محمد شريف ساحلي)، ممثل «ج.ت.و» في اسكندينايا، رغم أنه شارك في إطلاق اللجنة. ووضح (كاري - Kari) أنه وضع حدا للمبادرة ليس بسبب معارضة التروتسكيين الدانماركيين وإنما بسبب معارضة (ساحلي)²، الذي رأى أن قرار تأسيس اللجنة اتخذ دون دعم من «ج.ت.و»³. ويرى (كاري - Kari) أيضا أن المهمة التي من أجلها اتصلت به «ج.ت.و» هي البحث في إمكانية إنشاء قاعدة للدعم المعنوي والسياسي للجبهة في الدانمارك، إلى جانب الحصول على الأسلحة والمتفجرات. ولجأت «ج.ت.و» إلى خدمات (كاري - Kari) للخبرة التي اكتسبها من مشاركة في الحرب الإسبانية وأصدر كتابا في هذا الشأن⁴.

على المستوى الطلابي تحدث تقرير لـ«أس.دي.أو.سي.أو - S.D.E.C.E»، مورخ في 6 ديسمبر 1961، ويحمل الرقم (D 5230/A) أن الجمعية الطلابية «ستودنترامفونددت - Studenteramfundet» وجهت دعوة إلى (محمد شريف ساحلي)، ممثل «ج.ت.و» في سكندينايا، والمقيم في «ستوكهولم - Stockholm» بالسويد لإلقاء كلمة أثناء التجمع طلابي الذي تنظمه الجمعية الطلابية في 16 نوفمبر 1961. في كلمته حمل (ساحلي) النظام الاستعماري الفرنسي مسؤولية سياسة القمع المتبعة منذ 1830 في الجزائر، والتي كان من نتائجها خلق طبقة عمالية تعيش خط الفقر. وأضاف أن الشعب الجزائري سيقاوم الطغاة حتى ينال استقلاله الكامل وأن لا يوجد طبقة قائدة. في حين لاحظ بعين الرضى إلى التطور القضية الجزائرية من الناحية السياسي. وعبر عن ثقته في انتصار «ج.ت.و». وبالمناسبة عرض فيلم يبين فظائع الفرنسيين. وأضاف التقرير أن الجريدة الدانماركية «برلينغسكي تيداندي - Berlingske Tidende»⁵ غطت الحدث بشكل واسع، رغم كونها جريدة يمينية عادة

¹ - Ibid, refr (42378/A): **Activités pro-F.L.N au Danemark**, le 17 mars 1961, p 1.

² - Ibid, p 2.

³ - Benamar (Kader) et Keller (Fritz), op cit, p, 50.

⁴ - 1 H 1753, D 3, S.D.E.C.E, destinataire n° (541), refr (42378/A): **Activités pro-F.L.N au Danemark**, le 17 mars 1961, p 2.

⁵ - في التقرير المذكور يوجد أخطاء في كتابة اسم الجريدة «Berlingsice» بدلا من «Berlingske» وهي أقدم جريدة في الدانمارك، إذ تأسست في 1749 من طرف «أرناست هنريش برلينغ - Ernst Henrich Berling»، وينتمي إلى تيار اليمين الوسط.

OLSEN, « **BERLINGSKE TIDENDE** », *Encyclopædia Universalis* [en ligne], consulté le 8 avril 2017.

URL : <http://www.universalis.fr/encyclopedie/berlingske-tidende/>

الباب الثاني: شبكات الدعم

ما تحطاط من مثل هذه التظاهرات. كما أشارت له الجريدة المستقلة «أنفورماسيون - Information» التي وضحت أن مداخله (ساحلي) تمت ترجمتها بشكل سيء ولم يكن لها لدى الجمهور الوقع المنتظر¹.

تأسست الجمعية الطلابية «ستودنترامفوندت - Studenteramfundet» أول مرة في 1882 وأعيد تأسيسها في 1945. رئيسها هو المحرر (ميلكال رود - Milcal Rode) من مواليد 17 أبريل 1908 وهو معروف بنشاطاته الثقافية اليسارية، وهو رئيس لجنة العمل لانصار السلام، عضو الحركة المناهضة للسلاح النووي ومتعاطف شيوعي. مثل الدانمارك في المؤتمر الدولي للسلام المنعقد في «ستوكهولم» في 1958. وتسعى «ستودنترامفوندت - Studenteramfundet» إلى تحقيق جملة من الأهداف الأساسية من بينها: تجميع المثقفين المناهضين للتسلح للمساهمة في تطوير الديمقراطية من وجهة النظر السياسية والاقتصادية، التصدي لكل العراقيل التي تعترض التطور المتناغم للثقافة والعلاقات الدولية. وهذا التجمع للمثقفين يسمى «كلارت - Clarte»، وهي منظمة للطلبة أسسها الحزب الشيوعي الدانماركي في 1956 من الطلبة ذوي التوجه الماركسي، والتابعين للجمعية الطلابية «ستودنترامفوندت - Studenteramfundet». وكان (أكسال لارسن - Aksel Larsen) من المساهمين في تأسيسه. أما رئيسها فهو (بنيتو سكوكوزا - Beneto Scocozza). ونشير إلى أن هناك تجمع آخر تابع لـ «ستودنترامفوندت - Studenteramfundet» يدعى «HJRUP» يرأسه (كونو ميلينوفسكي - Kuno Milinowski) من الحزب الراديكالي².

4 - السويد

كانت السويد أقل دول أوروبا الغربية تأثراً بالدعاية الفرنسية سواء على المستوى الحكومي أو الشعبي. وفشلت الدبلوماسية الفرنسية في تأليب الرأي العام السويدي ضد «ج.ت.و»، وهو ما أكدته الدولة السويدي للشؤون الخارجية (أوستن أوندن - Östen Undén) لـ (محمد الشريف ساحلي) ممثل «ج.ت.و» في البلدان الإسكندنافية. وهذه المواقف المتحفظة، في غالب الأحيان، للحكومة السويدية اتجاه الضغوطات الفرنسية سهلت على «ج.ت.و» فتح مكتب تمثيلي لها بالسويد في منتصف 1957³.

يتحدث تقرير سري لـ «أس.دي.أو.سي.أو - S.D.E.C.E» مؤرخ في 20 جانفي 1961 ويحمل رقم (40100/A) عن اللجنة الممثلة لـ «ج.ت.و» في «السويد». ويتعلق الأمر بكل من: (ساحلي محمد) مسؤول الجبهة في اسكندينايا، (بن حبيلس صديق) الأمين المالي في «السويد»، (دكار رابح) ومهمته جمع المال، (شايب

¹ - 1 H 1740, D 3, S.D.E.C.E, destinataire n° (541), refr (D 5230/A): **Activités pro-FLN au Danemark**, le 6 décembre 1961, p 1 et 2.

² - Ibid, annexe, p 3 et 4.

³ - صغير (مريم)، المرجع السابق، ص 452-453.

الباب الثاني: شبكات الدعم

علي) مكلف بربط الاتصال مع الدانمارك، (خمري رابح) أمين مالي سابق، (بوعلام) المدعو (فريد)، وقد غادر «السويد» باتجاه «القاهرة» في 15 سبتمبر 1960 ليعود إليها في 20 أكتوبر ومعه أفلام وثائقية من «ج.ت.و» موجهة إلى التلفزيون السويدي، ثم غادر السويد باتجاه «القاهرة» أو «تونس» في بداية نوفمبر. ويضم التقرير أيضا سيرة ذاتية مفصلة لكل عضو في اللجنة¹. وفي نفس الموضوع يقدم تقريراً سريراً مؤرخاً في 4 ماي 1961 ويحمل رقم (44057/A) معلومات وافية حول نشاطات مكتب الجبهة في «السويد». وأشار التقرير في بدايته إلى أن أعضاء المكتب لم يطرأ عليهم أي تغيير باستثناء إضافة عضو جديد وهو (شابي سعيد)، الذي يعمل كدهان عمارات. عن (بن حبيلس) و(شايب) نقرأ في التقرير أنهما يمثلان أعمدة المنظمة المقيمة منذ مدة طويلة في «السويد» ويعرفان البلاد بشكل جيد. (دكار) هو الذي يستند عليه المكتب ولا يتردد في اتخاذ القرارات. (ساحلى) مسؤول «ج.ت.و» في اسكندينا فيا ذكر التقرير عنه أنه ذهب إلى تونس خلال الأسبوع من 4 إلى 7 أبريل 1961 برفقة شخص يدعى (محمود) ليقوم بترتيبات مغادرة السويد وتعويضه بـ(أوصديق بوعلام). أما (محمود) فهو طالب يدرس في جامعة «أوبسالا - UPPSALA»، متزوج من سويدية، وله معها ولدان، وهو مسؤول عن إعداد المنشير التي تبثها «ج.ت.و»².

تأسست جمعيات ومنظمات سويدية، ليس لدعم الثورة الجزائرية ومساعدة الشعب الجزائري للحصول على استقلاله، فحسب، بل مساعدة الدولة الجزائرية المستقلة خاصة في الجانب التقني والثقافي. وسنحاول رصد البعض منها من خلال التقارير السرية لـ«أس.دي.أو.سي.أو - S.D.E.C.E». ففي التقرير رقم (40530/A) والمؤرخ في 31 جانفي 1961 نقرأ أن (فولك إريكسون - Falke Eriksson)، عضو «الاتحاد العالمي للشبيبة الاشتراكية - International Union of Socialist Youth (I.U.S.Y.)»، قد وصل إلى فيينا للاتصال بالأمانة العامة للمنظمة، والتحضير للسفر الذي سيقوم به إلى إفريقيا. وعليه أن يغادر فيينا في 12 جانفي 1961، وسيتوجه إلى إفريقيا الغربية والشرقية، وإلى تونس، المغرب والجزائر. ويضيف التقرير أن مهمة (إريكسون - Eriksson)، التي سيؤديها تحت غطاء «اليونيسكو - I.U.N.E.S.C.O.»، هدفها ربط اتصالات سياسية، وبشكل خاص مع «ج.ت.و»³. وتحدث تقرير آخر يحمل رقم (41067/A) ومؤرخ في 15 فيفري 1961 أن (جارد ألمجرين - Gerde Almgren)، التي عملت كمذيعة ثم مراسلة في التلفزيون السويدي، وأيضا مراسلة لجريدة «ستوكهولم تيدنينغن - Stockholm tidningen»، التقت (أحمد بومنجل) في «كوناكري - Konakry» في أبريل 1960 وناشدها بربط الاتصال مع بعثة «ج.ت.و» بـ(ستوكهولم -

¹ - 1 H 1740, D 3, S.D.E.C.E, destinataire n° (541), refr (40100/A): **Organisation FLN en Suede**, le 20 janvier 1961, p 1 à 10.

² - Ibid, dest n° (541), ref (44057/A): **activité FLN en Suede**, le 4 mai 1961, p 1 à 4.

³ - 1 H 1753, D 3, Dest n° (541), refr (40530/A): **Voyage de Folk Eriksson en Afrique**, le 31 janvier 1961, p 1 et 2.

(Stockholm). في ديسمبر 1960 عادت من زيارة إلى الجزائر. ويذكر التقرير عن هذه الزيارة قد تكون سرية لأن (ألمجرين - Almgren) لم تطلب تأشيرة للجزائر من السفارة الفرنسية في (ستوكهولم - Stockholm)¹.

على مستوى التنظيمات التي أنشئت للتضامن مع القضية الجزائرية، نقرأ في التقرير رقم (43124/IV) المؤرخ في 8 أبريل 1961 عن ميلاد «اللجنة الدولية للتضامن مع الشبيبة الجزائرية - Le Comité International de Solidarité avec la jeunesse algérienne»، والتي نظمت مؤتمرها الأول بـ (ستوكهولم - Stockholm) في 27 و 28 فيفري 1961. لكن إحدى التنظيمات السويدية الغير شيوعية، وهي منظمة «الشبيبة الاشتراكية الديمقراطية السويدية - La Jeunesse Sociale Démocrates Suédoises» رفضت الدعوة الموجهة لها للمشاركة في المؤتمر بسبب اتهام اللجنة المنظمة للمؤتمر بأنها تريد من وراء تأسيس «ل.ع.ت.ش.ج - C.I.S.J.A» شن هجوم دعائي شيوعي موجه لإنشاء بين الجزائريين تيار مؤيد للشيوعية، وجعل الجزائريين يعتقدون أن هؤلاء المنظمين هم القادة الحقيقيين لكل المنظمات الشبائية، على الأقل في السويد. في حين أن القضية الجزائرية وجدت العديد من المتعاطفين من بين الشباب الغير شيوعي، بخلاف المعتقد السائد يكون الشيوعيين هم وحدهم الذين يساندون الجزائريين. ورغم أن (رولف إوتبارغ - Rolf Utber) الأمين العام لـ «الشبيبة الشيوعية السويدية - La Jeunesse Communistes Suédoises» اتصل شخصيا بأعضاء مكتب المجلس الوطني «الشبيبة الاشتراكية الديمقراطية السويدية - La Jeunesse Sociale Démocrates Suédoises» لحثهم على حضور المؤتمر، إلا أن المجلس رأى عدم المشاركة لأنه اعتبر المؤتمر ترويجا للشيوعية لا أكثر².

أما فيما يتعلق بالمساعدات السويدية لفائدة اللاجئين الجزائريين في تونس والمغرب، فقد سجل تقرير سري يحمل رقم (45970/A) ومورخ في 23 جوان 1961، أن الصليب الأحمر السويدي أعلم «ج.ت.و» أنه سيرسل مبلغ مليون «كورون - Couronnes»، أي ما يعادل ما يعادل مليون «فرنك جديد - Nouveau Franc»، للهلل الأحمر الجزائري، تحت عنوان المساعدة الإنسانية (ألبسة، أدوية، مواد غذائية، إلخ...). من جهة أخرى يعتزم الصليب استقبال أطفالا جزائريين لمعالجتهم، ويمكن أيضا، إذا كان ممكنا تربيتهم. وفي تقرير آخر

¹ - Ibid, dest n° (541), ref (41067/A): Au sujet de la séudoise Gred Almgren en contact avec le F.L.N, le 15 février 1961, p 1 et 2.

² - Ibid, des n°(541), refr (43124/IV): Les organisations de jeunesse suédoises non communistes et le Comité Internationale de Solidarité avec la jeunesse algérienne, le 8 avril 1961, p 1 et 2.

ينظر أيضا:

Pour un «comité international de solidarité». El Moudjahid, V 3, n° 78, du 23 février 1961, p 435.

الباب الثاني: شبكات الدعم

يحمل رقم (D 772/A) ومؤرخ في 12 سبتمبر 1961، نقرأ أن «جمعية السلام والشبيبة - Association de Paix et de Jeunesses»، المرتبطة بالكنيسة اللوثرية بالسويد، أطلقت في 7 سبتمبر 1961، حملة لجمع الأموال لمساعدة المراكز التي توزع الحليب للاجئين الجزائريين في تونس والمغرب، بواسطة: عملية بيع الطوابع البريدية والأظرفة التي تحمل طابع بالالسنة الدولية للاجئين للأمم المتحدة لعام 1960، تنظيم حفلات وعمليات بيع خيرية، تنظيم عملية لجمع الأموال بكل الوسائل، ومطالبة منخرطيها الألف وخمس مئة، بدفع ستة «كورون - Couronnes» للشخص الواحد. الأموال المجموعة تودع في حساب بريدي رقم (52 362) مع وضع إشارة «اللاجئين الجزائريين».

التنظيم العام لحملة جمع الأموال تمت تحت غطاء «نجدة سويدية - Sverige Hjalper»، وبرعاية الملك، لكن مدعومة من حركة التعا ونيات «ك.ف. - K.F.». بالنسبة للكنائس اللوثرية فإن (سفيا أوهرنستيد - Svea Ohrnsted) هو الذي يتولى ربط الاتصال بـ «جمعية السلام والشبيبة - Association de Paix et de Jeunesses». ولاحظ التقرير في نهايته أن «ج.ت.و» تفضل أن تمر المساعدة الانسانية عبر منظمات كالصليب الأحمر، وأن الأموال تُحول عبر «أنسكيلدا بنك - Enskilda Bank»¹.

لم يقتصر الدعم السويدي للجزائريين في مساعدتهم على التحرر، بل تعداه إلى إبداء الاستعداد لمساعدة الدولة الجزائرية المستقلة. ففي التقرير رقم (09822/A) ومؤرخ في 14 مارس 1962 نقرأ أن لجنة مكونة من أربعة عشر عضواً، يوجد على رأسهم: (فيكتور فيند - Victor Vinde)، وهو رئيس تحرير جريدة «ستوكهولم تيدنينغن - Stockholm tidningen»، (جاردار ألمجرين - Gerde Almgren)، مذبة ثم مراسلة في التلفزيون السويدي و(سوفي عيسى)، وهو عضو في مكتب «ج.ت.و» في (ستوكهولم - Stockholm)، قرروا إنشاء جمعية سويدية لـ «أصدقاء الجزائر - Algeriska Vanner»، مهمتها تقديم المساعدة التقنية والثقافية للدولة الجزائرية المستقبلية². اتخذت الجمعية مداومة لها في مقر جمعية «سلم وشباب - Jung Prugatan» بـ (ستوكهولم - Stockholm)، ويتولى إدارتها كل من (جاردار ألمجرين - Gerde Almgren) و(علي باستا). ويبدو أن هذا الأخير يكون قد دخل في صراع مع (ساحلي) ممثل الجبهة في اسكندينايا من ضمان الحصول على التمثيل الحصري لـ «ج.ت.و» في السويد، واستعان في ذلك من دعم (سوفي عيسى). وقد أقامت جمعية «أصدقاء الجزائر - Algeriska Vanner» علاقات مع قيادة الـ «إ.ع.ع.ج. - U.G.T.A» في تونس لتقديم الخدمات وتلقي التوجيهات، وتنوي مستقبلاً الدخول في اتصالات مع «ح.م.ج.ج. - G.P.R.A»³.

¹ - Ibid, refr (45970/A): Aide de la Suede au FLN, le 23 juin 1961.

² - Ibid, Dest (508/III A), refr (09822/A): Association séudoise des "Amis de l'Algérie", le 14 mars 1962, p 1 et 2.

³ - Ibid, refr (D 10531/A): Activités des "Amis de l'Algérie", le 30 mars 1962.

في المقابل تحدث تقرير آخر يحمل رقم (D 11124/A) ومؤرخ في 12 أبريل 1962 عن الصعوبات الداخلية التي واجهت جمعية «أصدقاء الجزائر - Algeriska Vanner» عند نشأتها. فقد قرر (فيكتور فيند- Victor Vinde) وابنه (بيار - Pierre) الابتعاد عن الجمعية التي أسسوها لأنهم رأوا أن الفريق الجزائري الذي يقوده (علي باستا)، والمدعوم من (جيرري ألمجرين - Gery Almgren)، قد بالغوا في إظهار ميولاتهم اليسارية وهذا ما قد يؤدي إلى تنفير الأوساط الليبرالية والمحافضة التي كان يسعى لجلبها للتعاون مع الجزائر المستقلة. ويعتقد التقرير، في حال واصل (علي باسا) هذه التصرفات، أن يقوم (فيند- Vinde) بإنشاء جمعية أخرى تكون أكثر انفتاحا، بعد أن يجز معه قسم من أعضاء الجمعية السابقة¹.

باعتراف من «ج.ت.و» فإن المساعدة المقدمة من السويد يبين الجهود الذي يبذله هذا البلد حكومة وشعبا ومجتمع مدني لمساندة تطلعات الجزائريين في الحرية والاستقلال. وهي من البلدان القليلة التي لم ترضخ، للدعاية الإعلامية والضغطات الفرنسية.

5 - النرويج وفنلندا

كان نشاط «ج.ت.و» في النرويج وفنلندا امتدادا لنشاطها في السويد والدانمارك. فالموقف النرويجي من ثورة التحرير الوطنية كان متناغما على المستويين الرسمي والشعبي وقريب جدا من الموقف السويدي. فقد اعتبرت الحكومة الترويجية التي كان يرئسها (إينار هنري جرهاردسن - Einar Henry Gerhardsen)² معارضة بلاده لاستمرار الاستعمار في العالم وحث على تصفيته مثلما ينص عليه ميثاق الأمم المتحدة، وعليه فإن الحرب الدائرة في الجزائر هي حرب استعمارية والقضية الجزائرية هي قضية تصفية استعمار. وفشلت الدبلوماسية الفرنسية في إقناع الحكومة والرأي العام النرويجي بجدوى سياستها الاستعمارية في الجزائر. وأكد وزير خارجية النرويج (هالفارد مانتي لانغ - Manthey Lange Halvard)³ على سيادة بلاده في رفض الإملاءات والضغطات الخارجية⁴. ويمكن تفسير هذا الموقف الصارم والمستقل للنرويج اتجاه فرنسا بأنها كانت في منئى عن الضغطات الفرنسية، إذ لم تكن مرتبطة معها في أي تجمع خاصة «حلف شمال الأطلسي» و«الاتحاد الأوروبي».

¹ Ibid, refr (D 11124/A): **Difficultés de l'association "Les amis de l'Algérie"**, le 12 avril 1962.

² - تولى (إينار هنري جرهاردسن - Einar Henry Gerhardsen) رئاسة الحكومة في النرويج في فترات (1945-1951) و(1955-1963) و(1963-1965). ينتمي إلى «الجزب العمالي - Arbeiderpartiet» وتوفي في 1970.

الموقع الرسمي للنرويج الخاص بالجمهورية الجزائرية: <http://www.norvege-algerie.org>

³ - شعل (هالفارد مانتي لانغ - Halvard Manthey Lange) منصب وزير خارجية النرويج لأكثر من سبعة عشر عاما من 2 فيفري 1946 إلى 28 أوت 1963، وينتمي إلى «حزب العمل النرويجي».

Ibid.

⁴ - صغير (مريم)، المرجع السابق، ص 454.

من الجانب الجزائري حضى ممثل «ج.ت.و» في البلدان الاسكندنافية (محمد الشريف ساحلي) ومن بعده (صالح محبوبي)، باستقبال من قبل العديد من الشخصيات النرويجية من أمثال رئيس لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان النرويجي وكذلك رئيس المكتب السياسي في وزارة الخارجية وأيضا من ممثلي بعض الأحزاب السياسية في مقدمتها ممثل الحزب الاشتراكي¹. ونتج عن التقارب الجزائري النرويجي العديد من المبادرات الداعمة للقضية الجزائرية ومنها انعقاد الملتقى الطلابي بمدينة «غول» تحت شعار "سقوط الاستعمار" وكذلك تأسيس «اللجنة النرويجية من أجل الجزائر» برئاسة السيد (غوتورم جيسينغ) والتي عرّفت المجتمع النرويجي بالقضية الجزائرية².

عندما نقول أن النرويج لم تخضع للضغوطات الفرنسية فيما يتعلق بالمسألة الجزائرية، فإن ذلك لا يفهم منه أبدا أنها كانت مستعدة للتضحية بعلاقاتها مع فرنسا. كل ما في الأمر أن النرويج كانت تسير في اتجاه تطور المسألة الجزائرية خاصة بعد البدء في المفاوضات مع «ج.ت.و» وتوجه قسم كبير من الرأي العام الفرنسي إلى حل التخلي عن الجزائر. وكمثال عن حرص النرويج على علاقتها مع فرنسا ما ورد في المعلومة 45 وتحمل رقم 6535 ومؤرخة في 5 سبتمبر 1959 أن الحكومة النرويجية قامت في 11 جويلية 1959 بإعلام السفارة الفرنسية في العاصمة «أوسلو» بأنها تعتزم بيع لتونس 10 ملايين خرطوشة و500 ألف قنبلة يدوية. لكن في 16 من جويلية، وعلى إثر التدابير التي اتخذتها السفارة الفرنسية في هذا الاتجاه، قررت الحكومة النرويجية إرجاء عملية تصدير الطلبية التونسية. هذه الطلبية تلقتها الحكومة النرويجية من الشركة النرويجية «رأفوس - Raufoss»، وبدا أنها مقدمة من الحكومة التونسية. لكن هذه الأخيرة صرحت بأنها تجهل كل شيء عن هذه القضية وأنها لم تجر محادثات مع النرويج في هذا الموضوع. وفيما بعد أعلنت الحكومة النرويجية السفارة الفرنسية أن الطلبية مرت عبر شركة بريطانية متخصصة من لندن تحمل إسم «سيغفريد وولنار - Siegfried Wolner»³.

القراءة المتفحصية لما ورد في المعلومة، واستنادا إلى الوقائع الكثيرة في أسلوب «ج.ت.و» في التزود بالأسلحة يجعلنا نجزم أن تلك الخراطيش والقنابل اليدوية كانت موجهة إلى جيش التحرير الوطني تحت غطاء تونسي. وهذا

¹ - Ibid.

² - صغير (مريم)، المرجع السابق، ص 455.

ينظر أيضا:

الطاهر جبلي، شبكات الدعم اللوحيستي للثورة الجزائرية 1954-1962، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف أ.د يوسف مناصرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2008-2009، ص 296.

³ - 1 H 1753, Dossier 4, fiche n° (A. 6), rens 45, n° 6535: **Fourniture d'armes à la Tunisie par la Norvège et les Pays-Bas**, le 5 septembre 1959, p 8.

الباب الثاني: شبكات الدعم

ما يفسر مساعي فرنسا الحثيثة لدى الحكومة النرويجية للتريث في اتمام عملية تسليم الطلبية حتى تتبع الوجعة الحقيقة لتلك الأسلحة وتمنع وقوعها في أيدي جيش التحرير الوطني.

لم تكن مكانة فنلندا من الناحية الجيوسياسية بالقدر الذي كانت عليه باقي الدول الاسكندنافية. ومع ذلك فقد مثل الموقف الفنلندي من الثورة الجزائرية الاستثناء مقارنة ببقية البلدان الاسكندنافية، حيث أبدت الحكومة الفنلندية انحيازاً واضحاً إلى الطرح الفرنسي، خاصة في عهد حكم الاشتراكيين بين 1958-1959 في عهد الوزير الأول (كارل أوغوست فاغار هولم - **Karl-August Fagerholm**)¹. لكن مع بدء المفاوضات بين الحكومة الفرنسية و«ح.م.ج.ج.» رأت الحكومة الفنلندية أنه من المناسب أن تكيف سياستها اتجاه القضية الجزائرية بما يتناسب مع التوجه العالمي الذي يدعم تصفية الاستعمار². ومع التوقيع على اتفاقيات إيفيان في 18 مارس 1962 عملت فنلندا على تدارك الأوضاع وسارعت بالاعتراف بالدولة الجزائرية في 3 جويلية 1962، في نفس اليوم الذي اعترفت فيه فرنسا باستقلال الجزائر³.

¹ - ينتمي (كارل أوغوست فاغار هولم - Karl-August Fagerholm) إلى «الحزب الاشتراكي الديمقراطي» بالفنلندية

«Suomen Sosialidemokraattinen Puolue»

² - صغير (مريم)، المرجع السابق، ص 457.

³ - الموقع الرسمي للسفارة الفنلندية بالجزائر.

الفصل الرابع

المواقف المختلفة من شبكات دعم الثورة الجزائرية

1 - موقف الحكومة الفرنسية

2 - موقف الحزب الشيوعي الفرنسي

3 - موقف الحكومات الغربية

4 - موقف جبهة التحرير الوطني

الفصل الرابع: المواقف المختلفة من شبكات دعم الثورة الجزائرية

تباينت المواقف من شبكات دعم الثورة الجزائرية بين المواقف المبدئية والمصلحية والوطنية. وفي هذا السياق سوف نركز على مواقف الجهات التي تأثرت بشكل مباشر بنشاط شبكات الدعم، ونظرت إليه على أنه يهدد أمنها القومي أو يضر بمصالحها سواء في الداخل أو في الخارج.

1 - موقف الحكومة الفرنسية

لم تقتصر محاربة الحكومة الفرنسية لشبكات دعم الثورة التحريرية على التراب الفرنسي، بل في كل مكان يمكن أن تتواجد فيه، لأنها على دراية بأن هذه الشبكات تمد «ج.ت.و» والثورة بعناصر البقاء والصمود والاستمرار. لذلك استنفرت فرنسا منذ بداية الثورة، مصالحها الأمنية الرسمية، كالشرطة، «مديرية حماية الإقليم - D.S.T» و«مصلحة التوثيق الخارجي ومحاربة الجوسسة - S.D.E.C.E»، والسرية كمنظمة «اليد الحمراء» من أجل التصدي لها، وفق مخطط محكم تم إعداده من قبل متخصصين وذوي خبرة عالية في مكافحة الجريمة، الإرهاب والجوسسة، من أمثال (روجي كونيبيل - Roger Cunibile)، (لويس بارنت - Louis Parent)، (هيوليت برينجيير - Hippolyte Berenguier)، (روجي فيبوت - Roger Wybot)، (كونستونتين ميلنيك - Constantin Melnik)، وغيرهم...¹.

لمحاربة الشبكات وإنهاء نشاطاتها وضعت الحكومة الفرنسية خطة تقوم على مراقبة نشاط فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا بحيث يمكنها ذلك من سهولة القضاء على دورها في جمع الاشتراكات من المهاجرين الجزائريين، وفي نفس الوقت تقيم حراسة مشددة على الأشخاص المتعاونين مع الفدرالية. وإذا كانت مسألة القضاء على «ج.ت.و» والثورة في الجزائر هي مهمة الجيش الفرنسي فإن ذات المهمة في فرنسا كانت من صلاحيات وزارة الداخلية، التي استنفرت، منذ الأيام الأولى من انطلاق الثورة التحريرية، أجهزتها الأمنية المختلفة تحسبا لأي طارئ قد يحدث بسبب الأوضاع المستجدة في الجزائر. وعلى العموم فإن الأجهزة الأمنية التي تصدت لنشاط فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا وأوروبا هي: جهاز «الاستعلامات العامة - R.G»²، «مديرية مراقبة الإقليم -

¹ - تحدثنا عن المصالح الأمنية بالتفصيل في الفصل الثاني من الباب الأول.

لمزيد من التفاصيل عن نشاط المصالح الأمنية الفرنسية خلال حرب التحرير ينظر:

Melnik (Constantin), De Gaulle, les services secrets, et l'Algérie, Nouveau Monde Editions, Paris, 2012.

² - «الاستعلامات العامة - RG» هي التسمية التي عرفت بها «المديرية المركزية للاستعلامات العامة - DCRG»، وهو جهاز استعلام فرنسي تابع لل«مديرية العامة للشرطة الوطنية - DGPN». تأسس في 1907 بهدف إعلام الحكومة بكل حركة يمكن أن تهدد الدولة. في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، تم الاحتفاظ بهذا الجهاز لمواجهة التوتر الناتج عن بداية الحرب الباردة والحروب الاستعمارية وخاصة العنف الناتج عن حرب الجزائر والحركات الاجتماعية. وفي 01

الباب الثاني: شبكات الدعم

D.S.T»، «شرطة باريس - P.P» و«اليد الحمراء - M.R». وقد اعتمدت هذه الأجهزة على عدة طرق للحصول على المعلومات من أهمها المراقبة الدائمة للنشطاء، اختراق صفوف الجبهة بـدس الأعوان والجواسيس، الوثائق المحجوزة خلال عمليات المداهمة، الاعتقال، الإغراء والمساومة، التعذيب والتهديد¹.

في 27 نوفمبر 1954، عقدت وزارة الداخلية الفرنسية أول اجتماع في باريس، بعد انطلاق الثورة التحريرية، وضم كل قادة مصالح الاستعلامات العامة لمختلف المقاطعات للتباحث في الإستراتيجية التي يمكن اعتمادها للحيلولة دون انتقال الكفاح المسلح إلى باريس. وفي شهر أوت 1955 أنشأت الوزارة جهازا أمنيا عرف باسم «مصلحة تنسيق المعلومات الشمال الإفريقي - S.C.I.N.A»² ضم محافظة شرطة باريس، الدرك، مصلحة التوثيق الخارجي ومكافحة التجسس، قيادة الأركان العامة لوزارة الدفاع الوطني، مصلحة الشؤون الإسلامية والعمل الاجتماعي، ووزارة العدل. والهدف من أشراك كل هذه المصالح في ذلك الجهاز هو استقبال التقارير اليومية التي تحررها كل مصلحة، والتنسيق بين المعلومات الواردة فيها، خاصة ما تعلق بالعمليات المسلحة، الاعتقالات، عدد القتلى والجرحى، الأسلحة المضبوطة، والأموال المحجوزة، ثم يتم تلخيصها وإصدارها في نشرة يومية يمكن الاستفادة منها للحد من نشاطات «ج.ت.و» وحتى «ح.و.ج» على الأراضي الفرنسية عامة والعاصمة باريس على وجه الخصوص، والتحكم في المهاجرين الجزائريين، الذين بالتمويل كانوا يمدون الحركتين الجزائيتين «ج.ت.و» و«ح.و.ج» بعناصر البقاء والاستمرار³.

في 1956 تبنت محافظة شرطة باريس إستراتيجية دفاعية مزدوجة تقوم على جمع المعلومات والقمع. بالنسبة للشق الخاص بجمع المعلومات تكفلت به «مصلحة تنسيق المعلومات الشمال الإفريقي - S.C.I.N.A»، أما الشق الخاص بالقمع فقد تم إسناده إلى «فرقة الاعتداءات والتعنيفات - B.A.V»⁴، وهي عبارة عن وحدة تابعة

جويلية 2008 تم دمج جهاز «الاستعلامات العامة - RG» و«مديرية مراقبة التراب - D.S.T» ليصبحا «المديرية المركزية للاستعلام الداخلي - DCRI».

Jean-Marc BERLIÈRE, «POLICE FRANÇAISE HISTOIRE DE LA», *Encyclopédia Universalis* [en ligne], consulté le 3 février 2016 à 17h.

URL : <http://www.universalis.fr/encyclopedie/histoire-de-la-police-francaise/>

¹ - Chabrun (Laurent), op cit, p 105.

² - Service de Coordination des Informations Nord-Africaines

³ - Amiri (Linda), op cit, p 44.

⁴ - Brigade des Agressions et violences.

الباب الثاني: شبكات الدعم

للمديرية العامة للشرطة القضائية أنشئت في 1953، ومتخصصة في الوقاية ومحاربة العنف الناتج عن الجناح وكذلك قمع الحركة الوطنية الشمال إفريقية¹. ومع ذلك وإلى غاية 1958، لم يفلح جهاز «مصلحة تنسيق المعلومات الشمال الإفريقي - S.C.I.N.A» من تحقيق الأهداف المرجوة، واتضح بعد ثلاث سنوات من النشاط القمعي أن «ج.ت.و» أصبحت أكثر تغلغلا وتحكما في المهاجرين الذين احتضنوا الثورة أكثر من ذي قبل². ويعود سبب هذا الإخفاق إلى صعوبة التنسيق بين مختلف المصالح، وإلى الفراغ القانوني المسجل في الإجراءات القانونية المطبقة في التعامل مع المعتقلين والمشتبه فيهم بممارسة نشاطات داعمة للجبهة، إذ كان الكثير منهم يتم الإفراج عنهم، إما بسبب عدم كفاية الأدلة ضدهم وإما لانقضاء المدة القانونية للاحتجاز. وهذا الوضع القانوني حد من فعالية الآلة القمعية للشرطة الفرنسية. من أجل ذلك جاء قانون 26 جويلية 1957 ليملأ ذلك الفراغ.

إن مضمون هذا القانون إنما هو عملية توسيع لقانون 16 مارس 1956 إلى التراب الفرنسي، والذي منح فيه البرلمان الفرنسي في عهد حكومة (غي مولي - Guy Mollet)³ سلطات خاصة للجيش الفرنسي في الجزائر⁴. وبموجب هذا التوسيع أصبح للشرطة القضائية الحق في القيام بعمليات التفتيش في الصباح والمساء، الاستدعاء للحضور إلى المحكمة للأشخاص المشتبه بهم، والذين تعرضوا لعقوبات جنائية قبل صدور هذا القانون⁵. وهكذا وجد الجزائريون في فرنسا أنفسهم في مواجهة آلة قمعية رهيبة، شبيهة بالتي يستخدمها الجيش الفرنسي في الجزائر، أقل ما يقال عنها أنها مهينة للكرامة الإنسانية. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تطورت الأمور إلى ما هو

¹ - Vallat Remy, *Un tournant dans la « Bataille de Paris » : l'engagement de la force de police auxiliaire (20 mars 1960)*. Vichy et les colonies, In *Outre-mers*, tome 91, n° 342-343, 1^{er} semestre 2004, p 325.

² - Amiri (Linda), op cit, p 46.

³ - شغل (غي مولي - Guy Mollet) منصب أمين عام لـ«الفرع الفرنسي للأمم المتحدة العمالية - Section Française de l'Internationale Ouvrière» المعروفة اختصارا بـ«S.F.I.O» بين 1949-1969. وفي ظل الجمهورية الرابعة شغل منصب وزير أول بين 01 فيفري 1956 - 13 جوان 1957.

Dictionnaire des noms propres, <http://www.linternaute.com/biographie/guy-mollet/> consulté le 20 Mars 2016 à 18h38mn.

⁴ - للإطلاع على نص قانون «السلطات الخاصة» في الجزائر رقم 56-253 ليوم 16 مارس 1956 ينظر:

الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية الصادرة يوم 17 مارس 1956, صص 2590-91.

أو ينظر الملحق رقم .

وللإطلاع على نص القانون الموسع للسلطات إلى التراب الفرنسي ينظر الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية رقم 48 C.R الخميس 26 جويلية 1957, صص 1797-1817.

⁵ - Vallat Remy, op cit, p 325.

الباب الثاني: شبكات الدعم

أسوأ منذ الشهور الأولى من عام 1958، خاصة بعد تعيين (موريس بابون - Maurice Papon)¹ على رأس محافظة شرطة باريس في 15 مارس 1958.

يأتي تعيين (موريس بابون - Maurice Papon) على رأس محافظة شرطة باريس على خلفية الظروف التي مرت بها باريس في أوائل عام 1958. ففي 13 مارس تظاهر حوالي ألفي شرطي انطلقوا من محافظة الشرطة باتجاه «قصر البوربون»، مقر الجمعية الوطنية الفرنسية، مرددين شعارات مناهضة للحكومة وللإدارة بسبب عجزها عن دفع «منحة المخاطرة». وتمكن المتظاهرون من اقتحام «قصر البوربون» وتعليق الدورة البرلمانية، واضطر محافظ شرطة باريس (أندري لاهيلون - André Lahillonne) إلى تقديم الاستقالة. وفي اليوم الموالي عقدت حكومة (فليكس غيار - Félix Gaillard)² مجلسا وزاريا طارئا لمواجهة الأزمة. وخلال الاجتماع تم تعيين (موريس بابون) مديرا على محافظة شرطة باريس باقتراح من (موريس بورجيس مونوري - Maurice Bourges-Maunoury) وزير الداخلية آنذاك³. وقد بدا (بابون) حينها وكأنه الرجل القوي القادر على إدارة محافظة الشرطة بيد من حديد، ووضع حد لنشاطات «ج.ت.و» و«ح.و.ج» في العاصمة باريس⁴.

منذ تسلم المهام على رأس محافظة شرطة باريس، طور (موريس بابون) إستراتيجية، تهدف في البداية إلى خلخلة النظام الإداري والاجتماعي لفدرالية الجبهة بباريس، ثم تقويضه وتحرير الجزائريين من هيمنته. وأقنع نفسه بأن الانتصار سيكون حليفه لاعتقاده أن جموع الجزائريين في فرنسا، إنما هي كتلة ساذجة وموالية في الأساس لفرنسا، وغبر ملتزمة جديا إلى جانب الحراك الوطني، لكنها خاضعة لأقلية من المناضلين الجبهويين، والمقدر

¹ - كان (موريس بابون - Papon) واليا لـ«قسنطينة» بين 1949 و1951، ثم أمينا عاما بحكومة الوصاية في المغرب لأقصى بين 1954 و1956، ثم أمينا عاما لـ«قسنطينة» بين 1956 ومارس 1958. كان شخصا متمرسا وصاحب خبرة بمناهج عمل الجيش الفرنسي النفسية، كما تدرب في «قسنطينة» على طرائق الجيش الفرنسي في مكافحة العمليات التخريبية التي كان جيش التحرير الوطني ينفذها ضد المصالح الفرنسية في الجزائر. وسينقل خبرته تلك لقمع الجزائريين في فرنسا في محاولة منه لوضع حد لتغلغل وسيطرة فدرالية «ج.ت.و» على الجالية الجزائرية المقيمة في فرنسا.

Amiri (Linda), op cit, p 58.

² - شغل (فليكس غيار - Félix Gaillard) منصب رئيس الحكومة في ظل الجمهورية الرابعة من 06 نوفمبر 1957 إلى 15 أبريل 1958.

³ - House (Jim) et MacMaster (Neil), Paris 1961. Les Algériens, la terreur d'état et la mémoire, Traduit de l'anglais par Christophe Jaquet, Casbah Editions, Alger, 2012, p 89.

⁴ - Mannoni Eugène, *Maurice Papon prend immédiatement ses fonctions à la préfecture de police*, le Monde, n° 4289, Le Dimanche 16 et Lundi 17 Mars 1958.

الباب الثاني: شبكات الدعم

عدددهم بحوالي خمسة آلاف شخص، والذين يفرضون هيمنتهم بواسطة العنف الإرهابي¹. وتقوم إستراتيجية (بابون) على ثلاثة مصارع: الأول: العمل النفسي² والاجتماعي، الثاني: العمل القمعي، والثالث: التحييد بواسطة إبعاد الوطنيين النشطين وترحيلهم إلى الجزائر وحماية الأشخاص المهددين بالموت من طرف «ج.ت.و».

لإنجاز المهمة بنجاح قام الجنرال (شارل ديغول - Charles De Gaulle) العائد إلى الساحة السياسية³، بعقد اجتماع في 09 جويلية 1958 بحضور ممثلين عن وزارة الإعلام والداخلية والقوات المسلحة والشرطة، أفضى إلى تشكيل فريق عمل أوكلت له مهمة دراسة واقتراح أشكال العمل النفسي والدعاية الأكثر فعالية لتخليص المهاجرين الجزائريين في فرنسا من قبضة «ج.ت.و». وفي تقاريره المحررة في 23 جويلية وفي 01 أوت وفي 16 أكتوبر، أظهر فريق العمل استعداد النظام الجديد في فرنسا لإدخال الطرق المتبعة في مواجهة العمل المسلح في الجزائر إلى التراب الفرنسي، وأنه يوافق بالكامل على التقنيات التي جلبها (بابون) معه إلى باريس. ورغم أن (ديغول) كان معارضا لنظرية الحرب الثورية⁴، كما ذكر بعض المؤرخين، إلا أن (بابون - Papon) أكد في مذكراته

1 - House (Jim) et MacMaster (Neil), op cit, p 97.

2 - العمل النفسي أو «L'action Psychologique» بالفرنسية، ما هي في الحقيقة سوى "الحرب النفسية". وتقوم على الاستخدام المتعمد للدعاية وغيرها من الوسائل، بهدف التأثير على آراء ومشاعر ومواقف وتصرفات المجموعات المعادية أو المحايدة أو الصديقة، دعما لسياسة أو لأهداف راهنة، أو لخطة عسكرية، في ظروف الحرب أو الأزمات والمواجهات. وتستهدف الحرب النفسية بشكل عام التأثير على معنويات الخصم، والقضاء على إرادته للقتال أو المقاومة. وأكثر وسائل الإعلام استخداما في الحرب النفسية هي الوسائل السمعية البصرية، الصحافة المكتوبة، الكتب، النشرات ومكبرات الصوت.

الكيالي (عبد الوهاب) وآخرون، موسوعة السياسة، ج 2، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1994، ص 2015.

3 - بعد انسحابه من الساحة السياسية الفرنسية في 1953، عاد الجنرال (شارل ديغول - Charles De Gaulle) إليها، على إثر أحداث 13 ماي 1958 في الجزائر، وعين رئيسا للمجلس الوطني، أي رئيسا للوزراء من 01 جوان 1958 إلى 20 ديسمبر 1958. وخلال هذه الفترة تم تعديل الدستور في فرنسا، ونظمت انتخابات رئاسية في 21 ديسمبر 1958، أصبح على إثرها (ديغول) أول رئيس للجمهورية الفرنسية في عهد الجمهورية الخامسة.

/, consulté le 09 février 2016 à 09h. <http://www.linternaute.com/biographie/charles-de-gaulle>

4 - "الحرب الثورية" هي مصطلح (ماوي)، نسبة إلى الزعيم الثوري الصيني (ماوتسي تونغ) الذي كان يعتقد أنه لا يمكن القيام بحرب ثورية إلا بعمل سياسي-عسكري، أي أن الحرب الثورية، سواء أكانت حرب ثورية طبقية أو حرب ثورية وطنية، إذا لم نفهم الشروط والخصائص التي تميزها، فإنه لا يمكن القيام بها والانتصار فيها. أما في الفكر العسكري الفرنسي فقد ارتبط مفهوم "الحرب الثورية" بوضع الجيش الفرنسي بعد الحرب العالمية الثانية، إذ وجد نفسه يخوض حروبا غير الحروب النظامية التي تدرب وتعود عليها، والتي تخضع لأخلاقيات الحرب المتعارف عليها وأولها عدم التعرض للمدنيين. ففي حرب الهند الصينية 1946-1954، وحرب الجزائر 1954-1962 كان على الجيش الفرنسي أن يتعامل مع حروب يشارك فيها الشعب أي العسكريون المدنيون. وفي هذه الحالة فإن من يسمون مدنيين، هم في نفس الوقت عسكريين وعلى هذا الأساس طور الجيش الفرنسي نظرية جديدة تقوم على الحرب العامة الموجهة ضد العسكريين وضد المدنيين

الباب الثاني: شبكات الدعم

أن (شارل ديغول) قد أعطاه الضوء الأخضر لتنفيذ المخطط الجديد الذي كان بصدد التحضير له، وذلك في اجتماع، شهر جوان 1958، والذي كان هو شخصيا حاضرا فيه¹. وفي 24 جويلية 1958 حرر (بابون- Papon) وثيقة عمل أساسية بعنوان: «ملاحظات حول قمع الإرهاب الشمال الإفريقي - *Note sur la répression du terrorisme nord-africain*» ووزعها في 01 أوت على فريف العمل، ثم في 23 أوت 1958 على وزراء الداخلية، العدل، والقوات المسلحة خلال الاجتماع الوزاري الهام الذي جمعهم في ذلك اليوم، حيث تقرر فيه تأسيس جهازين أمنيين خاصين بالجزائريين هما: «مصلحة تنسيق الشؤون الجزائرية - S.C.A.A» و«مصلحة مساعدة فرنسيي الجزائر المسلمين التقنية - S.A.T-F.M.A». وفي تلك الوثيقة سجل أن الجيش في الجزائر، ولحاربة «ج.ت.و» يمتلك، في آن واحد، سلطات خاصة ويستخدم تقنيات خاصة تدخل أكثر في الجانب العملياتي، وليست مجرد عمليات لحفظ الأمن. في حين سجل ضعف وعجز القانون في فرنسا في قطع الطريق أمام "الإرهابيين".

لإثبات صحة أقواله، أكد بأن الشرطة قامت ليلة 14 جويلية 1958 باعتقالات إستباقية طالت 700 جزائري تم التعرف عليهم وعلى قدرتهم على تنفيذ عمليات، لكن للأسف كانت مجبرة على إخلاء سبيلهم بعد انقضاء المدة القانونية للاعتقال وهي 48 ساعة، ولم يكن من الممكن الاحتفاظ بهم لمدة أطول في السجن بدون حكم قضائي لاستجوابهم، مثلما كان بإمكان السلطات فعلة في الجزائر. وشدد على أربعة إجراءات وجب على الحكومة اتخاذها بشكل استعجالي. أولا: إبعاد من فرنسا كل المشتبه بهم بممارسة "الإرهاب"، وهذا ما يسمح للسلطات العسكرية في الجزائر بإعداد نظام قمعي مناسب للمعنيين، بمعنى إخضاعهم لأشكال من الاستنطاق لا يمكن للرأي العام الموافقة عليه إن حدثت في فرنسا. ثانيا: إعطاء مزيد من السلطات للمحاكم العسكرية في فرنسا. ثالثا: السماح بسجن (الإقامة الجبرية) وبأمر من الإدارة، كل شخص مشتبه به بالعمل مع «ج.ت.و» ولا

على حد السواء، وهذا ما مارسه فرنسا مع الثورة الجزائرية عندما أدخلت الوسائل العسكرية في تعاملها مع المدنيين الجزائريين سواء في الجزائر أو في فرنسا.

Gérard, *Guérillas et guerres révolutionnaires marxistes, le « modèle chinois »* Chaliand

[http://www.leconflit.com/article-guerillas-et-guerres-revolutionnaires-](http://www.leconflit.com/article-guerillas-et-guerres-revolutionnaires-marxistes-le-modele-chinois-73942767.html)

marxistes-le-modele-chinois-73942767.html, consulté le 26 Mars 2016 à 19h28mn. ورد في «الموسوعة السياسية» أن "الحرب الثورية" تعرف أيضا بـ "حرب التحرير الوطني" و "حرب الشعب" وتقوم عندما تكون الشعوب في مواجهة خصم ذي قدرات كبيرة، حيث يتم تعبئة طاقات الشعب ضد المحتل أو المستغل.

الكيالي (عبد الوهاب) وآخرون، المرجع السابق، صص 194-195.

¹ Papon (Maurice), *Les chevaux du pouvoir : le préfet de police du générale de Gaulle, ouvre ses dossiers, 1958-1967*, Paris, Plon, 1988, p 103-04.

الباب الثاني: شبكات الدعم

توجد أدلة كافية لرفع دعوى قضائية ضده. رابعا: ترحيل الأشخاص إلى الجزائر على أساس إدانة قضائية، بمعنى بأمر من المحاكم الجزائرية¹. ويبدو أن مبادرة (بابون - Papon) قد نجحت في التأثير على سياسة الحكومة، التي أصدرت أمرية 07 أكتوبر 1958 تسمح فيها بسجن الجزائريين الموقوفين لمدة أسبوعين، مما يعطي الوقت الكافي للشرطة والجيش لاستجوابهم. أما وزير الداخلية (إميل بيليسي - Émile Pelletier) فقد قرر وضع الجزائريين في مراكز التجميع دون محاكمة، أو ترحيلهم إلى الجزائر وتسليمهم إلى الجيش هناك².

لقمع الجزائريين ومحاصرتهم والتضييق عليهم وتحويل حياتهم إلى جحيم ودفعهم في الأخير إلى التوقف عن السير خلف فدرالية جبهة التحرير وتقديم الدعم لها، زودت وزارة الداخلية الفرنسية شرطة باريس بمجموعة من الأجهزة الأمنية الخاصة بالجزائريين فقط، واستدعت للإشراف عليها، من الهند الصينية والجزائر، أكفأ الإطارات وأكثرهم خبرة في كيفية التعامل مع السكان الأهالي في المستعمرات ومحاربة الحركات الوطنية الاستقلالية. وهذه الأجهزة هي: «مصلحة تنسيق الشؤون الجزائرية - S.C.A.A»³، «مصلحة مساعدة فرنسيي الجزائر المسلمين التقنية - S.A.T-F.M»⁴، «قوة الشرطة المساعدة - F.P.A»⁵، «مكاتب الاستعلام المتخصصة - B.R.S»⁶ و«فرقة الاعتداءات والتعنيفات - B.A.V»⁷.

بالنسبة لجهاز «م.ت.ش.ج - S.C.A.A» يهتم أساسا بإدارة دواليب الآلة القمعية المسلطة ضد الجزائريين، تأسس في الاجتماع التنسيق الذي جمع بين وزراء الداخلية، العدل والقوات المسلحة المنعقد في 23 أوت 1958، مقره محافظة شرطة باريس، ويضم ثلاثة فروع: فرع التأثير النفسي والاجتماعي، فرع التدخل، ويضم عناصر الشرطة القضائية، وفرع الاستعلامات، مهمته هو التنسيق بين الأجهزة الأمنية الأخرى، وتجميع المعلومات، مهما كان مصدرها، حول فدرالية الجبهة في باريس، تحليل الوثائق المحجوزة، التعرف على إطارات الفدرالية

1 - House (Jim) et MacMaster (Neil), op cit p 97-8.

2 - Ibid, p 99.

3 - «Service de Coordination des Affaires Algérienne»

4 - «Service d'Assistance Technique aux Français musulmans d'Algérie »

5 - «Force de Police Auxiliaire»

6 - «Bureaux de Renseignement Spécialisé»

7 - تم التعريف بهذا الجهاز سابقا.

الباب الثاني: شبكات الدعم

بواسطة سجل مركزي، وتخطيط العمليات القمعية. ومن الناحية الإدارية فإنه ملزم بتقديم تقارير يومية وأسبوعية حول تطور نشاط فدرالية الجبهة، ومختلف العمليات التي نفذتها الأجهزة الأمنية في وسط الجزائريين¹.

الجهاز الثاني هو «م.م.ف.ج.م.ت - S.A.T-F.M» تأسس في ذات الاجتماع الوزاري الذي تأسس فيه «م.ت.ش.ج - S.C.A.A» في 23 أوت 1958. ويهتم بممارسة النشاط النفسي والاجتماعي بين الجزائريين. وإحدى الخصائص المميزة له هي الأهمية التي يوليها للعلوم الاجتماعية لفهم الجالية الجزائرية. تعود فكرة إنشاء هذا الجهاز إلى ثلاثة ضباط سامين في «الفرع الإداري المختص - S.A.S»² و«الفرع الإداري الحضري - S.A.U»³ بالجزائر، وتم استدعائهم خصيصا وسريا إلى باريس في 13 أوت 1958 للاستعانة بخبرتهم في مجال العمل النفسي والاجتماعي والاستعلامات وهم: (روجي كونيبيل - Roger Cunibile)، (لويس بارنت - Louis Parent)، (هيبوليت برينجيير - Hippolyte Berenguier)⁴. يُذكر أن (كونيبيل - Cunibile) و(برينجيير - Berenguier) طبقا المقاربة العلمية التي جاء بها (روبار مونتاني - Robert Montagne)⁵ في التعامل مع المهاجرين في باريس، ثم عمت بعد ذلك على فرنسا، وتقوم تلك المقاربة على القيام بإحصاء مفصل للمهاجرين الجزائريين المقيمين في باريس وجمع معطيات عن المناطق الأصلية التي جاءوا منها والقبيلة التي ينحدرون منها، وبهذه

¹ - Ibid, p 100. ينظر أيضا: Linda (Amiri), op cit, p 81-2

² - «Section Administrative Spécialisée» هو جهاز تابع للجيش الفرنسي في الجزائر، ومعروف اختصارا بـ«لا صاص» ومتخصص في ممارسة النشاط النفسي اتجاه سكان الأرياف الجزائرية. مهمتهم الرئيسية هي تأطير القرى والدواوير ومراقبتها عن قرب من خلال تقديم خدمات اجتماعية كالتطبيب، التعليم، بالإضافة إلى جمع المعلومات حول المجاهدين وتسليمها إلى الجيش. والغاية هي عزل السكان عن الثورة ومنعهم من الالتحاق بصوف «ج.ت.و». بلغ عدد الفروع الإدارية العاملة في 1957 حوالي 600 فرع و697 في عام 1960.

Cheurfi (Achour), Dictionnaire de la révolution..., op cit, p 312-13.

³ - «Section Administrative Urbaine» هذا الجهاز هو يقوم بنفس وظيفة جهاز «لا صاص» لكن في المدن.

Ibid, p 313.

⁴ - خدم (روجي كونيبيل - Roger Cunibile) و(هيبوليت برينجيير - Hippolyte Berenguier) أيضا مشرفان إداريان للشؤون الأهلية بالمغرب الأقصى.

⁵ - (روبار مونتاني - Robert Montagne) هو مستشرق فرنسي وعالم في أصل الإنسان والسلالات البشرية. اهتم بشكل خاص بدراسة بنية الهجرة الجزائرية في فرنسا حسب القرية والقبيلة. كلفه وزير الداخلية (فرانسوا متييران - François Mitterrand) في 1952 بقيادة فريق من الباحثين للقيام بأبحاث حول التوزيع الجغرافي للمجموعات الإثنية في فرنسا المرتبطة بالسكن والعمل.

House (Jim) et MacMaster (Neil), op cit p 105.

الباب الثاني: شبكات الدعم

الكيفية يتم وضع بطاقة معلومات لكل شخص. تهدف هذه العملية إلى الفهم الجيد للشبكات التي ينشط فيها المهاجرون والتي عادة ما تكون قائمة على أساس الولاء الجهوي. جهاز الثالث هو «ق.ش.م - F.P.A»¹.

الجهاز الرابع هو «مكاتب الاستعلام المتخصصة - B.R.S» وهي عبارة عن مكاتب ذات طابع استخباراتي محض تهم بجمع المعلومات وتصنيفها، بحيث تكون جاهزة للتوظيف. وكان كل قطاع مزود بهذا النوع من الأجهزة مثلما هو الحال بالنسبة لمحافظة شرطة باريس، والذي وظفته لمحاربة فدرالية جبهة التحرير بفرنسا والحد من التأثير والهيمنة الذي تمارسه على المهاجرين الجزائريين في العاصمة باريس. أما جهاز «فرقة الاعتداءات والتعنيفات - B.A.V» فهي، كما وصفها (إيمانويل بلونشار - Emmanuel Blanchard)² عبارة عن شرطة باريسية للجزائريين فقط³. كل تلك الأجهزة كانت تشكل منظومة قمع متكاملة تستجيب للمخطط الشامل الذي وضعه (بابون - Papon) ومساعديه من ذوي الخبرة وبمباركة الحكومة من أجل تحويل حياة الجزائريين إلى معاناة لا تنتهي.

كما ذكرنا سابقا ركزت إستراتيجية شرطة باريس في محاربة «فدرالية جبهة التحرير» بفرنسا على العمل الاجتماعي والنفسي من جهة وعلى القمع المكثف من جهة أخرى. ففي جوان 1958 نظم (بابون - Papon)، بالتعاون مع مصلحة النشاط النفسي التابعة للجيش، أول عملية اختباريه باتجاه المساكن والأحياء القصديرية

1 - تم التطرق إلى هذا الجهاز سابقا.

2 - (إيمانويل بلونشار - Emmanuel Blanchard) أستاذ محاضر في العلوم السياسية في معهد الحقوق والعلوم السياسية، ومدير معهد العلوم السياسية بـ«جامعة فرساي، سانت كوتان-أون-إفلين - université de Versailles Saint-Quentin-en-Yvelines». تحصل على شهادة الدكتوراه بتقدير مشرف جدا من جامعة «ديجون - Dijon» عن أطروحة بعنوان «تأطير مواطنين مستضعفين، شرطة الجزائريين في المنطقة الباريسية 1962-1944 - Encadrer des citoyens diminués. La police des Algériens en région parisienne, 1944-1962». من أهم مؤلفاته «الشرطة الباريسية و الجزائريين 1962-1944 - La police parisienne et les Algériens, 1944-1962»

الصادر عن دار النشر «نوفو موند - Nouveau Monde Editions»
المصدر: الموقع الرسمي لجامعة «جامعة فرساي، سانت كوتان-أون-إفلين - université de Versailles Saint-Quentin-en-Yvelines». <http://www.uvsq.fr/m-blanchard-emmanuel-55260.kjsp> اطلع عليه في 27 ماي 2016، على الساعة 12 و 15 د.

3 - للمزيد من التفاصيل حول «فرقة الاعتداءات والتعنيفات - B.A.V»، ينظر:

Blanchard Emmanuel, **Police judiciaire et pratiques d'exception pendant la guerre d'Algérie**. Vingtième siècle, Fondation Nationale des Sciences Politiques, 2006, pp. 61-72.

الباب الثاني: شبكات الدعم

للتوغل داخل الجالية الجزائرية، بواسطة توزيع منشور باللغتين العربية والفرنسية، بث الموسيقى العربية وعرض أفلام دعائية. وفي الجانب الاجتماعي قام بتنصيب مداومات في الأحياء الآهلة بالسكان الجزائريين لمساعدتهم في متابعة شؤونهم الإدارية، كملء الاستمارات الخاصة ببطاقات الإقامة، بطاقات الهوية، الشكاوي، إجراءات السفر إلى الجزائر لزيارة الأهل، وغيرها من الخدمات الإدارية.

لكن في المقابل كانت المصالح القائمة على تلك المداومات تقوم بتدوين البيانات الشخصية للوافدين عليها سواء المقيمين أو الوافدين الجدد ويتم وضع ملف إداري لكل شخص. إلى جانب ذلك كانت فرق العمل الاجتماعي تتفقد الحالة المعيشية للجزائريين من خلال القيام بحملات صحية أسبوعية أو كل أسبوعين، يتم خلالها الاطلاع على وضعية المرافق، المراقدة والفنادق المفروشة التي يقيم بها الجزائريون. وغالبا ما كانت تلك الفرق تلجأ إلى إجبار المحلات التي تكون في حالة مزرية على ترميمها وإلا تعرضت للإغلاق. وهنا أيضا لم تكن العمليات الصحية بذاتها هي الهدف وإنما فرصة لإحصاء نزلاء المراقدة والفنادق ومعرفة حالة الجزائريين النفسية وتوزيع المنشور التي تمجد فرنسا وتندد بـ«ج.ت.و» وفدراليتها¹.

أما الإستراتيجية القمعية فكانت تهدف من جهة، إلى تفكيك الشبكة الاجتماعية والصحية التي وضعتها فدرالية جبهة التحرير لتأطير المهاجرين الجزائريين، وخلخلة نظام جمع الاشتراكات الشهرية، ومن جهة أخرى إضعاف مجموع الجالية الجزائرية بواسطة زرع جو من الخوف الدائم. اصطلاح على تسمية هذه الإستراتيجية بـ«عمليات التناضح - Les opérations Osmose»، وتقوم على تكثيف عمليات الاستجواب العنيفة في الشوارع بحق المهاجرين الجزائريين. ففي 1958 شملت عملية الاستجواب والمراقبة حوالي 121992 شخص و 121699 شخص في 1959، تم إحالة نصفهم إلى «مركز فانسان»² لكشف الهوية - CIV وهو عبارة عن مركز اعتقال على ذمة التحقيق³ يضاف إلى مراكز الاعتقال الأخرى¹. وقد تسببت هذه العمليات في مشاكل

1 - في احد المنشور ورد: "وأخيرا تحررت بلادك من الرعب الذي شلها منذ أربع سنوات. لقد قرر أبوك وأمك وإخوانك وأخواتك، في هبة رائعة، أن يضموا أيديهم ليد الجيش الفرنسي، جيشك أنت، ويضربوا ضربة رجل واحد تقضي نهائيا على خصم بانس ومينوس منه. فيا من تقيم على أرض فرنسا، لا تخن قضيتك المقدسة، قضية الجزائر الفرنسية!..." وجاء في منشور آخر عن مسؤولي «ج.ت.و»: "مجرمون يعيشون عيش البذخ والرفاه في الفنادق الفخمة في تونس وجنيف والقاهرة..."

Amiri (Linda), op cit, p 63.

2 - «فانسان - Vincennes»: هي مدينة فرنسية تقع في الضواحي الشرقية لباريس في إقليم «فال دو مارن - Val-de-Mrne» بمنطقة «إيل دو فرانس - Ile-de-France».

3 - يقع «مركز فانسان لكشف الهوية - Centre d'Identification de Vincennes» على طريق الهرم بـ«فانسان».

الباب الثاني: شبكات الدعم

وصعوبات لا يمكن تجاوزها بالنسبة للمهاجرين الجزائريين، فهم لم يفقدوا فقط أجرة الساعات التي تغيبوا عنها، بسبب الاعتقال، بل فقدوا أيضا وظائفهم وإمكانية الاستفادة من منحة البطالة. وشيئا فشيئا بدأت المؤسسات الصناعية بفرنسا ترفض توظيف الجزائريين بسبب قلة المواظبة أو العطل المرضية المتكررة والتي سببها العجز الناجم عن العنف الممارس عليهم من الشرطة².

لكن أكثر ما كان يخاف منه المهاجرون الجزائريون هو الترحيل القسري إلى الجزائر. وفكرة الترحيل كانت من إبداع ضابط في «م.م.ت - S.A.T» يدعى (هنري بيو - Henri Pillot)، والذي وجه في 9 أبريل 1959 رسالة إلى (بابون - Papon) يوصي فيها بالترحيل الفوري للجزائريين المشتبه بهم والذين يتعذر إحالتهم على العدالة لعدم كفاية الأدلة. وفي 05 جويلية 1959 وجه النقيب (ريموند مونتير - Raymond Montaner) مسؤول الفرع الأول لـ «م.م.ت - S.A.T» بـ «نانتير - Nanterre» تقريرا إلى (بابون - Papon) بعنوان: «تدمير المنظمة المتمردة» ضمنه مجموعة من الاقتراحات، من بينها: عدم وضع المشتبه بهم بالتعاون مع فدرالية جبهة التحرير في معتقلات فرنسية، لأنها، في اعتقاده، تستغل كمدارس حقيقية لتكوين الإطارات، وإنما ترحيلهم مباشرة نحو قراهم ومدنهم الأصلية. وفي الجزائر يتم تسليمهم إلى «ف.إ.م - S.A.S» المحلية للفصل في مصيرهم. ولم يتأخر (بابون - Papon) عن عرض هذه المقترحات على وزير الداخلية (ميشال دوبري - Michel Debré) وأقنعه بأن التعجيل بالترحيل النهائي إلى الجزائر سيدفع المهاجرين الجزائريين للاصطفاف إلى جانب فرنسا. وللتأكد

افتتح أبوابه في 21 جانفي 1959، ووضع تحت سلطة «م.ت.ش.ج - S.C.A.A» وتسييره إداريا «م.م.ف.ج.م.ت - S.A.T-F.M.A». وكان يأوي الجزائريين الذين أوقفوا في الطريق العام ويقتضي الأمر التحقيق بشأنهم، حيث يتم تسجيل بيانات كل المعتقلين في بطاقات خاصة تمكن من ضمان الرقابة على المهاجرين الجزائريين بمقاطعة «السين». وعند انتهاء التحقيقات يطلق سراح المعتقلين. أما الأشخاص محل شك فيوضعون تحت الإقامة الجبرية بقرار ولائي لمدة 15 يوما، مثلما تنص عليه أمرية 07 أكتوبر 1958، ثم يخلى سبيلهم. وفي حال ثبوت تهم أخرى ضدهم يتم فرض الإقامة الجبرية عليهم بمقار سكنهم مع تأشير أسبوعي بمحافضة شرطة الحي، أو ينقلون إلى مراكز للإقامة الجبرية، ويمكن أن يرحل بعضهم إلى الجزائر. Ibid, pp 85-9.

¹ - مثل مركز «نوجانت - Nogent» ومركز «بوجون - Beaujon». للمزيد من المعلومات حول مراكز الاعتقال في باريس ينظر:

Amiri (Linda), op cit, pp 84-89.

ينظر أيضا:

Emmanuel Blanchard, «L'internement avant l'internement Commissariats, centre de triage et autres lieux d'assignation à résidence (il)-légale» Matériaux pour l'histoire de notre temps 2008 /4 (N° 92), p. 8-14.

الباب الثاني: شبكات الدعم

من فعالية هذا الإجراء تقرر وضعه قيد التجريب بترحيل ألف شخص كمرحلة أولى، حيث يتم ترحيل من خمسة إلى ستة أشخاص يوميا على مدى ستة أسابيع لخلق شعور بالقلق العميق في نفوس المهاجرين الجزائريين ليكون هذا العقاب عبرة للجميع. وكان لهذه السياسة نتائج اقتصادية كارثية على العمال المهاجرين وعائلاتهم، إذ وجدت العديد من العائلات نفسها بلا دخل، وتجهل ما الذي حل بالأب أو الزوج الذي اعتقل ورحل إلى الجزائر¹.

ازداد القمع حدة وشراسة واشتد الحصار أكثر على المهاجرين الجزائريين في سنتي 1960 و1961 مع ظهور «ق.ش.م - F.P.A» المشكلة من «الحركي» والتي كثفت تدخلاتها العنيفة في الأحياء الآهلة بالسكان الجزائريين بهدف الكشف عن المسؤولين المحليين التابعين لفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا، اعتقال المتعاطفين معها أو وضعهم تحت طائلة الإقامة الجبرية، الحيلولة دون دفع الاشتراكات المالية الشهرية وتشجيع السكان على الانتظام في مجموعات للدفاع الذاتي². ويبدو أن المخطط الجديد تأثر بـ«مخطط شال» الذي كان يجري تطبيقه في الجزائر منذ 06 فيفري 1959³.

أما «مديرية مراقبة الإقليم - D.S.T» فلم تكن اقل نشاطا وقمعا من شرطة باريس والأجهزة المرتبطة بها في ملاحقة عناصر «ج.ت.و». وقد كانت وراء إجهاض المحاولات الأولى لتأسيس «فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا»، بدءا بمعظم فريق الفدرالية الأولى بقيادة (مراد طربوش)، مروراً بفريق (صالح لوانشي)، ووصولاً إلى فريق (محمد لبجاوي). ومع ذلك، وما ذكر (علي هارون)، فإنه كلما سقط رجل إلا وخرج آخر من الظل. وتقوم استراتيجية «دي.أس.تي - D.S.T» لتحديد نشاطات «ج.ت.و» بفرنسا على الاختراق ودس الجواسيس والمراقبة

1 - Ibid, pp 107-8.

2 - وصلت أول فرقة من «ق.ش.م - F.P.A» أو «الحركة - Harkis» من الجزائر إلى مرسيليا في 26 ديسمبر 1959، وكانت تتكون من 82 «حركي» تتراوح أعمارهم بين سبعة عشر إلى أربعين سنة على الأكثر.

Amiri (Linda), op cit, pp 97-8.

ينظر أيضا الفيلم الوثائقي الذي أخرجه (جاك بانيجال - Jacques Panijel)، وبرعاية «لجنة مورييس أودين - Comité Maurice Audin» و«حقيقة-حرية - Vérité-Liberté»، عن مظاهرات ومجازر باريس 17 أكتوبر 1961، بعنوان «أكتوبر في باريس - Octobre à Paris». وصور هذا الفيلم الوثائقي من أكتوبر 1961 إلى مارس 1962 في قلب الأحداث التي يرويها. ويتضمن شهادات حية لضحايا قمع الشرطة الفرنسية و«الحركي».

, consulté le 9 Juin 2016 à 12h50mn. <https://www.youtube.com/watch?v=PtO7P7SJgjs>

3 - يعتقد (الجنرال شال) أن كسب المعركة ضد «ج.ت.و» لا يتحقق إلا بتكثيف القمع وتعزيزه باستغلال المجندين والمتطوعين الجزائريين، واستمالة الجماهير الشعبية الجزائرية وإقناعها بالسير وراء مخطط الرئيس (ديغول) المتضمن في مشروع قسنطينة 1958.

Amiri (Linda), op cit, p 92.

الباب الثاني: شبكات الدعم

الشديدة للنشطاء وجمع المعلومات الكافية عن هوياتهم والأماكن التي يترددون عليها، لتلقي بشباكها عليهم¹. ويروي (روجي ويوت - Roger Wybot)² وبكثير من الغرور والمبالغة، الطريقة التي يستخدمها ضد فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا. ففي عمليات الاختراق ذكر: "طورت نظامي لاختراق شبكات «ج.ت.و» بواسطة عملائنا. الرجال الذين ندسهم في التنظيم المعادي، وعادة يكونون في مراكز ثانوية، نساعدهم للوصول تدريجيا إلى مراكز مهمة لدى المتمردين. نسمح لهم مثلا بتمرير الأسلحة والمال لـ«ج.ت.و». فمواكبهم السرية لنقل الأسلحة تكون دائما محمية من طرف «دي.أس.تي - D.S.T»، بينما نقل الأسلحة من القادة الآخرين يتم تعطيله ومصادرته. ولإبعاد أدنى شك عن مخبريهم يقول: "بموافقتنا وبالتعاون مع الجيش الفرنسي، يقوم عملائنا لدى «ج.ت.و» بتدبير عمليات وهمية لإضفاء عليهم حالة من المجد في نظر هيئة الأركان في القاهرة وتونس. في كل مرة كنا ننظم كل شيء بأنفسنا لإعطاء مصداقية كاملة للعمليات". ويدعي (ويوت - Wybot) بأنه يسيطر على الأوضاع وهو على علم بكل شيء، حيث يقول: "...، بمجرد قيام «ج.ت.و» بعملية، كنت أعرف من قام بها، وإذا أردت بإشارة واحدة يتم توقيف الفاعلين... لكن ما يهمني ليس هو اعتقال بعض الإرهابيين الجزائريين. في معظم الأحيان أتركهم يجرون قليلا وأراقبهم من بعد وأدون اتصالاتهم ومخابئهم. أسلوبهم هو القيام، من وقت لآخر بعمليات مدهامة لضرب تنظيمهم جزئيا. وأمكن عمدا البعض من الإفلات...". أما سياسته اتجاه القادة فتقوم على زرع الشك وتأليبهم ضد بعضهم البعض: "... أثناء بعض التوقيفات الواسعة أقوم بتسريح العناصر الأكثر تشددا، بحيث أضفي حولهم جو من الشك. ويتساءل أصدقائهم ويتعجب كيف أفلتوا بهذه السهولة؟، ثم يتم الإبلاغ عنهم من طرف عملائنا على أساس أنهم مخبرين للشرطة وهكذا يتم تصفيتهم باعتبارهم خونة..."³.

«قضية مراد - L'affaire Mourad» هي واحدة من عمليات الاختراق لـ «دي.أس.تي - D.S.T» لصقوف فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا وعلى أعلى مستوى. تمكنت «دي.أس.تي - D.S.T» من دس (يونيبي

¹ - Haroun (Ali), op cit, p 26.

² - (روجي فيبوت - Roger Wybot) واسمه الحقيقي (بول وارين - Paul Warin): هو عسكري فرنسي متخصص في الاستعلامات. مؤسس الـ«دي.أس.تي - D.S.T» وأول مدير لها من 1944 إلى 1958. , consulté <http://www.sfhf.fr/index.php?post/2012/01/05/Notice-biographique-Roger-Wybot> le 13-06-2016 à 00:15.

³ - Bernert (Philippe), Roger Wybot et la bataille pour la DST, Presse de la cité, Paris, 1975, pp 449-451.

الباب الثاني: شبكات الدعم

عبد الله¹، وهو الاسم الحقيقي ل(مراد) كجاسوس في صفوف فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا ومهدت له الطريق ليصل إلى المناصب الإدارية العليا للفدرالية. وحسب (محمد حربي)، فإن (بوشفة أرزقي)، وهو مكلف «ج.ت.و» على منطقة «مرسيليا» والمسؤول المباشر على (مراد)، أكد أن ملف هذا الأخير لا يحتوي على أي وثيقة تساعد على معرفة ماضيه قبل الانخراط في الجبهة، وأن «دي.أس. تي - D.S.T» جعلته ينقلب إما في فترة اعتقاله في أكتوبر 1957 وإما بعد إطلاق سراحه في جويلية 1958. بعد أن أصبح حرا وتعيينه على رأس عمالة الجنوب² قامت «دي.أس. تي - D.S.T» بعملية تطهير لصالحه، إذ اعتقلت (بوشفة أرزقي) ومعاونيه في شهر سبتمبر 1958، واعتقلت أيضا (دقسي محمد الطاهر)، قائد ولاية الجنوب، بعد الوشاية به، ليحل محله (يونس عبد الله). وبهذه الكيفية تقلد هذا الأخير مناصب عليا في تنظيم فدرالية الجبهة، وأصبحت شبكة فدرالية الجبهة بمرسيليا تحت مراقبة «دي.أس. تي - D.S.T». واعترف (يونس) نفسه بهذه الأفعال في إحدى شهاداته: "أفهمتي [الشرطة] بأنه منذ إطلاق سراحي. وجدت الطريق حرة لبلوغ مناصب المسؤولية العليا، وأن اعتقاله كان متاح في فرص عديدة، وأنا فعلت كل ذلك لتمكيني من الوصول إلى المستويات العليا، وأنها قررت إجباري على التعامل معها ومساعدتها³."

بفضل هذا التعاون تمكنت «دي.أس. تي - D.S.T» من تنظيم عمليات ضد فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا. ففي بداية شهر نوفمبر 1961 نفذت «دي.أس. تي - D.S.T»، وبالتعاون مع ضباط من محافظة باريس، عمليتين كبيرتين ضد فدرالية «ج.ت.و». الأولى: يوم 4 نوفمبر وأدت إلى اعتقال العديد من الأشخاص جزائريين وفرنسيين⁴ والاستحواذ على كتلة من وثائق فدرالية الجبهة، والتي تم تحويلها إلى أرشيف محافظة الشرطة. أما العملية

1 - كان ل(يونس عبد الله) عدة أسماء مستعارة منها (مراد)، (شارل - Charles)، (فابيان - Fabien) وغيرها. وهو من مواليد 15 فيفري 1930 بـ«زيام منصورية» في مقاطعة قسنطينة. وظف كإطار دائم في فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا بعد خروجه من السجن في جويلية 1958، بعد أن قضى فيه عشرة أشهر بتهمة المساس بأمن للدولة

Mohammed Harbi, «Histoire d'une infiltration de la DST dans le FLN : l'affaire Mourad», colloque pour une histoire critique et citoyenne. Le cas de l'histoire fraco-algérienne, 20-22 juin 2006, Lyon, ENS LSH, 2007,

=230 http://ens-web3.ens-lsh.fr/colloque/france-algerie/communication.php3?id_article

2 - ذكرنا سابقا أن التقسيم السياسي الإداري الذي وضعته فدرالية «ج.ت.و» لفرنسا وبعض البلدان الأوروبية المجاورة كان كما يلي: الولاية، العمالة، المنطقة، الناحية، القطاع، القسم، الفرع والخلية.

ينظر: Haroune (Ali), op cit pp 51-3

3 - Mohammed Harbi, «Histoire d'une infiltration de la DST dans le FLN : ...», op cit.

4 - من المعتقلين كان (عبد الرحمان فارس)، الذي أصبح فيما بعد رئيس الهيئة التنفيذية التي تولت تسيير المرحلة الانتقالية

الباب الثاني: شبكات الدعم

الثانية فقد وقعت في ليلة 9 إلى 10 نوفمبر تم خلالها القبض على معظم القادة الفدراليين لباريس وضواحيها، وكذا العديد من الفرنسيين الذين كانوا ينشطون ضمن شبكة الدعم اللوجستي للثورة والمعروفة باسم «حملة الحقائق - Les porteurs de valises»، وسيأتي الحديث عنهم لاحقاً، إضافة إلى مصادرة كتلة ضخمة من الوثائق¹. والنجاح الذي حققته تلك العمليات لم تمنع من وجود ثغرات في إدارة الاختراق وأفضت في الأخير إلى كشف عمالة (يونس). ففي السداسي الأول من 1962 صادرت «دي.أس. تي - D.S.T» من تنظيم فدرالية الجبهة في منطقة باريس، والتي يقودها (مخد أكلبي بن يونس)، مبلغ 543 مليون فرنك قديم. الظروف التي تمت فيها مصادرة الأموال والقبض على الوسطاء الفرنسيين مع (بن يونس) لفتت انتباه المسؤولين الفدراليين. فقد لاحظ (عمار العدلاني) مسؤول التنظيم ونوابه في باريس بأن عمليات التفتيش كانت تحدث في المقرات المعروفة من (يونس)، وأن الأموال المنقولة من «ليون - Lyon»، التي كان (يونس) مسؤولاً عليها، كانت دائماً تصادر في باريس، وليس أبداً في «ليون» أو خلال تحويلها إلى باريس. كل هذه المعطيات أوصلت إلى كون (يونس) عميل للشرطة. إضافة إلى ذلك فقد كانت سيرته الأخلاقية محل شبهة²، ونزاعاته مع مسؤوليه حول المبالغ الناقصة من الأموال المحولة إلى باريس، لم تكن في صالحه. وبعد وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962 وتسريح مسؤوليه

بين التوقيع على وقف إطلاق النار بين الجزائر وفرنسا في 18 مارس 1962 وإجراء استفتاء تقرير المصير في 1 جويلية 1962، وكان معه أيضاً (فرانسوا بودرييار - François Baudrillard) و(جان ماري لوكيتي - Jean-Marie Licuti) والذان كانا يدعمان الجبهة ضمن شبكة تحويل أموال الاشتراكات إلى خارج فرنسا.

Neil MacMaster, Jim House, « **La fédération de France du FLN et l'organisation du 17 octobre 1961** », *Vingtième Siècle. Revue d'histoire* 2004 /3 (n° 83), p. 145-160.

¹ - ينظر شهادات بعض أعضاء شبكه «حملة الحقائق» الذين ذكروا (يونس) عبد الله بالاسم في:

Charby (Jacques), *Les porteurs d'espoir : les réseaux de soutien au FLN pendant la guerre d'Algérie, les acteurs parlent*, Chihab Editions, Alger, 2004, p66 et 68-73.

² - تلقى المكتب الفدرالي لفدرالية «ج.ت.و» وبطلب منه، وفي إطار التحقيق الذي باشره عضو المكتب الفدرالي: (عمار العدلاني) و(علي هارون) حول (يونس) عبد الله بعد انكشاف أمره، تقارير من أشخاص عملوا مباشرة تحت إمرة (يونس) يشكون من سلوكياته المنافية للأخلاق والمبادئ الأخلاقية التي ألزمت «ج.ت.و» مناضليها بها. ففي تقرير من «مرسيليا» مؤرخ في 31 ماي 1962 يروي زوج مناضلة، تنتمي إلى الخلايا النسوية، كيف أن (مراد) الذي كان يحضر الاجتماعات النسوية في مقاطعته، ساوم زوجته في شرفها، وكان حينها في السجن. وفي تقرير آخر مؤرخ في 4 جوان 1962 حرره المدعو (عمار أمّنة) يقول فيه أنه عندما تم نقله إلى «ليون - Lyon» في 6 فيفري 1962 التقى مساء ذلك اليوم بـ(مراد)، وكان يعرفه باسم (فابيان - Fabien)، واضطر إلى قضاء الأمسية عند طالبات في مسكن (مراد). وقد تحدثت تلك الطالبات عن بعض السلوكيات من (مراد) والتي لا تليق بمسؤول مثله ومدى الضرر الذي يمكن أن تسببه للقضية الوطنية مثل تلك الأعمال. وذكر أيضاً أنه اضطرهم إلى احتساء الخمر، بحجة اختبار مدى قدرتهم على تحمل تأثير المشروبات الكحولية. فشرّبوا حتى الثمالة وبالتالي أمضى الجميع الليلة في مسكن مراد.

ينظر الملحق 1 و2 في:

Mohammed Harbi, « Histoire d'une infiltration de la DST dans le FLN : ... », op cit.

الباب الثاني: شبكات الدعم

ومعاونيه من السجن، تمكنت إدارة الفدرالية من الحصول على عناصر أساسية للتحقيق الذي تكفل به عضوا المكتب الفدرالي (عمار العدلاي) و(علي هارون)¹.

واصل (مراد) التعاون مع «دي.أس. تي - D.S.T» إلى وقت قريب من وقف إطلاق النار، حيث أسندت له مهام جديدة. ولتنفيذها على أكمل وجه طلب في 4 مارس إحالته على الاستيداع بحجة الالتقاء بزوجه في تونس، حيث مكث هناك من الأسبوع الثاني من شهر أفريل إلى غاية 2 ماي. وخلال إقامته هناك أجرى العديد من اتصالات، والتي تدخل ضمن مهمته الجديدة، وبشكل خاص مع ابن المدينة التي ينحدر منها «جيجل»، (محمد الصديق بن يحيى)، أحد المفاوضين الأساسيين في محادثات «إيفيان». كان (مراد) في تونس يحاول جمع معلومات حول التوجهات الجديدة لـ«ج.ت.و»، والتحقق من احتمال وجود سجناء فرنسيين لدى جيش التحرير الوطني. وبعد عودته من تونس تم استدراجه من (محمدي صادق)، مراقب الولاية الرابعة بشمال فرنسا، حيث دعاه إلى لقاء مع (عمار العدلاي). وفي السيارة فهم أن مغامرته وصلت إلى نهايتها وأن مصيره قد حُدد. وقد حاول عديد المرات الإفلات لكن دون جدوى، كما حاول الانتحار. وفي التحقيقات عمد إلى التضييل، واستمر على هذه الحال لمدة شهر ليجد نفسه في آخر المطاف مجبرا على الاعتراف لكثرة الأدلة ضده.

في اعترافاته أقر بأن الشرطة كانت تريد أن تعرف منه عدد المنخرطين في صفوف الفدرالية، حجم الأموال المجموعة، هوية ومساكن الإطارات الفدرالية والتبليغ عنهم، أعضاء شبكات الدعم، مخازن الأموال، الأسلحة وآلات الطبع، مسؤولي المنظمة العسكرية (لوص - l'O.S)، والتوجه العام لسياسة «ج.ن.و». كما اعترف بتحويل الأموال، لكنه قلل من شأن تهمة رشوة زوجات المعتقلين. وفي 28 جوان 1962 تم النطق بحكم الإعدام في حقه. وهكذا فقدت «دي.أس. تي - D.S.T» واحد من أهم عملاءها². لم تكن قضية (مراد) الحالة الوحيدة التي عملت «دي.أس. تي - D.S.T» من خلالها على اختراق فدرالية الجبهة، بل هناك حالات أخرى، كالمحاولة الفاشلة التي وقعت في 1958 لاستخدام (صافي بوديسة)³، وهو قائد لـ«الصدّاقة العامة للعمال

¹ - Ibid.

² - Ibid.

³ - (بوديسة صافي): من مواليد 22 أوت 1929 بـ«جريفيل - Geryville»، «البيض» حاليا. هاجر إلى فرنسا في 1948 واشتغل في مصنع «بيوجو - Peugeot» للسيارات بمدينة «سوشو - Sochaux». بعد انضمامه لـ«ج.ت.و» أصبح أمينا عاما لـ«الصدّاقة العامة للعمال الجزائريين - A.G.T.A»، ثم أصبح عضوا في البعثة التنفيذية لـ«الاتحاد العام للعمال الجزائريين - U.G.T.A» بتونس. بعد الاستقلال عين وزيرا للشغل في 2 ديسمبر 1964.

الباب الثاني: شبكات الدعم

الجزائريين»¹، كجاسوس، لكن (بوديسة) أعلم إدارة الفدرالية بوضعيته فقررت تحويله إلى تونس ويرى (محمد حربي) أن إدارة الفدرالية لم تكن يقظة بالقدر الكافي حيال محاولات الـ«دي.أس. تي - D.S.T» لاختراقها، ولم تتعامل مع المسألة بجديته. وحسب (سعيد بوعزيز)، مسؤول «المنظمة الخاصة»، الجناح العسكري لـ«ج.ت.و» بفرنسا وعضو في الإدارة، فإن بطء التعامل مع قضية (مراد)، رغم التحذيرات المتكررة للمناضلين، كان له نتائج مدمرة بالنظر إلى عدد المعتقلين والحجم الهائل من الوثائق والأموال التي تم حجزها².

لم تقتصر العمليات الأمنية ضد فدرالية «ج.ت.و» على التراب الفرنسي فقط بل امتدت إلى خارجه، خاصة في أوروبا الغربية، وبالتحديد البلدان المجاورة: في ألمانيا الغربية، سويسرا، بلجيكا، إيطاليا، الأراضي المنخفضة وغيرها. وإذا كان نشاط الـ«دي.أس. تي - D.S.T» يتم ضمن حدود التراب الفرنسي، فإن العمليات خارج الحدود هي من صلاحيات «مصلحة التوثيق الخارجي والجوسسة المضادة - S.D.E.C.E»³. وقد تأثرت سياسة الحكومات الفرنسية المتعاقبة وغير المستقرة منذ 1954⁴ في محاربة «ج.ت.و» في الخارج بأجواء «الحرب الباردة»، حيث وجدت مصالح الاستخبار نفسها في قلب الحرب، وكان الجيش الفرنسي يمر بحالة من الشك في قدرته على مواجهة التحديات، خاصة بعد النكسة التي أصيب بها في معركة «ديان بيان فو» بالهند الصينية في 7

consulté le <http://ksarchellala45.blogspot.com/2011/10/el-hadj-safi-boudissa-biographie.html>
21 Juin 2016 à 20:40.

ينظر أيضا: <http://maitron-en-ligne.univ-paris1.fr/spip.php?article152167> consulté le 21 Juin 2016 à 20:40.

¹ - «الصداقة العامة للعمال الجزائريين - A.G.T.A» تأسست في 21 فيفري 1957 في فرنسا. وهي نقابة عمالية تابعة لـ«ج.ت.و» وذات صلة بالنقابات العمالية الفرنسية خاصة «الكفدرالية العامة للعمال - C.G.T.» =

Simon Jacques, **L'Amicale des Algériens : la police politique du FLN en France**, Le Matin d'Algérie [en ligne], 31 Janvier 2012. Consulté le 21 Juin 2016 à 22:45.

² - Mohammed Harbi, «Histoire d'une infiltration de la DST dans le FLN : ...», op cit.

³ - «مصلحة التوثيق الخارجي والجوسسة المضادة - Service de documentation extérieur et contre espionnage» هي مصلحة فرنسية للاستعلام الخارجي. تأسست في 28 ديسمبر 1945، وتغير اسمها إلى «المديرية العامة للأمن الخارجي - Direction Générale de la Sécurité Extérieure» في 2 أبريل 1982. في ظل الجمهورية الرابعة كانت ملحقة مباشرة بالوزير الأول، وفي الجمهورية الخامسة ألحقها الرئيس (ديغول) إلى وزارة الجيوش. استخدمها الوزير الأول (ميشال دوبري - Michel Debré) ضد «ج.ت.و» في الخارج.

Claude Faure, «Bref historique des services de renseignement et de sécurité français contemporains», *Revue historique des armées* [En ligne], 247| 2007, mis en ligne le 01 août 2008, consulté le 23 juin 2016. URL : <http://rha.revues.org/1843>

⁴ - بين 1954-1958 تغيرت الحكومة في فرنسا خمس مرات، وهذا يدل على عدم الاستقرار السياسي. ويعد المشكل الجزائري السبب الرئيسي في السقوط المتتالي للحكومات.

الباب الثاني: شبكات الدعم

ماي 1954. في ظل هذه الأوضاع جنحت الحكومة الفرنسية إلى العنف لإزاحة وتصفية قادة الجبهة في الخارج، من دون أن تتورط في المسألة بطريقة مباشرة. ومن هنا قررت «م.ت.خ.ج.م - S.D.E.C.E» تنفيذ عملياتها أو بالأحرى مهماتها القذرة بالتستر وراء منظمة «اليد الحمراء»¹. وبموافقة وبمباركة من (غي مولي - Guy Mollet) الوزير الأول، (فرانسوا مثيران - François Mitterand) ووزير العدل، (موريس بورجيس مونوري - Maurice Bourges-Maunoury) وزير الدفاع، و(جان جيلبار - جول - Jean Gilbert-Jules) وزير الداخلية، وفيما بعد من حكومة (ميشال دوبري - Michel Debré) أول رئيس وزراء للجمهورية الخامسة الذي أعطى البطاقة البيضاء من أجل اغتيال رجال ونساء في الجزائر وفرنسا وأوروبا، وتحويل أو تدمير طائرات وسفن².

على التراب الفرنسي وقعت كل شبكات دعم الثورة التحريرية المحلية، وتلك التي لديها امتدادات في أوروبا الغربية في شراك الشرطة و«دي.أس.تي - D.S.T» وتم إحالة أعضائها إلى المحاكمة. ولعل محاكمة عناصر «شبكة جانسون» هي أكثر المحاكمات شهرة بالنظر إلى التغطية التي حظيت بها من مختلف وسائل الإعلام في فرنسا وخارجها. وتأخرت وزارة الداخلية في الإعلان عن كشف الشبكة، وكان لا بد من انتظار 24 فيفري 1960 حتى يصدر بيانا رسميا تعلن فيه عن موجة الاعتقالات الأولى لأعضاء من شبكة (جانسون). وبذلك انتقلت الشبكة من السرية والعمل في الظل، إلى الشهرة والتشهير، إذ تصدر الخبر الصفحات الأولى للجرائد خاصة جريدة «فرانس سوار - France Soir» و«باريس بريس - Paris-Press»، وهذه الأخيرة نشرت عبر ثمانية أعمدة أسماء وصور لمعتقلين تحت عنوان «هاهم باريسيو الأفلان - *Voici les Parisiens du F.L.N*»، حيث جاء في الخبر: «الشرطة أوقفت عشرة باريسيين مأجورين لجبهة التحرير الوطني من بينهم: أساتذة، وفنانين وتقنيين في الإذاعة والتلفزيون الفرنسي»³.

بقدر ما يعبر تفكيك شبكات الدعم على نجاعة وفعالية المصالح الأمنية الفرنسية فإنه يعبر أيضا عن تعقد المسألة على الحكومة الفرنسية، إذ كشفت الاعتقالات والمحاكمات أن المواجهة لم تعد قائمة بينها وبين الجزائريين

1 - ذكرنا في هامش سابق أن اليد الحمراء أسسها مستوطنون متطرفون لتصفية رموز الحركة الوطنية في تونس والمغرب، حيث تم اغتيال عدد من الوطنيين التونسيين ومن أهمهم الزعيم النقابي (فرحات حشاد) في 5 ديسمبر 1952 والقيادي في الحزب الدستوري التونسي (الهادي شاكر) في سبتمبر 1953 كما اغتالت الطبيب (عبد الرحمن مامي) في 13 جويلية 1954.. وفي 1957 قام (بول غاستون - Paul Gaston) مدير «م.ت.خ.ج.م - S.D.E.C.E» بين 1957-1959 بإعادة تفعيل الوحدة وتطوير طريقة العمل بها. وقد تم تعيين (كونستونتين ملنيك - Constantin Melnik) على رأس الوحدة وأصبحت أهدافها اغتيال رموز ومؤيدي «ج.ت.و».

2 - ينظر التذييل الذي وضعه (باسكال بلونشار - Pascal Blanchard) لكتاب:

Daeminickx (Didier), La Main Rouge, bande dessinée, dessins de Makowski (Lionel), postface de Pascal Blanchard, collection Arrêt sur l'Histoire, AD Libris Editions, Paris, 03 septembre 2013.

3 - Paris-Press, N° 4731, Samedi 27 Fevrier 1960.

الباب الثاني: شبكات الدعم

فقط، وإنما مع قسم من المجتمع الفرنسي ومن العيار الثقيل وهم أهل الثقافة، الفن والفكر. ويكفي أن نورد مثالا لنبيين المكانة التي يحض بها هؤلاء داخل المجتمع الفرنسي وحتى في خارج فرنسا ويتعلق الأمر بالفيلسوف (جان بول سارتر - Jean-Paul Sartre)، الذي تجنب (ديغول - De Gaulle) تسليط العقوبة عليه مثلما فعل مع الموقعين على بيان 121، ورد على الذين يطلبون بسجنه، بأنه لا يمكن سجن (فولتير - Voltaire)، وهذه إشارة إلى أن (سارتر) هو أحد رموز الثقافة لفرنسا¹. ورأت جريدة المجاهد الصادرة باللغة الفرنسية أن "الدعاية التي أحاطت بهذه القضية [قضية «شبكة جانسون»] والشخصيات المتهمه فيها، كان لها، على قسم كبير من الراي العام الفرنسي، نتائج عكسية لما كان منتظرا منها: أساتذة، فنانون ومناضلون جاءوا من كل آفاق اليسار اختاروا مساعدة الجزائريين والتعرض بالتالي إلى مخاطر معتبرة، وهذا ما دفع عدد كبير من الأشخاص إلى إعادة النظر في موقفهم اتجاه الثورة الجزائرية"². وفي مكان آخر من المقال أوضحت الجريدة أن: "حكومة «دوبري - Debré» تحولت إلى عامل دعاية لأعداء الحرب والنظام. وأن هذه الدعاية آتت أكلها، في فرنسا، رجال ونساء من اليسار، بعد أن فهموا الطابع الثوري لكفاح الشعب الجزائري، وأن هذا الكفاح يعني الشعب الفرنسي كله، أخذوا قسطهم من الكفاح المناهض للاستعمار"³.

زيادة على تفكيك شبكات دعم الثورة الجزائرية وإحالة أعضائها إلى المحاكم، في المحاكم العسكرية، وقع اتفاق بين الحكومة الفرنسية وجرائد السلطة العسكرية، على وصف هؤلاء بالخونة، الذين بدعمهم المالي واللوجستي للمناضلين الجزائريين، تسببوا في قتل عشرات الجنود الفرنسيين وعناصر الشرطة. إنها بمثابة طعنة في الظهر. أما (جانسون) فقد كان هدفا لكبريات الصحف، التي اتفقت على تشويه سمعته وشيطنة أفكاره، التي حسبهم، تدعو الشباب إلى العصيان والتمرد وهو بهذا الفعل يكون قد خان ثقة المجتمع فيه لأنه يقود الشباب إلى "طريق غير سوي". وعلى ما يبدو فإن (جانسون) كان له آلاف الأتباع في صفوف الطلبة الجامعيين والجنود، وهذا يدل على القدرة والبراعة التي يتمتع بها (جانسون) في الإقناع بأفكاره ومبادرته⁴.

في أوروبا الغربية تصدت المخابرات الفرنسية الممثلة في «أس.دي.أو.سي. أس - S.D.E.C.E» لنشاط شبكات دعم «ج.ت.و» خاصة المتخصصة في تجارة السلاح، والتي تقدم مساعدات تقنية لورشة صنع الأسلحة للجزائريين بالمغرب. ويمكن أن نقرأ عشرات التقارير والمعلومات حول هذا النشاط. ولعرقلة تلك النشاطات وإبطالها نفذت المخابرات الفرنسية، تحت غطاء المنظمة المسماة «اليد الحمراء» عمليات تفجير ضد حملات

1 - طالب (مناد)، الفكر السياسي عند جان بول سارتر والثورة الجزائرية (1954-1962)، دار خطاب، الجزائر 2007، ص 280.

2 - L’Affaire du réseau Jeanson. El Moudjahid, V 3, n° 69 du 8 septembre 1960, p 203.

3 - Ibid, p 204.

4 - Ulloa (Marie-pierre), op cit, p 204-205.

الباب الثاني: شبكات الدعم

الأسلحة والأشخاص المرتبطين بالدعم التقني. يضاف إلى هؤلاء الأشخاص الذين تم اغتيالهم بالطرود المفخخة أو رميا بالرصاص، لأن ذنبهم الوحيد أنهم آمنوا بحق الجزائريين في الاستقلال وقدموا ما في مقدورهم للمساهمة في تحقيق ذلك¹.

تطلعنا عشرات البطاقات التي تحتوي على عشرات المعلومات عن شبكات نقل الأسلحة لفائدة جيش التحرير الوطني من أوروبا الغربية إلى المغرب وتونس، حررتها المخابرات الفرنسية. نقرأ في إحداها أن "محيط حاكم طنجة [المغرب الأقصى] ذكر أن «ج.ت.و» في انتظار ثلاث سفن ألمانية تنقل أسلحة"². وفي بطاقة ثانية نقرأ أيضا أن: "جهاز مرقم Y.G-ATY تابع لشركة «دانيير - Danair» وصلت إلى الدار البيضاء في 3 فيفري قادمة من لندن عبر مدريد. هذا الجهاز ينقل 70 صندوق من حجم 25 x 40 x 80 سم تقريبا"³. فيما نقرأ في نفس البطاقة أن: "الحاوية الإيطالية «فيكتوريا - Victoria» تنقل حاليا، من «تريستيا - Trieste» إلى تونس، 3 آلاف قبعة زائد معدات مختلفة من بينها جهازي ضغط من نوع «فروكورني - Frokorny» من فرانكفورت. كل هذه المعدات قادمة من ألمانيا الغربية. والمرسل هو (ندير) أو (عبد القادر بن عمار)". وفي آخر المعلومة توجد ملاحظة تشير أن ندير هو (بلغاشي عبد القادر) المدعو (بن غبريط ندير) وهو مسؤول مصلحة التموين في المبالغ (M.A.L.G)⁴. وتتمتع لهذه المعلومات أضافت معلومة مكملتها أنه في 14 فيفري 1961 اعترضت البحرية الفرنسية الحاوية الإيطالية في عرض البحر عند «بونا - Bona» [عصابة حاليا] من أجل مراقبة الوثائق على متن الحاوية. واتضح أن البضائع والمعدات مرسلات من «أ دار ألكسندر بليت - Maison Alexander Billite» ومقرها فرانكفورت بألمانيا⁵.

أما مراقبة شبكات الدعم ذات الطابع التقني نذكر على سبيل المثال المعلومة رقم 16 التي تقول أن جزائري يدعى (حاري قاسم)، القادم مؤخرا إلى «تطوان» بالمغرب الأقصى، يكون قد كُلف من لجنة «تطوان» التابعة لـ«ج.ت.و» بتوظيف تقنيين راديو أسبان من الأوساط الجمهورية يعرفون اللغة الفرنسية أو العربية. وسيتم عرض عقود لمدة سنة مع مكافآت معتبرة⁶. وفي نفس الموضوع نتحدث المعلومة رقم 26 عن مصادر جزائرية أن الغالبية

1 - ينظر الفصل الثاني من الباب الأول.

2 - 1 H 1753, Fiche B. 54, rens 2, n° 26: **Attente par le F.L.N de 3 bateaux allemands transportant des armes**, le 4 janvier 1961, p 1.

3 - Ibid, rens 9, n° 68: **Trafic suspect en provenance d'Angleterre**, le 6 février 1961, p 2.

4 - Ibid, rens 8, n° 126: **Transport de 3000 casques et matériels divers du cargo « Victoria »**, le 4 février 1961, p 2.

5 - Ibid, rens 22, n° 1732: **cargaison à bord de « Victoria »**, le 9 mars 1961, p 4.

6 - Ibid, rens 16, n° (41664/A): **recrutement de techniciens radio espagnols**, le 27 février 1961, p 3.

الباب الثاني: شبكات الدعم

العظمى للمكونين المتواجدين في مخيمات التدريب بمنطقة «الناصور» ألمانين. هذه المسألة كانت محل متابعة لمعرفة ما إذا كانوا من الجنود الفارين من الليف الأجنبي أو مكونين جاءوا مباشرة من ألمانيا الغربية أو الشرقية¹.

هذه النماذج من المعلومات والتقارير لمتابعة نشاط شبكات الدعم هي التي اعتمدت عليها «اليد الحمراء» لتنفيذ عملياتها الإجرامية على سفن، مراكب وشخصيات: السفن، مثلما حدث مع «برويا رويلا - Bruja»، «Roya»، «إيما - Emma»، «أطلس - Atlas»، «تيفون - Typhoon»...، والشخصيات مثلما حدث مع (جورج جايزير - Georges Geiser)، (مارسيل ليوبولد - Marcel Léopol)، (جورج بوشار - Georg Puchert)، (جورج لبارش - Georges Laperches) إلخ...².

2 - موقف الحزب الشيوعي الفرنسي

لم تشكل مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي من الثورة الجزائرية صداعا حاد للجزائريين فحسب، بل أيضا لجزء من اليسار الفرنسي المناهض للاستعمار. فكلاهما كان ينظر للحزب الشيوعي الفرنسي كحزب كبير، قوي، له القدرة على تجنيد الطبقة العمالية والتأثير عليها، وقائد الحركات التقدمية ضد الإمبريالية العالمية. ورغم اعتراف الحزب بـ«ج.ت.و» كممثل وحيد للشعب الجزائري إلا أنه رفض الانضمام، بصورة صريحة، إلى جانب دعاة الاستقلال، وهدد أتباعه من الفرنسيين بسحب بطاقة العضوية في حال تقديم أي دعم لـ«ج.ت.و» دون إطلاع الحزب³. والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو: ما الأسباب التي تدفع الـ«ح.ش.ف» إلى تبني هذا الموقف المتعارض مع المبادئ اللينينية التي يدعو إليها؟

في الجانب الجزائري نشرت فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا في 15 فيفري 1958 وثيقة بعنوان: "الحزب الشيوعي الفرنسي والثورة الجزائرية - Le PCF et la révolution algérienne"⁴ وتضمنت تشهيرا عنيفا للسياسة الجزائرية الـ«ح.ش.ف»، وتتهمه بعدم التصرف بما يتماشى مع المبادئ التي يعلن عنها: العالمية والدعم اللامشروط لكفاح الشعوب المستعمرة ضد الإمبريالية.

أوضحت الوثيقة أنه منذ اللحظات الأولى من انطلاق الثورة التحرير الوطنية في أول نوفمبر 1954 أبدى الحزب الشيوعي الفرنسي موقفا رافضا لاستقلال الجزائر. ففي 8 نوفمبر 1954 نشر الحزب إعلانا أدان فيه

¹ - Ibid, rend 26, n° 601: Instructeurs allemands dans la région de Nador, le 9 mars 1961, p 5.

² - ينظر الفصل الثاني من الباب الأول.

³ - Ulloa (Marie-Pierre), op cit, p 162.

⁴ - نشرت جريدة «El Moudjahid» النص الكامل لهذه الوثيقة في العدد 21 ليوم 1 أفريل 1958 في جزئه الأول، وفي العدد 22 ليوم 16 أفريل 1958 في جزئه الثاني.

الباب الثاني: شبكات الدعم

العمليات التي نفذها المجاهدون الجزائريون ليلة الفاتح من نوفمبر 1954، واعتبرها أعمالاً فردية لا تخدم في شيء مصلحة الجزائريين، ومصلحة الطبقة العمالية، التي أكد الحزب مساندة الطبقة العمالية الفرنسية لها في كفاحها ضد القمع ومن أجل الدفاع عن حقوقها¹. وعلق (ليون فييكس - Léon Feix)، عضو اللجنة المركزية والمكتب السياسي للـ«ح.ش.ف»، على هذا الموقف في مقال نشره في مجلة «كايي كومينيست - Cahier Communiste»، التي تصدرها اللجنة المركزية للـ«ح.ش.ف». كما يلي: «الشيوعيون يحذرون الطبقة العمالية والعامّة من أولئك الذين يريدون أن يجعلونهم ينحرفون عن هدفهم الأساسي أو إضعافهم في كفاحهم بالسقوط في فخ الخصم أو تسهيل عملياته بأي طريقة كانت»².

وذكرت الوثيقة عدداً من المواقف المخزية للـ«ح.ش.ف»، التي لا تشرفه ولا تشرف المبادئ الماركسية الليبرالية التي يؤمن بها، ومنها رفض الاعتراف بكفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال، التعامل بسلبية مع الوقائع التي تتطلب تضامناً غير مشروط مع الشعوب المستعمرة، الانعدام شبه الكلي للتضامن مع العمال الجزائريين المهاجرين في فرنسا، إذ لم تساند المنظمات العمالية أي عمل أو مظاهرة للعمال الجزائريين، إلا لفضيا، ولم تقم بشيء ضد القمع اليومي الذي يتعرضون له، ومن ذلك فيام الشرطة الفرنسية بتوقيف نفايين جزائريين وترحيلهم عنوة إلى الجزائر. وهذا الحدث لم يحض سوى بأسطر قليلة ومحتشمة في جريدة «لومانيي - L'Humanité». يضاف إلى ذلك معارضة المظاهرات العمالية التي انتضمت في مدينة «غرونوبل - Grenoble» ضد ذهاب الجنود الذين أُعيد استدعاءهم للتجديد في الجزائر، حيث وصفتهم «لومانيي - L'Humanité» بـ«إستفزازي غرونوبل - Les provocateurs de Grenoble»، هذا في الوقت الذي كان عليها توجيه نداء لتوسيع حركة تمرد الجنود الذين أجبروا على الذهاب للقتال في الجزائر من أجل الدفاع عن الامتيازات الاستعمارية، وتجاهل لفترة طويلة موقف أولئك الجنود من أمثال (ألبان ليشتي - Alban Liehti)، الذين رفضوا حمل السلاح ضد الشعب الجزائري. وفوق كل ذلك تصويت الحزب على قانون «السلطات الخاصة - Les pouvoirs spéciaux» في 12 مارس 1956 والذي أدى إلى تفاقم الحرب ومآسيها في الجزائر³.

أما من الجانب الفرنسي فقد أدى موقف الـ«ح.ش.ف» المتحفظ بخصوص مساندة كفاح الشعب الجزائري إلى حدوث انشقاقات داخل الحزب، حيث اتهم المنشقون قيادة الحزب بالانحراف عن الإيديولوجية التي يؤمن

¹ - Le parti communiste français face à la révolution algérienne, El Moudjahid, V 1, n° 21, le 1er avril 1958, p 400.

² - Léon feix, Les communistes et la lutte nationale du peuple algérien. Cahier communiste, n° 2, février 1955.

³ - Le parti communiste français face à la révolution algérienne, El Moudjahid, V 1, n° 22, le 16 avril 1958, p 401.

بها¹. والأسوأ من ذلك فإن الحزب الشيوعي أدان بشدة أولئك الرفاق الذين يناضلون في صفوف شبكة (جانسون)، حتى أنه خيرهم بين حمل حقائب جبهة التحرير أو فقدان بطاقة العضوية في الحزب، ففضل البعض عدم الإذعان لتهديدات الحزب وتأسفوا لنذالة موقف الشيوعيين الفرنسيين من الحرب في الجزائر بل قاموا بالانشقاق عنه، مثلما فعلت (هلين كوين- Hélène Cuénat) التي ذكرت أن: "التصويت على السلطات الكاملة [وتقصد السلطات التي منحها البرلمان الفرنسي للجيش] أدهشني، وكبقية رفقائي كنت جد ناقمة على هذه الحرب. واستقلال الجزائر، كان يبدو لي هو الحل العادل. و(غي مولي) أعلن بوضوح أنه لا مجال للتعاطي مع الجزائر بنفس الكيفية التي تمت مع المغرب وتونس: الاستقلال ليس أمرا واردا"². أما الطيبة (أنيت روجي- Annette Roger) فقد تبرأ منها الحزب بعد توقيفها من الشرطة لنقلها مسؤول فدرالية «ج.ت.و» لمنطقة مرسيليا (محمد طاهر دقسي) المدعو (الزوير)، حيث كتب (بيار دواز- Pierre Doize)، وهو نائب شيوعي عن منطقة الـ«بوش دي رون- Bouches-du-Rhône» يقول: "إذا كانت السيدة أنيت روجي في وقت ما عضو في الحزب، فهي اليوم ليست كذلك منذ مدة، لكونها فامت بعمل لحساب جبهة التحرير لم يسمح به ولن يسمح به أبدا الحزب الشيوعي الفرنسي. إن عمل كهذا يتنافى والخط السياسي للحزب ومع أهدافه وكذا طريقه"³.

كان (فرانسيس جانسون- Francis Jeanson) يرى أن موقف الـ«ح.ش.ف» من الثورة التحريرية ترك فراغا كبيرا، وحرّم الشيوعيين من ممارسة قناعتهم اتجاه ما يحدث للجزائريين على يد فرنسا الاستعمارية. لذلك قرر ملء هذا الفراغ السياسي بتأسيس شبكة لدعم كفاح الشعب الجزائري، وكان يتمنى أن توافق إدارة الـ«ح.ش.ف» على نشاط المناضلين الشيوعيين في صفوف شبكته. وكان هؤلاء منقسمين بين الوفاء للخط الإيديولوجي الذي سطره الحزب وبين الاستجابة لقناعتهم التي تدعوهم إلى مساندة «ج.ت.و». من أجل ذلك انتظمت لقاءات عديدة بين (جانسون) ومسؤولين في الـ«ح.ش.ف» وفي مقدمتهم (لوران كازانوف- Laurent Casanova) و(فالديك روشي- Waldeck Rochet) بهدف إيجاد أرضية للعمل المشترك. وخلال اللقاءات ألح (جانسون) على ضرورة أن يعلن الحزب التزامه بمناهضة الفاشية ومساندة استقلال الجزائر، ولا يكتفي بالشعار الذي تعود على رفعه، والذي يدعو إلى «إحلال السلم في الجزائر» لأنه لم يعد يفني بالغرض. وكان (جانسون) يأمل أن تفضي هذه اللقاءات إلى اتصالات مباشرة بين المسؤولين الجزائريين ومسؤولين في الـ«ح.ش.ف»⁴.

1 - زبير رشيد، موقف أحزاب اليسار الفرنسية من القضية الجزائرية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 9، 2013، ص 146.

2 - Ulloa (Marie-Pierre), op cit, p 162.

3 - Haroun (Ali), op cit, p 298.

4 - Ulloa (Marie-Pierre), op cit, p 162.

لم تسفر اللقاءات بين (جانسون) ومسؤولي الـ«ح.ش.ف» على نتائج تمكن من بناء تعاون وثيق بين الحزب و«ج.ت.و» بسبب عدم استعداد الشيوعيين الابتعاد قيد أمثلة عن المواقف التي حددها الحزب. مع ذلك نجح (جانسون) في أن يقنع (لوران كازانوف - Laurent Casanova)، حين التقاه في 6 جوان 1958، بضرورة تنظيم لقاءات مباشرة مع مسؤولي «ج.ت.و»، إذ صرح له هذا الأخير بأن الـ«ح.ش.ف» على استعداد لمقابلة بعض قادة الجبهة شرط معرفة أسمائهم. ولطمأنة (كازانوف - Casanova) أكد (جانسون) أن المسؤول الأول لفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا، (عمر بوداود) هو من سيمثل الجبهة في المقابلة المرتقبة. وعلى هذا الأساس انتدب (فالديك روشي - Waldeck Rochet) للقيام بهذه المهمة. وكان (جانسون) يعرف أن (فالديك - Waldeck) شخص عنيد وقليل المرونة لذلك بذل جهدا كبيرا لتلطيف حدة تعنته ليوفر على الجزائريين هذا العناء. لكن رغم كل هذه الترتيبات إلا أن المقابلة بين (عمر بوداود) و(فالديك - Waldeck) لم تتم. ويُرجع (جانسون) سبب ذلك، ربما، إلى التوضيحات التي أصر على تقديمها بشأن مطالب «ج.ت.و»، حين أكد أن الجزائريين لن يكتفوا بمواقف الحزب النظرية، مهما كانت صائبة، بل يجب أن تتبعها أفعال¹.

إذا كانت فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا تحاول أن تتكيف مع مواقف الـ«ح.ش.ف» المعارضة لطموحات الشعب الجزائري في الاستقلال وتسعى للتعامل مع هذه الحقيقة المرة، وهي التي كانت تعتقد أن الحزب إنما هو حليف طبيعي للشعوب المقهورة. لكن في المقابل ترفض رفضا قاطعا أن تكون القضية الجزائرية ومآسيها على الجزائريين مادة للمزايدات والدعاية للـ«ح.ش.ف». وأبدت يقظة وحزم لمواجهة أي مبادرة من هذا النوع كما حدث مع الحملة الدعائية الواسعة التي قام بها الـ«ح.ش.ف»، بالتنسيق مع جمعيات الإغاثة الشعبية موضوعها تضامن الشعب الفرنسي مع الذين يعانون ويلات حرب الجزائر داخل السجون، المعتقلات والمحتشدات. وقد واجهت الفدرالية هذه الحملة بتعليمية شديدة اللهجة ومنددة نُشرت ووزعت في 15 أوت 1961 وموجهة لجزائريين في السجون والمعتقلات قبلوا إعانات الحملة تبدي رفضها: "الخضوع بأي حال من الأحوال لمناورات أولئك الذين يريدون استخدام الهدايا والمعونة لتغطية الاستمرار في سياستهم المعادية للجزائر"².

المحصلة أن العلاقة بين «ج.ت.و» والـ«ح.ش.ف»، والحال كما وصفناه، سوف تؤول إلى القطيعة. ولتفادي الوصول إلى هذا الوضع التقى (فالديك روشي - Waldeck Rochet)، عن لد«ح.ش.ف» كل من (أحمد فرانسيس)، وزير المالية و(أحمد بومنجل)، مستشار لدى وزارة الإعلام في «ح.م.ج.ج - G.P.R.A» في 19 سبتمبر 1960 بـ«براغ - Prague» عاصمة تشيكوسلوفاكيا. وخلال اللقاء وافق (فالديك - Waldeck)

¹ - Ibid, p 166.

² - هارون (علي)، المصدر السابق، ص 396-397.

الباب الثاني: شبكات الدعم

على توفير تقديم الدعم المباشر للجبهة. من هذا المنطلق تم اللقاء بمدينة «بروكسل» البلجيكية في جانفي 1962 في شقة بالقرب من جامعة بروكسل الحرة، بين (ليون فييكس - Léon Feix)، وكان برفقة على الأرجح (إيتيان فاجون - Étienne Fajon) عن الـ«ح.ش.ف» و(عمر بوداود) و(علي هارون) عن فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا. في هذا اللقاء وافق الـ«ح.ش.ف» على التكفل بإيداع الأموال، طبع أدبيات الجبهة، نقل العتاد الضروري للنضال، توفير المخابئ للإطارات الملاحقة من طرف الشرطة وغيرها من الخدمات الأخرى. لكن وكما كتب (علي هارون): "فات الأوان! على بعد شهرين من وقف إطلاق النار القاطرة لم تكن بحاجة إلى وقود الفحم، والقطار قد دخل إلى المحطة". ويضيف متأسفاً: "من المؤكد أنه في الوقت الذي كان من المفروض، ومن حيث المبدأ، لمنظمتين التحرك معا وبانسجام، لكن في الواقع مشتا بالتوازي وبدون وُد متبادل مما يثير الفضول لدى البعض، والرغبة لتبرير السلوك لدى البعض الآخر"¹.

3 - موقف الحكومات الغربية

كان موقف الحكومات الغربية من الثورة الجزائرية في عمومها يتناغم مع الموقف الفرنسي ويسير خلف المقاربة الفرنسية في تحديد طبيعة المشكل الجزائري، لذلك تعاملت بصرامة مع نشاطات «ج.ت.و» على أراضيها، وراقبت عن قرب تحركات المسؤولين وقامت بتجميد مكاتب الجبهة وإغلاقها في بعض الأحيان، ما عدا بعض الاستثناءات. ويمكن رصد على الأقل خمس معطيات أثرت مباشرة في مواقف الحكومات الغربية من الثورة الجزائرية والنشاطات الداعمة لها.

المعطى الأول يتعلق بفرنسا نفسها، بالنسبة لباريس فإن اندلاع حرب التحرير الوطنية لا يمكن، بأي حال من الأحوال، تشبيهها بحالة إعلان حرب. فالجزائر من الناحية القانونية، وطبقا لمفردات الدستور الفرنسي المصادق عليه في 27 أكتوبر 1946، والقانون الخاص للجزائري المصادق عليه في 20 سبتمبر 1947، تشكل ثلاث مقاطعات فرنسية، وهي بالتالي جزء لا يتجزأ من الجمهورية الفرنسية، ومن هذا المنطلق فإن الموقف الفرنسي أمام العالم كله واضح جدا: المشكل الجزائري قضية داخلية فرنسية وليس لأي قوة خارجية حق التدخل فيها. وهذا ما يفسر معارضة الحكومات الغربية طلب الدول الخمسة عشر العضوة في المجموعة الأفرو آسيوية تسحيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقدة في 30 أكتوبر 1955².

المعطى الثاني هو أجواء الحرب الباردة التي خيمت على العالم عامة وأروبا على وجه الخصوص، وكانت فرنسا تستخدم هذه الورقة لتصر على التعاون الكامل للدول الغربية الرأسمالية لمواجهة المد الشيوعي الزاحف على إفريقيا من بوابة الجزائر، وبالتالي تصبح مصالح هذه البلدان مهددة في مستعمراتها القديمة. هذا ما صرح به الوزير الأول

¹ - Haroun (Ali), op cit, p 301.

² - Amand Lefbre. Regard de l'opinion belge..., op cit.

الباب الثاني: شبكات الدعم

(ميشال دوبري- Michèl Debré) في 15 جانفي 1960: "الجزائر تلعب دورا في الدفاع عن الغرب. فمن واجب الحلفاء الغربيين مساعدة الفرنسيين على البقاء فيها"¹. لكن سياسة الانفتاح على الآخر التي انتهجها الشرق والغرب بداية من 1953 جعل انخراط الغرب في هذا الطرح أمرا صعبا، خاصة بعد التقارب الفرنسي السوفييتي الذي تجسد في الزيارات المتبادلة بين الطرفين. ولم يتردد خلالها القادة السوفييت، سواء (نكيتا خروتشوف) أو (مولوتوف) في تأكيد المنظور الفرنسي لحرب التحرير الوطنية عندما صرح الاثنان أن القضية الجزائرية مشكلا فرنسيا ويجب أن يحل داخليا².

المعطى الثالث ويتمثل في الإلتزام الذي يربط الدول الغربية بفرنسا في إطار «حلف شمال الأطلسي»³ و«المجموعة الاقتصادية الأوروبية»⁴، حيث تؤكد موثيق هذه التحالفات على وجوب التعاون والتكاتف بين الدول الأعضاء لمواجهة أي تهديد خارجي. وفي إطار «حلف شمال الأطلسي» لم تدخر الولايات المتحدة الأمريكية، زعيمة العام الغربي الرأسمالي، ومن ورائها حكومات البلدان العضوة في الحلف، جهدا لدعم السياسة الفرنسية في الجزائر. وبالنسبة للحلف فإن الجزائر جزء من نطاقها الاستراتيجي، والثورة التحريرية تشكل تهديدا لمجاله الحيوي، لذلك سارع في إرسال قوات أطلسية لمواجهة الثورة، مع توفير الدعم المالي والسياسي⁵. وفي هذا السياق نذكر كمثال، مساعي ألمانيا الغربية لدى «صندوق النقد الدولي» من أجل حصول فرنسا على مليار دولار كقرض لتغطية تكاليف الحرب في الجزائر⁶. وتدفعنا هذه المواقف إلى التساءل عن درجة وعي قادة الثورة التحريرية بالتجاذبات الدولية الحاصلة آنذاك ومدى تأثيرها على مسار الثورة⁷.

¹ - La France contre la détente. El Moudjahid, V 3, n° 62 du 31 mars 1960, p 30.

² - نايت بلقاسم (مولود قاسم)، المصدر السابق، ص 178.

³ - تأسس حلف شمال الأطلسي في 4 أفريل 1949 بواشنطن. وهو تحالف عسكري غربي رأسمالي للدفاع المشترك، يضم الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية وي

⁴ - تأسست المجموعة الاقتصادية الأوروبية في روما (معاهدة روما) في 25 مارس 1957، وكانت تنظم حينها ست دول هي: إيطاليا، فرنسا، ألمانيا الغربية (جمهورية ألمانيا الفدرالية وعاصمتها «بون- Bonn»)، ودول البنيلوكس الثلاث: بلجيكا، هولندا واللوكسمبورغ.

⁵ - بش (إسماعيل)، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية (1954-1962)، مرجعية لترشيد حاضر ومستقبل سياسة الجزائر الإقليمية والدولية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 196 - 197.

⁶ - نفسه، ص 199.

⁷ - لمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة ينظر:

Le conflit algérien, l'Est et l'Ouest. El Moudjahid, V 2, n° 53-54 du 1^{er} novembre 1959, p 132-133.

ينظر أيضا:

La France contre la Détente. El Moudjahid, V 3, n° 62 du 31 mars 1960, p 30- 31.

الباب الثاني: شبكات الدعم

المعطى الرابع هو الرأي العام الداخلي، ويتمثل أساسا في المنظمات غير الحكومية، الجمعيات الإنسانية، أحزاب المعارضة اليسارية، الشخصيات الوطنية السياسية والثقافية اليسارية، التي كانت تنتقد وتهاجم باستمرار الدعم المطلق واللامحدود لحكومات بلدانهم للسياسة الفرنسية القمعية في الجزائر. وقد نجح العديد من البرلمانيين الأوروبيين في إدراج القضية الجزائرية ضمن جدول أعمال جلسات البرلمان في بلدانهم. وكانت هذه التحركات والمواقف تشكل ضغطا حقيقيا للحكومات الغربية اضطرها في بعض الأحيان إلى غض الطرف عن بعض نشاطات «ج.ت.و» على أراضيها، كالسماح بفتح مكاتب، استقبال مسؤولين عن «ح.م.ج.ج- G.P.R.A» وتقديم مساعدات إنسانية للاجئين الجزائريين في تونس والمغرب.

في هذا الموضوع جاء مثلا، في المعلومة 8 وتحمل رقم 74 ومؤرخة في مارس 1961، نقلا عن الصحافة العربية، أن السفارات الغربية في «الإمارات العربية المتحدة» وبخاصة سفارة الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة، قد تلقت تعليمات سرية مفصلة تتعلق بطريقة التعامل مع أعضاء «ح.م.ج.ج- G.P.R.A» في الإمارات العربية المتحدة. هذا التعامل يجب أن يكون أكثر ليونة مما كان عليه سابقا، ويكن أن يصل إلى حد دعوة ممثل الحكومة إلى الاحتفالات الرسمية يقيمها هؤلاء السفراء¹. وفي مثال آخر تطلعنا المعلومة 14 وتحمل رقم 383 ومؤرخة في 16 أبريل 1961 أن بعثة من البرلمانيين الإنجليز تتكون من خمسة نواب (إثنين عن حزب العمال، وثلاثة عن حزب المحافظين)، إضافة إلى لورد واحد، وبطلب من السفير البريطاني في تونس، التقت (فرحات عباس)، (محمد يزيد) وأعضاء آخرين في «ج.ت.و». وأعربت البعثة عن سعادتها بهذا اللقاء، واستعدادها للتعاون مع «ج.ت.و»، حيث صرحت: "كانت سعادتنا كبيرة بلقاء القادة الجزائريين، الذين أبهرونا بطريقتهم في النظر بعقلانية إلى الأشياء. لقد لاحظنا بالفعل أنهم مستعدون دائما للتفاوض في أي وقت على أساس الاستقلال. وفي تقديرنا فإنه على هذا الأساس الذي يجب أن تفتتح عليه المفاوضات"².

المعطى الخامس هي المصالح الاقتصادية الوطنية لكل دولة، ويمكن النظر إليها من ثلاث زوايا: الأولى المصالح الاقتصادية مع فرنسا. فالكثير من الدول الغربية لها تعاملات اقتصادية كبيرة مع فرنسا، ولبعضها تعد فرنسا الشريك الاقتصادي الأول أو الثاني، مثلما هو الحال بالنسبة لسويسرا، ألمانيا، بلجيكا، إيطاليا وإسبانيا. فهذه الدول ليست مستعدة للتضحية بمصالحها الاقتصادية من أجل القضية الجزائرية. أما الزاوية الثانية تتمثل في المصالح الاقتصادية مع الدولة الجزائرية المستقلة، وبدأ هذا التوجه يتبلور منذ أن اعترفت فرنسا ب«ح.م.ج.ج-

¹ - H 1753, fiche n° (B. 53), rens 8: Assouplissement de l'attitude des ambassades occidentales en R.A.U. vis-à-vis du G.P.R.A, mars 1961, p 3.

² - Ibid, rens 15, dossier "E", n° (658-659): Rencontre à Tunis entre une delegation parlementaire britannique et des membres du G.P.R.A, le 14 avril 1961, p 4.

الباب الثاني: شبكات الدعم

G.P.R.A»، وقبلت التفاوض مع ممثليها في 2 أكتوبر 1960. وقد صرح أعضاء من «ح.م.ج.ج- G.P.R.A» في مناسبات عدة أن مستوى التعاون الاقتصادي بين الجزائر المستقلة وأوروبا الغربية سيحدد انطلاقا من مواقف كل بلد من كفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال. أما الزاوية الثالثة فهي المصالح مع البلدان العربية التي كانت تنتقد مواقف الدول الغربية من المسألة الجزائرية، وتضغط عليها باتجاه الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال. وهذا ما برز في الاجتماع الذي عقدته الجامعة العربية في بغداد في 1 فيفري 1961، وحضره (كريم بلقاسم) نائب رئيس «ح.م.ج.ج- G.P.R.A» ووزير الشؤون الخارجية، حيث اتخذت اللجنة السياسية للجامعة قرارات مهمة تتعلق بالجزائر نذكر منه: إعادة النظر في العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع فرنسا إذا استمرت في حربها ضد الشعب الجزائري. تكثيف العمل اتجاه الدول والمنظمات العسكرية والسياسية التي تدعم فرنسا سياسيا وعسكريا أو ماليا ضد الجزائر¹.

4 - موقف جبهة التحرير الوطني

يمكن النظر إلى موقف «ج.ت.و» من شبكات الدعم، على الأقل، من ناحيتين: الأولى تتعلق بمسألة ارتباط هذه الشبكات بالجبهة من الناحية الهيكلية والثانية موقف الجبهة من مسألة تفكيك الشبكات واعتقال العشرات من أعضائها ثم تحويلهم إلى المحاكمة.

بالنسبة لمسألة ارتباط شبكات الدعم مع الهيكل التنظيمي لـ«ج.ت.و» بفرنسا يقول الأستاذ (دحو جريال): "من الصعب، في المستوى المنهجي، تصور إدماج شبكات الدعم في الهيكل التنظيمي لجبهة التحرير الوطني بفرنسا، فبالفعل، لم يتم التفكير يوما في الشبكات، ولم تشتغل على أنها فروع أو ملحقات لجبهة التحرير الوطني"². وفي هذا الصدد فإنه من الضروري الإشارة إلى أن الفرنسيين ليس وحدهم الذين كانوا على خلاف في كيفية التعامل مع الشبكة وتقدير مستوى التأييد لنشاطاتها، بل حتى الجزائريين كانت لهم وجهات نظر مختلفة في المسألة، خاصة ما تعلق بشكل التنسيق الذي يتم اعتماده ومداه، وكذلك ضرورة الاهتمام إلى أسلوب فعال لجر الحزب الشيوعي الفرنسي إلى تغيير مواقفه غير المشرفة للمبادئ التي يناضل من أجلها، حيث تحول إلى عقبة في طريق اليسار الفرنسي الداعم لكفاح الشعب الجزائري من أجل الاستقلال. لقد بدا الخلاف واضحا بين (عمر بودود) من جهة و(محمد حري) و(مسعود قدروج) من جهة أخرى، ويبدو أن التيار لم يكن يمر بينهما بشكل جيد³. ف(بوداود) كان يرى إدماج الشبكة ضمن هياكل جبهة التحرير الوطني وجعل الدعم جزء من

¹ L'Algérie à la dernière session de la ligue des états arabes. El Moudjahid, V 3, n° 78 du 23 février 1961, p 433.

² - جريال (دحو)، المرجع السابق، ص 139.

³ - يذكر (عمر بوداود) في مذكراته أنه لم يكن يعرف (حربي) شخصا عند قدومه إلى باريس، وكيف أنه واجه صعوبات كثيرة في التعامل معه في مسائل عديدة منها أنه أمر إدارة «الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين» بمغادرة فرنسا إلى

الباب الثاني: شبكات الدعم

إستراتيجية الثورة على الأراضي الفرنسية وفي أوروبا، والعمل أكثر على إقناع الحزب الشيوعي الفرنسي، المتخاذل والرافض للتحالف إلى جانب الشبكة لتبني كفاح الشعب الجزائري في قضيته العادلة، بينما كان (حربي) و(قدروج) يفضلان أن تنظم «شبكة جانسون» إلى «حركة السلام - Le mouvement de la paix» التي يشرف عليها الاتحاد السوفييتي، ويتمكن بذلك من أن يتحد مع الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية وغيرها من الحركات الوطنية ويتجاوز الـ«ح. ش. ف» وعقدة أن لا شيء يمكن أن يتحقق في فرنسا دون موافقة هذا الحزب. لكن في الأخير اعتمدت الفدرالية الخيار الذي دعا إليه (بوداود)¹.

اما بالنسبة لـ(جانسون) فقد نجح في المحافظة على استقلالية الشبكة وخصوصيتها الفرنسية وحصر علاقتها بجهة التحرير الوطني في جانب المساعدة المادية، وهذا فقط ما كان مطلوب من الشبكة². وقد بينت الأحداث

سويسرا بعد حل الاتحاد من طرف الحكومة الفرنسية، في حين كان رئيسها (أيت شعلان) يؤكد أن إدارة الاتحاد تفضل البقاء في فرنسا. وبعد عودة (بوداود) من مهمته في القاهرة والمتمثلة في اللقاءات الدورية مع «لجنة التنسيق والتنفيذ»، استنكر الأمر واعتبر ما أمر به (محمد حربي) إنما هو تخلي عن ساحة المعركة ويمكن أن يزرع الشك لدى الطلبة. ولتدارك الوضع قامت اللجنة الفدرالية وبحضور (حربي) بعقد اجتماع للطلبة الجزائريين المتواجدين في فرنسا وفي أوروبا الغربية في مدينة «كولوني- Cologne» الألمانية. وخلال الاجتماع تم تعيين مكتب مؤقت، نظرا لكون الإدارة السابقة للاتحاد قد تخلت عن مهامها. والمسألة الثانية تتعلق بالعمليات الحربية المقررة في فرنسا، والتي أمرت بها «لجنة التنسيق والتنفيذ» في إطار فتح جبهة جديدة في فرنسا، حيث لم يُترك للجنة التنفيذية لفدرالية الجبهة بفرنسا سوى حرية اختيار الوقت والوسائل المناسبة لتنفيذ الأمر. لكن (حربي) أعلن معارضته لتلك العمليات بحجة أنها ستؤدي إلى حرمان الثورة من دعم الطبقة العاملة، وهو نفس المبرر الذي كان يروج له الـ«ح. ش. ف». ولما أصر (بوداود) على تنفيذ الأوامر الصادرة عن «لجنة التنسيق والتنفيذ»، اتهمه (حربي) بالديكتاتورية واقترح عقد اجتماع يضم أعضاء اللجنة الفدرالية، في غياب (بوداود)، لتحرير تقرير موجه لـ«لجنة التنسيق والتنفيذ» والتحديد بتجاوزات (بوداود). لكن اللجنة الفدرالية رأت في (حربي) شخصا خطيرا لأنه يريد زرع الفرقة في صفوف الفدرالية. عندها صدر قرار إقصائه من اللجنة الفدرالية. التحق عندها (حربي) بسويسرا ثم تونس ثم مصر ثم إلى «غارالماء- Ghardimaou» بتونس لدى قيادة الأركان العامة. وخلال تنقله بين مختلف تنظيمات جبهة التحرير الوطني، اصطدم حيث حل بعدم التفهم. لكن في المقابل أثنى (بوداود) على عمل (حربي) في جمع والمحافظة على عدد كبير من الوثائق، التي مكنته من تأليف كتبه، ويعتبر ذلك شيء إيجابي بالنسبة للتاريخ، شريطة أن لا يستخدمها من أجل تصفية حسابات خاصة.

Boudaoud (Omar), op cit, pp, 154-156.

أما فيما يتعلق بـ(مسعود قدروج) فقد ذكر (بوداود) أنه لم يكن يعرفه، هو أيضا، عند قدومه إلى باريس، وأنه أعطي موافقته على اقتراح تعيينه في عضوية اللجنة الفدرالية، لكن بعد اطلاعه على المشكل الذي تسبب فيه في اللجنة الفدرالية السابقة حين كان مسؤولا في مدينة «ليون- Lyon»، وأسندت إليه مهمة توزيع نسخا كثيرة من النصوص المتعلقة بأرضية الصومام. عندما طلب منه إعادة المطبوعات التي لم توزع، أكد بأنه لم يعد في حوزته أي نص من النصوص التي تلقاها. لكن بعد أسابيع من ذلك تم احتجاز عدد كبير من النسخ أثناء مدهمة للشرطة، مما أدى إلى إلقاء القبض على العديد من المناضلين وحرمان البعض من الاطلاع على وثيقة مرجعية للثورة. لذلك لم يكن من الممكن وضع الثقة المطلقة فيه، لذا تقرر نقله إداريا إلى المغرب وبقي هناك إلى غاية 1962.

Ibid, p 156.

Ulloa (Marie-pierre), op cit, pp 187-188. - ¹

Ibid, p 201. - ²

الباب الثاني: شبكات الدعم

فيما بعد صواب هذه النظرة، التي على الأقل ضمنت، في حال حدوث أي طارئ، هوامش كثيرة للتحرك والمناورة سواء للشبكة أو للفدرالية، خاصة الإفلات من العين جد اليقظة لـ«دي. أس. تي - D.S.T».

هناك مسألة أخرى في غاية الأهمية مرتبطة بالنقطة التي أشرنا إليها حول أشكال دعم الثورة الجزائرية وحول حدودها، وهذه المسألة تتعلق بمدى تأثير الاغتيالات الناجحة والفاشلة التي نفذتها فدرالية «ج.ت.و» في حق جزائريين وفرنسيين¹، وكذا هجمات 25 أوت 1958، على موقف أعضاء شبكات الدعم الفرنسية، خاصة إذا علمنا أن الاغتيالات وعمليات التخريب بدأت تأخذ بعدا لافتا. وفي هذه النقطة بالذات كتب (دحو جربال): "بدأ موقف هولاء وأولئك يتغير، إذ كان هناك من كانوا يترددون في مواصلة دعمهم في تلك الظروف وحاولوا حتى أن يغيروا موقف «ج.ت.و»، وهناك من كانوا لا يرون في ذلك مشكلا يحول دون دعمهم، حتى أنهم كانوا ينقلون الأسلحة وينجدون مناضلين مطلوبين بسبب مشاركتهم في عمليات مسلحة ضد المصالح الفرنسية"².

لكن ماذا عن موقف فدرالية جبهة التحرير بفرنسا مما كان يحدث لـ«شبكة جانسون» بعد اكتشافها واعتقال الكثير من المنتسبين إليها وتحويلهم إلى المحاكمة؟ وما هي التدابير التي اتخذتها لتجاوز هذا الوضع الجديد؟

من الضروري ونحن نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة أن نذكر بأن العلاقة بين فدرالية «ج.ت.و» وشبكات الدعم، بصفة عامة، وشبكة جانسون وكوريال، بصفة خاصة، كانت علاقة تعاون ومساندة، لكن من الناحية التنظيمية كانت منفصلتين. هذا النوع من العلاقة يفرض على كل طرف أن يتولى بنفسه مسؤولية مواجهة أي طارئ قد يصيب أحدهما أو كلاهما. وأعتقد أن الطرفان كانا على وعي بهذه المسألة، وهذا ما يسهل تفسير الكثير من الإجراءات التي تبناها كل طرف بعد اكتشاف «شبكة جانسون»، والاعتقالات التي طالت معظم أعضائها، سواء الأعضاء الفرنسيين والأوروبيين أو الأعضاء الجزائريين وإحالتهم إلى المحاكمة. فقد بادر كل طرف إلى تعيين محامين للدفاع عن مناضليه أمام المحاكم الفرنسية³. ولضمان استمرارية تدفق أموال الاشتراكات، والذي كان الشغل الشاغل والهاجس الأكبر لفدرالية جبهة التحرير بفرنسا، ثم تحويلها إلى حسابات «ج.ت.و» في الخارج

¹ - ذكرنا محاولة الاغتيال التي تعرض لها (جاك سوستال- Jacques Soustelle) في باريس 1958، وكان حينذاك وزيرا للإعلام، اغتيال (علي شكال)، نائب رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية في ملعب «لاكولومب- La Colombe» بباريس في 26 ماي 1957 واغتيال (شريف بن حبيلس) في 28 أوت 1959.

² - جربال (دحو)، المرجع السابق، ص 140.

³ - لجأ (فرانسيس جانسون) إلى خدمات المحامي (رولان دوما- Roland Dumas)، الذي شكل حوله مجمع محامين يتكون من 26 محامي. وشكلت فدرالية «ج.ت.و» فوجي محامين أحدهما خاض بالمناضلين الذين تمت إدانتهم، والثاني خاص بالمناضلين المعتقلين.

الباب الثاني: شبكات الدعم

لجأت إلى شبكات بديلة لـ«شبكة جانسون» ويتعلق الأمر بـ«شبكة كوربال»، التي هي في الأصل امتداد لـ«شبكة جانسون» و«شبكة عبد الرحمان فارس» وهي شبكة محلية احتياطية ظرفية ومحدودة المهام. ورغم أن البعض فسر ذلك بمثابة تنكر لـ«جانسون» والتزامه حيال الشعب الجزائري، لكن معظم الذين درسوا هذه المسألة يميلون إلى فرضية الدوافع الأمنية لتبرير هذا التصرف.

الخاتمة

إذا كانت لـ«ج.ت.و» انجازات تكون قد حققتها إبان حرب التحرير الوطنية، فإن إقناع الرأي العام بعدالة قضية الشعب الجزائري، وإحاطة نفسها بشبكات دعم فعالة هي واحدة منها. فالرأي العام كان دوما خاضعا لعمليات تنويم وتضليل مُنْهَجَة من قبل غالبية وسائل الإعلام التي وصفت كفاح الشعب الجزائري من أجل استقلاله بأوصاف تنتزع من المجاهدين صفة البشرية وترسم لهم صورة الهمجيين المتعطشين لسفك الدماء والمعادين للحضارة. لذلك كان من الضروري دفعه لتحمل المسؤولية حيال القمع الاستعماري الذي تنفذه الحكومة الفرنسية باسمه، وحيال تواطؤ معظم الحكومات في أوروبا الغربية بسكوتها عن الجرائم التي ترتكبها فرنسا في حق الشعب الجزائري، بتقديم الدعم اللازم لها للمضي في مهمتها القذرة.

مع تطور الحرب واتساعها، خاصة بعد التصويت على قانون السلطات الخاصة في 1956 بدأ قسم من الرأي العام يتحرك لوضع حد للحرب التي وصفها بالسخيفة أحيانا والقذرة أحيانا أخرى، وقرر التعاون مع «ج.ت.و» ضد إصرار الحكومات الفرنسية بمختلف انتماءاتها الحزبية للمضي في الحل الأمني لإنهاء المشكل الجزائري. وقد وفق الجزائريون في اختراق حاجز السلبية الذي ميز الرأي العام بفعل حملات التضليل والكذب الإعلامي المسلطة عليه. ويعود ذلك، ببساطة، إلى إيمانهم الراسخ بحقهم في استعادة سيادتهم وهويتهم والعيش في دولة مستقلة، كما ورد بوضوح في بيان أول نوفمبر 1954: "إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية"، وهذا رغم قلة الإمكانيات المتاحة.

في نهاية البحث خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات حول شبكات دعم الثورة الجزائرية في أوروبا الغربية والدور الذي لعبته أهمها:

أولاً: أن دعم الشبكات قد تم لدوافع فلسفية أو أخلاقية أو سياسية مختلفة. من الناحية الفلسفية كانت الثورة الجزائرية فرصة مناسبة لتطبيق مختلف النظريات اليسارية المتعلقة بالثورة العمالية وتأسيس "مجتمع البروليتاريا" وإثبات صحة هذه النظرية أو تلك. (فرانسيس جانسون) مثلاً، كان على قناعة بأن الثورة الجزائرية، إنما هي ابتكار جديد للنظريات الماركسية وتجسيد ميداني لها، وأن إنشاء همزة وصل بين الحركة العمالية الفرنسية وحركة التحرير الوطنية الجزائرية يمكن أن يتسبب في انهيار النظام الديغولي والإطاحة بالجمهورية الخامسة وتفجير النظام الرأسمالي الفرنسي. في حين لم يكن (هنري كوريال) يعتبر كفاح الجزائريين ثورة بالمعنى الدقيق لهذه العبارة، لأنها لم تكن تحت قيادة الطبقة العمالية، بل كان يعتبرها انتفاضة فلاحين بسبب حرمانهم من أراضيهم. ونظرت هذه هدفها ليس التقليل من شأن الثورة الجزائرية، لأنه يؤكد بأنها زلزال مدمر، ولكن ليس إلى درجة أن يحدث ارتجاجا في الحركة العمالية الفرنسية. ولهذا السبب رفض أن يوهم نفسه بأن المجاهدين الجزائريين هم السمامد المخصب للتربة الثورية عند الأوروبيين، بل كان يرى، وتحاليل بسيطة، أن مهمة «ج.ت.و» هي تحرير الجزائر وأن الجزائريين ليسوا مكلفين بإضرام نار الثورة في فرنسا. أما التيار التروتسكي والأمية الرابعة فلم تكن تركز اهتمام للنقاش الدائر

حول معرفة طبيعة الثورة وتكوينها الاجتماعي، فالأهم بالنسبة لها هو العمل الثوري في حد ذاته من أجل الاستقلال وخاصة ضد الامبريالية الفرنسية.

من الناحية الأخلاقية اعترف العديد من أعضاء الشبكات أن ما حفزهم للوقوف إلى جانب كفاح الشعب الجزائري إنما هي الممارسات الغير إنسانية للاستعمار الفرنسي، خاصة التعذيب والمحتشدات والذي يتنافى كلية مع مبادئ الثورة الفرنسية التي تربوا وترت أجيال متتالية عليها ألا وهي الحرية، المساواة والإخاء، إضافة إلى أنها ذكرت البعض بممارسة النازيين إبان الحرب العالمية الثانية، ولم يعد هؤلاء يفهمون كيف يجرؤ ويقبل الفرنسيون الذين عذبوا من قبل النازيين في الحرب العالمية الثانية، على تنفيذ نفس الممارسات على الشعب الجزائري ؟ وهذا ما جلب، في رأيهم، لفرنسا العار والعزلة الدولية، وأصبحت محل انتقاد من حلفاءها قبل أعدائها.

أما من الناحية السياسية فكان موقف الـ«ح.ش.ف» المتخاذل حيال العديد من القضايا من بينها عدم إدانة التدخل العنيف للاتحاد السوفييتي في الجمر، التصويت على قانون السلطات الخاصة وعدم الاعتراف بالثورة الجزائرية و«ج.ت.و» والتبرؤ من كل من يقدم أي دعم مهما كان لها. كل ذلك جعل العديد من المناضلين ينشقون عن الحزب ليمارسوا قناعاتهم التي تحثهم على مساندة الجزائريين في كفاحهم التحرري.

ثانياً: أن شبكات دعم الثورات التحررية بصفة عامة، والثورة التحررية الجزائرية بصفة خاصة، كانت تسير مع منطق التغيرات التي كانت تشهدها أوروبا والعالم بعد الحرب العالمية الثانية، وتغير موازين القوة لصالح حق الشعوب في تقرير المصير والتعجيل بتصفية الاستعمار، لذلك، وفي تقديرها، فإن إصرار فرنسا على التمسك بالجزائر فرنسية، أصبح أمراً مستحيلاً، وأن الحلول الشكلية التي تطرحها إنما هي مضيعة للوقت وزيادة في التكاليف المادية والبشرية، وأن الحل الوحيد هو تمكين الشعب الجزائري من تقرير مصيره، والاعتراف بحقه في العيش في دولة مستقلة.

ثالثاً: ظهور معنى جديد للخيانة وهي «الخيانة الإيجابية - La trahison positive»، حيث أكد (جانسون) أن العمل الذي كانت تقوم به الشبكات يدخل في هذا لإطار، وأن أول خائن إيجابي هو من بادر بإقامة جسر على واد ليحبر قبيلتين أو عشيرتين على إقامة علاقات. والمشكل المطروح هو مسألة الانفتاح على الآخرين، الاعتراف بوجودهم، والاعتراف بأن لهم نفس الحقوق التي لدى الجميع، بدلا من سحقهم. وكان الإحساس السائد هو أنه آن الأوان أن: "نخون هذه الكيفية التي كانت فرنسا تخون بها نفسها - trahir la façon avec laquelle la France se trahit". وفي هذه الحالة يكون للضمير الشخصي واجبات أجل وأسمى من الواجب الوطني الضيق.

رابعا: أن الشبكات ساهمت وبشكل فعال في دفع الحكومة الفرنسية نحو التعجيل بإيجاد حل للمشكل الجزائري وحثها على التفاوض مباشرة مع «ج.ت.و» باعتبارها الممثل الوحيد للشعب الجزائري، ثم الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال. وساهمت الشبكات أيضا في جعل الحكومات في أوروبا الغربية تتوقف عن تقديم الدعم المطلق لفرنسا والتعامل بحذر مع الدعاية الفرنسية في عرضها للمشكلة الجزائرية.

خامسا: أن الشبكات، من خلال تضامنها مع كفاح الجزائريين، جسدت وجهها آخرا لفرنسا وأوروبا، التي تطمح إلى بناء أسس مستقبل على علاقات حقيقية مع الدولة الجزائرية الجديدة، والأهم من ذلك ترك رسالة للأجيال الجزائرية الشابة بأن هناك فرنسا أخرى وأوروبا أخرى تختلف تماما عن تلك التي تعودا على رؤيه وجهها البشع في أشخاص الجنرالات الجلادين والسياسيين المغلقين.

سادسا: أن الثورة التحريرية تعد نموذجا للعمل الثوري الناجح تستلهم منه الأجيال التجارب والتطلع إلى الإبداع وصناعة المستقبل التفوق وبلوغ أعلى المراتب بين الأمم. ذلك أن الثورة كانت صناعة جزائرية بكل المقاييس، وطيلة السبع سنوات ونصف من عمرها ظلت كذلك، لأنها هي التي كانت تصنع الأحداث وتؤثر فيها وتوجهها وفق ما تقتضيه المصلحة الوطنية، ولم تقبل الإملاءات من أي طرف كان. وبالتوازي كانت تقتنص الفرص وتكيف مع الظروف وتوظفها لبلوغ الاستقلال وهو الهدف المنشود.

سابعا: أثبت التعاون بين الثورة وشبكات الدعم أن الأصل في العلاقات بين الشعوب يقوم على احترام الآخر والاعتراف بوجوده بغض النظر عن انتمائه العرقي أو الديني أو الإيديولوجي، وأن اختلاق النظريات لتصنيف البشر إلى صنف راقى وآخر وضعيع هي مجرد أوهام ومبررات لاستساغة الاستعباد والاستغلال في أبشع صوره.

ثامنا: أن شبكات الدعم كانت فرصة لبروز بعض الممارسات والنشاطات ذات الطابع النفعي والمحظورة من الناحية القانونية كتجارة الأسلحة وتزوير الوثائق و العملة وعبور الحدود.

تاسعا: أن شبكات الدعم رغم الخدمات الجليلة التي قدمتها للثورة، من إيواء وتنقل وجمع الأموال وتوفير وثائق الهوية المزورة، وغيرها من الخدمات، إلا أنها لم تكن العامل الحاسم للمعركة مع فرنسا وإنما عاملا مساعدا. والدليل على ذلك هو أنه بعد اكتشاف شبكة جانسون واعتقال معظم أعضائها لم تتوقف عملية تحويل أموال الاشتراكات للجالية الجزائرية في فرنسا وأوروبا وتشكلت، كما رأينا، شبكة كوربال وفي نفس الوقت قامت فدرالية «ج.ت.و» بفرنسا بإنشاء شبكة محلية لتحويل الأموال تحت إدارة (عبد الرحمان فارس). وبشأن الدور الذي لعبته الأموال التي حولتها الشبكات فإن (جانسون) لم يرغب أن يعطي الانطباع بأنه من دون تلك الأموال لم يكن للثورة أن تستمر حيث يقول في كتابه «حربنا - Notre guerre» في الصفحة 55: "ليس ثمة أي تكافؤ بين

حجم ميزانية الحرب التي رصدتها الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وبين بضعة مليارات من الفرنكات التي كانت فدرالية الجبهة بفرنسا تساهم بها في كل سنة. وإذا لم يتم دفع هذه الأموال فإن الثورة الجزائرية لن تتوقف بسبب ذلك. كل ما في الأمر أن هذه المساهمة توفر على وزير المالية لدى الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، مغبة الاستعانة ببعض البلدان التي ربما تستغل الفرصة للتأثير على هذا الجانب أو ذاك في سياسة حكومته."

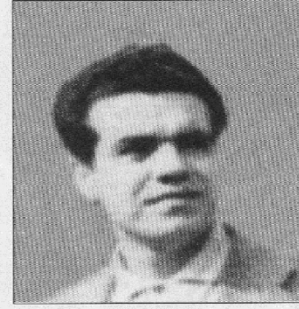
على كل حال فإن البحث العلمي عملية مستمرة لا تنتهي أبدا. والموضوع الذي بحثنا فيه أردناه أن يكون مساهمة لإثراء البحث العلمي التاريخي والمشاركة في النقاش الذي يثار هنا وهناك حول القضايا التي تهم التاريخ الوطني . والمؤكد هو أن طلبة وباحثين آخرين سيتناولون هذا الموضوع مستقبلا من زوايا مختلفة، خاصة بعد أن يتم الإفراج عن ما تبقى من الأرشيف المرتبط بموضوع البحث. ونتمنى أن يجد هؤلاء الطلبة والباحثين في أطروحتنا سنداً للانطلاق في أطروحات أخرى تبرز جوانب جديدة من الدعم الذي تلقتة الجزائر إبان ثورتها التحريرية.

الملاحق

الملحق رقم 01: الأعضاء الخمسة المؤسسون لأول فدرالية لـ «ج.ت.و» بفرنسا 1955 _ 1956¹.



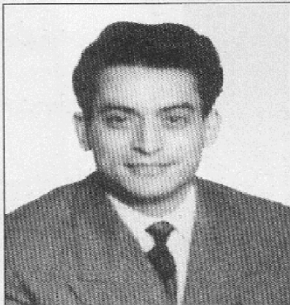
طربوش مراد



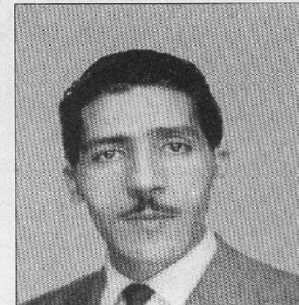
غراس عبد الرحمن



بن سالم فضيل



دوم أحمد



محمد مشاطي

¹ - محمد (مشاطي)، المرجع السابق، ص 66.

الملحق رقم 02: أعضاء الفدرالية الثانية من نهاية 1956 إلى منتصف 1957¹,



لجراوي محمد



سعيد بوعزيز



المهداوي حسين



بونحروف الطيب



أحمد بومنجل



قدور العدلاني



منجي حسين



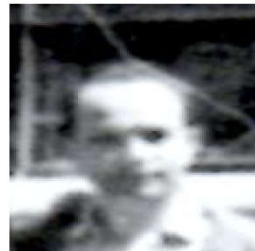
عبد الكريم السويسي



بن صيام بن يوسف



أحمد طالب



سيد علي مبارك إبراهيمي

1 - هذه القائمة حسب ما ورد في كتاب: هارون (علي)، المصدر السابق، ص 576.

الملحق رقم 03: أعضاء الفدرالية الثالثة من أواسط 1957 إلى بداية 1958¹.



عمر بوداود



قدور العدلاني



سعيد بو عزيز



أحمد بومنجل



محمد حربي



منجي حسين



قروج مسعود

¹ - نفسه، ص 576

الملحق رقم 04 : أعضاء اللجنة الفدرالية لفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا بعد تنقلها إلى ألمانيا من بداية 1958 إلى غاية الاستقلال في 1962.¹



عمر بوداود



عبد الكريم السويسي



علي هارون



قدور العدلاني



سعيد بوعزيز

¹ - هارون (علي)، المصدر السابق، ص 161.

ملحق رقم 5: نص قانون «السلطات الخاصة» رقم 56-253 ليوم 16 مارس 1956.

17 Mars 1956

JOURNAL OFFICIEL DE L

LOIS

LOI n° 56-253 du 16 mars 1956 autorisant le Gouvernement à mettre en œuvre en Algérie un programme d'expansion économique, de progrès social et de réforme administrative, et l'habilitant à prendre toutes mesures exceptionnelles en vue du rétablissement de l'ordre, de la protection des personnes et des biens et de la sauvegarde du territoire (1).

L'Assemblée nationale et le Conseil de la République ont délibéré,

L'Assemblée nationale a adopté,

Le Président de la République promulgue la loi dont la teneur suit :

Art. 1^{er}. — Le Gouvernement pourra, par décrets en conseil des ministres, sur le rapport du ministre résidant en Algérie et des ministres intéressés, et après avis du conseil d'Etat, prendre en Algérie toutes dispositions relatives à :

1° La poursuite de l'expansion économique au moyen de mesures appropriées concernant notamment les investissements, les travaux publics, l'équipement scolaire et sanitaire, la recherche scientifique, technique et économique, la construction de logements, l'équipement agricole et rural, l'aménagement foncier, la réorganisation de la propriété foncière, le remembrement ou l'extension des exploitations rurales, l'accès à la petite propriété rurale, la réorganisation du crédit agricole en vue d'une distribution plus large et plus efficace des fonds destinés à l'équipement individuel, l'accélération de la mise en valeur par l'irrigation des terres comprises dans les périmètres irrigables au moyen des grands barrages réservoirs, la révision de baux à part de fruit et de certaines formes archaïques de sociétés agricoles;

2° La normalisation et l'abaissement des coûts de production, notamment par la réduction du prix de l'énergie, l'allègement ou l'aménagement en vue d'une meilleure productivité des charges et obligations sociales et fiscales pesant sur les entreprises et sur les salaires sans que, en matière sociale, les prestations de sécurité sociale et les prestations familiales puissent être réduites;

3° L'élévation du niveau de vie des populations et la coopération économique et financière entre la métropole et l'Algérie, notamment :

En édictant des mesures destinées à faciliter, pour les citoyens français musulmans, en leur garantissant des conditions de carrière normale, l'accès à la fonction publique et leur emploi dans les services publics, dans les entreprises bénéficiant d'une participation ou d'une aide de l'Etat, de l'Algérie et des collectivités publiques, en Algérie;

En favorisant le plein emploi par le financement des investissements nécessaires au développement des productions agricoles, industrielles et minières;

En mettant en œuvre un plan cohérent d'industrialisation comportant une série de mesures propres à aider à l'implantation d'industries nouvelles et à protéger celles qui existent;

En adoptant un ensemble de dispositions financières, administratives et économiques destinées à faciliter la mise en valeur des ressources naturelles du Sahara;

Loi n° 56-253.

TRAVAUX PRÉPARATOIRES (1)

Assemblée nationale :

Projet de loi (n° 896) ;

Rapport de M. Montalat, au nom de la commission de l'intérieur (n° 1943) ;

Discussion les 8, 9 et 12 mars 1956 ;

Adoption le 12 mars 1956.

Conseil de la République :

Projet de loi adopté par l'Assemblée nationale (n° 311, S. O. 1955-1956) ;

Rapport de M. Verdelle, au nom de la commission de l'intérieur (n° 219,

S. O. 1955-1956) ;

Discussion et adoption le 15 mars 1956, après discussion immédiate.

Assemblée nationale :

Acte pris de l'adoption conforme le 15 mars 1956.

4° L'accélération du progrès social, notamment :

En améliorant la condition de l'ouvrier agricole par une réglementation des conditions de travail, par la création ou le perfectionnement d'institutions sociales telles que celles relatives aux congés payés, aux allocations familiales, au régime des assurances sociales ;

Dans le secteur non agricole, en étendant à l'Algérie, après les avoir adaptés dans la mesure nécessaire, des textes législatifs ou réglementaires applicables dans la métropole concernant la réglementation du travail et de la main-d'œuvre, les congés payés, le régime des allocations familiales, les prestations dues au titre de la réparation des accidents du travail et les régimes d'assurances sociales ;

5° La réorganisation des institutions administratives, notamment par une réforme de l'organisation territoriale, et en particulier du régime des régions sahariennes, par la réorganisation des collectivités locales et par la réforme de l'administration centrale du gouvernement général.

Art. 2. — Ces décrets pourront modifier ou abroger les dispositions législatives existantes. Ils entreront en vigueur dès leur publication au *Journal officiel* de la République française, mais ne deviendront définitifs qu'après leur ratification par le Parlement auquel ils seront soumis dans le délai d'un an à compter de leur date.

Ils pourront prévoir, soit les peines édictées par les lois antérieures relatives aux mêmes matières sans que puissent être modifiés la qualification des infractions relevées, la nature et le quantum des peines applicables, soit les peines prévues par l'article 471, 15°, du code pénal.

Art. 3. — Le Gouvernement est autorisé à ouvrir, par décrets pris sur le rapport du ministre des affaires économiques et financières, et après avis des commissions des finances de l'Assemblée nationale et du Conseil de la République, les autorisations de programme et les crédits de paiement correspondant aux dépenses qui pourront être engagées en application des articles précédents. Ces décrets seront soumis à la ratification du Parlement dans le délai d'un an à compter de leur date.

Art. 4. — Le Gouvernement pourra, en toute matière, par décret pris en conseil des ministres, sur le rapport du ministre résident en Algérie et des ministres intéressés, le conseil d'Etat entendu, étendre à l'Algérie, en y apportant les adaptations nécessaires des lois et des décrets en vigueur dans la métropole.

Art. 5. — Le Gouvernement disposera, en Algérie, des pouvoirs les plus étendus pour prendre toute mesure exceptionnelle commandée par les circonstances en vue du rétablissement de l'ordre, de la protection des personnes et des biens et de la sauvegarde du territoire.

Lorsque les mesures prises en vertu de l'alinéa précédent auront pour effet de modifier la législation, elles seront arrêtées par décret pris en conseil des ministres.

Art. 6. — Les pouvoirs accordés par les articles précédents prendront fin à l'expiration des fonctions du présent Gouvernement. Toutefois, en cas de démission du Gouvernement ou de vacance de la présidence du conseil, le nouveau Gouvernement devra demander la confirmation par le Parlement de la loi accordant les mesures exceptionnelles prises en vertu des pouvoirs conférés par l'article 5, dans un délai de dix jours francs à compter de la date à laquelle il a obtenu la confiance de l'Assemblée nationale.

Si cette demande n'est pas présentée dans le délai prescrit, la loi sera caduque.

La présente loi sera exécutée comme loi de l'Etat.

Fait à Paris, le 16 mars 1956.

Par le Président de la République :

RENÉ COTY.

Le président du conseil des ministres,

GUY MOLLET.

Le ministre résident en Algérie,

ROBERT LACOSTE.

Le ministre d'Etat, garde des sceaux,

chargé de la justice,

FRANÇOIS MITTERRAND.

Le ministre de la défense nationale et des forces armées,

MAURICE BOURGÈS-MAUNOURY.

Le ministre des affaires économiques et financières,

PAUL RAMADIER.

الملحق رقم 6: القانون رقم 57-832 ليوم 26 جويلية 1957 المتعلق بتوسيع السلطات الخاصة إلى التراب الفرنسي

MINISTÈRE de l'INTERIEUR
DIRECTION GENERALE
de la SURETE NATIONALE

PARIS, le 5 Août 1957

CABINET
Circulaire N° 332

EXEMPLAIRE N° 145/645

Le MINISTRE de l'INTERIEUR

à

- Monsieur le PREFET de POLICE
- Messieurs les INSPECTEURS GENERAUX de l'ADMINISTRATION en mission extraordinaire
- Messieurs les PREFETS de

l'Allier, Alpes-Maritimes, Ardennes, Territoire de Belfort, Bouches du Rhône, Calvados, Doubs, Finistère, Gard, Hérault, Isère, Loire, Loire-Atlantique, Haute-Marne, Haute-Vienne, Meurthe et Moselle, Meuse, Moselle, Nord, Oise, Pas de Calais, Puy de Dôme, Basses-Pyrénées, Hautes-Pyrénées, Pyrénées-Orientales, Bas-Rhin, Haut-Rhin, Rhône, Saône et Loire, Savoie, Haute-Savoie, Seine-Maritime, Seine et Marne, Seine et Oise, Var, Vosges.

- M.le DIRECTEUR GENERAL de la SURETE NATIONALE
- Messieurs les DIRECTEURS des Services actifs de la Sûreté Nationale.

OBJET: Loi N° 57-832 du 26 Juillet 1957 portant notamment extension en Métropole des pouvoirs spéciaux.
Création à l'échelon national d'un fichier des individus dangereux ou à surveiller résidant en Métropole et d'un fichier des véhicules généralement utilisés par eux.

REFER: Mes circulaires N° 154 du 20 Avril 1957
CAS 198 du 15 Mai 1957
SCINA 8836 du 29 Mai 1957
SCINA 9218bis du 7 Juin 1957.

Par circulaire N°154 du 20 Avril 1957 et 198 du 15 Mai 1957, je vous ai donné des instructions au sujet de la répression des agressions et attentats par explosifs. Aux termes de ces instructions, les Services régionaux de Police Judiciaire ont été chargés de coordonner l'activité répressive dans ce domaine.

Les circulaires N°8836 du 29 Mai 1957 et 9218bis du 7 Juin 1957, prises sous le timbre du S.C.I.N.A. vous ont d'autre part donné certaines directives en vue de la coordination des informations nord-africaines.

.../...

Ces instructions demeurent en vigueur.

En plus des fichiers de spécialité se rapportant à l'activité criminelle ou délictueuse des éléments séparatistes dont, par ma circulaire 198 précitée, j'ai prescrit la constitution au sein des Services régionaux de Police Judiciaire, j'ai décidé la création à l'échelon central d'un fichier national, de tous les individus dangereux résidant en Métropole, ce qui permettra de lutter plus efficacement contre l'action subversive en Métropole, de ces éléments.

Il sera ainsi possible:

- de disposer à l'échelon national d'un moyen d'action maniable assurant, le cas échéant, le déclenchement rapide de mesures que le terrorisme peut rendre nécessaires à tout moment;
- de suivre le déplacement des agents de liaison, membres de commandos, trafiquants d'armes, etc.....;
- de vous fournir, en retour, des éléments d'information sur ces individus, pour le cas où leur passage serait décelé dans votre département ou votre région.

Cette centralisation est indépendante de la centralisation en matière de terrorisme, qui doit s'effectuer aux Brigades de Police Judiciaire et à la Direction de la Police Judiciaire, conformément aux prescriptions des circulaires N° 154 et 198 des 20 Avril et 15 Mai 1957.

Elle est de même indépendante de la centralisation en matière de contre-espionnage, qui est effectuée par les Services de la Surveillance du Territoire, conformément aux instructions permanentes en vigueur.

Je désire que ce fichier central des individus dangereux soit le reflet de la connaissance que tous les Services de Police ont de l'activité des militants nationalistes, qui se sont signalés à leur attention d'une façon ou d'une autre, sauf lorsque cette activité ressortit à celles poursuivies par les Services de la Surveillance du Territoire et qu'elle doit conserver un caractère de secret.

-3-

En vue de la constitution de ces fichiers, il sera procédé, dès réception des présentes instructions, à la création, à un premier échelon, d'un fichier départemental, "individus" et d'un fichier "véhicules" tenus par le Service des Renseignements Généraux fonctionnant au chef-lieu de département. Ces fichiers départementaux sont alimentés par les autres Services des Renseignements Généraux du département s'il en existe, les Commissariats de Sécurité Publique, les Services de Police Judiciaire et, éventuellement, de Surveillance du Territoire.

Des circulaires internes d'application préciseront les conditions dans lesquelles les Services de Police Judiciaire et de Surveillance du Territoire fourniront leur collaboration. De même, sera précisé ultérieurement l'apport de la Gendarmerie à cette documentation.

D'une manière générale, lorsqu'un Service de Police aura eu connaissance de l'activité d'un élément dangereux (soit par information, soit à l'occasion d'une rafle, soit par la découverte d'une affaire à caractère judiciaire, etc...) ou encore aura observé le déplacement d'un véhicule suspect, il devra porter obligatoirement ces faits à la connaissance du Service des Renseignements Généraux du chef-lieu du département où réside cet individu. Les déplacements, changements d'adresse, changements d'emploi, de lieux de travail; en un mot tout ce qui concourt à cerner le plus possible l'activité du suspect, à la localiser géographiquement et à détecter ses moyens de liaison, doit être communiqué.

J'insiste pour que vous veilliez à ce que cette collaboration soit permanente et entière et permette ainsi aux Services des Renseignements Généraux d'ouvrir un dossier ou de compléter celui qu'ils possèdent éventuellement.

Pour les individus, une notice du modèle ci-joint N°1 est dressée avec les éléments du dossier.

Ces notices auxquelles seront joints, dans la mesure du possible des rapports plus complets, seront transmises tous les 15 jours à la Direction des Renseignements Généraux à Paris et concerneront principalement les responsables des organisations clandestines, M.N.A. et F.L.N., c'est-à-dire les dirigeants politiques aux échelons zone, kasma, groupe, section, cellule, les membres des commandos de choc, les collecteurs de fonds, itinérants, propagandistes ou agents de liaison. Parmi eux, devront être distingués les éléments: "très dangereux", "dangereux", "éléments à surveiller".

.../...

-4-

Ce classement qui vous sera proposé par votre Service des Renseignements Généraux, devra être approuvé par vous-même, au vu des dossiers qui vous seront soumis.

Les premiers jeux de notices seront accompagnés d'un état complet reproduisant le classement dans lequel seront inscrits les intéressés. Les Services départementaux des Renseignements Généraux devront y faire figurer non seulement les individus qui leur auront été récemment signalés, mais également ceux qui ont pu, dans le passé, attirer l'attention. Au surplus, tout élément qui complète la connaissance que l'on peut avoir du comportement ou de la situation d'un individu doit être consigné dans la notice transmise, comme il vient d'être indiqué. L'adresse actuelle et réelle est d'une importance capitale, ce qui implique des vérifications périodiques pour l'ensemble des individus figurant au fichier départemental.

Pour les véhicules, il sera fait usage de la notice modèle N°2 transmise dans les mêmes conditions.

Je vous demande de faire le nécessaire pour que les premiers éléments permettant la constitution, à l'échelon national, de ces deux fichiers me soient adressés sous le timbre de la Direction des Renseignements Généraux à partir du 19 Août 1957.

Ces éléments permettront à la Direction Générale de la Sécurité Nationale (Direction des Renseignements Généraux):

- de constituer un dossier pour chacun des individus signalés,
- d'établir une fiche sur laquelle se retrouvera, le classement départemental: "très dangereux", "dangereux", "élément à surveiller",
- d'établir aussi une fiche des véhicules suspects.

Enfin, pour vous permettre de posséder les principaux éléments contenus dans le fichier national, les individus figurant à ce fichier feront l'objet de Fiches d'attention comportant l'identité, le domicile, la nature de leur activité. Ces fiches établies sur le format habituel des fiches de recherches ou de

.../...

-5-

surveillance utilisées par la Police Judiciaire ou la Police de l'Air et des Frontières, seront diffusées selon des modalités qui seront ultérieurement précisées et feront l'objet des renouvellements et mises à jour nécessaires. Elles vous permettront de savoir qu'un dossier existe à l'échelon central (Direction des Renseignements Généraux) sur un individu détecté dans votre région ou votre département et d'obtenir de ce Service tous renseignements complémentaires qui vous seraient nécessaires.

Seront simultanément diffusées les fiches des véhicules appartenant aux individus en question ou véhicules classés suspects, ce qui vous permettra à l'occasion de faire procéder à des contrôles.

Je n'ignore pas que l'application des présentes instructions va entraîner un accroissement des tâches incombant aux Services de Police.

Il ne vous échappera cependant pas que dans les circonstances actuelles une priorité absolue doit être donnée à la répression du terrorisme et je vous prie instamment de vous attacher à ce que l'action des Services de Police placés sous votre autorité soit, avant tout et essentiellement axée sur ce problème.

Je vous demande de veiller personnellement à la mise en œuvre des mesures prescrites et de me rendre compte des difficultés que vous pourriez rencontrer à cet égard./.

Le MINISTRE de l'INTERIEUR,

GILBERT-JULES

Photographie : (à joindre dans :
 : la mesure du :
 : possible) :
 FICHIER des INDIVIDUS DANGEREUX

(Circulaire N° 332 du 5 Août 1957)

SERVICE d'ORIGINE:

Classement proposé: Très dangereux
 Dangereux
 Élément à surveiller

- NOM
- Prénoms:
- Alias:
- Date et lieu de naissance:
- Nationalité:
- Profession:
- Nom et adresse de l'employeur:
- Date d'arrivée en Métropole:
- Domicile:
- Résidences antérieures:
- Marié ou vivant avec française métropolitaine (identité)
- Etats des Services militaires- Décorations:
- Nombre d'enfants:
- Véhicule (marque, N° minéralogique)- (1):
- Condamnations:
- Appartenance politique:
- Fonction ou activités connues dans le Parti:
- Indications permettant de situer le dossier de base si aucun rapport n'est joint à la présente notice:

(1)- Dans ce cas, remplir la notice N32

NOTICE N°2

FICHIER des INDIVIDUS DANGEREUX

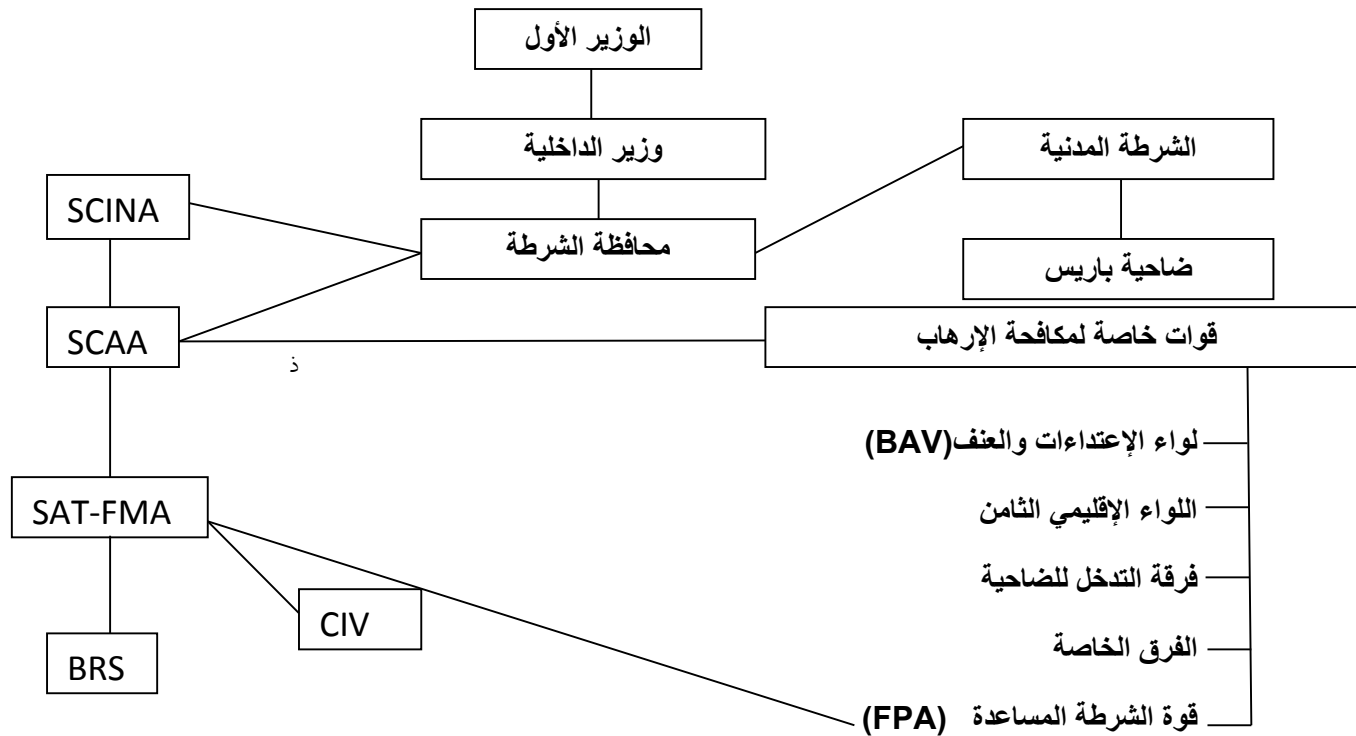
VEHICULE

SERVICE d'ORIGINE:

- N° minéralogique:
- Marque:
- N° du moteur:
- Modèle:
- Couleur:
- Etat du véhicule:
- Propriétaire:
- Utilisateur habituel

الملحق رقم 07: مخطط الأجهزة الأمنية الفرنسية لمواجهة نشاط جبهة التحرير الوطني في فرنسا¹.

هيكل شرطة مكافحة الإرهاب وهيكل الاستعلامات



BAV: Brigade des Agresions et Violences

BRS : Bureaux de Renseignement Spécialisé

CIV : Centre d'Identification de Vincennes

FPA : Force de Police Auxiliaire (harkis)

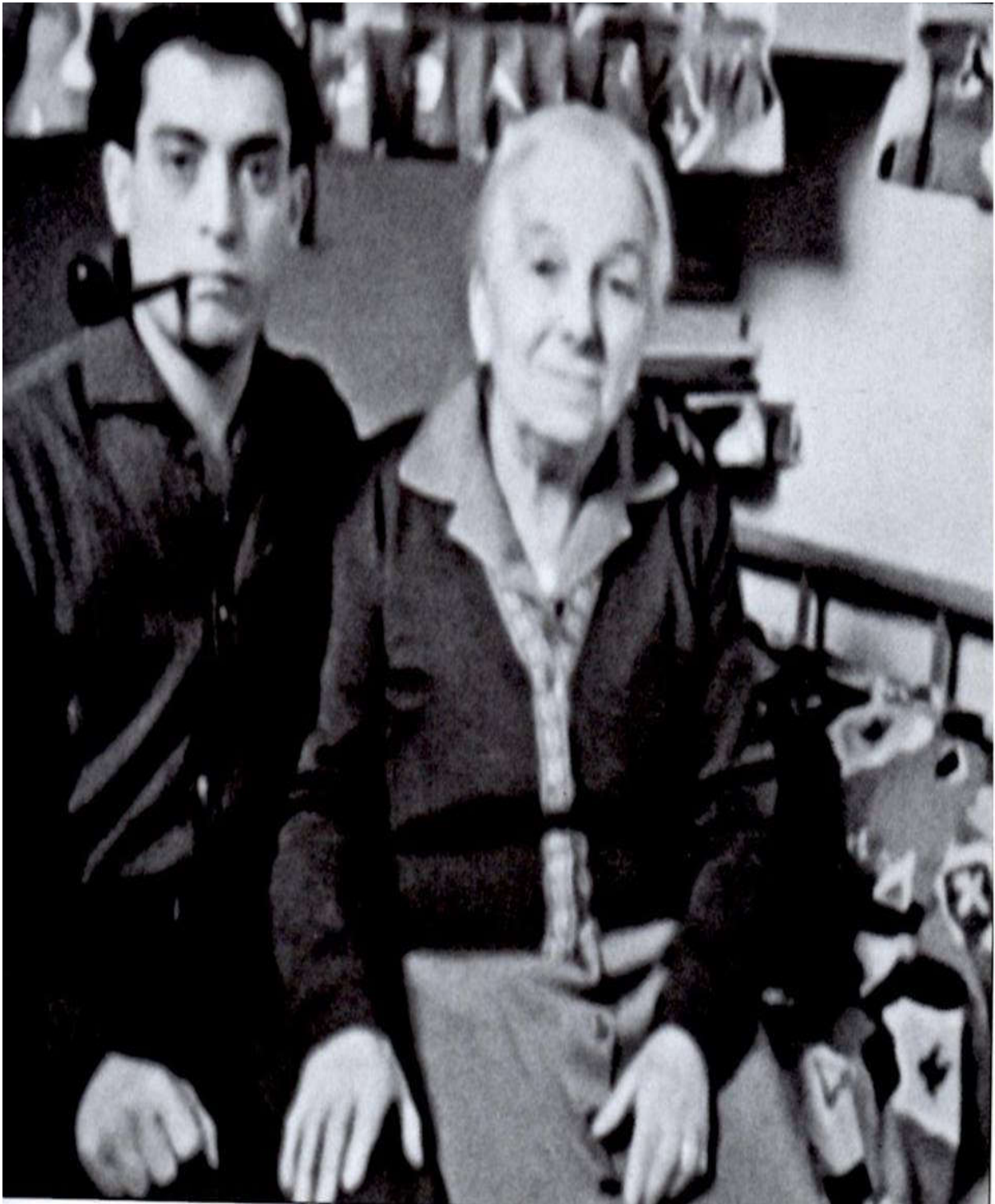
SAT-FAM : Service d'Assistance Technique aux Français Musulmans d'Algérie

SCAA : Service de Coordination des Affaires Algériennes

SCINA : Service de Coordination des Information Nord-Africaines

¹.- House (Jim) et MacMaster (Neil) op cit, p 101.

الملحق رقم 08: الداعمين الأوائل لفدرالية «ج.ت.و» بفرنسا.



السيدة (De Neuter) جدة (Jean-Jacques Rousset) في زيارة لـ(أحمد دوم) في

سجن «فران - Frenes» 1957².

² - Doum (Ahmad), op cit, s p.



بن سالم فضيل، السيدة الأم، ابنها جاك روسي، محمد مشاطي³.

³- مشاطي (محمد)، المصدر السابق، ص 66.

الملحق رقم 09: بعض أعضاء شبكة (جانسون) و(كوريال)⁴



Francis Jeanson

فرانسيس جانسون



Henri Curiel

هنري كوريال



Hélène Cuenat

هيلين كونا



Joyce Blau

جويس بلو



Claude Vinci

كلود فاتزي



Catherine Sauvage

كاترين سوفاج



Jacques Charby

جاك شاغبي



Isaac Deutscher

إسحاق دويتشر



Adolphe Kaminsky

أولف كمنسكي



Colette Tzanck (Jeanson)

كوليت تزانك جانسون



Didar Fawzy Rossano

ديدار فوزي روسانو

⁴ - Khettab (Rachid), op cit, p 118, 119, 120, 124.

الملحق رقم 10: بعض أعضاء الشبكة البلجيكية⁵



Jacques Nagels

جاك ناجال



Serge Maureaux

سارج مورو



Jean Van Liedt

جان فان لييدر



André Merche

أندري مارشي



Marc De Kock

مارك دو كوك



Cécile Draps

سيسيل درابس



Ernest Mandel

إيرنست مندال

الملحق رقم 11: بعض شخصيات الدعم الألماني والنمساوي⁶



Alsing Andersen
ألسينغ أندرسن



Winfried Müller
وينفريد مولر



Piet Van der Zeijden
بيت فان دير زايدن



Gertrud Kuz
جارتروود كوز



Bruno Kreisky
برونو كريزكي



Wischnewski
Hans Juergen
ويشنيوسكي
هانس يورجن



Horst Seefeld
هورس سيفيلد



Erich Ollenhauer
إيريش أولنهاور



Ismail Balic
إسماعيل باليك



Schatz Otto Rudolf
شاتز أوطو رودولف

الملحق رقم 12: أعضاء من الشبكة السويسرية⁷



André Boesiger
أندري بويزيغر



Benjamin Romieux
بن يمين روميو



Charles Henri Favrod
شارل هنري فافرود



Henri Cornaz
هنري كورتاز



Jacques Berthelet
جاك بارتلي



Isabelle Vichniac
إيزابال فيشنيك



Jean Mayerat
جان مايرا



Mottier Christian
موتيي كريستيان



Marie Madeleine Brumage
ماري مادلان بروماج



Nils Anderson
نيلز أندرسون



Jean-Pierre Moulin
جان بيار مولين



Louis Orhant
لويس أورهان



Claude Richoz
كلود ريكوز



Gertrud Kuz
جيرترود كوز



Jacques Lehman
جاك ليهمان



Serge Frochot
سارج فروشو



Pasteur Rouget
القص روجي



Dr. Jean Pierre Girard
الطبيب جيان بيار جيرار



Charles Henri Favrod
شارل هنري فافرود
و فرحات عباس

⁷ - (RTS), Le porteur et le diplomate: La Suisse et la guerre d'Algérie, op cit.

الملحق رقم 13: شخصيات من الدعم الإيطالي⁸



Enrico Mattei
أنريكو ماتيني



Amintore Fanfani
أمطور فانفاني



Giangiacomo Feltrinelli
جيانجياكومو فيلترينيلي



Palmiro Togliatti
بالميرو توجلياتي



Rossana Rossanda
روسنا روساندا



giorgio la pira
جيورجيو لابييرا



giovanni pirelli
جيو فاني بيريلي



lelio basso
ليليو باصو



Maurizio Valenzi
موريزيو فالانزي



Giancarlo Vigorelli
جيانكارلو فيجورييلي

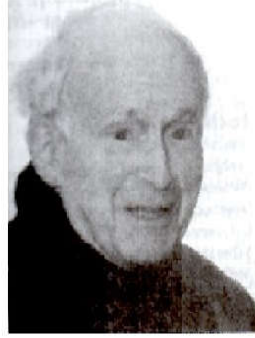


Vincenzo Balzamo
فينسنزو بالزامو

الملحق رقم 14: شخصيات من الشبكة الهولندية⁹



Jackob Monetta
يعقوب مونيتا



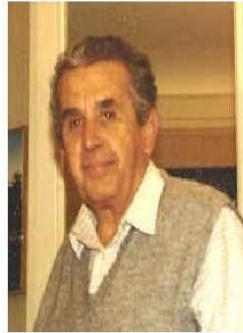
Laurent Schwartz
لوران شواتز



Pablo Raptis
بابلو رابتيس



Pierre Avot-Meyers
بيار أفوت مييار



Raymond Stambouli
ريموند سطمبولي

⁹ - www. Wikipedia.org, consulté le 04-01-2015 à 20:25.

الملحق رقم 15: بعض أعضاء شبكة الدعم المسيحية¹⁰



Robert Barrat

روبار بارا



Robert Davezies

روبار دافيزي



Pierre Mamet

بيار مامي



Bernard Boudouresques

بارنارد بودوراسك

الملحق رقم 16: واجهة جريدة «فريس ألجيرين» الألمانية، وجريدة «ألجير فريت»
فريت - Algier Frit

Freies Algerien

Nr. 1/2
Februar-März 1962

5. Jahrgang
Preis 40 Pfg.

AUF DEM WEGE ZUM FRIEDEN

Der Wortlaut des Kommuniqués

Tunis, 28. Februar (AFP). Das vom algerischen Revolutionsrat am Mittwochmittag veröffentlichte Kommuniqué hat folgenden Wortlaut:

„Der Nationale Rat der algerischen Revolution (CNRA) hat vom 22. bis 27. Februar 1962 in außerordentlicher Session in Tripoli getagt. Nach der Diskussion über die Verhandlungen mit der Regierung der französischen Republik beauftragt der CNRA die provisorische Regierung der algerischen Republik (GPRA) mit der Weiterführung der im Gange befindlichen Verhandlungen.“

Das algerische Problem steht zur Zeit verstärkt im Mittelpunkt der Weltöffentlichkeit. Seit Mitte Februar bekommen die halbmonatlichen „Spekulationen“ in der Weltpresse über die Geheimverhandlungen durch offizielle Erklärungen der französischen Regierung und der FLN konkreten Inhalt.

Von beiden Seiten wird bestätigt, daß die Verhandlungen soweit fortgeschritten sind, daß es nur noch der Klärung bestimmter Fragenkomplexe bedarf, um zum Abschluß eines Waffenstillstandabkommens zu gelangen. Der Waffenstillstand ist der erste Schritt zum Frieden in Algerien, aber noch nicht der Frieden, noch nicht die Unabhängigkeit, noch nicht die Freiheit, für die die algerischen Massen in einem über sieben Jahre währenden Kampf große Opfer gebracht haben. Viele Probleme, die am Verhandlungstisch, wenn auch nur in hartem Ringen, als gelöst erscheinen, werden im rauen Klima der Wirklichkeit, in einer gespannten Atmosphäre, die der siebenjährigen Krieg geschaffen hat, weitere Schwierigkeiten bereiten.

Selbst auf militärischem Gebiet sind die Klippen, an denen der Frieden zerbrechen kann, noch nicht beseitigt. Auch unter den günstigsten Voraussetzungen hätte es große Schwierig-

keiten gegeben; jedoch die Terrorakte der OAS in Algerien und Frankreich haben eine Situation geschaffen, die vieles, wenn nicht alles in Frage stellen kann. Das ist auch der Zweck dieser Massaker. Die OAS und die Kräfte, auf die sich ihre Terror-Kommandos stützen, wollen jede Friedensmöglichkeit, die nicht ihr „Algérie française“ verwickelt, torpedieren.

Es ist noch nicht zu übersehen, welche Ausmaße diese Subotagen des Friedens und der Unabhängigkeit annehmen werden. Die Regierung de Gaulles ist nun in einer Zwickmühle. Ihr geht es wie dem Zauberlehrling. Die Geister, die sie rief, die wird sie nun nicht los; besonders deshalb, weil letzten Endes diese Kräfte „Fleisch von ihrem Fleisch“ sind, weil sie sich scheut, alle ihr zur Verfügung stehenden Mittel anzuwenden, um der OAS den Garaus zu machen. Der Nährboden für die OAS sind die französische Armee, besonders die in Algerien, und die Kolonisten. Bleiben beide Teile in Algerien,

so wird die OAS weiter wüten. Die Herausziehung der Armeen und die Abberufung eines Teiles der Franzosen aus Algerien würde jedoch den Terror in Form einer faschistischen Bewegung nach Frankreich importieren, der allein von einer breiten, kämpferischen und demokratischen Massenbewegung gehindert werden kann, ihr blutiges Spiel und ihre kriegerischen Pläne weiterzuführen.

Die Regierung Debré aber will diese Massenbewegung nicht. Dies ist der Grund, warum diese Regierung gegenüber den faschistischen Stoßtrupps ohnmächtig ist und dieser Lüge nicht Herr wird.

Aber von Seiten der FLN ist gerade die Niederschlagung der OAS eine der Bedingungen des Waffenstillstandes. Gelingt es nicht, die OAS in Algerien niederzuschlagen, so werden die Bombenattentate und die Massaker weitergehen und das algerische Volk wird weiter leiden und bluten.

Die Bilanz des Algerienkrieges

6 400 000	Landbewohner hatte Algerien 1954. Heute sind etwa
3 000 000	Algerier (nach algerischen Angaben) von ihren Feldern verschwunden, getötet, geflüchtet oder verschleppt.
7 230	Einwohner zählte 1954, wie Jules Roy berichtet, z. B. die Ortschaft Toudja; etwa
3 800	von ihnen sind noch dort. Rund
1 200	Tote hat die Befriedungsaktion gekostet.
	Natürlich ist diese örtliche Bilanz zufallsbedingt, aber folgende Schätzungen sollte man überdenken:
60 000	Opfer (Soldaten und Zivilisten) sind auf französischer, 600 000
1 000 000	Menschenleben auf algerischer Seite zu beklagen. Algerier, vorwiegend Frauen und Kinder, leben nach französischen Angaben zum Teil unter „herabgesetzten Lebensbedingungen“ in Umsiedlungslagern. Ihre Insassen bekamen zeitweise nur 700 Kal. je Tag und Kopf.
160 000	politische Gefangen gibt es nach algerischen Angaben. Davon in Zivilgefängnissen 16 000, in Durchgangslagern 12 000, in militärischen Internierungslagern 83 000.
300 000	algerische Flüchtlinge gab es im August 1960 in Tunesien und Marokko (nach Angaben der Liga der Rot-Kreuz-Gesellschaft).

جريدة الجزائر الحرة Freies Algerien الصادرة في ألمانيا الفدرالية¹¹.



جريدة الجزائر حرة Algier Frit الصادرة في الدانمارك¹².

Benamara (Kader) et Keller (Frits), op cit P 77. - ¹¹

Ibid, 50. - ¹²

الملحق رقم 17: نموذج لتقرير (SDECE) عن الدعم السويدي للثورة الجزائرية¹³.

PREMIER MINISTRE
S E C R E T

Destinataire n° 541
Le 15 février 1961
Référence : 41067/A

STAT-MAJOR DE L'ARMÉE
22 BUREAU
Date 16 FEV 1961
N° 179 -
Classement

ALGERIE - SUEDE - AFRIQUE

NE PAS FAIRE ETAT
SECRET

AU SUJET DE LA SUEDOISE Gerd ALMGREN (1)
EN CONTACT AVEC LE F.L.N.

Notre diffusion n° 31451/A du 28 mai 1960 signalait qu'au mois d'avril 1960, BOUMENDJEL avait rencontré à CONAKRY la Suédoise Gerd ALMGREN et qu'il l'avait priée de se mettre en rapport avec le délégué du F.L.N. à STOCKHOLM.

A 579 776
(Date: actuelle)
Presse

Gerd ALMGREN avait fait, en janvier 1960, un reportage en Afrique Noire pour le compte du "Stockholm Tidningen", dont le rédacteur en chef est Victor VINDE (2) bien connu pour ses sentiments pro-F.L.N.

En décembre 1960, elle est rentrée d'un voyage en Algérie.

.../...

Destinataires :

Ministre d'Etat chargé des Affaires Algériennes
Secrétaire Général pour la Communauté
E.M.G.D.N./REN (2 ex.)
A. E. - Secrétariat Général
Armées- E.M.G.A./Outre-Mer
- E.M.A./2
Délégation Générale en Algérie (Bur. d'Etudes)
Général d'Armée Cdt en Chef des Forces en Algérie
Conseiller Technique auprès C.C.I.

(1) - Mlle Gerd Josefina ALMGREN. Suédoise. Née le 24.9.1925 à UPPSALA. A fait, à PARIS, trois années d'études d'art au cours desquelles elle a fait la connaissance de nombreux étudiants africains.
(2) - Cf la fiche annexe à notre inf. n° 39012/A du 22.12.60.

(W)

- 2 -

41067/A

MINISTRE

S E C R E T

Gerd ALMGREN qui est actuellement speakerine à la Télévision suédoise doit se lancer prochainement dans le théâtre. Au cas, où elle ne trouverait pas d'engagement, elle partira pour la Guinée d'où elle compte faire un reportage pour la Télévision, sur l'Afrique Noire.

NE PAS FAIRE ETAT

SECRET

NOTA

1° - Gerd ALMGREN n'a pas demandé de visa pour l'Algérie à l'ambassade de France à STOCKHOLM. Il pourrait donc s'agir d'un voyage clandestin.

2° - On trouvera ci-dessous la photographie de Gerd ALMGREN.



Gerd ALMGREN

الملحق رقم 18: نموذج لتقرير (SDECE) عن الدعم الإسباني للثورة الجزائرية¹⁴.

PREMIER MINISTRE
S. D. E. C. E.

Destinataire N° 5114
Le 18 avril 1961
Référence : 43532/A

E4

STAT-MAJOR DE L'ARMÉE
25 BUREAU
Date 19 AVR 1961
N° 83 -
Classé

ALGERIE - ESPAGNE - MAROC

SECRET

ACTIVITES DU REPRESENTANT F.L.N. A MADRID

A 609 232
(6.4.61)
C/3

I - Salah MAHBOUBI, représentant F.L.N. à MADRID, se trouvait le 6 avril 1961 de retour dans la capitale espagnole.

Il s'était d'abord rendu à TANGER pour y accomplir une mission au profit du F.L.N. Il avait ensuite effectué une liaison avec RABAT pour y régler, sur le plan administratif, le cas de quelques Algériens se trouvant actuellement de passage à MADRID.

A 609 233

II - A la suite des ordres que Salah MAHBOUBI avait reçu directement de la Fédération de France, le F.L.N. a précisé à son chef du bureau de MADRID qu'il n'avait d'ordre à recevoir que du ministère des Affaires Extérieures ou, à la rigueur, que du représentant du G.P.R.A. à RABAT. Salah MAHBOUBI avait en outre toute latitude pour apporter ou non de l'aide aux Algériens de passage en Espagne.

.../...

Destinataires :
E.M.G.D.N./REN - 2 ex.
Ministre d'Etat chargé des Affaires Algériennes
A. E. - Bureau de Liaison Algérie
Armées - Cabinet
- E.M.A./2
Intérieur - D.G.S.N. (Cabinet)
- S.N.S.T.
- Dn des Affaires Algérie
- S.C.I.N.A.
Délégation Générale en Algérie (Bur.d'Etudes)
S.M. - Algérie/2° B.
Conseiller Technique auprès C.C.I.

(2)

III - Selon MURCHIE ne peut fournir absolument aucune information à son ministère des A.E. sur l'activité des "Ultras" à MEXICO. D'une part, il se sait surveillé en permanence par la police espagnole, d'autre part, il craint, s'il venait à être identifié par les "Ultras", d'être victime d'un attentat.

الملحق رقم 19: نموذج لتقرير (S.D.E.C.E) عن الدعم النمساوي للثورة الجزائرية¹⁵.

PREMIER MINISTRE
S. D. E. C. E.

E4

Destinataire N° 541

Le 28 septembre 1961

Référence : D 1401/A

SECRET

DATE 29 SEP 1961
No 449 - F
Classement

ALGERIE - AUTRICHE

833

LE PARTI SOCIALISTE AUTRICHIEN ET LE F.L.N.

A 559 034
(12.9.61)
B/3

Le "Parti Socialiste Autrichien" (S.P.O.) estime qu'il n'est pas possible de s'opposer plus longtemps à l'installation d'une représentation algérienne à VIENNE. La question a été évoquée récemment au sein du comité directeur du S.P.O. qui veut toutefois en saisir auparavant la S.F.I.O. afin de connaître sa position.

Au cours de la discussion de cette question, il a été expressément entendu qu'une telle représentation devait se voir interdire strictement toute activité tendant à se procurer des armes pour le F.L.N....

Destinataires :

Ministre d'Etat chargé des Affaires Algériennes
E.H.C.D.N./REN (2 ex)
A. B. - Bureau Liaison Algérie
-- Service Europe Centrale
Armées- E.M.A./2
Délégation Générale en Algérie (Bureau d'Etudes)
E.H. Algérie/2° B
125ème Brigade

(R)

الملحق رقم 20: نموذج لتقرير (S.D.E.C.E) عن الدعم السويسري للثورة الجزائرية¹⁶.

E4

PREMIER MINISTRE
S. D. E. C. E.

Destinataire N° 411
Le 10 juin 1961
Référence : 45425/A

ETAT-MAJOR DE L'ARMEE
2^e BUREAU
DATE 12 JUIN 1961
N° 269-1A
Classement 883
ALGERIE - SUISSE

NE PAS FAIRE ETAT
SECRET

COLLECTES DE FONDS POUR LE F.L.N.

A 627 694
(Date : act.)
B/3

A compter du mois de mai les cotisations versées chaque mois par les militants F.L.N. ne seront plus adressées par mandat-poste à l'adresse suivante : "Croissant-Rouge, TUNIS ; pour réfugiés algériens", mais versées directement aux chefs de cellules comme par le passé.

Les responsables locaux de GENEVE, LAUSANNE, ZURICH et BERNE sont chargés de récupérer les fonds perçus et de signaler ceux qui refusent de verser leur cotisation.

Chacun d'eux devra, à l'avenir, pouvoir disposer d'un "fonds de roulement" de 200 Fr suisses.

Le montant de la cotisation exigible a été ramené de 30 à 20 Fr mais il reste entendu que le don doit correspondre aux possibilités financières des intéressés.

Destinataires :

Ministre d'Etat chargé des Affaires Algériennes
E.M.G.D.N./REIN (2 ex.)
A. E. - Secrétariat Général
Armées- E.M.A./2
Intérieur - D.G.S.N. (Cabinet)
- S.N.S.T.
Délégation Gie en Algérie (Bur. d'Etudes)
Conseiller Technique auprès C.C.I.

(H)

الملحق رقم 21: نموذج لتقرير (S.D.E.C.E) عن الدعم البلجيكي للثورة الجزائرية¹⁷.

E 4

PREMIER MINISTRE
S. D. E. C. E.

Destinataire N° 541
Le 28 novembre 1961
Référence : D 4480/A

DATE 29 NOV 1961
N° 549
Clossement 233
ALGERIE - BELGIQUE

SECRET

RESEAU BELGE DE SOUTIEN AU F.L.N.

A 673 394
(Nov. 61)
B/1

L'imprimerie "Typorex" (sise Galglaan 107 à GAND) est le fournisseur attitré du "Comité Belge pour la Paix en Algérie".

Le propriétaire de cette imprimerie est Johannes De CONINCK, membre du réseau belge de soutien au F.L.N.

NOTA : On trouvera en annexe une fiche sur De CONINCK.

*
* *
*

Destinataires :

Ministre d'Etat chargé des Affaires Algériennes
E.M.G.D.N./REN (2 ex.)
A. E. - Bureau Liaison Algérie
- S/Dn Europe Septentrionale
Armées- E.M.A./2
- Gendarmerie et Justice Militaire
- D.S.M.
Intérieur - D.G.S.N. (Cabinet)
- S.N.S.T.
- S.C.I.N.A.
Délégation Générale en Algérie (Bur. d'Etudes)
123ème Brigade
Général Cdt Interarmées au Sahara

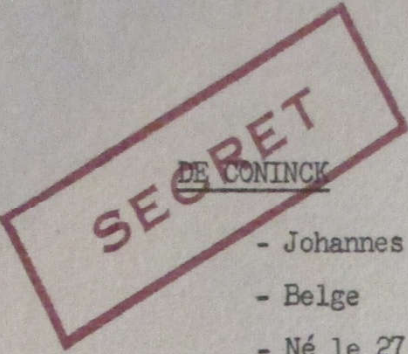
(J)

LE MINISTRE

- 2 -

D 4480/A

S. D. L. C. E.

A N N E X E
-----
DE CONINCK

- Johannes - Albert
- Belge
- Né le 27.2.1912 à GAND
- Fils de Léopold et Ludovica MOUTON
- Imprimeur
- Membre du réseau belge de soutien au F.L.N.
- Marié le 29.2.1936 à GEUTERUGGE avec :

STEVENS Florentina - Juliana

- Belge
 - Née le 26.6.1907 à GENTERUGGE
 - Domicilié à GAND, Galglaan 107
 - 1 fille : Lucienne, née le 1.5.1940 à GAND - Institutrice.
-
-

الملحق رقم 22: نموذج لتقرير (S.D.E.C.E) عن الدعم البريطاني للثورة الجزائرية¹⁸.

PREMIER MINISTRE
S. D. E. C. E.

Destinataire N° 591
Le 24 novembre 1961
Référence : D 4360/A

ETAT-MAJOR DE L'ARMEE
21 BUREAU
DATE 25 NOV 1961
N° 543
Classé 2m
833

ALGERIE - GRANDE-BRETAGNE

SECRET

NE PAS COMMUNIQUER AUX ALLIES

MANIFESTATION PRO-F.L.N. A LONDRES

(Date : V. texte)
B/1

A l'occasion du 8ème anniversaire de la rébellion en Algérie, un meeting public a eu lieu à LONDRES le dimanche 5 novembre 1961.

Ce meeting avait été organisé par : M. SOMARAI, de la "Fédération des Etudiants d'Irak" à LONDRES.

Après avoir prononcé quelques mots de bienvenue, SOMARAI passa la parole à John BAIRD (1) qui reprit ses thèmes habituels sur les atrocités françaises en Algérie. Il annonça qu'il se rendrait au Maroc pour Noël et qu'il comptait y rencontrer les chefs du F.L.N.

Se succédèrent ensuite à la tribune :

- M. SOMARAI (organisateur du meeting)
- M. FUMI (West African Students Union)
- M. NICTAF (Iran Students Society)

.../...

Destinataires :

Ministre d'Etat chargé des Aff. Algériennes
E.M.G.D.N./REN (2 ex.)
A. E. - Bureau Liaison Algérie
- S/Dn Europe Septentrionale
Armées- E.M.A./2
Intérieur - D.G.S.N. (Cabinet)
- S.N.S.T.
Délégation Gle en Algérie (Bur. d'Etudes)
E.M. Algérie/2° B.
123° Brigade

(H)

(1) - Voir fiche en annexe.

MM. Fenner BROCKWAY et Will GRIFFITHS, qui devaient également participer au meeting, furent attendus en vain.

John BAIRD clôtura le meeting en proposant de déposer à l'ambassade de France une motion réclamant l'application à l'Algérie des concepts de liberté, d'égalité et de fraternité.

Cette motion fut adoptée à l'unanimité des personnes présentes.

Au cours du meeting, la revue "Free Algeria" a été vendue.

Un papillon a été également distribué, annonçant une "démonstration de masse" pour le 26 novembre.

.../...

ANNEXEBAIRD John**SECRET****A NE PAS COMMUNIQUER AUX ALLIÉS**

- Britannique
- Né en 1906
- Enseignement secondaire et école de médecine.
- Chirurgien dentiste.
- Marié - 1 fils - 1 fille.
- Adhère au parti travailliste en 1930.
- Député depuis 1945 - Candidat pour WOLVERHAMPTON (Nord-Est).
- Membre du "Comité britannique pour les réfugiés algériens".
- Membre du "Comité britannique pour l'Algérie".
- Publie à LONDRES le périodique mensuel "Free Algeria".

(H)

الملحق رقم 23: نموذج لتقرير (S.D.E.C.E) عن الدعم الإيطالي للثورة الجزائرية¹⁹.

PREMIER MINISTRE
S. D. E. C. E.

Destinataire n° 542
Le 29 avril 1961
Référence : 43944/IV

E4

ÉTAT MAJOR GEN. AVANCE
25 BUREAU
Date 203-1
N°

SECRET

ITALIE - ALGERIE

NE PAS COMMUNIQUER AUX ALLIES

ACTIVITES DU COMITE ITALIEN POUR LA PAIX EN ALGERIE

(13.4.1961)
1/2

Le comité italien pour la paix en Algérie (1) a décidé de poursuivre la publication de la revue "ALGERIA". Le deuxième numéro, daté du mois d'avril 1961, imprimé par la S.A.I.G. (1), a été diffusé en supplément au numéro 74 du 5 avril 1961 du bulletin de l'AGENZIA DIPLOMATICA, 85 via del Babuino à ROME, dirigé par Vittorio CALZAVARA. Il donne la composition du comité directeur et celle du secrétariat de cette organisation (2).

Ce comité s'est constitué en février dernier, pour essayer de contrebalancer l'action du comité anticolonial italien (3) où les communistes sont très influents. En retirant au P.C. italien l'initiative de la propagande en faveur du F.L.N., ses promoteurs désiraient organiser une campagne pour la paix en Afrique du Nord, sur un plan plus équilibré, plus réaliste moins antifrançais et moins antioccidental.

.../...

Destinataires :
Ministre d'Etat chargé des Affaires Algériennes
E.M.G.D.N./Info
E.M.G.D.N./REN (2 ex.)
A.E. - Bureau de Liaison Algérie
- Direction Politique - Bureau d'Etudes
- S/Dn Europe Orientale (U.R.S.S.)
- S/Dn Europe Méridionale
Armées - E.M.A./2
Délégation Générale en Algérie (Cabinet)
Conseiller Technique auprès C.C.I.
Information - Cabinet

(1) - Voir notre information 42812/IV K du 28 mars 1961
(2) - Voir en annexe
(3) - Siège à ROME, 58 via Vennazio Fortunato.

(U)

- 2 -

43944/IV

Parmi les noms des membres du comité directeur du comité italien pour la paix en Algérie il convient de noter celui du député socialiste Lucio LUZZATTO, membre du Conseil mondial de la paix, vice-président du comité permanent pour la lutte contre le colonialisme dans la méditerranée et le Moyen-Orient et secrétaire du comité anticolonial italien.

On relève également les noms de Ferruccio PARRI et de Giancarlo VIGORELLI, du parti socialiste italien (tendance VECCHIETTI) favorables à la fusion P.C.I./P.S.I.

Il est donc facile de supposer que les activités des deux organisations de propagande en faveur du F.L.N. seront très voisines et que les communistes y appliqueront leur tactique de pénétration habituelle.

ANNEXEMEMORANDUM DU COMITE DIRECTEUR DU COMITE ITALIENPour la Paix en ALGERIE**SECRET****PAS COMMUNIQUER AUX ALLIES**

- Maggiore SANDIERA
- Luciano BERLANTI
- Gen. Vincenzo MELLINARO
- Franco MELATTO
- Col. Alessandro BUTTE
- Bartolo CUCCHINI
- Col. Tristano CUCIGNOLA
- Corrado CORREI
- Feriño de ANGELIS
- Carlo de STEFANIS
- Col. Carlo DONAT CATTELLI
- Enzo Enriquez ADELLANTI
- Col. Franco GERARDI
- Col. Corrado LORO
- Col. Giorgio LA VITA
- Col. Riccardo LOMASCI
- Col. Ruggero LOMASCI
- Col. Lucio LUCIATTO
- Carlo MONTILLA
- Col. Flavio ORLANDI
- Gian Piero ORSILLO
- Col. Luciano PACLIONI
- Gen. Ferruccio PARRI
- Giuseppe PATRONO
- Col. Giovanni PIERACINI

.../...

- 4 -

439AA/II

- On. Camillo RIPAMONTI
- On. Vincenzo RUSSO
- Pier Luigi SAGONA
- Roberto SAVIO
- On. Mario TORRES
- Giancarlo VIGORELLI
- Paolo VITTORELLI

Membres du secrétariat du comité

- Franco BRIATICO
- Bartolo CICCARDINI
- Celso de STEFANIS
- Carlo DONAT CATTIN
- Giuseppe PATRONO
- Giovanni PIERACCINI
- Pier Luigi SAGONA

الملحق رقم 24: نموذج لبطاقة معلومات حول نشاطات (ج.و.ت) في أوروبا²⁰.

1959

APPUI EXTERIEUR

ESPAGNE

FICHE N° A. 5 (3)

N°	ORIGINE ET REFERENCE	SOURCE	VALEUR ET DATE	RENSEIGNEMENT	OS
16 -	DELTA/90 BR. N° 561 BR. N° 513 du 24.4.1959	n.p.	B/3-101	- <u>Trafic d'armes au profit de l'A.L.N.A.</u> Des fusils espagnols arrivent actuellement en petites quantités à OUDJA. Il s'agit d'armes vendues à l'A.L.N.A. par des Officiers espagnols de MELILLA déclarant agir à titre strictement personnel. Les Autorités locales sont toutefois au courant de ce trafic et ne font rien pour l'interdire.	2.4
17 -	TO CCS DAKAR 2581 du 6.5.59	n.p. très bonne	n.c. 2.5.59	- <u>Liaisons radio ALN TARPAYA-AUTORITES ESPAGNOLES EL AIOUN.</u> Une liaison radio existerait à compter du 2 mai entre le poste ALN de TARPAYAT desservant le Gouverneur de la Province et les autorités espagnols d'EL AIOUN. <u>NOTA F. : - TARPAYA = Cap JUBY.</u> <u>- EL AIOUN = 10 km SSO du Cap JUBY.</u>	
18 -	S.D.E.C.E. N° 22963 /A du 16.9.59	n.p.	B/3 août 59	- <u>Activités du F.L.N. en ESPAGNE.</u> Une imprimerie clandestine pour le PIN fonctionne à MADRID dans les ateliers de Hans BURKHOLZ. Les imprimés et brochures sont tirés sous la surveillance de deux Algériens qui prennent soin de détruire personnellement les clichés et matrices une fois le travail terminé. Ce matériel de propagande est acheminé ensuite par valises et par route jusqu'à BARCELONE où les deux Algériens en prennent livraison. BURKHOLZ est payé en dollars. Il ignore pratiquement, semble-t-il les textes ainsi imprimés.	E.7 Pr
19 -	S.D.E.C.E. N° 24981/B du 17.11.1959	np.	B/2 7.11.59	- <u>Consignes données à La Presse Espagnole au sujet des affaires algériennes-</u> Les autorités espagnoles viennent de donner à leurs journaux, les consignes suivantes en ce qui concerne les affaires algériennes : - Les déplacements des leaders rebelles algériens en ESPAGNE doivent être passés totalement sous silence. - La presse devra éviter de signaler ou d'évoquer tout incident mettant en cause des Algériens musulmans en ESPAGNE (vols, trafics, passages clandestins de frontières, diffusion d'articles de propagande, etc....).	

10^e REGION MILITAIRE 2^e BUREAU

FICHIERS-NOVACARTE ACKER 1 PIGE
PARIS-ALGER. 67984 3810.314



LE PROCÈS DU « RÉSEAU JEANSON » S'ACHÈVE

Le procès du « réseau Jeanson » s'achève. Trois avocats restaient à entendre. Mais il ne s'agit plus, à vrai dire, maintenant du cas de tel ou tel des accusés, mais du problème que les uns et les autres posent à leurs juges. C'est ce qu'a dit sans équivoque M. Maurice Courrégé quand il a déclaré : « Ce n'est pas la personnalité des accusés pour lesquels je plaide qui est ici le principal souci, mais l'importance politique et militaire des faits qui leur sont reprochés. » Et avant lui M. Mourad Oussedik, l'Algérien, avait pu dire : « Quelle que soit votre décision, vous ne sanctionnez pas.

Vous ferez comprendre que vous n'avez pas jugé, mais seulement opté. » Ce fut en effet l'un des grands thèmes de cette journée. La défense qui s'exprimait n'a pas caché qu'elle avait conscience de la vanité de son entreprise. Elle n'a pas dissimulé que dans une telle affaire les accusés n'espèrent pas amener leurs juges à reconnaître que les premiers combattants de la seconde guerre mondiale, que le combat des seconds était injuste et juste celui des premiers. Ainsi est-il admis qu'entre le tribunal et les accusés qui revendiquent leurs responsabilités, musulmans comme métropoli-

ains, il n'y a jamais eu autre chose qu'un dialogue de sourds. C'est en effet un constat. Et il permettait à M. Oussedik d'en tirer cette conséquence : « Je dis que la France est partagée en deux camps, qu'il y aura un camp qui triomphera et un autre qui sera éliminé. » Autrement dit, nous sommes au seuil d'une guerre civile. Cependant cette même défense n'en a pas moins exploité abondamment à son profit les phrases et les déclarations du chef de l'Etat parlant de « l'Algérie algérienne », disant aux Algériens : « L'Algérie est à vous. »

Compte rendu d'audience de J.-M. THEOLLEYRE

Reprenons maintenant la fastidieuse analyse de ces nouveaux plaidoyers. Il y eut d'abord pour Aliane Hanimi M. Marie-Claude Radziewski, qui est jeune, blonde et de race comme de vœurs bougeoise. Elle a vu avec passion sa carrière à la cause algérienne du F.L.N. Pour elle le problème est celui de la justice née de la guerre d'Algérie.

M. Claudine Nahori avait à parler pour Mue France Binard. Tout de suite elle retient l'attention par le raisonnement suivant :

« J'ai entendu à propos de ce procès une réflexion qui m'a frappé car elle peut être la clé du problème. On m'a dit : « Dans cette affaire le cas des musulmans est le moins scandaleux. Mais celui des métropolitains... » Ainsi fait-on une différence. Mais si les Algériens étaient les Français que l'on dit, pourquoi trouverait-on leur cas moins grave ? Cette réaction épidermique, n'est-ce pas la France que l'Algérie n'est pas la France.

M. Nahori ne manque pas non plus de s'en prendre au commissaire du gouvernement pour son fameux exposé sur les raisons de l'expédition de 1830.

Elle regrette qu'il ait invoqué M. Charles-André Julien sans le citer et elle poursuit : « La colonisation c'était hier. Nous n'y pouvons rien, son temps est passé. Cet appui du monde, dont vous étiez si fiers, nous sommes en train de le perdre aujourd'hui à cause de cette même Algérie. Les hommes, quels que soient leurs races, leurs pays, sont amenés à repenser leurs convictions. Tout va très vite. Comme l'a dit le chef de l'Etat, si tous les hommes ont besoin aujourd'hui les uns des autres il faut qu'ils soient à même de jouer ce rôle dans le concert humain ».

Et M. Nahori a dit : « Nous sommes en train de perdre le monde, dont vous étiez si fiers, nous sommes en train de le perdre aujourd'hui à cause de cette même Algérie. Les hommes, quels que soient leurs races, leurs pays, sont amenés à repenser leurs convictions. Tout va très vite. Comme l'a dit le chef de l'Etat, si tous les hommes ont besoin aujourd'hui les uns des autres il faut qu'ils soient à même de jouer ce rôle dans le concert humain ».

péta alors qu'elle avait « aidé volontairement le peuple algérien dont la lutte est la nôtre puis qu'elle a inscrit dans une perspective révolutionnaire ». Et elle conclut : « Si vous jugez et condamnez des Français plus louches que d'autres, demain c'est tout le peuple qui nom de qui vous jugez qui pourra demander des comptes. »

« Ici, côte à côte les Algériens de demain et les Français de demain »

La parole fut à M. Oussedik. Il est Algérien. Nous avons déjà vu l'occasion de dire qu'il y a en lui l'ardente névrose d'un écorché vif, déchiré entre une culture française profonde et le drame de sa terre natale. Il commence ainsi :

« On a voulu parler de trahison. Pourquoi ? Alors les Algériens, est-ce trahir la France ? Voilà la question, messieurs. Si dans un Algérien nationaliste vous voyez un ennemi, alors dites-le dans votre jugement. Nous en lirons les conclusions qu'il faudra. » Et il poursuit : « Si les circonstances forcent des officiers, ceux que vous êtes, à devenir des policiers, ils le resteront. Que vous a-t-on donné, messieurs ? Des guerres coloniales. Vous avez souffert. Vous avez combattu la Résistance. Depuis on vous a jeté dans les rizières et les djebels. On ne vous demandait pas d'étudier une carte d'état-major pour préparer une offensive. On vous demandait du « renseignement ». On ne vous demandait plus d'installer des mitrailleuses, mais des magnéto. Que sortirez-vous de tout cela ? Nous avons le droit de dialoguer, vous, officiers, moi, avocat, pour comprendre Jean-Claude Pauvert, soldat de deuxième classe. »

M. Oussedik ajoute après avoir évoqué la condamnation à mort par contumace du général de Gaulle : « Etes-vous sûrs que les vingt-quatre jours du Cherche-Midi ne seront pas marqués à l'encre rouge au livre de l'histoire. Ne vous laissez pas prendre au con-

nous sommes dépassés, messieurs ! Ce que je vous demande, c'est un jugement dans l'absolu. Vous êtes militaires. Vous respectez le courage. Ils en ont. Ces Français ne sont pas au service du F.L.N. Ils sont côte à côte. »

La parole est à M. Maurice Courrégé. Son exorde est une réponse aux accusations ou aux condamnations d'une défense dont il fut. Réponse au commissaire du gouvernement pour dire que l'honneur et la patrie ne sont pas une chasse gardée et que le bâtonnier Alléhaud l'a fait savoir. Réponse à M. Michelet pour ses propos de Douai : la passion politique existait tant qu'il y aura des procès politiques. Réponse à ses confrères signataires de la pétition que l'on sait.

Cela dit, le procès. Pas de doute. Il constitue un scandale. Scandale de voir pour la première fois au cœur de Paris des Français et des Algériens côte à côte et non point honteux mais « qui rayonnent de joie ». Scandale de les entendre dire qu'ils sont fiers de leur combat, de voir des témoins éminents leur apporter leur estime, d'être même prêts à les rejoindre. Scandale encore de découvrir entre leurs défenseurs et eux une barrière trop mince.

M. Courrégé continue : « Mes confrères ont plaidé pour les acquittés de demain, ceux qui sont là par erreur. Mais les autres ? Nos censeurs ne comprennent-ils pas que nous sommes avec eux devant un tribunal de guerre. Ce n'est pas la personnalité de ces accusés qui est ici le principal souci, mais bien l'importance politique et militaire des faits qui leur sont reprochés. Un homme comme

Hannouti Saïd, pour qui je plaide, que peut-il vous demander ? Peut-il espérer vous convaincre qu'il a raison et que vous avez tort ? Que votre combat est injuste et fautive le sien ? Il y a là un combat sans espoir. Comment n'être pas frappé par l'immortalité et la vaine de notre débat ? »

Et pour montrer cette inutilité, proche de la résignation, M. Courrégé a lu deux textes : l'un de Fouquier-Tinville, promis au tribunal révolutionnaire et exprimant déjà sa certitude du sort qui lui était réservé ; l'autre de Robert Brasillach, écrivant avant son procès : « Les juges sont choisis parmi des partisans. Ils sont convaincus que j'ai fait torturer les leurs. » Et Brasillach disait les mépriser beaucoup moins que l'avocat général et le président qui ont prétendu au maréchal Pétain. Cette lecture a suscité des réactions.

Revenant au propos du commissaire du gouvernement, il ne manquait pas de lui opposer la lettre de M. Charles-André Julien publiée par le Monde de vendredi.

Enfin il termina par des sentences personnelles, ceux des aubas dans les cours de prison ou allaient être guillotines des Algériens. « Je les ai embrassés comme des frères », dit M. Courrégé d'une voix étranglée. Ah ! si vous saviez, à ces heures, comme on découvre à travers ces hommes un autre visage de l'Algérie que celui que vous posez tout avec vos uniformes. »

● LE CONSEIL GENERAL DU LOIRE-ATLANTIQUE, qui a réuni vendredi pour la quarante-neuvième fois le sénateur Abel Duval à sa présidence, s'est émis dans un vote unanime à contre les attaques mensongères dont l'armée de la nation a été l'objet au cours du procès Jeanson.

LE MANIFESTE SUR « LE DROIT A L'II

3 OCT 1960

قائمة المصادر والمراجع

Sous-Série 1 H, (1945-1967), Tome II, service historique. Etats-Major de (أ) l'Armée de Terre, Ministère de la défense, château de Vincennes.

Carton 1 H 1158 –1 أ

Dossier 7: coupures de presse sur Henri Alleg et Maurice Audin (1960). – 1

Carton 1 H 1159 –2 أ

1. Dossier 1: coupure de presse sur l'organisation et l'activités du front de libération nationale en métropole (1958-1962).
2. Dossier 3: coupure de presse sur les réseaux métropolitains de soutien au front de libération nationale et le procès du réseau Jeanson (1960-1961).
3. Dossier 4: coupure de presse sur les manifestations organisées par le front de libération nationale à Paris (octobre 1961).
4. Dossier 5: procès verbaux des réunions du service central d'information nord-africain sur les activités terroristes du front de libération nationale en métropole (1958).

Carton 1 H 1596 –3 أ

-Dossier 2: Pays européens occidentaux (en particulier Espagne): aide aux rebelles algériens, relations avec les rebelles algériens (1956-1961).

Carton 1 H 1687 –4 أ

1–Dossier 1: Rébellion : collectes de fonds, ravitaillement, aide extérieur (1956-1961).

2 – Dossier 2: financement de la rébellion (1957-1959).

Carton 1 H 1718 –5 أ

1–Dossier 1: Activités des partis nationalistes en métropole: implantation du front de libération nationale et du mouvement nationale algérien, bulletins de l'état-major générale de la défense nationale sur les activités nord-africaines en métropole (juillet 1960-juin 1962) (1957-1962).

2–Dossier 2: renseignements sur les partis nationalistes en métropole (front de libération nationale et le mouvement nationale algérien) :

réseau jeanson (1960-1961), bulletins mensuels et quotidiens du service central d'information nord-africain (décembre 1961- 1962).

Carton 1 H 1740 – 6 أ

- 1 –Dossier 2: Représentation du front de libération nationale à l'étranger, délégations extérieurs, (1957-1962).
- 2 –Dossier 3: activités du front de libération nationale à l'étranger (1957).

Carton 1 H 1753 –7 أ

- 1–Dossier 2: bulletins du S.D.E.C.E. relatifs aux relations du front de libération nationale avec l'Allemagne (1958-1962).
- 2–Dossier 3: fiche de renseignements relatives à des offres de service faite au front de libération nationale par des allemands ; livraison d'armes et de matériels en provenance d'Allemagne (1958-1961).
- 3 –Dossier 4: bulletins du S.D.E.C.E. relatifs aux relations du front de libération nationale avec l'Autriche, la Belgique, le Danemark, l'Espagne, la Grande-Bretagne, la Grèce, l'Italie, le Portugal, la Suède, la Suisse, la Turquie et la Yougoslavie (1961-1962).

**Fond gouvernement générale d'Algérie (GGA) : Archives nationales – ب
d'Outre-mer, Aix-en-Pravence.**

Carton 84 F 1/828 – 1 ب

S.C.I.N.A, création et organisation (1955-1963).

Carton 84 F 2-3/828 – 2 ب

Procès-verbaux de réunions de S.C.I.N.A (1955-1963).

Carton 84 F 4-5/828 – 3 ب

Correspondances au départ (1955-1959)

II – الجرائد باللغة العربية

- 1 – المجاهد، العدد 14، بتاريخ 15 ديسمبر 1957.
- 2 – المجاهد، العدد 78، الاثنين 3 أكتوبر 1960.

III – الجرائد باللغة الفرنسية

- 1– El Moudjahid, V 2, n° 53-54 du 1^{er} novembre 1959.
- 11 février 1962.
- 13 Avril 1960.
- 14 février 1962.
- 15 octobre 1955.

- 20 Juin 1959.
 26 aout 1958.
 26 aout 1958.
 28 aout 1958.
 V 2, n° 59 du 5 février 1960.
 V 3, n° 62 du 31 mars 1960.
 V 3, n° 65, du 31 mai 1960.
 V 3, n° 78 du 23 février 1961
 Combat du 26 aout 1958. 2 –
 3 - L'Humanité, 14 Octobre 1955.
 4 - Le Figaro, 25 Avril 1958.
 5 - Le Monde, 26 Aout 1958.
 6 - Parisien Libéré, 26 aout 1958.
 7 - Paris-Presse, N° 4731, Samedi 27 Fevrier 1960.

IV - كتب المذكرات المترجمة إلى اللغة العربية

1. بوداود (عمر)، من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني، مذكرات مناضل، ترجمة محمد بن محمد بكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007. (270 ص).
2. جانسون (فرنسيس)، حربنا، توطئة بقلم عبد العزيز بوتفليقة، ترجمة ميشال شطوف، سلسلة أصوات مناهضة للاستعمار، منشورات ANEP، الجزائر، 2006. (97 ص).
3. سارتر (جان بول)، عارنا في الجزائر، ترجمة وتحقيق عائدة وسهيل إدريس، ط 2، منشورات دار الأدب، بيروت، 1963 (138 ص).
4. مشاطي (محمد)، مسار مناضل، ترجمة زينب قبي، منشورات الشهاب، الجزائر، 2010. (239 ص)
5. هارون (علي)، الولاية السابعة، حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي 1954-1962، تذييل محمد بوضياف، ترجمة الصادق عماري ومصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006. (652 ص).

V - كتب المذكرات باللغة الفرنسية

1. Alleg (Henri), La Question, collection voix de l'anticolonialisme, Alger ,Éditions ANEP, 2006. (80 p)
2. Benyounes (Mohand Akli), Sept ans dans le feu du combat. La guerre d'Algérie en France 1954-1962, Casbah Editions, Alger, 2012. (215 p)
3. Boudaoud (Omar), Du PPA au FLN. Mémoires d'un combattant, Casbah Éditions, Alger, 2007. (279 p)
4. Charby (Jacques), Les Porteurs d'espoir. Les réseaux de soutien au FLN pendant la guerre d'Algérie. Les Acteurs parlent, Chihab Editions, Alger, 2004. (298 p)

5. Cuenat (Hélène), La porte verte, préface de Francis Jeanson, Editions Bouchène, Paris, 2001. (170 p)
6. Doum (Ahmed), De la Casbah d'Algér à la prison de Fresnes 1954-1962, préface de Ahmed Taleb-Ibrahimi, Casbah Editions, Alger, 2013. (207 P)
7. Harbi (Mohammed), Les archives de la révolution algérienne, postface de Charles-Robert Ageron, Editions Dahleb, Alger, 2010. (583 p)
8. Haroun (Ali), La 7^e wilaya. La guerre du FLN en France 1954-1962, Casbah Éditions, Alger, 2006. (525 p)
9. Jeanson (Francis), Notre guerre, préface de Abdelaziz Bouteflika, collection Voix de l'anticolonialisme, Editions ANEP, Alger, 2006. (105 p)
10. Kiouane (Abderrahmane), Les débuts d'Une Diplomatie de guerre (1956-1962) journal d'un délégué à l'extérieur, Editions Dahleb, Alger, 2009. (256 p)
11. Liauzu (Claude), l'histoire de l'anticolonialisme en France du XVI^e siècle à nos jours, Editions Pluriel, Paris, 2012. (563 p)
12. Méchat (Mohamed), Parcours d'un militant, Chihab Editions, Alger, 2009. (262 p)
13. Merle (Marcel), L'anticolonialisme européen de Las Casas à Marx, collection U, Editions Armand Colin, Paris, 1969. (397 p)
14. Messali-Benkelfat (Djanina), Une vie partagée avec Messali Hadj, mon père, Hibr Editions, Alger, 2013. p (371)
15. _Moureaux (Serge), Avocats sans frontières. Le collectif belge et la guerre d'Algérie, Casbah Editions, Alger, 2000. (144 p)
16. Sartre (Jean-Paul), Positions anticolonialistes, préface de Fatima Beldjoud, collection Voix de l'anticolonialisme, Editions ANEP, Alger, 2006. (120 p)
17. Lebjaoui (Mohamed), Vérités sur la révolution algérienne, Anep Editions, Alger, 2005. (249 p)

IV – الكتب باللغة العربية

1. أولوا (ماري-بيار)، فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل من مقاومة الاحتلال النازي لفرنسا إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009. (333 ص)
2. بوعزيز (أ.د. يحيى)، الإتهامات المتبادلة بين ميصالي الحاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني (1946-1962). دار هومة، الجزائر 2003. (205 ص)
3. جربال (دحو)، المنظمة الخاصة لفدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني، منشورات الشهاب، الجزائر 2013. (436 ص)
4. حميد (عبد القادر)، الدكتور لمين دباغين المثقف و الثورة، دار المعرفة، الجزائر 2011. (167 ص)

5. حميد (عبد القادر)، فرحات عباس رجل الجمهورية، سلسلة عبر التاريخ، دار المعرفة، الجزائر 2007. (320 ص)
6. دبش (إسماعيل)، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية (1954-1962)، مرجعية لترشيد حاضر ومستقبل سياسة الجزائر الإقليمية والدولية ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007. (299 ص)
7. زوزو (عبد الحميد)، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012. (136 ص)
8. شبوط (سعاد يمينه)، الولاية الرابعة في مواجهة الحركات المناوئة للثورة الجزائرية (1954-1962). دار الهدى، الجزائر 2015. (409 ص)
9. شبوط (سعاد يمينه)، الولاية الرابعة في مواجهة الحركات المناوئة للثورة الجزائرية 1945-1962، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2015. (415 ص)
10. صغير (مریم)، المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954 - 1962، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012. (442 ص)
11. صنع الله (إبراهيم)، يوميات الواحات، ط 1، دار المستقبل العربي، القاهرة، بدون سنة الطبع.
12. طالب (مناد)، الفكر السياسي عند سارتر و الثورة الجزائرية. دار خطاب، الجزائر 2006. (302 ص)
13. عباس (محمد)، الحلم و التاريخ (1930 - 1962)، دار هومة، الجزائر 2013. (498 ص)
14. عباس (محمد)، رواد الوطنية. شهادات 28 شخصية وطنية، دار هومة، الجزائر 2004. (494 ص)
15. عميري (ليندة)، معركة فرنسا، حرب الجزائر بفرنسا، ترجمة وتقديم فضيل بومالة، منشورات الشهاب الجزائر، 2013. (276 ص)
16. قنان (جمال)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديثة و المعاصرة. منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1994. (325 ص)
17. كار (إدوارد هاليت)، العلاقات الدولية منذ معاهدات الصلح (1919-1939)، ترجمة سمير شيخاني، ط 1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992. (287 ص)
18. كيلر (فريتز)، تضامن الأمم: اليسار النمساوي والثورة الجزائرية 1958-1963، ترجمة من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية يوسف أعراب، مراجعة الترجمة رشيد خطاب، دار خطاب للطباعة والنشر، الجزائر، 2014. (423 ص)
19. لونيسي (إبراهيم)، مصالي الحاج في مواجهة جبهة التحرير الوطني خلال الثورة التحريرية، دار هومة، الجزائر، 2007. (101 ص)

1. Abane (Belaïd), Resistances algérienne, Abane Ramdane et les fusils de la rébellion, Casbah Editions, Alger, 2011. (760 p)
2. Amiri (Linda), La Bataille de Paris. La guerre d'Algérie en France, préface de Benjamin Stora, Chihab Edition, Alger, 2005. (236 p)
3. Association Sortir du Colonialisme, Résister à la guerre d'Algérie par les textes de l'époque, préface de Tramor Quemeneur, postface de Nile Anderson, Editions Les Petits matins, Paris, 2012. (186 p)
4. Barket (sidi Mohammed) et les Autres, Des Français contre la terreur d'Etat (Algérie 1954-1962), Editions Reflex, Paris, 2002. (186 p)
5. Beanamara (Kader) et Keller (Fritz), Solidarité en action, soutien européen à la résistance algérienne 1954-1963, Editions Barkai, Alger, 2013. (147 p)
6. Biondi (Jean-Pierre) et Morin (Gille), Les anticolonialistes (1881-1962), Editions Robert Laffont, Paris, 1992, p 245. (386 p)
7. Blanchard (Dominique-Emmanuel), Les Valises du professeur Jeanson, Casbah Editions Alger, 2015. (325 p)
8. Blanchard (Emmanuel), La police parisienne et les algériens (1944-1962), Casbah Editions, Alger, 2011. (448 p)
9. Bollardièrre (Jacques de), Bataille d'Alger, Bataille de l'Homme, Paris, Descellée De Brouwer, 1972. (168 p)
10. Bougherara (Nassima), Les rapports franco-Allemands à l'épreuve de la question algérienne (1955-1963), Volume 7 de Travaux interdisciplinaires et plurilingues en langues étrangères appliquées, ISSN 1660-9964, Editions Peter Lang, Berne, Suisse, 2006.
11. Branche (Raphaëlle), L'embuscade de Palestro, Algérie 1956, Casbah Editions, Alger, 2011. (254 p)
12. Cahn (Jean-Paul) et Müller (Klaus-Jürgen), La république fédérale d'Allemagne et la guerre d'Algérie 1954-1962, Editions el Maarifa, Alger, 2010. (509 p)
13. Carron (Damien), La Suisse et la guerre d'indépendance algérienne (1954-1962), Editons Dahleb, Alger, 2013. (495 p)
14. Cheurfi (Achour), Dictionnaire de la révolution algérienne (1954-1962), Casbah Editions, Alger, 2004. (495 p)
15. Cheurfi (Achour), La classe politique algérienne de 1900 à nos jours. Dictionnaire biographique, Casbah Editions, Alger, 2011. (511 p)
16. Collectif, Le droit à l'insoumission. « Le dossier des 121 », Cahier Libre N° 14, François Maspero, Paris, 1961. (231 p)
17. Davezies (Robert), Le Temps de la justice. Algérie : 1954-1962, préface de Jean Lajonchère, Casbah Editions, Alger, 2012. (162 p)
18. Desjeux (Catherine et Bernard), *Seine de vies : de la source à l'embouchure*, les Éditions Grandvaux, Paris 2015. (200 p)

- 19.Desjeux (Catherine et Bernard), *Seine de vies : de la source à l'embouchure*, les Editions Grandvaux, Paris 2015. (160 p)
- 20.Djerbal (Daho), L'Organisation Spéciale de la fédération de France du FLN. Histoire de la lutte armée du FLN en France (1956-1962), Chihab Éditions, Alger, 2012. (446 p)
- 21.Dris (Yousef), Le combat des justes 1954-1962. Ces Français qui ont combattu dans les rang du FLN et de l'ALN, El Ibriz Edition, Alger, 2012. (146 p)
- 22.Duquesne (Jacques), Carnets secrets de la guerre d'Algérie, Bayard Éditions, paris, 2012. (299 p)
- 23.Elsenhans (Hartmut), La gerre d'Algérie 1954-1962. La transition d'une France à une autre, le passage de la IV^e à la V^e république, préface de Gilbert Meynier, Editions Edif 2000, Alger, 2010. (1072 p)
- 24.Fares (Abderrahmane), La cruelle vérité. Mémoires politiques 1945-1965, Casbah Editions, Alger, 2006. (251 P)
- 25.Felissi (Philippe Karim), Jacques Vergès l'anticolonialiste (entretien), Chihab Éditions, Alger, 2005. (117 p)
26. Filhol (Emmanuel) et Hubert (Marie-Christine), Les Tsiganes en France, un sort à part. 1939-1946. Perrin, Paris, 2009. (420 p)
27. Fraters (Erica) , Réfractaires à la guerre d'Algérie avec l'Action Civique Non Violente 1959-1963, Editions Syllepse, Paris, 2005. (210 p)
- 28.Gallissot (René), Algérie colonisée. Algérie algérienne (1870-1962). La république française et les indigènes, Barzakh Editions, Alger, 2007. (271 p)
- 29.Gallissot (René), Henri Curiel. Le mythe mesuré à l'histoire, Chihab Editions, Alger, 2009. (339 p)
- 30.Goudrot (Jacques), La guerre d'Algérie d'un appelé. Les appelés. Les dernier Grognaards de la république, Jérôme Do Bentzinger Editeur, Paris, 2010. (197 p)
- 31.Guéno (Jean-Pierre), Paroles de torturés. Guerre d'Algérie 1954-1962, Éditions Jacob-Duvernet, Paris, 2011. (287 p)
- 32.Hamon (Hervé) et Rotman (Patrick), Les porteurs de valises, la résistance Française à la guerre d'Algérie, collection « H comme Histoire », Editions Albin Michel, Paris, 1979. (434 p)
- 33.House (Jim) et MacMaster (Neil), Paris 1961. Les algériens, la terreur d'Etat et la mémoire, Casbah Editions, Alger, 2012. (539 p)
- 34.-Jauffret (Jean-Charles) et les Autres, Des hommes et des femmes en guerre d'Algérie. Actes du colloque international des 7 et 8 octobre 2002 à l'auditorium du CNRS, Paris, organisé par l'Unité mixte de recherche 5609 du CNRS – Université Montpellier III (États, Société, Idéologie, Défense), et le centre d'études d'histoire de défense (château de Vincennes). Éditions Autrement – collection Mémoires n° 97, Paris 2003. (573 p)

35. Khettab (Rachid), Les amis des frères. Dictionnaire biographique des soutiens internationaux à la lutte de libération nationale algérienne, Dar Khettab, Alger, 2012. (416 p)
36. Laurent (Chabrun), La Guerre de l'ombre. RG contre FLN, préface de Benjamin Stora, Editions Jacob-Duvernet, 2011. (204 p)
37. Louanchi (Anne-Marie), Salah Louanchi parcours d'un militant algérien, Editions Dahleb, Alger, 1999. (217 p)
38. Marcel et Paulette (Péju), Le 17 Octobre des Algériens. Suivi de. Manseron (Gilles), La triple occultation d'un massacre, Média-plus Editions, Constantine, Algérie, 2012. (199 p)
39. Meynier (Gilbert), Histoire intérieure du FLN, 1954-1962, Casbah Editions, Alger, 2003. (812 p)
40. Meziane Cherif (Abderrahmane), La guerre d'Algérie en France. Mourepiane : L'Armée des ombres, préface de Jacques Vergès, Edif 2000 Editions, Alger, 2010. (234 p)
41. Muelle (Raymond), La guerre d'Algérie en France 1954-1962, Presse de la cité, Paris, 1994. (309 p)
42. Pas (Niek), Les Pays-Bas et la guerre d'Algérie, Editions Barzakh, Alger, 2013. (230 p)
43. Pattieu (Sylvain), Les camarades des frères. Trotskistes et Libertaires dans la guerre d'Algérie, préface de mohammed harbi, Casbah Editions, 2006. (254 p)
44. Peju (Paulette), Ratonnades à paris, précédé de. Les harkis à Paris, préface de Pierre Vidal-Naquet, introduction de Marcel Peju, postface de François Maspero, Edif -2000 Editions, Alger, 2010. (201 p).
45. Perrault (Gilles), Un homme à part, Editions Fayard, Paris, 2006. (633 p)
46. Rahal (Malika), Ali Boumendjel. Une affaire française. Une histoire algérienne, barzakh Editions, Alger, 2011. (295 p)
47. Rioux (Jean-Pierre) et Sirinelli (Jean-François), La guerre d'Algérie et les intellectuels français, collection questions au xx^e S, Editions Complexe, Paris, 1991. (395 p)
48. Simon (Pierre-Henri), Contre la torture, Editions du Seuil, Paris, 1957. (124 p)
49. Sirinelli (Jean-François), Intellectuels et passions françaises, manifestes et pétitions au xx^e siècle, Librairie Arthème fayard, Paris, 2009. (557 p)
50. Stora (Benjamin), Les immigrés algériens en France, une histoire politique 1912-1926, Editions Pluriel, Paris, 2009. (492 p)
51. Vidal-Naquet (Pierre), La torture dans la république (1954-1962), Hibr Editions, Alger, 2012. (209 p)
52. Vidal-Naquet (Pierre), Les crimes de l'armée française, Maspero, Paris, 1981. (208 p)
53. Yousfi (M'Hamed), L'O.A.S. et la fin de la guerre d'Algérie, Entreprise Nationale du livrer, Alger, 1985. (221 p)

IIIIV - المقالات باللغة العربية

1. رابح لونيسي، **الظاهرة الاستعمارية من منظور رواد الفكر الماركسي**، مجلة عصور ، الأعداد 8-9-10، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران، الجزائر، 2006-2007، صص 65-72.
2. زير رشيد، **مواقف أحزاب اليسار الفرنسية من القضية الجزائرية**، مجلة الأكاديمية للدراسات الإجماعية والإنسانية، العدد 9، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر 2013 صص 143-151.
3. ميغال دي إيالزا، **إسبانيا والثورة الجزائرية**، مجلة الثقافة، السنة الرابعة عشرة، العدد 83، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ذي الحجة-محرم 1404-1405 - سبتمبر-أكتوبر 1984. صص 205-212.

XI - المقالات باللغة الأجنبية

1. Ageron Charles-Robert, **Les supplétifs Algériens dans l'armée française pendant la guerre d'Algérie**, in : Vingtième Siècle, revue d'histoire, n° 48 octobre-décembre 1995. Pp. 3-20.
2. Amand Lefebvre, **L'immigration algérienne des années 1950 vue au travers des rapports de la sureté d'état**.
3. Anne Dulphy. **La guerre d'Algérie dans les relations franco-espagnoles, guerres mondiales et conflits contemporains** 2009/3 (n°235), p 117-129.
4. Blanchard Emmanuel, **Police judiciaire et pratiques d'exception pendant la guerre d'Algérie**. Vingtième siècle, Fondation Nationale des Sciences Politiques, 2006, pp. 61-72.
5. Bouaziz Salima Sahraoui. **Le 25 août 1958, ouverture du 2^{ème} front en France. « Déclenchement historique de l'action armée en France »**, niarunblog. Unblog.fr, 24 août 2010.
6. BRANCHE, Raphaëlle. **Faire l'histoire de la violence d'État : la torture exercée par l'armée française en Algérie (1954-1962)** In : Archives « secrètes » , secrets d'archives ? Historiens et archivistes face aux archives sensibles [en ligne]. Paris : CNRS Éditions, 2003 (généré le 01 octobre 2016).
7. C.N. **Et pourtant la guerre à continué**, le quotidien algérien Liberté du 19-03-2012.
8. Clément Grenier. « **La protestation des rappelés en 1955, un mouvement d'indiscipline dans la guerre d'Algérie** ». Le Mouvement Social 2007/1 (n° 218). Pp 45-61.
9. Emmanuel Blanchard, « **L'internement avant l'internement Commissariats, centre de triage et autres lieux d'assignation à résidence (il)-légale** » Matériaux pour l'histoire de notre temps

- 2008 /4 (N° 92), p. 8-14.
10. Fernández Soriano Víctor, « **La CEE face à l'Espagne franquiste. De la mémoire de la guerre civile à la construction politique de l'Europe** », Vingtième Siècle. Revue d'histoire, 4/2010 (n° 108), pp. 85-98.
 11. Guerrier Sophie, 17 octobre 1961 : les 5 chiffres incroyables de la manifestation de FLN à Paris, Le Figaro du 17 octobre 2016.
 12. H. A. **Une date occultée : le 25 aout 1958**, Le quotidien Liberté du 25 aout 2014, Algérie, p 1.
 13. Jean-Jacques Ayme, **Yves Déchézelles l'Anticolonialiste**, l'hebdo Politis, n° 943, 15 mars 2007, France.
 14. Jeanson (Francis), **Lettre à Jean-Paul Sartre**, in Les Temps Modernes, n° 169, mai 1960.
 15. Jeanson (Francis), **Logique du colonialisme**, Les Temps Modernes, juin 1952.
 16. Léon feix, **Les communistes et la lutte nationale du peuple algérien**. Cahier communiste, n° 2, février 1955.
 17. Léon feix, **Les communistes et la lutte nationale du peuple algérien**. Cahier communiste, n° 2, février 1955.
 18. Mannoni Eugène, **Maurice Papon prend immédiatement ses fonctions à la préfecture de police**, le Monde, n° 4289, Le Dimanche 16 et Lundi 17 Mars 1958.
 19. Meur Jean. **Histoire d'un acte responsable. Le cas de Jean Meur**. Esprit, décembre 1959, pp. 675-686.
 20. Michel Dreyfus. **1956: L'année terrible**, in COMMUNISME, revue d'études pluridisciplinaires publiée avec le concours du CNRS et de l'université de Paris X, n° 29-31 consacré au thème: **Les crises internes du PC ouest-européens 1944-1956**, Editions L'AGE D'HOMME, Paris, 1992.
 21. Mogniss H. Abdellah, **Le 17 octobre 1961 et les médias de la couverture de l'histoire immédiate au "travail de mémoire"**, revue Hommes & Migration, n° 1228- novembre-décembre 2000, pp 125-126.
 22. Neil MacMaster, Jim House, « La Fédération de France du FLN et l'organisation de 17 octobre 1961 », Vingtième Siècle. Revue d'histoire 2004/3 (n° 83), pp. 147-148.
 23. Perrault (Gilles), **Henri Curiel, un citoyen du tiers-monde**, Le Monde Diplomatique, Avril, 1998.
 24. Quemeneur Tramor, «**Les Soldats du refus**». **La détention, La compagne de soutien et la répression des soldats communistes refusant de participer à la guerre d'Algérie**, Histoire de la justice 2005/1 (N° 16), pp. 189-201.
 25. Quemeneur Tramor, **Refuser l'autorité ? Étude des désobéissances de soldats français pendant la guerre d'Algérie**

- (1954-1962). In Outre-mers, tome 98, n°370-371, 1^{er} semestre 2001. Pp 57-66.
26. Quemeneur Tramor. **Les manifestations des rappelés contre la guerre d'Algérie, contestation et obéissance. 1955-1956.** In: outre-mers, tome 88, n°332-333, 2^e semestre 2001. Collectes et collections ethnologiques : une histoire d'hommes et d'institutions. Pp. 407-427.
27. Raphaël Brancche. **La commission de sauvegarde pendant la guerre d'Algérie : chronique d'un échec annoncé, Vingtième Siècle**, revue d'histoire, année 1999, volume 61, n° 1, pp 14-29.
28. Reiner Hoffmann, **Un syndicaliste allemand résolument européen**, in Le Monde, 13 mai 2014.
29. Schmitt Laura. **Alain de Sérigny, Homme de presse et acteur politique**, Vingtième Siècle Revue de l'histoire, 2016/2 (N° 130), pp 89-101.
30. Stéphane Mourlane. **La guerre d'Algérie dans les relations franco-italiennes (1958-1962)**, Guerres mondiales et conflits contemporains 2005/1 (n° 217), pp 77-90.
31. Stéphane Mourlane. **La guerre d'Algérie dans les relations franco-italiennes (1958-1962)**, Guerres mondiales et conflits contemporains 2005/1 (n° 217), pp 77-90.
32. Sylvain Pattieu, « **Le « camarade » Pablo, la IV^e Internationale, et la guerre d'Algérie** », Revue historique 2001/3 (n° 619), pp 695-729.
33. Témoignage « La manifestation du FLN à Paris le 17 octobre 1961. Le témoignage du lieutenant-colonel Montaner », Guerres mondiales et conflits contemporains 2002/2 (n° 206).
34. -Traomor Quemeneur, « **L'ACNV (Action civique non violente) et la lutte contre les camps** », Matériaux pour l'histoire de notre temps, 2008/4 (N° 92), pp 57-63.
35. - Vidal-Naquet pierre. **Une fidélité têtue [La résistance à la guerre d'Algérie]**.in: Vingtième Siècle, revue d'histoire, n° 10, avril-juin 1986, pp 10-1. www.carhima.be/IMG/pdf/rapport_du_ceges

X - الرسائل الجامعية

1. الطاهر جبلي، **شبكات الدعم اللوحيستي للثورة الجزائرية 1954-1962**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف أ.د يوسف مناصرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2008-2009.

2. شعبان إيدو، حان بول سارتر والثورة الجزائرية 1954-1962، مذكرة لنيل شهادة الماحستير في التاريخ الحديث والمعاصر، بإشراف محمد مجاود، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، السنة الجامعية 2009-2010.

IX - الجرائد باللغة الأجنبية

1. Libération, 14 juin 2001.
2. El Watan, 18 juin 2007.
3. Le Monde 17 octobre 2011
24 juillet 2013.
4. L'Humanité, 29 juillet 2013.
10 Octobre 2013.

IIX - الأفلام الوثائقية

1. Une résistance obliée (1954-1957), des libertaires dans la guerre d'Algerie, un film de Daniel Goude et Guillaume Lenormant, Automne 2001.
2. Le comité Maurice Audin et Vérité Liberté. «**Octobre à Paris**», film tourné d'octobre 1961 à Mars 1962, au cours même des événements qu'il relate, par une équipe cinéastes français. Les personnage, les lieux et les faits sont tous vrais
3. Omar Malek Productions, narration Omar Malek, documentaire sous le titre: «**Les Dossiers Noirs: La Main Rouge (Les Services Secrets de la République)**», texte de Omar Malek et La Douda.
4. Radio et Television Suisse (RTS), Jacques Singer et Frank Richard, émission intitulée **Le porteur et le diplomate: La Suisse et la guerre d'Algérie**, Suisse, 1988.

فهرس الأعلام

- أبي راينال (Abbé Raynal): 18.
- إتيان بولو (Etienne Bolo): 197.
- إدموند مازور (Edmond Mazure): 86.
- إدموند ميشلي (Edmonde Michelet): 165.
- إجيديو إيجيدي (Egidio Egidi): 258.
- أدولف هتلر (Adolphe Hitler): 140.
- أدولفو كمنسكي (Adolph Kaminsky): 175، 199.
- أحسن العسكري: 81.
- أحمد بخات: 49.
- إراسمو بوياردي (Erasmus Boiardi): 256.
- أحمد بلفرج: 246.
- أرني بورج (Hervé Bourges): 170.
- أحمد بن بلة: 56، 57، 82، 85، 86، 246.
- أرليت الكيم (Arlette El Kaïm): 201.
- أحمد بومنجل: 89، 90، 152، 190، 192، 198، 293.
- أرنست موندال (Ernest Mandel): 241.
- أحمد توفيق المدني: 54.
- أرنست رايبير (Ernst Reiber): 248.
- أحمد دوم: 45، 75، 76، 78، 80، 81، 82، 85، 94، 104.
- أرنستو تشيكيفارا (Ché Guévara): 180.
- إريك أولنهاور (Eric Ollenhauer): 232.
- أحمد شماس: 49.2.
- إزابال فيشنيك (Ysabelle Vichniac): 252.
- أحمد طالب الإبراهيمي: 78.
- أكسال لارسن (Aksel Larsen):
- أحمد عباس: 282.
- أكلي رابح: 243، 244.
- أحمد فرانسيس: 190، 192، 202.
- ألان دو سريني (Alain de Sérigny): 144.
- أحمد محساس: 76، 77، 85.
- ألبارتو كاروتسي (Alberto Karrocci): 256.
- أحمد مزغنة: 246.
- ألبارتو مورافيا (Alberto Moravia): 256.
- أحمد نسبة: 51.
- ألبارتوس أولدريش (Albertus Oeldrich): 282.
- إدجار فور (Edgar Faure): 120، 127.
- ألبان ليشتي (Alban Liehti): 322.
- إدريس الأول: 55.
- ألسينغ أندرسن (Alsing Andersen): 289.
- إدغار فور (Edgar Faure): 34، 284.
- ألين بوفيري (Aline Bouveret): 199.
- إدموند بورك (Edmund Burke): 18.

- إميل پورتزر (Emile Portzer): 160.
- إميل پيليسي (Émile Pelletier): 306.
- آن جيانيني (Anne Giannini): 227.
- آن لودوك (Anne Leduc): 223.
- آن ماري شولي (Anne-Marie Chaulet): 84، 83.
- أندري بروتون (André Breton): 131.
- أندري بويجر (André Boesiger): 249.
- أندري فليب (André Philip): 221.
- أندري فيرا (André Ferat): 66.
- أندري لاهيلون (André Lahillonne): 303.
- أندري مارشي (André Merchie): 245.
- أندري مندوز (André Mandouze): 173، 224، 192.
- أندرياس جرغنسن (Andréas Jrgensen): 289.
- أنريكو ماتتي (Enrico Mattei): 257.
- أنطوانيت أورھانت (Antoinette Orhant): 223.
- أنيت روجي (Annette Roger): 322.
- أوتو رودولف شاتز (Otto Rudolf Schatz): 267.
- أوتو رودولف شاتز (Otto Rudolf Schatz): 269.
- أوستن أوندن (Östen Undén):
- أوسكار ديتمبل (Oscar Detemblem): 238.
- أوسديق بن عبد الله: 245.
- أوسديق بوعلام: 288، 292.
- أوطو شلوتر (Otto Schlütter): 119.
- أوغوست لوكور (Auguste Lecœur): 66.
- أولف كريستيانشن (Ulf Christiansen): 289.
- أونطوني نيل وادغود بان (Anthony Neil Wedgwood Benn): 286، 285.
- آيت عبد اللووا: 66.
- إيتيان فاجون (Étienne Fajon): 324.
- إيرلاند فريتز (Erland Fritze): 290.
- إيطالو بيترا (Italo Pietra): 258.
- إيف ديشيزال (Yves Déchezelle): 195.
- إيليا بيروي (É): 221lia perroy.
- إمامويل سوهارد (Emmanuel Suhard): 219.
- إيمانويل بلونشار (Emmanuel Blanchard):
- إيمانويل مونيي (Emmanuel Mounier): 239.
- إيمي سيزار (Aimé Cesaire): 180، 23.
- إينار هنري جرھاردسن (Einar Henry Gerhardsen): 296.
- إيوانيس متاكساس (Ioánnis Metaxás): 276.

- بابلو (Pablo): 276، 277، 278، 279، 280، 283.
- باتريس لومومبا (patrice lumumba): 180.
- بارتولومي دي لاس كزاس (Bartolomé de Las casas): 17.
- بارنار شونو (Bernard Chenot): 165.
- برنار بنگو (Bernard Pingaud): 201.
- برنار بودوراسك (Bernard Boudouresques): 220، 222.
- برين كينش (Priben Kinch): 290.
- بشير بومعة: 141.
- بشير نذير: 262.
- بلغاشي عبد القادر: 319.
- بلقاسم العيفا: 50.
- بلقاسم بسطاني: 52.
- بلقاسم بن يحيى: 90.
- بن حبيلس صديق: 118.
- بن عيسى سوامي: 141.
- بن غبريط نذير: 319.
- بن ويش (Ben Wisch): 234.
- بن يعين روميو (Benjamin Romieux): 251.
- بن يوسف بن خدة: 192، 258، 285.
- بن يونس محمد عراب: 48.
- بنيامين سطورا (Benjamin Stora): 98.
- بنيتو سكوكوزا (Beneto Scocozza):
- بوجمة عليان: 52.
- بوشفة أرزقي: 313.
- بوعكة كمال: 238.
- بول أندري ليزورت (Paul-André Lesort): 193.
- بول بولو (Paule Bolo): 174، 197، 199.
- بول ريكور (Paul Ricœur): 221.
- بول فلامان (Paul Flamand): 193.
- بول كروشي (Paul Crauchet): 199.
- بول ماري دو لاغورس (Paul-Marie de La Gorce): 205.
- بونتيليس بوليوبولوس (Pantelis Pouliopoulos): 276.
- بي XII (Pie XII): 26.
- بيار أفوت (Pierre Avot): 278.
- بيار دواز (Pierre Doize): 322.
- بيار ديشيمايكر (Pierre Descheemaeker): 241.
- بيار شافني (Pierre Chafenet): 165.
- بيار شايي (Pierre Chaillet): 224.
- بيار شولي (Pierre Chaulet): 192.
- بيار فرانك (Pierre Frank): 283.

- بيار فيدال ناكبي (Pierre Vidal-Naquet): 64، 135، 170.
- بيار كوت (Pierre Cot): 22.
- بيار كونيغ (Pierre Koenig): 34.
- بيار لغريف (Pierre Le Grève): 119.
- بيار لوجريف (Pierre Le Grève): 241، 244.
- بيار مامي (Pierre Mamet): 199، 223.
- بيار مامي - (Pierre Mamet): 220، 222.
- بيار هنري سيمون (Pierre-Henri Simon): 137.
- بيار هنري سيمون (Pierre-Henri Simon): 222.
- بيتر كرايسكي (Peter Kreisky): 266.
- بيا ديام (Pia Dam): 289.
- بييت فان دير زيجدن (Piet van der Zeijden): 274.
- بيير لويجي ساجونا (Pier Luigi Sagona): 255.
- بيير منداس فرانس (Pierre Mendès-France): 31، 284.
- ترامور كمونور (Tramor Quemeneur): 123.
- جارد ألمجرين (Gerde Almgren): 293، 294.
- جاك بارتلي (Jacques Bethélet): 215، 223.
- جاك بارك (Jacques Berque): 225.
- جاك بانيجال (Jacques Panijel): 141، 161.
- جاك بيرتولي (Jacques Berthelet): 218.
- جاك تريبوتا (Jacques Trébouta): 199.
- جاك دو بولارديار (Jacques de Bollardièr): 129.
- جاك دوكلو (Jacques Duclos): 103.
- جاك ريسبال (Jacques Rispal): 199.
- جاك سوستال (Jacques Soustelle): 33، 149، 153، 195، 223، 226.
- جاك شاربي (Jacques Charby): 192، 196، 199، 203.
- جاك فرجيس (Jacques Vergès): 205، 245، 275.
- جاك فوفي (Jacques Fauvet): 141.
- جاك فيني (Jacques Vignes): 199، 203، 205.
- جاك لاهمان (Jacques Lehman): 250.
- جاك ماسو (Jacques Massu): 135، 137، 146، 163، 252، 276.
- جاك ناجلز (Jacques Nagels): 242.
- جان أورفواس (Jean Urvoas): 199، 223.
- جان أورفواس - (Jean Orvoas): 220، 221، 222.

- جان بول سارتر (Jean-Paul Sartre): 24، 131، 137، 161، 162، 179، 181، 182، 200، 224، 244، 254، 283، 317.
- جان بيار مولين (Jean-Pierre Moulin): 251.
- جان جاك روسي (Jean-Jacque Rousset): 79، 80، 86.
- جان جاك مايو (Jean-Jacques Mayoux): 283.
- جان جيلبار-جول (Jean Gilbert-Jules): 317.
- جان دانيال (Jean Daniel): 194، 195.
- جان دوريان (Jean Doeraene): 241.
- جان دونو (Jean Doneux): 242.
- جان فان لييرد (Jean Van Lierde): 242.
- جان فرانسوا كاهن (Jean-François Cahen): 136.
- جان فيناتيبي (Jean vinatier): 219.
- جان كريسي (Jean Crespi): 216.
- جان كلود بوير (Jean-Claude Paupert): 199.
- جان كلود فاسيليبي (Jean-Claude Vessiller): 178.
- جان كوهن (Jean Cohen): 182.
- جان لو مور (Jean Le Meur): 130.
- جان لويس هورست (Jean-Louis Hurst): 131، 174، 199، 215، 216.
- جان ماري دوميناك (Jean-Marie Domenach): 221، 256.
- جان ماري لوبان (Jean-Marie Le Pen): 252.
- جان مايرا (Jean Mayerat): 250، 251.
- جان مولار (Jean Muller): 225، 226.
- جان هاندريك فان ويجك (Jan Hendrik van Wijk): 272.
- جانين كاهن (Janine Cahen): 199.
- جيرارد شالياند (Gérard Chaliand): 214.
- جلول بن سالم: 238.
- جميلة بوباشة: 276.
- جميلة بوخيرد: 44، 111، 139، 252.
- جميلة بوعزة: 111.
- حنينة مصالي: 46، 53.
- جورج آرنو (Georges Arnaud): 205.
- جورج بوشار (Georg Puchert): 320.
- جورج بوشرت (Georg Puchert): 119.
- جورج جايزير (Georges Geiser): 320.
- جورج سوفار (Georges Suffert): 224.
- جورج شابال (Georges Chapelle): 257.
- جورج شووار (Georg Scheuer): 268.
- جورج غيزير (Georges Geiser): 119.

- جيانجياكومو فيلفريتيلي (Giangiacomo Feltrinelli): 153.
- جيانكارلو فيجوريلي (Giancarlo Vigorelli): 255.
- جيرار سبيتزر (Gérard Spitzer): 227، 229.
- جيرار لورن (Gérard Lorne): 227، 229.
- جيرار ميير (Gérard Meier): 199، 207، 215.
- جيرالد مرادان (Gerald Maradan): 250.
- جيرهارد شرودر (Gerhard Schröder): 231.
- جيروم ليندون (Jérôme Lindon): 252.
- جيل مانسيرون (Gille Manceron): 24.
- جيلالي بن تامي: 247.
- جيوسي سانسون (Giudeppe Sanson): 241.
- جيوفاي غرونشي (Giovanni Gronchi): 117.
- الحبيب بورقية: 55.
- حداد حمادة: 203.
- حسان الوزاني: 246.
- حسين المهداوي: 87.
- حسين أيت أحمد: 86.
- حسين دالي: 148.
- حسين لحول: 246.
- جورج فونتونيس (Georges Fontenis): 227.
- جورج لبارش (Georges Laperches): 320، 245.
- جورج ماتبي (Georges Mattéi): 214.
- جورج مونتارون (Georges Montaron): 224.
- جوزيت أودين (Josette Audin): 135، 138، 136.
- جوزيف بيروني (Joseph Pyronner): 131.
- جوزيف روزنتال (Joseph Rosenthal): 211.
- جوزيف ستالسن (Joseph Staline): 276.
- جوزيف فولبي (Joseph Folliet): 224.
- جوزيف فيساريونوفيتش دجوغاشفيلي (Joseph Vissarionovitch Djougachvili): 276.
- جوزيف لونس (Joseph Luns): 271.
- جوزيف هزان (Joseph Hazan): 213.
- جون أتكينسون هوبسن (John Atkinson Hobson): 20.
- جون بايرد (John Baird): 285، 286، 287.
- جون جاك بورشيز (Jean-Jacques Porchez): 229.
- جون لورانزن (John Lorenzen): 289.
- جوهانس مولافد (Johanne Molaved): 290.
- جويس بلو (Joyce Blau): 212.

- حسين ماروك: 49. رضا مالك: 252.
- حفیظ کرمان: 116، 117. رمضان دويش: 52.
- خالد مرزوق: 57. روبار بارا (Robert Barrat): 33، 34، 212، 213، 224، 225.
- خمري رابح: 118. روبار بونو (Robert Bonnaud):
- خميس دخلاوي: 267، 269. روبار دافيزي (Robert Davezies): 215، 216، 222، 224، 252.
- خوان غيناس دي سيولفيدا (Juan Ginés de Sepúlveda): 17، 18. روبار دفيزي (Robert Davezies): 199.
- داربوا (Darbois): 205. روبار رولمان (Robert Ruhlmann): 221.
- داغ همرشولد (Dag Hammarskjöld): 255. روبار لاکوست (Robert Lacoste): 37، 103، 104، 105، 145.
- دانيال غيران (Daniel Guérin): 194، 227. روبار مونتاني (Robert Montagne): 307.
- دانيال كوريال (Daniel Curiel): 209. رويير دوفيفي (Robert Duvivier): 170.
- دحو جربال: 328، 330. روييرت اوين (Robert Owen): 19.
- دقسي محمد الطاهر: 313. روجي راي (Roger Rey): 227، 228.
- دکار رابح: 118. روجي فري (Roger Frey): 155، 160، 165، 166، 167.
- دومنيك صابار (Dominique Sabert): 205. روجي کونييل (Roger Cunibile): 300، 306.
- دونيس بارجي (Denis Berger): 227. ديدار فوزي (Didar Fawzi): 202.
- ديدوش مراد: 73، 104. روجي ويوت (Roger Whibot): 141، 149، 212، 213، 300.
- رابتيس (Raptis): 281، 283. رودولف کيرششلاغر (Rudolf Kirchschläger): 266.
- رابح حامد: 48. روزيت كوريال (Rosette Curiel): 202، 213.
- راج ماثيوسن (Raj Matthiessen): 289. روغانيون (Regagnon): 205.
- رشيد النذير: 118.

- رولان دوماس (Roland Dumas): 205.
- رولاند كارجوري (Roland Margerie): 261.
- رولف إوتبارغ (Rolf Utber): 293.
- رومان دوني (Romain Denis): 256.
- روني دوبوا (René Dubois): 249، 247.
- روني ريموند (René Rémond): 221.
- روني كيلار (René Keller): 248.
- رؤول كوريال (Raoul Curiel): 210.
- ريمر هولزينغر (Reimer Holzinger): 266، 267.
- ريمون آرون (Raymond Aron): 184.
- ريموند اسطمبولي (Raymond Stambouli): 212.
- ريموند لولوش (Raymond Le Loch): 256.
- ريموند مونتنيير (Raymond Montaner): 60، 310.
- ريني جورج (Rainer Georges): 238.
- زاوش الطاهر: 244، 243.
- زفيرة بحار – (Zéphira Behar): 209.
- سارج مورو (Serge moureaux): 242، 244.
- ساعد شيشة: 52.
- سانت أوغستين (saint-Augustin): 221.
- سانت بارتليمي (Saint Barthélémy): 148.
- سانتان (Sentan): 283، 282.
- ستان أوبري (Stan Awbery): 286، 285، 287.
- سعد دحلب: 258.
- سعيد بوعزيز: 90، 91، 104، 146، 148، 228، 315.
- سعيد سكو: 48.
- سعيد سليمي: 228.
- سعيد سليمي: 90.
- سعيد ملولي: 49.
- سفياي محمد: 50.
- سفياي أوهرنستيد (Svea Ohrnsted): 294.
- سوكوتو (Socotto): 192.
- سي مصطفى مولر (Si Mustapha Müller): 265.
- سيد علي مبارك: 88.
- سيسيل درا (Cécile Draps): 245.
- سيسيل ماريون (Cécile Marion): 199، 203، 205.
- سيلفان باتيو (Sylvain Pattieu): 280.
- سيمون بلومونتال (Simon Blumental): 227.
- سيمون دي بوفوار (Simone De Beauvoire): 244، 200، 201.
- سيمون سينيوري (Simone Signoret): 131.

- سيمون فينكينووغ (Simon Vinkenoog):
273.
- سيمون مانجي (Simonne Minguet): 278.
- سييتسي بوزغرا (Sietse Bosgra): 274.
- شابي سعيد: 292.
- شارل أندري جوليان (Charles André Julien): 224.
- شارل ديغول (Charles De Gaulle): 110، 112، 154، 160، 165، 166، 206، 250، 272، 276، 288، 304، 305، 317.
- شارل روبير أجرون (Charles-Robert Ageron): 30.
- شارل فوريه (Charles Fourier): 19.
- شايب علي: 118.
- شريف بن حبيلس: 150.
- شريف عبد القادر: 50.
- شطور محمد: 238.
- شنويس (Schneeweiss): 282.
- صافي بوديسة: 315.
- صالح جلول: 238.
- صالح لوانشي: 78، 81، 82، 83، 84، 86، 87، 88، 192، 198، 311.
- صالح محبوبي: 117.
- الطيب بولحروف: 84، 88، 89، 116، 117، 198، 254.
- عبان بلعيد: 53، 60.
- عبان رمضان: 33، 81، 82، 83، 84، 86، 231.
- عبد الحفيظ بوصوف: 258، 261، 279.
- عبد الرحمان غراس: 76، 77، 79، 86.
- عبد الرحمن فارس: 148، 207.
- عبد القادر بلحاج: 141.
- عبد القادر بن عمار: 319.
- عبد القادر لعجل: 47.
- عبد الكريم سويسبي: 86، 89، 92، 104، 146.
- عبد الله فيلاي: 49.
- عبد الله ماضي: 48.
- عبدني أرزقي: 243، 244.
- عرباوي محمد: 243، 244.
- العربي بن مهدي: 100.
- العربي ماضي محمد: 76، 77.
- علي منصور: 52.
- علي بابا علي: 52.
- علي بومنجل: 44، 139.
- علي جوادي: 50.
- علي خنشول: 77.
- علي شريف درووا: 257.

- علي لغباش: 52.
- فرانز فانون (Franz Fanon): 23، 24، 25، 180، 181، 182.
- علي هارون: 47، 50، 60، 64، 66، 79، 95، 98، 169، 245، 279، 312، 314، 324.
- فرانس بينار (France Pinard): 199.
- عليان حميمي: 204.
- فرانسوا ماسبيرو (François Maspero): 204.
- عمار العدلاي: 64، 89، 91، 228، 245، 314، 315.
- فرانسوا ميتيران (François Mitterand): 31، 317.
- عمار أوعمران: 33، 152.
- فرانسوا موريك (François Mauriac): 185، 221.
- عمار آيت يحي: 52.
- فرانسوا هولاند (François Hollande): 154.
- عمار بن طاهر فيلاي: 262.
- فرانسييس جانسون (Francis Jeanson): 24، 172، 184، 185، 189، 190، 193، 194، 195، 197، 200، 204، 205، 213، 215، 216، 217، 247، 252، 323.
- عمار ياكورن: 48.
- فرانسييسكو دي فيتوريا (Francisco de Vitoria): 17، 178.
- عمار بوداود: 51، 75، 90، 91، 93، 116، 146، 148، 172، 198، 205، 207، 228، 245، 279، 284، 322، 324، 328.
- فرانسين روكيي (Francine Requier): 178.
- عمار خوجة: 247.
- فرانكو (Franco): 117.
- غارا أفالينو (Garra Avalino): 264.
- فرحات ثابت: 48.
- غلوريا دو هيررا (Gloria De Herrera): 199.
- فرحات عباس: 54، 57، 72، 101، 190، 246، 259، 327.
- غبي مولي (Guy Mollet): 35، 36، 103، 127، 134، 174، 176، 200، 222، 227، 249، 301.
- فرحات محمد: 55.
- فالديك روشي (Waldeck Rochet): 323، 324.
- فرنار زفندن (Verner Svenden): 289.
- فاي هالي (Weill Hallé): 136.
- فرناندو ماريا كاستيلا (Fernando María Castiella): 261.
- فرانكو (Francisco Franco): 259.
- فرنير بلوم (Werner Plum): 234.
- فرانز ريسي (Franz Rispy): 248.
- فريتز هينكر (Fritz Henker): 235.

- فريدريش ريجيتز (Friedrich Regitz): 238.
- فضيل بن سالم: 86.
- فلاديمير إيليتش أوليانوف (Vladimir Ilitch Oulianov): 276.
- فليب فينيو (Philippe Vigneau): 205.
- فليب مورو (Philippe Moureaux): 242.
- فليكس غيار (Félix Gaillard): 303.
- فولتير (Voltaire): 18، 168، 317.
- فولك إريكسون (Falke Eriksson): 293.
- فونس هيرمان (Fons Hermans): 274.
- فيتوريو كلاف (Vittorio Calef): 256.
- فيكتور (Vercors): 173، 184.
- فيروكيو باري (Ferruccio Parri): 255.
- فيكتور فيند (Victor Vinde): 294، 295.
- فينر بروكوي (Fenner Brockway): 287.
- فينسانزو بالزامو (Vincenzo Balzamo): 255.
- قرقو محمد: 50.
- القس دوكير (Abbé Dedecker): 241.
- كاتب ياسين: 225.
- كارل أوغوست فاغارهوم (Karl-August Fagerholm): 298.
- كارل بليشا (Karl Blecha): 266، 267، 268.
- كارل جانسن (Karl Jensen): 290.
- كارل شواب (Karl Schwab): 235.
- كارل ماركس (Karl Marx): 19، 20.
- كاساس - Cassas: 117.
- كايلين (Abbé Kaelin): 202، 213، 250.
- كريستيان ديور (Christian Dior): 202.
- كريم بلقاسم: 89، 258، 327.
- كلارا بنونا (Clara Benoits): 178.
- كلاوس ريبجيرغ (Klaus Ripbjerg): 289.
- كلود بوردي (Claude Bourdet): 283.
- كلود فانسي (Claude Vinci): 129.
- كلود لنزمان (Claude Lanzmann): 201.
- كمال الدين محمود عبد النبي: 54.
- كوبلين هربرت (Kopplin Herbert): 238.
- كوكو شنال (Coco Chanel): 202.
- كوليت جانسون (Colette Jeanson): 190، 203.
- كونستونتين ميلنيك (Constantin Melnik): 300.
- كونو ميلينوفسكي (Kuno Milinowski):
- لمين دباغين: 247، 286.

- لنين (Lénine): 276.
- لوران شوارتز (Laurent Schawartz): 283.
- لوران كازانوف (Laurent Casanova): 323.
- لورانزن (Lorenzen): 119.
- لورانس باطاي (Laurence Bataille): 199.
- لوسيان باري (Lucien Pary): 242.
- لوك سومارهاوسن (Luc Somerhausen): 242.
- لويس أراغون (Louis Aragon): 224.
- لويس أورهان (Louis Orhant): 215.
- لويس بارنت (Louis Parent): 306، 300.
- لويس بيلز (Louis Pilz): 234.
- لويس جوكس (Louis Joxe): 165، 60، 47.
- لويس ماسينيون (Louis Massignon): 221، 224.
- ليف دافيدوفيتش برونستين (Lev Davidovitch Bronstein): 276.
- ليندة عميري: 99.
- ليون تروتسكي (Leon Trotesky): 276.
- ليون فيكس (Léon Feix): 324، 321.
- ليون كامبيون (Léone Champion): 67.
- ليو كاري (Léo Kari): 290.
- ماتيني (Mattei): 117.
- ماججي رايي (Maggy Rayet): 242.
- مادلان كولاس (Madeleine Collas): .
- مارتان إفانس (Martin Evans): 202، 203.
- مارسال مارسيسي (Marcel Mercier): 249.
- مارسولين لوريدان (Marceline Loridan): 200.
- مارسيل ليوبولد (Marcel Léopold): 119، 320.
- مارك بوغندر (Marc Boegner): 163.
- مارك دوكوك (Marc De Cock): 245.
- مارمونتال (Maomontel): 18.
- ماري مادلان بروماج (Marie Madeleine Brumage): 252، 251.
- ماريو بيراتي (Mario Piratto): 258.
- ماريوس موتي (Marius Moutet): 22.
- ماكس أولتريش (Max Ultrich): 249.
- ماكس فان دير ستول (Max van der Stoel): 273.
- مامية شنتوف: 116، 115.
- مايري جان ماري ألبار (Mairey Jean Marie Albert): 127.
- محبوبي أوصديق:
- محمد الصديق بن يحي: 285.
- محمد العربي ماضي: 172.

- محمد أمزيان آيت أحسن: 116.
- محمد أكلبي بن يونس: 48، 314.
- محمد بسطاوي: 52.
- مختار حميدوش: 52.
- محمد بن صدوق: 145.
- مختار دعيد: 52.
- محمد بن قدور دريدي: 262.
- مدادي سليمان: 150.
- محمد بوضياف: 73، 75، 77، 82، 84، 85، 86، 104.
- مراد طربوش: 75، 77، 87، 311.
- مرسيل بيجو (Marcel Péju): 201، 204.
- محمد حربي: 91، 278، 213، 315، 318.
- مسعود قدروج: 91، 92، 328، 329.
- محمد خيضر: 46، 86، 151.
- مصالي الحاج: 22، 46، 50، 52، 53، 55، 56، 58، 59، 66، 70، 72، 73، 74، 75، 94، 97، 194، 195.
- محمد رياحي: 52.
- مصطفى الأشرف: 86.
- محمد زروفي: 76، 77.
- مصطفى فرانسيس: 141.
- محمد زواوي: 157.
- معاشي العلمي: 48.
- محمد شريف ساحلي: 116، 117، 118، 288، 289.
- مفتاح مختار: 50.
- محمد صحراوي: 48.
- منجي زين العابدين: 84، 89، 92.
- محمد طاهر دقسي: 322.
- مهدي بن بركة: 55.
- محمد عبد الوهاب: 116.
- موريزيو فالنزي (Maurizio Valenzi): 255.
- محمد كلو: 116، 117.
- موريس أودين (Maurice Audin): 44، 135، 137، 138، 139.
- محمد لبجاوي: 75، 87، 88، 198، 312.
- موريس بابون (Maurice Papon): 149، 153، 154، 155، 156، 158، 159، 162، 163، 165، 166، 303، 304، 305، 306، 308، 309.
- محمد ماروك: 49، 56، 57.
- محمد مشاطي: 47، 77.
- محمد ناجي: 49.
- موريس بورجيس مونوري (Maurice Bourges-): 317، 303 (Maunoury).
- محمد يزيد: 252، 327، 286.
- محمود الشريق: 258.

- موريس طوراز (Maurice Thorez): 130.
- موريس كوريجي (Maurice Courrégé): 205، 275.
- موريس لازار (Maurice Lazard): 126.
- موريس مَشينو (Maurice Mashino): 131.
- موريس نادو (Maurice Nadeau): 283.
- موسى بوضياف: 247.
- موسى قبائلي: 141، 146.
- مولار رولفت (Muller Rolft): 238.
- مولاي مرياح: 55، 57.
- مولوتوف: 325.
- مولود كابر: 228.
- مونتيسكيو (Montesquieu): 18.
- مونوز جرانداس (Muñoz Grandes): 261.
- مونيك دي زاكور (Monique Des Accords): 199.
- مونيك كاهن (Monique Cahen): 197.
- مونيك لومي (Monique Lemée): 223.
- ميشال دوبري (Michel Debré): 213، 317.
- ميشال دوبري (Michel Debré): 62، 155، 160، 165، 325.
- ميشال رابتييس (Michel Raptis): 271، 276.
- ميشال زافريان (Michel Zavrian): 245.
- ميشال زفريان (Michel Zavrian): 205، 275.
- ميشال ليريس (Michel Leiris): 201، 283.
- ميشلين بوتو (Micheline Pouteau): 199.
- ميلود بلهادي: 52.
- نام هانينغسن (Nam Henningsen): 289.
- نسيم كوريال (Nessim Curiel): 209.
- نسيمة بوغراة: 231.
- نصر الدين آيت مختار: 146، 153.
- نفيسة حمود: 115.
- نكولا الثاني (Nicolas II): 276.
- نكيثا خروتشوف: 325.
- نوال فافريليار (Noël Favrelière): 129.
- نوفورت تيو (Neufurth Théo): 238.
- نيكار (Nacker): 18.
- نيل أندرسون (Nils Anderson): 223.
- نيلز أندرسون (Nils Anderson): 252.
- نيوفنهويش (Nieuwenhuis): 272.
- هارفي بورج (Hervé Bourges): 224.
- هالدفردينج (Rudolf Hilferding): 20.
- هالفارد مانتي لانغ (Manthey Halvard Lange): 296.
- هانس بورخولز (Hans Burkholz): 264.

- هانس رودولف كورز (Hans Rudolf Kurz): 248.
- هانس يورجن ويشينوسكي (Hans Jürgen Wischnewski): 236، 235، 233.
- هائيني (Haini): 241.
- هالال شوارتز (Hillel schwartz): 210، 211.
- هلموت شناويس (Helmut Schneeweis): 282.
- هوبارتوس هومب (Hubertus Hompe): 281، 280.
- هورست سيفيل: 234.
- هونريات مورو (Henriette): 242.
- هيبوليت برينجيير (Hippolyte Berenguier): 306، 300.
- ونفريد ميلر (Winfried Müller): 265.
- وهنري بونا (Henri Benoits): 178.
- ووت تييلمان (Woot Tieleman): 273، 274.
- ويخناوسلي (Wichnewsli): 235.
- ويل غريفيثس (Will Griffiths): 286.
- ويلي بيرتز (Willi Pertz): 235.
- ويلي جلومب (Willi Glomb): 235.
- ويلي كونين (Willy Cönen): 236.
- يعقوب مونيتا (Jacob Monetta): 278.
- يعقوب هويزينغا (Jakob Huizinga): 271.
- يونسى عبد الله: 314، 313.
- هانس رودولف كورز (Hans Rudolf Kurz): 248.
- هائيني (Haini): 241.
- هالال شوارتز (Hillel schwartz): 210، 211.
- هلموت شناويس (Helmut Schneeweis): 282.
- هلين كونا (Hélène Cuénat): 200، 197، 201، 203، 322.
- هنري ألاق (Henri Alleg): 136، 135، 44، 138، 139، 252.
- هنري بورجو (Henri Borgeaud): 144.
- هنري بونا (Henri Benoît): 278.
- هنري بيو (Henri Pillot): 310.
- هنري سان سيمون (Henri Saint Simon): 19.
- هنري كورناز (Henri Cornaz): 250.
- هنري كوريال (Henri Curiel): 202، 199، 206، 208، 210، 212، 213، 215، 216، 217، 247، 252.
- هنري لوبران (Henri Lebrun): 241.
- هنري لوزيراي (Henri Lozeray): 22.
- هنري مارتان (Henri Martin): 179.
- هنري مارو (Henri Marrou): 221.
- هنري مايو (Henri Maillot): 128.

فهرس الأءماكن

- إكس لا شابيل (Aix-La-chapelle): 81. بامبلونا (Pamplona): 260.
- أكسفورد (Oxford): 286. براغ (Prague): 324.
- الألزاس (l'Alsace): 190، 71. برشلونة (Barcelone):
- أمستردام (Amsterdam): 283، 282، 281. برلين الغربية (Berlin-Ouest): 237.
- أنجيس (Angers): 145. بروكسل (Bruxelles): 244، 243، 240.
- أنسبروك (Insbruck): 266. بريست (Brest): 220.
- أوبرا (Opéra): 158. بلاس دو لا ناسيون (place de la Nation): 86.
- أوت ماترن (Haute- Marne): 126. بلوا (Blois): 145.
- أوترخت (Utrecht): 273. بنزت: 178.
- أوريونفيل (Orléansville): 129. بوتي كلامار (Petit Clamart): 198، 197.
- أوسنابر وك (Osnabrück): 281، 280. بودور (Baudour): 66.
- أوسنابروك (Osnabrück): 284، 182. بوج (Bourges): 125.
- أوكسار (Auxerre): 126. بوردو (Bordeaux): 125، 104.
- أومسك (Omsk): 258، 257. بوريناج (Borinage): 241.
- إيار (Hyère): 126. بوز دولوس (Poze Dulos): 262.
- إيسي لي مونيلو (Issy-les-Moulineaux): 67. بوزونسون (Besançon): 251.
- إيفردون (yverdon): 250، 214. بوش دي رون (Bouches-du-Rhône): 322.
- إيفيان (Evian): 168، 167. بوفيمونت (Bouffemont): 274.
- إيل دو فرانس (Ile-de-France): 50. بون (Bonn): 234، 232، 119، 117، 116.
- الإيليزي (Elysée): 166. بونا (Bona): 320.
- باليسترو (Palestro): 128. بونتيني (Pontigny): 219.

ران (Renne): 274.	بوندي (Bondy): 65.
روان (Rouen): 124.	بوير (Buërs): 47.
رويي (Roubaix): 50.	بيرن (Berne): 246، 247، 249.
روتردام (Rotterdam): 271.	بيلونكور (Billancourt): 176.
الروهر (Ruhr): 231.	تابلاط: 225.
ري (RY): 115.	توتفوا (Touevoie): 60.
ريشبانس (Richepanse): 124.	تورين (Turin): 256.
زيوريخ (Zurich): 248.	تولوز (Toulouse): 127، 145.
ساحة الباستيل (La Place de la Bastille): 168.	تطوان: 264، 320.
الसार (Le Sarre): 38، 48، 238.	ثورجوفي (Thurgovie): 248.
ساربروك (Sarrebück): 119.	جرونوبل (Grenoble): 66، 128.
ساربروكن (Saarbrücken): 48، 237.	جنوة: 211.
ساكلاي (Saclay): 223.	جوتينجن (Göttingen): 236.
سانت جرمان (Saint-Germain): 156.	حدائق الإليزي (Champs Élysées): 146، 156.
سانت ديزيي (Saint-Dizier): 126.	داخاو (Dachau): 272.
سانت سفيرين (Saint-Séverin): 127.	دامبيار (Dampierre): 221.
سانت مارت (Saint-Marthe): 126.	دانشارينيا (Dancharinéa): 118.
سانت ميشال (Saint-Michel): 156.	دانشارينيا (Dancharinéa): 260.
سان-دونيز (Seine-Denis): 50.	دوسلدورف (Düsseldorf): 231، 236.
سبيريا (Sibérie): 257.	دوي (Deuil): 66.
ستوكهولم (Stockholm): 288، 291، 293، 295.	ديي ساتيري (Dei Satiri): 254.

سوج (Souge): 125.	فريبورغ (Fribourg): 250.
سوشو (Sochaux): 94، 74.	فليش (Flèche): 136.
سوق أهراس: 220.	فوارون (Voiron): 66.
شابطال (Chaptal): 197.	فولكلينجن (Völklingen): 49.
شاتلي (Chatelet): 90.	فونتان (Fontaine): 66.
شارلوروا (Charleroi): 38، 126، 239، 241.	فيلوربان (Villeurbanne): 47.
شامبيرى (Chambéry): 126.	فيلينجن (uberck): 237.
شان إليزي (Champs-Élysées): 127.	قصر فانسان (Château de Vincennes): 237.
شانتيي (Chantilly): 50.	فينيسيو (Vénissieux): 67.
شتوتجارت (Stuttgart): 231، 232، 234.	كارلسروي (karlsruhe): 234.
طولون (Toulon): 125.	الكلفادوس (Calvados): 219.
غاردىماو (Ghardimaou): 92.	كليشي-سو-بوا (Clichy-sous-Bois): 50.
غرونال (Grenelle): 65.	كوبرتين (Coubertin): 161.
غرونوبل (Grenoble): 322.	كوبنهاجن - (Copenhaguen): 115، 116.
غرونينغن (Groningen): 273.	كورنوف (Courneuve): 129..
فالانس (Valence): 262.	كولومب (Colombes): 49، 65، 145.
فالدهون (Valdahon): 126.	كولوني (Cologne): 223، 148، 235، 281.
فالنسيان (valenciennes): 52.	كولوني-بيكندورف (Cologne-Bickendorf): 235.
فانسان (Vincennes): 163.	كوناكري (Konakry): 293.
فران (Fresnes): 89، 223.	كونفلان سانت أونورين (Conflans-Sainte-) 68.
فرانكفورت (Francfort): 119، 237.	

مادلان (Madeleine): 158.	كييل (Kiel): 237.
المارن (La Marne): 134.	لا سونتي (La Santé): 56.
مرسيليا (Marseille): 104، 124، 126.	لابوتيت روكات (La Petite Roquette): 229.
ملقا (Malaga): 262.	لابورت دو فرساي (La Porte de Versailles): 163.
موبوج (Maubeuge): 52.	لاروشال (La Rochelle): 128.
مولان (Meulin): 114.	لاشابيل أون فيركور (La Chapelle-en-Vercors): 174.
مونترو (Montreux): 116.	لوبيك (Lübeck): 234.
مونس (Mons): 241، 38، 239.	اللورين (La Lorraine): 237.
ميترو شارون (Métro Charonne): 166، 169، 170.	لورينت (Lorient): 125.
ميزون كاري (Maison-Garrée): 54.	لوزان (Lausanne): 247.
ميلان (Milan): 254، 257.	لوفالوا (Le Vallois): 66.
مينتز (Mains): 234.	لوكيم (Lequime): 184.
ميونيخ (Munich): 237.	لي سوشي (boulevard les Suchet): 144.
الناصور: 320.	لياج (Liège): 240، 239، 38.
نانت (Nante): 104.	ليريدا (Lerida): 260.
نورمانديا (Normandie): 147.	ليزيو (Lisieux): 219.
نورمبرغ (Nuremberg): 236.	ليفري-قارقان (Livry-Gargan): 50.
نونتير (Nantèrre): 145، 160، 310، 310.	ليل-رويي (Lille-Roubaix): 52.
نوينكيرشن (Neunkirchen): 49.	ليون (Lyon): 47، 48، 123، 124، 241، 224، 314.
هامبورغ (Hambourg): 119، 236.	مابيون (Mabillon): 66.
هايفونغ (Haiphong): 179.	

هورنو (Hornu): 52، 239.

هوغرارك (Hoogrerck): 273.

هوهنزوليرن رينغ (Hohenzollern Ring): 93.

يون (Yonne): 220.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوعات
04	المختصرات
08	مقدمة
16	مدخل: مناهضة الاستعمار في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية
28	الباب الأول: جبهة التحرير الوطني ومعركة الرأي العام
29	الفصل الأول: الرأي العام والثورة الجزائرية
30	1- تطور موقف الرأي العام في فرنسا وأوروبا الغربية من الثورة الجزائرية
39	2- الدعاية الإعلامية وتأثيرها على توجهات الرأي العام
44	3- الرأي العام وحرب الإخوة الأعداء
69	الفصل الثاني: إستراتيجية جبهة التحرير الوطني اتجاه الرأي العام في فرنسا وأوروبا الغربية
70	1- تأسيس فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا
99	2- شرح أسباب وأهداف الثورة والمبادئ التي تقوم عليها
102	3- دعوة الرأي العام إلى تحمل مسؤولياته
109	4- الحضور في المؤتمرات والتجمعات الدولية النقابية والطلابية والنسوية
116	5- فتح مكاتب للجبهة في أوروبا الغربية
121	الفصل الثالث: الأحداث التي هزت الرأي العام بين 1957-1962
122	1- حركة العصيان في صفوف المجندين الفرنسيين
134	2- مسألة التعذيب
143	3- عمليات 25 أوت 1958 بفرنسا
154	4- مظاهرات أكتوبر 1961

166	5- أحداث «ميترو شارون» بباريس في 8 فيفري 1962
171	الفصل الرابع: تحول الرأي العام
172	1 - من القناعات الفكرية إلى الالتزام العملي
178	2 - إستيعاب واقع حركات التحرر وتطلعاتها
183	3 - الرأي العام وتهمة الخيانة
187	الباب الثاني: شبكات الدعم
188	الفصل الأول: في فرنسا
189	1- شبكة جانسون
209	2- شبكة كوريال
214	3- شبكة المقاومة الشابة
219	4- الشبكة المسيحية
227	5- شبكة الطريق الشيوعي
230	الفصل الثاني: في بلدان الجوار لفرنسا
231	1- جمهورية ألمانيا الفدرالية
239	2- بلجيكا
245	3- سويسرا
253	4- إيطاليا
259	5- إسبانيا
265	6- النمسا
270	الفصل الثالث: في البلدان الشمالية
271	1- الأراضي المنخفضة (هولندا)
285	2- إنجلترا
288	3- الدانمارك
292	4- السويد

296	5-النرويج وفنلندا
299	الفصل الرابع: المواقف المختلفة من شبكات دعم الثورة الجزائرية
300	1-موقف الحكومة الفرنسية
320	2-موقف الحزب الشيوعي الفرنسي
324	3-موقف الحكومات الغربية
327	4-موقف جبهة التحرير الوطني
333	خاتمة
338	الملاحق
380	قائمة المصادر والمراجع
393	فهرس الأعلام
410	فهرس الأماكن
416	فهرس الموضوعات